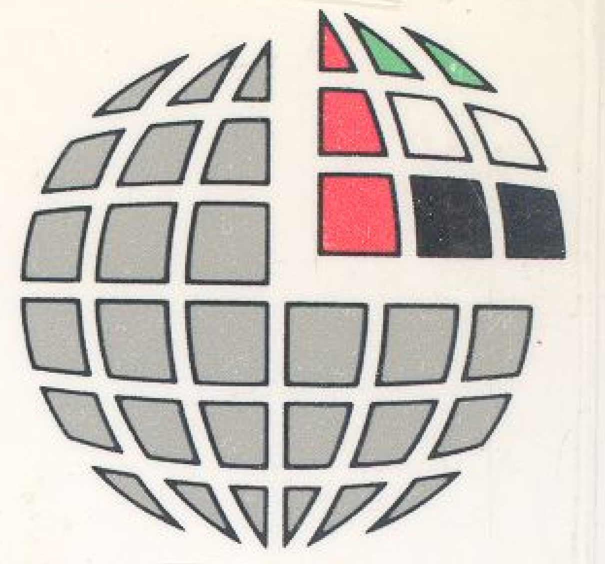


مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

100 قائد عسكري

تصنيف لأكثر القادة العسكريين تأثيراً في العالم عبر التاريخ

مايكل لي لاننج

100 قائد عسكري

تصنيف لأكثر القادة العسكريين
تأثيراً في العالم عبر التاريخ

محتوى الكتاب لا يعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز

Michael Lee Lanning

The 100 Most Influential Military Leaders

A Ranking of the 100 Greatest Leaders Past and Present

Published by Robinson Publishing Ltd., London

للطبعة العربية

الطبعة الأولى 1999

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية
ص. ب: 4567
أبوظبي
الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 722776_9712 +
فاكس: 769944_9712 +
e-mail: pubdis@ecssr.ac.ae
http://www.ecssr.ac.ae



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

دراسات مترجمة 8

100 قائد عسكري

تصنيف لأكثر القادة العسكريين

تأثيراً في العالم عبر التاريخ

تأليف

مايكل لي لاننج

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

أنشئ مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في 14 آذار/ مارس 1994، بهدف إعداد البحوث والدراسات الأكاديمية، للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، المتعلقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج العربي على وجه التحديد، والعالم العربي وأهم المستجدات الراهنة على الساحة الدولية بصفة عامة. ويسعى المركز لتوفير الوسط الملائم لتبادل الآراء العلمية حول هذه الموضوعات؛ من خلال قيامه بنشر الكتب والبحوث وعقد المؤتمرات والندوات. كما يأمل مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية أن يسهم بشكل فعال في دفع العملية التنموية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

يعمل المركز في إطار ثلاثة مجالات هي مجال البحوث والدراسات، ومجال إعداد الكوادر البحثية وتدريبها، ومجال خدمة المجتمع؛ وذلك من أجل تحقيق أهدافه المتمثلة في تشجيع البحث العلمي النابع من تطلعات المجتمع واحتياجاته، وتنظيم الملتقيات الفكرية، ومتابعة التطورات العلمية ودراسة انعكاساتها، وإعداد الدراسات المستقبلية، وتبني البرامج التي تدعم تطوير الكوادر البحثية المواطنة، والاهتمام بجمع البيانات والمعلومات وتوثيقها وتخزينها وتحليلها بالطرق العلمية الحديثة، والتعاون مع أجهزة الدولة ومؤسساتها المختلفة في مجالات الدراسات والبحوث العلمية.

المحتويات

مقدمـــة

«القائـد العسكـري هـو قـدر الأمـة»
هلموت فون مولتكه

لاشك في أن المبعوثين والدبلوماسيين والمفكرين والفلاسفة قد ساهموا في حركة التاريخ وشكلوا منعطفاته، بيد أنهم لم يتصدروا التاريخ إلا تحت حماية القادة العسكريين الذين عملوا على ضمان بقاء أسلوب الحياة الذي اختاره أولئك الرواد. إن أكثر الزعماء نفوذاً في تاريخ العالم لم يأتوا من دور العبادة، ولم تقدمهم ردهات الحكم أو المراكز البحثية، ولكنهم جاؤوا من صفوف العسكريين، جنوداً وبحارة.

وعلى امتداد الزمن، تمكنت الشعوب، التي حظيت بعظماء القادة العسكريين والمبدعين في المجال الحربي، من تحقيق الازدهار والسيطرة على أراضيها والهيمنة على جيرانها. وقد وجدت الحضارات التي افتقدت القادة العسكريين الأقوياء نفسها مقهورة وخاضعة لغيرها أو معرضة للإبادة التامة. وفي حالات أخرى، لم يكن القادة العسكريون سوى طغاة استبدوا بشعوبهم وروعوا أعداءهم.

يقدم هذا الكتاب بعض أولئك القادة العسكريين الذين سادوا أزمانهم وفرضوا قدراً هائلاً من النفوذ والتأثير في المستقبل. ويرتب الكتاب هؤلاء القادة بالتسلسل من واحد إلى مئة، ويحكم على كل واحد منهم بمقدار الأثر المباشر والمستمر الذي تركه، سواء من النواحي الإيجابية أو السلبية، على تاريخ العالم، وعلى حياة الشعوب التي وقع عليها ذلك الأثر، ثم اتجاه التطور العسكري والمدني الذي تبع ذلك التأثير. وقد عمل الكتاب على استبعاد القادة الذين حققوا مجرد الشهرة البسيطة أو حتى الكفاءة المثبتة في المعركة، وعوضاً عن ذلك، حدد ترتيب كل قائد في هذه القائمة وفقاً للأثر الدائم الذي تركه.

وتتضمن القائمة التي تشمل المئة قائد عسكري الأكثر تأثيراً ونفوذاً، والتي تمتد من القرن الخامس قبل الميلاد إلى فترة عاصفة الصحراء في التسعينيات من القرن العشرين،

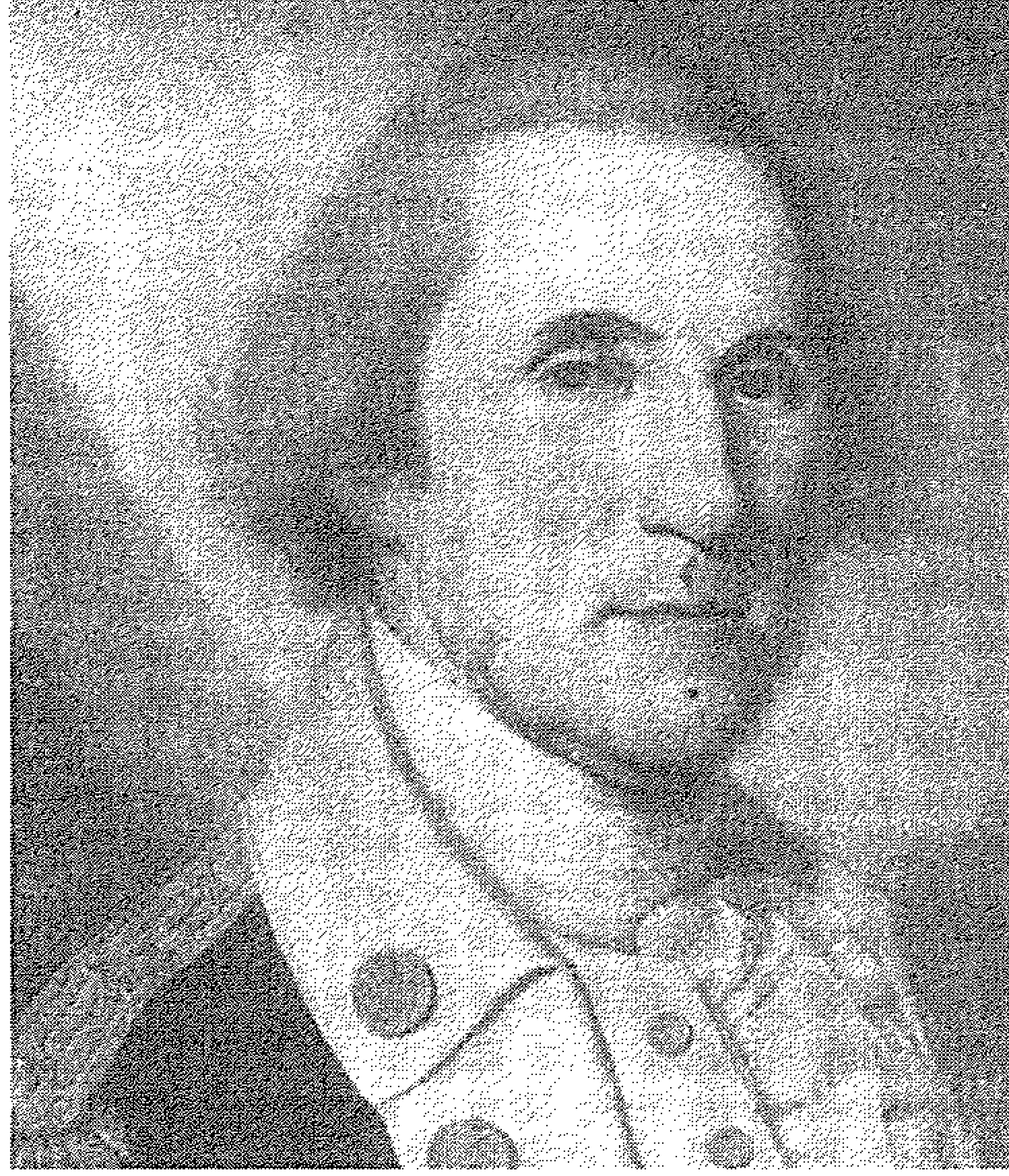
عدد من العظماء من قادة المعارك الذين يتقاسمون هذا الشرف مع المبدعين العسكريين، والكتاب الذين أسهموا بمؤلفاتهم عن فن الحرب، والقادة المحررين أو الفاتحين على امتداد التاريخ. كما تشمل القائمة بعض الهمجيين من القادة الذين لم يعرفوا معنى الرأفة، فقتلوا خصومهم وأرهبوا شعوبهم. أما الزعماء السياسيون، أياً كانت شهرتهم التاريخية، فلم يدرجوا ضمن هذه القائمة إلا إذا كانوا قد تولوا قيادة القوات المسلحة في بلدانهم بصفة مباشرة. ولا تتضمن القائمة أي شخصيات أسطورية أو خرافية تفتقر أفعالها أو إنجازاتها إلى الأدلة والوقائع التي تثبت صحتها.

لقد عاش بعض الذين تضمنتهم القائمة قبل قرون خلت، وأثبت الزمن امتداد أثر نفوذهم عبر العصور المتتالية. أما الشخصيات العسكرية التي برزت مؤخراً، واحتلت موقعها في هذه القائمة، فيبقى وضعها مرهوناً بعامل الزمن، وبالأحداث العالمية، ثم ما يفرضه بروز قادة جدد من تغيير على تلك الوضعية والمكانة.

وبالطبع، فإن من الصعب حقاً، أن نقارن بين قادة عسكريين تفصل بينهم حقب تتجاوز خمسة وعشرين قرناً. ورغم ذلك، فإن السير الذاتية التي يقدمها الكتاب في هذه التراجم تلخص المنجزات التي حققها كل قائد وتضع كلاً منهم في موضعه وفقاً لأهميته. وفي بعض الحالات، تعامل المنجزات باعتبارها المعيار الوحيد للترتيب، وفي حالات أخرى، توضح مقارنة القادة بمعاصريهم مكانتهم ضمن الترتيب الذي حددته القائمة.

كتب نابليون ذات مرة يقول: «لم تنهزم قبائل الغال (The Gauls) أمام الفرق الرومانية ولكن الذي قهرهم هو قيصر. ولم ترتعد روما أمام الجنود القرطاجيين، ولكن الذي جعلها ترتعد خوفاً هو القائد هنيبعل. ولم تكن الكتيبة المقدونية هي التي وصلت إلى الهند، وإنما هو القائد الإسكندر. ولم يكن الجيش الفرنسي هو الذي وصل إلى نهري فيزر (Weser) وإن (Inn) ولكن الذي قاد ذلك الجيش إلى هناك هو تورين. ولم يكن جنود بروسيا فقط هم الذين تولوا الدفاع عن بروسيا طيلة سبع سنوات ضد القوى الأوربية الثلاث الأشد بأساً، ولكنه القائد فريدريك الأكبر».

1



جــورج واشـنطـــن
George Washington
قـائد أمريكـي
(1732 - 1799)

يعتبر جورج واشنطن، قائد الجيش الأمريكي القاري، وأول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، هو أبرز القادة العسكريين تأثيراً ونفوذاً على مر التاريخ. ولو كان تحديد وترتيب القائمة التي تضم أبرز مئة قائد عسكري يركز فقط على ضم القادة الذين خاضوا معارك كبيرة أو العباقرة الاستراتيجيين العسكريين، فربما احتل جورج واشنطن ذيل القائمة، هذا إذا كان اسمه سيضمن أصلاً. ولكن نظراً لكون هذه الدراسة، تختص بالقادة العسكريين "المؤثرين"، ففي هذا الإطار، يتصدر جورج واشنطن القائمة.

قام جورج واشنطن، كقائد للجيش القاري، بقيادة مجموعة من الجنود الأمريكيين الذين وصفهم بأنهم «كانوا شبه جوعى أحياناً، وأنهم كانوا في أسمال بالية دائماً، ولم تكن لهم رواتب، كما كانوا يتعرضون في بعض الأوقات إلى كل أشكال المحن التي

تستطيع الطبيعة البشرية أن تحتملها». وقد تمكن جورج واشنطن من أن يقود هذا الجيش الرث، وأن يستغل قدراته السياسية الفذة لكسب رضى القادة السياسيين والحصول على دعم الدول الأخرى، ليلحق الهزيمة بأحد أبرز الجيوش على مستوى العالم محققاً بذلك الاستقلال للولايات المتحدة الأمريكية.

ولد جورج واشنطن لأسرة تشتغل بالزراعة، في يوم 22 شباط/ فبراير 1732، بمقاطعة ويستمورلاند (Westmoreland County) في ولاية فرجينيا. وقد عمل على تثقيف نفسه بالقراءة المركزة لعلوم الجغرافيا والتاريخ العسكري والزراعة. كما درس واشنطن في صباه علم الرياضيات والمساحة، مما أهله وهو في سن السادسة عشرة للانضمام إلى بعثة مساحة أرسلت إلى غربي فرجينيا. وفي سنة 1749 عُين جورج واشنطن ليكون مسؤولاً عن دائرة مسح الأراضي في مقاطعة كالبير (Culpepper County).

جاءت أول تجربة عسكرية مباشرة لجورج واشنطن عند تعيينه برتبة رائد في المليشيا التابعة لمستعمرة فرجينيا. وفي عام 1754 قاد واشنطن حملة صغيرة إلى وادي نهر أوهايو (Ohio River) بتكليف من حاكم فرجينيا ليطلب انسحاب الفرنسيين من الأراضي التي تطالب بريطانيا بالسيادة عليها. وخاض واشنطن أول تجربة قتالية له حين هاجم الفرنسيون سريته، وأجبروها على الاستسلام والعودة إلى شرقي فرجينيا.

استقال جورج واشنطن بعد ذلك من الخدمة العسكرية، ولكنه عاد لينضم من جديد إلى قوات المليشيا التابعة لمستعمرة فرجينيا عام 1755 برتبة مقدم، ليعمل كضابط معاون للجنرال البريطاني إدوارد برادوك (Edward Braddock)، وعاد واشنطن إلى وادي أوهايو مرة أخرى، وكان ضمن رتل بريطاني تعرض لكمين فجائي نصبه الفرنسيون وحلفاؤهم الهنود. وقد قتل الجنرال برادوك في ذلك الكمين، وتولى جورج واشنطن قيادة الرتل بعد ذلك خلال انسحابه وقاد من تبقى منه إلى النجاة، ومكافأة له على ذلك الأداء، تمت ترقيته إلى رتبة عقيد. وحين تم الإعلان رسمياً في أيار/ مايو 1756 عن الحرب التي أطلق عليها حرب السنوات السبع بين إنجلترا وفرنسا، تولى جورج واشنطن قيادة الدفاعات والتحصينات في جبهة فرجينيا الغربية.

حاول جورج واشنطن الانضمام إلى الجيش النظامي البريطاني، ولكنه - بعد أن قوبل طلبه بالرفض - عاد إلى مقاطعة ماونت فيرنون (Mount Vernon) الجبلية عند انتهاء الحرب. وفي عام 1758 انتخب واشنطن لعضوية المجلس الأدنى في الهيئة التشريعية (House of Burgesses) لمستعمرة فرجينيا، وظل في ذلك الموقع لمدة سبع عشرة سنة. وخلال تلك الفترة عارض جورج واشنطن علناً القمع البريطاني المتزايد للمستعمرات الأمريكية، كما عارض الازدياد المتصاعد للضرائب المفروضة على شتى مناحي الحياة وعلى النشاط التجاري تحديداً.

في عام 1774 جاء جورج واشنطن ممثلاً لموطنه مستعمرة فرجينيا في اجتماع الكونجرس القومي (Continental Congress)، الذي ضم جميع المستعمرات التي تشكلت منها الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد. وبعد وقت قصير من بداية الحرب الثورية الأمريكية في عام 1775 بالمعارك التي دارت في ليكسنجتون (Lexington) وكونكورد (Concord)، ظهر واشنطن أمام الكونجرس القومي بزيه العسكري الخاص بقوات المليشيا ليعرض تطوعه للخدمة. وقد اتخذ الكونجرس قراراً بالإجماع مصدقاً بتشكيل جيش قومي، وعين جورج واشنطن قائداً عاماً له. وجاء ذلك التعيين نظراً لمهارات واشنطن الدبلوماسية التي تفوق مؤهلاته العسكرية. وبعد أن شهدت المستعمرات الأمريكية انقسامات حادة وعدائية بين الجنوب والشمال، برز جورج واشنطن ليكون القائد الوحيد، القادر على توحيد الأمريكيين لمواجهة واحد من أقوى الجيوش على مستوى العالم.

باشر جورج واشنطن قيادة الجيش القومي، الذي تكون من قوات المليشيا في المستعمرات المختلفة، وذلك بحصار بوسطن في شهر تموز/ يوليو 1775. وقام بتنظيم قواته على الفور، وتعامل مع الموالين، وحاول تكوين قوة بحرية واستغل معرفته بالميزات التي توفرها المظاهر الطبيعية على سطح الأرض، مستغلاً خبرته السابقة كمتخصص في المساحة، ليحتل مرتفعات دورتشستر (Dorchester Heights) غير المحروسة، ثم قام بتسليح القوات الموجودة على المرتفعات بالمدافع التي استولى عليها في فورت تايكونديروجا (Fort Ticonderoga)، وقصف القوات البريطانية التي تحتل بوسطن ليجبرها على إخلاء المدينة والانسحاب منها بحراً في آذار/ مارس 1776.

وبعد أن توقع جورج واشنطن بوعيه وحكمته أن يستهدف البريطانيون مدينة نيويورك لاستخدامها كقاعدة انطلاق لتجزئة المستعمرات على امتداد نهر هدسون (Hudson River)، اتجه ليصل إلى مدينة نيويورك قبل وقت كاف ليجهز الدفاعات والتحصينات اللازمة. ولكنه اضطر إلى الانسحاب بعد فشل جنوده، الذين كانوا أقل عدداً وتدريباً، في عدة معارك مع الجيش النظامي البريطاني خلال شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1776.

ومع اكتمال انسحاب واشنطن إلى بنسلفانيا كان تعداد جيشه الذي انهار معنوياً لا يتعدى ثلاثة آلاف جندي. أما القوات البريطانية التي يبلغ تعدادها أربعة وثلاثين ألف جندي فقد بدت وكأنها تنتظر اللحظة التي تنقض فيها لتقضي على الثوار الأمريكيين خلال فصل الربيع. وفي ليلة عيد الميلاد عام 1776، شن جورج واشنطن أشهر وأكبر عمل هجومي، وذلك بعبور نهر ديلاوير (Delaware River) الممتلئ بالثلوج ليشتبك مع حامية مكونة من المرتزقة البريطانيين والألمان في ترينتون (Trenton). وقد تمكن الثوار بعد خسائر قليلة، من أسر 900 جندي من العدو، وفي 2 كانون الثاني/ يناير ألحقوا الهزيمة بوحدة بريطانية صغيرة أخرى في برينستون.

لم تحقق أي من المعركتين نصراً حاسماً، ولكنهما كانا أول إنجاز إيجابي للثوار منذ معركة بوسطن. فقد أصبح التجنيد أيسر مما كان، كما ارتفعت الروح المعنوية في داخل الجيش، والأهم من ذلك كله أن سلسلة الهزائم قد توقفت. وعلى الرغم من ذلك، كان جورج واشنطن مدركاً لصعوبة إمكانية تغلبه على الجيش البريطاني المتفوق في قتال مفتوح. كما أنه أدرك أيضاً أنه ليس مضطراً إلى فعل ذلك، فالوقت مازال في صالحه. فكلما طال أمد الحرب، كان ممكناً أن تنهك نفقاتها كاهل البريطانيين، وأن عدواً ما أكثر قوة سيدخل في حرب ضدهم.

كان اقتناع جورج واشنطن أنه مادام لديه جيش، له حضور في الميدان، وبغض النظر عما إذا كان منتصراً أو مهزوماً، فإن الولايات المتحدة الأمريكية التي أعلن عن مولدها حديثاً قد أصبحت حقيقة فعلية. ففي عام 1777 بذل جورج واشنطن جهداً نمطياً عادياً

فقط للدفاع عن العاصمة في فيلادلفيا وأرسل جزءاً من جيشه إلى شمالي ولاية نيويورك ليوقف الغزو البريطاني لها من كندا. وعلى الرغم من أنه لم يشارك مباشرة في معركة ساراتوجا (Saratoga)، فقد انتصر الثوار فيها على البريطانيين بفضل اختيار واشنطن لأفضل مرؤوسيه من القادة واستعداده لتخويلهم الصلاحيات اللازمة للتصرف والتعامل مع المواقف، ثم الإمكانيات التي وفرها لهم لتحقيق النصر.

لقد كان جورج واشنطن يتقبل الدعم من أي مصدر خلال فترة معسكره الذي امتد طوال شتاء (1777 ـ 1778) في منطقة فالي فورج (Valley Forge). فقد قام المندوبون الأمريكيون في أوربا باستقطاب القادة ذوي الخبرة لينضموا إلى مساعدة واشنطن، ومن هؤلاء البارون فون ستوبن (Baron von Steuben) من بروسيا، والذي أفاد بخبرته الجيش الأمريكي في النواحي التدريبية.

بحلول عام 1778، لم يتمكن أي من الطرفين من تجميع القوة الكافية في الشمال لتحقيق النصر، ولذا فقد تحرك البريطانيون ضد المستعمرات الجنوبية. وبدلاً من مطاردة تلك القوات، اختار جورج واشنطن المحافظة على وجوده حول مستعمرة نيويورك التي يحتلها البريطانيون. وظل واشنطن على ثقة بأن مجرد وجود جيشه هناك، يمثل إجراء كافياً بحد ذاته. ومع ذلك، أرسل واشنطن واحداً من أكفأ قادته وهو ناثانئيل جرين (Nathanael Greene) إلى الجنوب.

أعلنت فرنسا، خلال صيف عام 1778، الحرب على بريطانيا وبدأت بتقديم الدعم للثوار الأمريكيين. وفي تلك الأثناء، تمسك واشنطن بالصمود وحافظ على الوضع في الشمال، بينما خاض جرين سلسلة من المعارك في كارولينا.

وبعد سنتين، تمكن جرين من إجبار البريطانيين على الانسحاب إلى شبه جزيرة يوركتاون (Yorktown) في فرجينيا. وبعد أن ترك مفرزة صغيرة لتصد القوة البريطانية القادمة من الشمال، تحرك جورج واشنطن بعد ذلك نحو الجنوب. وبدعم وفرته قوة من الجيش الفرنسي قوامها سبعة آلاف جندي مع أسطول بحري مكون من 36 سفينة

حربية بمواجهة الساحل لتمنع وصول التعزيزات البريطانية وتحول دون محاولات الانسحاب والإخلاء، تحرك جورج واشنطن لينفذ هجومه على جبهة يوركتاون. وفي 19 تشرين الأول/ أكتوبر 1781 استسلمت القوات البريطانية أمام جورج واشنطن.

كان الانتصار الذي تحقق في معركة يوركتاون، هو الانتصار الحاسم الوحيد الذي حققه جورج واشنطن للثورة ولكنه كان كافياً تماماً. فعلى الرغم من أن الحرب لم تنته رسمياً حتى عام 1783، فقد انتهت الثورة الأمريكية عملياً بمعركة يوركتاون. وبعد أن تحول جورج واشنطن إلى بطل قومي، وذاع صيته على المستوى العالمي، أصبح أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية في شباط/ فبراير 1789، ودام حكم واشنطن لفترتين رئاسيتين، أشرف خلالهما على تكوين أجهزة حكم ديمقراطية وشهدت فترته بداية عملها، كما وضع العديد من الإجراءات والتقاليد التي ظلت سائدة إلى يومنا هذا. وبعد أن رفض الترشيح لفترة رئاسية ثالثة، تقاعد ليستقر بمقاطعة ماونت فيرنون، التي توفي فيها يوم 14 كانون الأول/ ديسمبر 1799 وعمره سبعة وستون سنة.

وبينما تقوم شهرة جورج واشنطن التي نعرفها اليوم على دوره كرئيس أكثر من تاريخه كقائد عسكري، فقد كان بالفعل قائداً عسكرياً بارعاً؛ إذ تمكن - في آن واحد - من المحافظة على جيشه في الميدان في مواجهة قوة متفوقة للغاية، والمحافظة على رضى الكونجرس المنقسم داخلياً وعلى قبول الشعب له، بينما تمكن في ذات الوقت من استقطاب الدعم العسكري من دول أخرى.

على الرغم من تمكن قادة عسكريين آخرين، مثل نابليون الأول، والإسكندر الأكبر، وجنكيز خان من تحقيق إنجازات عسكرية أكثر من جورج واشنطن في ميدان المعركة، فإنهم لم يخلفوا ذلك الإرث من التأثير الذي يعادل ما تركه واشنطن، ودون جهوده في ذلك ما كان للجيش الأمريكي القومي أن يتشكل، ودون ذلك الجيش ما كان يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تكون. وكانت المستعمرات الأمريكية ستبقى جزءاً من الإمبراطورية البريطانية لتواجه مصيراً يائساً مشابهاً لما انتهت إليه المستعمرات الأخرى. كما أن جورج واشنطن هو الذي وضع وأسس المعايير التي قامت عليها

الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر حتى اليوم أطول الديمقراطيات عمراً؛ وهي الدولة الأقوى والأكثر نفوذاً. لقد حقق جورج واشنطن الكثير الذي يؤهله لحمل اللقب التشريفي "أبو بلاده".

2



نابليون الأول
Napoleon 1
إمبراطور فرنسي
(1821 - 1769)

هيمن نابليون بونابارت (Napoleon Bonaparte) على الحياة السياسية والعسكرية في أوربا، كإمبراطور لفرنسا، لفترة تجاوزت العقدين؛ فقد قادته عبقريته العسكرية إلى تحقيق الانتصار تلو الانتصار على أغلب أجزاء القارة الأوربية، وهو الذي بسط السيطرة الفرنسية لتمتد إلى آسيا وأفريقيا. ولم يكتف نابليون بالاستيلاء على أراض ممتدة، ولكن له تأثيراً في الجيوش والحكومات في كل أنحاء العالم. وبذلك، فقد فرض نابليون نفسه، كواحد من أكثر القادة العسكريين نفوذاً وتأثيراً على مر الأزمان.

لم يكن في نشأة نابليون ما يشير إلى العظمة التي حققها فيما بعد. فقد ولد في 15 آب/ أغسطس 1769، بمدينة أجاكيو (Ajaccio)، في جزيرة كورسيكا (Corsica)، لعائلة كورسيكية ـ إيطالية من طبقة النبلاء العاديين، ولم يحترف أي من أفرادها حياة الجندية. عاش نابليون طفولة تقليدية، وتركز تعليمه الابتدائي على المواد التي تتعلق

بتعليم مبادئ السلوك الحسن، وترسيخ قيم الشهامة والرجولة. التحق نابليون وهو في سن المراهقة بمدارس عسكرية في فرنسا وجمع مع دراسته فيها، انكبابه على قراءة التاريخ العسكري، مما شجعه على السعي للالتحاق بالحياة العسكرية كضابط في الجيش. وبعد التخرج من الأكاديمية العسكرية في باريس في سن السادسة عشرة، انضم نابليون إلى سلاح المدفعية برتبة ملازم ثان (يذكر أن نابليون قد بدل هجاء لقبه من (Buonaparte) إلى (Bonaparte) في عام 1796، ولكن مع تزايد شهرته، تخلى عن هذا اللقب كلياً).

عندما اندلعت الثورة الفرنسية عام 1789، أصبح نابليون نشطاً سياسياً في حركة اليعاقبة (Jacobins)، مع تقدمه في الرتبة وتزايد أعبائه في الجيش. وحين أعلنت كورسيكا استقلالها في عام 1793، قطع نابليون كل صلاته بموطنه الأصلي وظل على ولائه لفرنسا. بعد ذلك شارك نابليون في الحصار الذي ضربته القوات الفرنسية على القوات البريطانية في طولون (Toulon)، وعلى الرغم من إصابته بجرح بإحدى الحراب، فقد تولى قيادة المدفعية الفرنسية بعد تعرض قائدها لإصابة خطرة. وقد أدى قيامه بتجميع القوات العاملة على المدافع، وتركيز نيران القصف، إلى تحقيق النصر لفرنسا وإضافة المزيد من الشهرة لنابليون الذي ترقى حينها إلى رتبة عميد وهو لما يتجاوز السادسة والعشرين من عمره بعد.

ومرة أخرى استغل نابليون الظرف والمكان المناسبين. حدث ذلك في 5 تشرين الأول/ أكتوبر 1795، حين أطلق وابلاً من قذائف المدفعية دفعة واحدة في سماء باريس ليخمد، بذلك التهديد، انتفاضة الموالين للملكية. وقد تسلم نابليون - كمكافأة له - قيادة الجيش الفرنسي الذي كان يسمى "جيش إيطاليا"، وشكل ذلك التعيين أول خبرة في القيادة الميدانية له. بدأ نابليون هنا، في بناء مجد آخر، بتحقيق الانتصارات على النمساويين في لودي (Lodi)، وكاستيليوني (Castiglione)، وأركولا (Arcola)، وريفولي (Rivoli) خلال الفترة 1796 ـ 1797. أظهر نابليون شجاعته وبسالته في معركة لودي حيث قاد هجوماً بالحراب ضد حرس مؤخرة القوات النمساوية، وذلك بعد عبور جسر للوصول إليها. وقد أطلق الجنود الفرنسيون - الذين

لم يعتادوا مثل هذه الأعمال البطولية من الضباط ذوي الرتب العليا – على ذلك القائد المقدام القصير القامة؛ أي نابليون، والذي لقب بـ "العريف الصغير".

اندفع نابليون نحو الجنوب مستفيداً من انتصاراته، وبحلول نهاية عام 1797 كان قد سيطر على إيطاليا والنمسا، وبعد أن أضحى بطلاً معروفاً في كل أنحاء فرنسا، لم يكتف بأمجاده ولكنه استمر في إظهار الطموح وروح الكفاح والحكمة في اتخاذ القرار العسكري الصحيح، وهي المزايا التي طبعت حياته الباقية. فحين أدرك نابليون أن جيشه لم يكن قوياً بالقدر الذي يسمح بتنفيذ غزو عبر القنال الإنجليزي ضد بريطانيا، استعاض عن ذلك بالإبحار نحو مصر، مصطحباً معه جيشاً قوامه 40 ألف جندي. وكان هدفه من ذلك، قطع الطريق على تجارة بريطانيا المزدهرة مع الهند والمناطق المجاورة. وكسب نابليون العديد من الانتصارات ضد الأتراك الذين كانوا يحتلون مصر. ولكن قبل أن يتمكن من إخضاع المنطقة لسيطرته، هاجم الأميرال البريطاني هوراشيو نيلسون (Horatio Nelson) الأسطول الفرنسي في الإسكندرية وهزمه.

وبدلاً من البقاء والتمسك بخوض معركة خاسرة، عاد نابليون إلى فرنسا لينضم إلى ثورة ضد المجموعة الحاكمة من المديرين (Directory) [هيئة مكونة من خمسة أعضاء يمثلون السلطة التنفيذية في فرنسا خلال الفترة 1795 ـ 1799]. وبعد انقلاب ناجح في 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 1799، أصبح نابليون أول قنصل أو زعيم بحكم الواقع، يقود فرنسا بسلطات دكتاتورية. فقد قام بتعديل الدستور الفرنسي عام 1802 ليجعل نفسه "حاكماً مدى الحياة" وعاد ليعلن نفسه إمبراطوراً لفرنسا عام 1804.

عمل نابليون على تدعيم هذه الخطوات التعظيمية التي أضفاها على نفسه بتعزيز سطوته وقوته العسكرية وصقل براعته السياسية. وفي عام 1800، قام نابليون بتجميع جيش جديد مستخدماً نظام تجنيد صارماً، ليغزو النمسا ثانية، ويتفاوض معها على اتفاق سلام ضمن به اختيار نهر الراين ليكون الحدود الشرقية لفرنسا. أما في داخل فرنسا نفسها، فقد وحد نابليون القانون المدني فيما أصبح يعرف بالقانون النابليوني (Napoleonic Code)، وهو قانون يضمن الحقوق والحريات المكتسبة في فترة الثورة الفرنسية، شاملاً حرية الأديان للجميع.

أدت سياسة فرنسا الخارجية المتسمة بالعدوانية ومسلك جيشها ذي التوجه الهجومي إلى إنهاء فترة السلام الوجيزة التي تمتعت بها أوربا. وفي نيسان/ إبريل 1803، عاودت بريطانيا مواصلة حربها ضد نابليون، وتمكنت بعد مضي سنتين من إضافة روسيا والنمسا كحليفتين لها. وعلى الرغم من أن نابليون قد خسر الكثير من قواته البحرية في معركة أخرى ضد الأميرال نيلسون في الطرف الأغر (Trafalgar) عام 1805، فقد كان يدرك أن الحرب ستحسم براً. بدأ نابليون حملته العسكرية الذكية، بالتحرك بسرعة حاسمة والهجوم بعنف، ليهزم النمساويين في معركة آلم (Ulm) بتاريخ 17 تشرين الأول/ أكتوبر 1805، ثم هزم قوة نمساوية ـ روسية مشتركة في أوسترليتز (Austerlitz) بتاريخ 2 كانون الأول/ ديسمبر. وبعد ذلك هزم نابليون بروسيا في معركة يانا (Jena)، في 14 تشرين الأول/ أكتوبر 1806. وقابل الروس وانتصر عليهم في معركة فريدلاند (Friedland) في 2 شباط/ فبراير 1807. وقد أدت معاهدة تيلست (Treaty of Tilsit) التي وقعت عقب ذلك إلى تقسيم الجزء الغالب من أوربا بين روسيا وفرنسا.

وبعد أن بلغ نابليون أوج سطوته، طبق القانون النابليوني، الذي ضمن الحقوق والحريات المكتسبة في الثورة الفرنسية، ليشمل الأجزاء الخاضعة له في أوربا، وبالإضافة إلى توحيد القوانين، ألغى ذلك القانون الإقطاع وعبودية الأرض، وأسس حرية التدين، ووفر التعليم المجاني للجميع.

بيد أن توسيع النظامين الإداري والقضائي في فرنسا لم يُرض طموح نابليون؛ فقد استمر في محاصرة طرق التجارة البريطانية وإغلاقها، وأعلن عداءه الصريح تجاه الإنجليز الذين أطلق عليهم اسم "أمة من التجار". كما أضاف إلى مملكته الواسعة أراضي جديدة بالاستيلاء على البرتغال عام 1807. وفي العام التالي، حاول نابليون ضم إسبانيا، ولكن الإسبان الذين كانت تساندهم القوات البريطانية، قاوموا تلك المحاولة، فيما عرف بحرب شبه الجزيرة (Peninsular War)، والتي دامت حتى عام 1813. وعلى الرغم من أن نابليون قد قاد القوات الفرنسية بنفسه في عدة معارك ناجحة خلال تلك الحرب، فقد ترك لقادة الجيوش الذين عملوا تحت إمرته إدارة الجزء الأغلب من

القتال في إسبانيا في الوقت الذي باشر فيه تنفيذ عمليات في أوربا الوسطى. وقد كلفت حرب شبه الجزيرة الفرنسيين 300 ألف قتيل، ولم تحقق أي انتصار نهائي.

وعلى الرغم من المأزق الذي وقع فيه نابليون بالتورط في إسبانيا، فقد تعامل مع العلاقات المتردية مع روسيا بغزو ذلك البلد، بجيش مؤلف من 600 ألف جندي في 24 حزيران/ يونيو 1812. وكان بإمكان نابليون أن يقهر الجيش الروسي، ولكنه لم يستطع التغلب على شتاء روسيا، وعلى سياسة الأرض المحروقة التي اتبعها عدوه لحرمانه من أي إمدادات أو حماية. وحين دخل نابليون موسكو لم يجد سوى مدينة محترقة ومهجورة فضلاً عن فصل شتاء قارس، أهلكت حدته أكثر من جيش غاز من قبل. وحين عبر ما تبقى من قوات جيش نابليون الكبير وهي تعاني الجوع والبرد، في طريق عودتها إلى فرنسا، لم يكن تعدادها الكلي يزيد على عشرة آلاف جندي صالح للخدمة.

في ربيع عام 1813 تحالفت كل من روسيا وبروسيا وبريطانيا والسويد ضد فرنسا، وقام نابليون بتجميع من بقي على قيد الحياة من محاربيه وضم مجندين جدداً إلى جيشه لمواجهة التحالف المعادي. ومع أنه قد استمر يقاتل بكفاءة وذكاء فإنه تعرض للهزيمة في ليبتسخ (Leipzig) في تشرين الأول/ أكتوبر 1813 وانسحب إلى شرق فرنسا. وأخيراً وبعد إلحاح مساعديه من قادة الجيوش الميدانيين، وافق على التنازل عن الحكم في 11 نيسان/ إبريل 1814 وتقبل أن يعيش منفياً في جزيرة إلبا (Elba).

ولكن نابليون لم يبق طويلاً في المنفى؛ ففي آذار/ مارس 1815 هرب من جزيرة إلبا وأبحر إلى فرنسا. وأرسل الملك قوات من الجيش الفرنسي تحت إمرة المشير ميشيل ني (Michel Ney) لاعتقال الإمبراطور السابق؛ أي نابليون، إلا أن تلك القوات اختارت مناصرته والانضمام إليه. وبعد ذلك بوقت قصير انضم رفقاء السلاح السابقون إلى قائدهم السابق نابليون وتبعوه وهو يباشر الهجوم ويحقق العديد من الانتصارات. ولكن عهد نابليون الجديد لم يدم غير مئة يوم فقط، وفي معركة ووترلو (Waterloo) التي وقعت في 18 حزيران/ يونيو 1815، تعرض نابليون وجيشه الذي لم يظهر تصميمه وحميته المعهودة، إلى هزيمة ساحقة أمام قوات دوق ويلنجتون (Duke of Wellington)

وجيبهارد ليبرخت فون بلوخر (Gebhard Leberecht von Blucher). هذه المرة، استسلم نابليون مضطراً إلى قبول النفي في جزيرة سانت هيلينا (St. Helena) البريطانية في جنوب المحيط الأطلسي، حيث مات هناك بعد سنة واحدة.

توفي نابليون في 5 أيار/ مايو 1821 وعمره اثنتان وخمسون سنة، وقيل إنه توفي بسبب مرض سرطان المعدة، بينما تقول روايات أخرى إنه قد مات بفعل التسمم التدريجي بسم الزرنيخ. ولم يعد رفاته إلى فرنسا إلا عام 1840 حيث دفن في مقابر ليانفاليدس (Les Invalides) بباريس.

ولكن المفارقة أن نابليون - الذي يعتبر أعظم عسكري في عصره وهو أيضاً أحد أفضل العسكريين على مر الزمن - لم يكن مبدعاً على وجه التحديد؛ فهو لم يبدع أي أسلحة جديدة ولم يقدم أي تكتيكات مبتكرة، بل أثبت أنه أكثر من يجيد التكيف وتطويع الأشياء، حيث كان يستخدم منها ما يصلح لاحتياجاته ويترك ما لا يفيده. وكان يزيد في طاقة التقنية المتوافرة؛ ومن ذلك التحسينات التي دخلت على شبكة الطرق الأوروبية مؤخراً وزيادة السعة الإنتاجية للصناعة الحربية الفرنسية. كما تمكن نابليون - الذي استغل مهارات التنسيق، والإشراف المباشر، واختيار المرؤوسين الأكفاء، وتكامل جهود القوات - من تحقيق وإدامة أعلى معدلات الأداء من جانب جيشه. والأهم من ذلك أن نابليون قد أدرك أن نجاح أي جيش إنما يكمن في ارتفاع الروح المعنوية لأفراده. وقد ساعدت ملكات الحضور القيادي، والشخصية الفذة، وموهبة القيادة والسيطرة، بالإضافة إلى بسالته وشجاعته المتفردة، على خلق وبث روح قتالية لم تعرفها ساحات القتال في أوربا حتى ذلك الحين.

كان نابليون يبني تكتيكاته على عامل السرعة وعنصر المفاجأة والصدمة، وقد درب جيشه على إجادة هذه المهارات وتحقيق أهدافها، وكان يقسم فرقه إلى أسلحة وجيوش ويشكلها على النحو الذي يسمح له بالعمل كتشكيلات مستقلة. وتستطيع الفرق التي شكلها أن تنتشر في الميدان وتتحول من طابور المسير الحربي إلى تشكيلات القتال، وأن تشتبك وتدخل في قتال فعلي دون الحاجة إلى تعليمات لاحقة. كان نابليون يختار

الأشداء من القادة الذين يسميهم المقاتلين لقيادة هذه الفرق، وبخاصة أولئك الذين كانت شجاعتهم مصدر إلهام واستثارة لمرؤوسيهم. كما كان متفهماً لأهمية عنصر الحظ، وكان غالباً ما يصنف "الحظ" على أنه من الخصائص المهمة التي تساعد على إبراز القائد العسكري.

ولو استبعدنا عامل الحظ، لوجدنا أن نابليون، وبمساعدة رئيس أركانه، لويس ألكسندر بيرتييه (Louis Alèxandre Berthier)، كان يخطط لحملاته ومعاركه باهتمام فائق، كما كان يتولى بنفسه إجازة مرؤوسيه من القادة وتنويرهم، ثم بعد ذلك يتيح لهم التصرف باستقلالية للسيطرة على وحداتهم في خضم المعركة. ومن النواحي التكتيكية والاستراتيجية، ظل نابليون متمسكاً بالقيام بمبادرات محسوبة، مع تركيز أي تحرك يقوم به على أرض المعركة لتحقيق هدف واحد وهو تدمير قوات العدو. وكان يدرك أن من المستحيل على أي بلد أن يدافع عن أرضه دون جيش قوي.

لم يؤثر عن نابليون أي فلسفة مكتوبة عن فن الحرب، ولكن كارل فون كلاوسفيتس (Karl von Clausewitz) وأنطوان هنري جوميني (Antoine Henri Jomini) جاءا فيما بعد ليحققا شهرتهما (وليضمنا مكاناً في هذه القائمة) بتعريفهما لقواعد وفن ومفاهيم الحرب المنسوبة إلى نابليون ونظام الأركان الذي وضعه. وعلى الرغم من أن هذه التحليلات قد سجلت من قبل رجلين شاركا في الحروب النابليونية، فإنها تختلف حول أسباب نجاح نابليون.

ولكن الأثر الذي تركه الرجل الذي نصب نفسه إمبراطوراً كان على قدر كبير من الأهمية؛ إنه القانون النابليوني الذي أسهم بالكثير في توحيد القوانين ونظام الإدارة في كل أنحاء أوربا. وكان نابليون هو الدافع الذي ساهم في خلق ألمانيا وإيطاليا، أوَلَمْ تعمل كل منهما على توحيد نفسها لمجابهة التهديد الذي فرضه عليهما؟ لقد ترك نابليون إرثاً عظيماً من أساليب التنظيم العسكري، والتكتيك، والاستراتيجية لتستفيد منه الأجيال المتعاقبة من القادة الأوربيين وقادة الحرب الأهلية الأمريكية ثم زعماء الدول فيما بعد.

كان نابليون - الذي يصفه الكثيرون بالطموح والاندفاع الزائد الذي قضى عليه في آخر الأمر - رجلاً متفانياً في خدمة بلاده وكرس حياته لتبقى فرنسا متصدرة، كما عمل في الوقت نفسه على تحقيق مكانة بارزة لنفسه. وباعتبار أن نابليون من أوائل الذين تبنوا فكرة تلميع الذات بغرض تحقيق الشهرة والمنزلة الرفيعة، فقد استخدم أفضل الكتاب والفنانين في فرنسا لتمجيد ما حققه من إنجازات، بحيث أصبح اسمه - نابليون - رديفاً للبراعة والشهرة العسكرية. وقد أقر نابليون، الذي وصف نفسه بأنه "رجل الأقدار"، قائلاً بعد أن تمكن من أن يصبح واحداً من أنجح القادة العسكريين على مر التاريخ: «القوة هي عشقي».

وعلى الرغم من أن نابليون قد نشر الدمار والموت خلال معاركه، دون أن تأخذه الرحمة بأحد ودون أن يتجاوز في ذلك عن عسكري أو مدني، فقد جلب للبلدان التي دانت له بالسيطرة قدراً من الحريات لم تعرفه من قبل. ومازال اسم نابليون، إلى يومنا هذا، مرادفاً دائماً للمقدرة القيادية المتمكنة والتأثير العسكري البارز. وليس ثمة ما يمنع من تصدر اسمه لقائمة أبرز القادة العسكريين سوى الهزيمة التي تعرض لها على يد القوى الأوربية المتحالفة؛ تلك الهزيمة التي وضعت حداً لطموحاته الدؤوبة.

3



الإسكندر الأكبر
Alexander the Great
الفاتح المقدوني
(356 ـ 323 قبل الميلاد)

الإسكندر الأكبر، هو القائد الذي لم يخسر أي معركة طيلة أحد عشر عاماً من القتال ضد قوات تفوق قواته عدداً. وباعتباره أول قائد عسكري يحاول فتح العالم الذي كان معروفاً حينها، قام بدمج قوات من المشاة وسلاح الفرسان والمهندسين مع عناصر الإمداد والاستخبارات المساندة بأسلوب لم يعرفه ولم يتبعه أحد من قبله قط؛ فقد تمكن من خلال جهوده لتوحيد الشرق والغرب من تغيير كبير في العالم وذلك بنقل التجربة اليونانية، المتقدمة حينها في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية، ونشرها في كل المناطق التي فتحها.

ولد الإسكندر عام 356 قبل الميلاد، في مقدونيا لأبوين هما الملك فيليب الثاني والملكة أولمبياس (Olympias). نشأ في بيئة مرفهة وفرت له أفضل الرعاية، حيث تلقى تعليماً خاصاً على يد الفيلسوف الشهير أرسطو. كما لقنه والده فنون الحرب، وقاد أول

قوات تحت إمرته في قتال فعلي وعمره ستة عشر عاماً. وبعد سنتين من ذلك، أي في سنة 338 قبل الميلاد، كان الإسكندر يقود جزءاً كبيراً من جيش والده ليحقق به النصر في معركة كرينيا (Chaeronea)، وهي المعركة التي بسطت بعدها مقدونيا سيطرتها الكاملة على اليونان.

قتل الملك فيليب على يد حارس شخصي كان يحمل ضغينة ضده، وجاء موته في الوقت الذي كان يخطط فيه لغزو آسيا الصغرى بهدف فتح وإخضاع الإمبراطورية الفارسية لملكه؛ فاعتلى الإسكندر عرش والده وعمره عشرون سنة، وقام على الفور بإعدام قاتل والده وكل المعارضين له.

ورث الإسكندر، بالإضافة إلى العرش الملكي، جيشاً محارباً على قدر عال من التدريب والانضباط. وكان تنظيمه مبنياً على أساس وحدات من رماة الرمح "حملة الحراب"، المسلحين بنوع من الحراب الكبيرة التي يبلغ طول الواحدة منها أربع عشرة قدماً وهو ضعف الطول المعروف للحراب العادية. وتساند هذه الوحدات قوات المشاة الخفيفة وقوات الفرسان ذات القدرة العالية على الحركة، المستعدة دوماً لمهاجمة أجناب العدو واستغلال الثغرات التي يفتحها رماة الرمح لاختراق دفاعات العدو. كما تقوم وحدات هندسة الميدان، القادرة على نصب المجانيق والمعدات اللازمة لتنفيذ الحصار، بمساندة مجموعة القتال الرئيسية.

جمع الإسكندر الأكبر، بعد وقت قصير من وفاة والده 30 ألفاً من الجنود من رماة الحراب والمشاة وأفراد هندسة الميدان، بالإضافة إلى خمسة آلاف من الفرسان، وذلك لتنفيذ الخطة التي أعدها والده لغزو آسيا الصغرى. وكانت العقبة الوحيدة التي تواجه تنفيذ الغزو هي القوة البحرية المتفوقة للإمبراطورية الفارسية. وبناء على تلك المعطيات، قام الإسكندر الأكبر الذي لم يكن يملك أي قوة بحرية تذكر، بتحييد تلك الميزة التي يتفوق بها العدو عن طريق مهاجمة الموانئ البحرية من البر وتدمير القواعد التي توفر الدعم والإسناد لأسطول العدو.

واجه الإسكندر الأكبر مقاومة محدودة أثناء تقدمه نحو آسيا الصغرى عن طريق البحر الأبيض المتوسط حتى وصل إلى نهر جرينايكس (Granicus River) عام 334 قبل الميلاد؛ فقد واجهته عند ذلك النهر أول قوة فارسية رئيسية، وعلى الرغم من التفوق العددي للقوة الفارسية بآلاف الجنود، فقد تمكن من عبور النهر دون أن يكشف عن حجم قواته، وشن هجوماً مفاجئاً وجريئاً ليحقق النصر الخاطف وبخسارة لا تتعدى المئة رجل من رجاله.

واصل جيش الإسكندر تقدمه نحو الجنوب دون مقاومة تذكر، حتى وصل إلى منطقة إيسوس (Issus)، التي تعتبر جزءاً من شمال شرقي سوريا حالياً. وفي ذلك الموقع، واجه الإسكندر القوة الرئيسية من الجيش الفارسي بقيادة الملك داريوس الثالث (Darius III). وكان الجيش الفارسي متفوقاً على القوة التي يقودها الإسكندر الأكبر بنسبة ثلاثة إلى واحد على الأقل، بينما تقدر بعض الروايات تلك النسبة بأنها عشرة إلى واحد، ومع ذلك، لم يتردد ذلك القائد المقدوني الشاب في إصدار أوامره بشن الهجوم. ولم تتمكن كتيبة رماة الرمح التابعة لجيش الإسكندر من اختراق الجبهة الفارسية المتفوقة عدداً في بادئ الأمر، كما فشلت محاولة الفرسان لفتح ثغرات على أجناب العدو. وعندما تبدى له أن المعركة لا تسير في صالحه، جمع الإسكندر قواته وقاد بنفسه هجوماً مركزاً ومباشراً على قوات داريوس. وهكذا، انهار خط الدفاع الفارسي أمام هجوم الفرسان المقدونيين المتفوق، وانسحب داريوس على عجل لتتبعه قواته بعد ذلك.

فر داريوس وجنوده بسرعة أمام الزحف المقدوني، حتى إن الملك قد ترك والدته وزوجته وأطفاله وراءه. ولكن الإسكندر الذي سبق له أن أهلك قرى بأكملها لعدم استسلامها، أظهر فطنة سياسية أكسبته ولاء أعدائه السابقين. فقد أمر بمعاملة العائلة المالكة التي تعرضت للأسر وفقاً لمكانتها السامية، ومنح الأسرى من الجنود الفارسيين والمرتزقة الذين كانوا يحاربون معهم، الفرصة لتبديل ولائهم والانضمام إلى قواته بدلاً من التعرض للإعدام.

فرض الإسكندر في السنة التالية حصاراً لمدة سبعة أشهر على ميناء صور الواقع على ساحل لبنان الحالي، وأقام معبراً برياً عبر الممر المائي الذي كان يحمي دفاعات وتحصينات المدينة الرئيسية. وبعد سقوط صور مباشرة تقدم الإسكندر نحو الجنوب ليستولي على غزة، ثم احتل مصر بعد ذلك. وبنهاية عام 332 قبل الميلاد كان الإسكندر قد انتهى من إنشاء مدينة الإسكندرية الجديدة عند مصب نهر النيل لتصبح المركز التجاري والعلمي والثقافي للإمبراطورية اليونانية حينها.

وبعد قيام الإسكندر بزيارة إلى المعابد المصرية الكبيرة، بدأ يعتقد أن له أصولاً إلهية. ولم يجد جنوده - الذين بدؤوا يؤلهونه بالفعل، نظراً لمهاراته القيادية وشجاعته الفريدة التي عرفوها عنه وهو يلقي بنفسه في خضم القتال الشرس - صعوبة في تقبل ذلك الاعتقاد فيه.

وواصل الإسكندر هجومه عام 331 قبل الميلاد وعبر نهري دجلة والفرات. وفي أول تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه (هذا التاريخ مؤكد بحساب الخسوف القمري)، هزم الإسكندر مرة أخرى جيشاً فارسياً يفوق جيشه حجماً بكثير. وبعد وقت قصير، استولى على عاصمة الإمبراطورية الفارسية حينها بيرسيبولس (Persepolis)، ونهب مقتنيات العائلة الحاكمة.

بحلول نهاية عام 330 قبل الميلاد، كان الإسكندر يسيطر على كل أجزاء آسيا الصغرى وبلاد فارس، وفي أقل من خمس سنوات، كان قد أنشأ أكبر إمبراطورية في تاريخ العالم. وعلى الرغم من أنه تمكن من تحقيق كل أهداف والده، فإنه لم يكن قانعاً بذلك، فقد قام بغزو أفغانستان وآسيا الوسطى وشمال الهند خلال السنوات الثلاث التالية. ولم يهزم الإسكندر في أي معركة خلال تلك الحملة التي شملت مواجهة دامية مع الملك الهندي بورس (Porus) والذي استخدم أكثر من مئتي فيل مدرب في القتال ضد المقدونيين أثناء معركة هيداسبس (Hydaspes River).

لم يكن التخطيط الحربي والاستراتيجي الشامل معروفاً تماماً قبل عهد الإسكندر، وكانت تكتيكات القتال بدائية إلى أبعد حد، وغالباً ما يكون الطرف المنتصر هو الجيش

الذي يملك القوة المسلحة الأكبر حجماً والأفضل تسليحاً. وجاء الإسكندر ليدخل أسلوب المناورات التكتيكية لتطويق العدو كما نظم تحركات المشاة وسلاح الفرسان. وعمل الإسكندر أيضاً على دمج القوات البحرية في خططه الاستراتيجية، وبدأ بإدخال تحسينات على تصميم السفن نتج عنها تركيب منصات واسعة مجهزة بالأسلحة على سطح السفن الحربية الضخمة، وسيظل هذا التعديل يفرض نفسه على الحرب البحرية لعدة قرون قادمة. وكان فن الحرب قبل مجيء الإسكندر يشبه القتال العادي على الطريق ممثلاً في الاشتباك بين خصمين، ولكنه أصبح بعد عهد الإسكندر أشبه كثيراً بعمل مسرحي ضخم يتسم بالنجاح، رغم عدم التدريب المسبق عليه.

كان الإسكندر يريد مواصلة هجومه بعد أن هزم الملك الهندي "بورس"، ولكن جيشه الذي أنهكه القتال المستمر لمدة ثماني سنوات، التمس العودة إلى الوطن الأم، ووافق الملك الشاب على هذا الطلب أخيراً. وقبل عودة الإسكندر إلى مقدونيا عمل على تنصيب مسؤولين من طرفه وممن وثق بهم من أعدائه السابقين، لإدارة المناطق التي فتحها وأصبحت خاضعة له. وقد تولى قادة جيشه تدريب الجنود الفارسيين الذين وقعوا في الأسر على تكتيكات الجيش المقدوني وعمل الإسكندر على ضمهم إلى جيشه بعد ذلك. ولكي يقوى الارتباط بين الشرق والغرب، أمر الإسكندر الأكبر عشرة آلاف من ضباطه وجنوده بالزواج من نساء فارسيات، كما تزوج هو نفسه من امرأة فارسية الأصل. بيد أن الإسكندر لم يعد إلى موطنه؛ فقد تمكن منه المرض، ولم يشفع له ادعاؤه الألوهية شيئاً، حيث أدركه الموت عام 323 قبل الميلاد في بابل وهو شاب لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من العمر، وقيل إنه قد توفي بمرض الملاريا.

لم يسم الإسكندر شخصاً بعينه كما لم يدرب أحداً لخلافته، وربما كان مرد ذلك إلى اعتقاده فكرة خلوده، بيد أنه ترك إمبراطوريته الممتدة في أيدي من وصفهم "بالأقوياء". ولكن المؤسف أن الذين اختارهم الإسكندر لتلك المهام، لم يكن بينهم من هو في مثل قوته وبراعته؛ فقد انهارت الإمبراطورية التي أقامها وتفرق جيشه إلى فصائل متناحرة بعد عام واحد من وفاته، وكان ذلك بمنزلة إعلان انتهاء تلك الإمبراطورية.

يمكن أن ننسب إلى الإسكندر الأكبر تغيير خارطة العالم بفضل مهاراته الفذة في التنظيم الحربي وإبداعاته في مجال التكتيك والتخطيط الاستراتيجي فضلاً عن شجاعته الفائقة. كما يسجل التاريخ له نجاحه في إقامة صلات قوية بين الشرق والغرب ونشر الحضارة الإغريقية في كل المناطق والبلدان التي بسط سيطرته عليها. وهو الذي أنشأ أكثر من عشرين مدينة جديدة لتتحول فيما بعد إلى مراكز إقليمية تجارية وثقافية، كما أصبح التطوير الذي أدخله الإسكندر الأكبر على تكتيكات الهجوم وفنون الحصار هو النموذج المحتذى عبر سنوات لاحقة، كما بقيت إنجازاته وانتصاراته معياراً لبناء الإمبراطوريات التي أقامها الرومان ثم نابليون فيما بعد.

4



جنكيز خان
Genghis Khan
فاتح مغولي
(حوالي 1167 ـ 1227)

جمع جنكيز خان المغول وأنشأ بهم دولة، وهو الذي فتح معظم أنحاء العالم المعروف حينها ليستحق عن جدارة شهرته كواحد من عظماء القادة العسكريين الذين عرفهم التاريخ. وعلى الرغم من أنه كان يوصف في أغلب الأحيان بلقب "الهمجي" الذي يقود "قبيلة" من الرحل يتخذها جيشاً، فقد حقق انتصاراته بالتنظيم المتفرد والتكتيكات الذكية وليس بالأسلوب الهمجي الذي أشيع عنه.

ولد جنكيز خان في أسرة ذات نفوذ بمنطقة وسط منغوليا الواقعة على امتداد نهر أونون (Onon River) في عام 1167 أو في عام 1155، وفقاً للروايات التاريخية المختلفة. اختارت له أسرته اسم تيموجين (Temujin)، وكان والده هو الذي انتقى هذا الاسم تكريماً لعدو من التتار كان يكن له احتراماً خاصاً. وحين بلغ الفتى تيموجين التاسعة من العمر، قتل الخصوم من قبائل أخرى والده، وأجبروا العائلة على اللجوء

إلى المنفى. وقاسى أفراد العائلة من الصمود أمام قسوة الشتاء، وازداد وضعهم سوءاً حين قامت قبيلة أخرى بالهجوم على مخيمهم وأسر الابن تيموجين الذي طوقت رقبته بحلقة خشبية ثقيلة لمنعه من الهرب.

ولم يُجد هذا الإجراء الأمني، فقد تمكن تيموجين من تحرير نفسه والعودة إلى قبيلته ليكتسب وهو في مطلع صباه صيته كمحارب شرس. وقبل أن يكمل العشرين من عمره، كان تيموجين قد بدأ بتوثيق عرى التعاون بين العشائر والقبائل العديدة بدبلوماسيته، ثم عن طريق زواجه من ابنة جار قوي. وفي الوقت الذي لم تزل تحالفاته معدودة ومحصورة، قامت قبيلة من القبائل المعادية وهي قبيلة "الميركيتس" (Merkits) بغارة على معسكر تيموجين واختطفت زوجته. وعقب ذلك، زاد تيموجين من جهوده لتوحيد العائلات المجاورة، وتمكن خلال سنة واحدة من إلحاق الهزيمة بقبيلة "الميركيتس" وإنقاذ عقيلته من الأسر.

تشجعت قبائل أخرى على الانضمام إلى تيموجين بسبب الانتصارات التي حققها، خاصة وأنه قد عمل على مهاجمة وهزيمة من وقفوا في معارضته. ومن ثم، سمح تيموجين للناجين من الموت في أعقاب كل معركة من معاركه ضد أعدائه أن يختاروا بين الانضمام إلى قواته أو مواجهة الموت. وحين بلغ الخامسة والعشرين من العمر، كان تيموجين قد وحد بالفعل جميع قبائل المغول في اتحاد واحد، واتخذ لنفسه لقب "جنكيز خان"، وهو اللقب الذي اختلفت تعريفاته ما بين "سيد العالم" و"السيد العادل" و"السيد العزيز".

طلب جنكيز خان من كل القبائل التي انضمت إليه أن تحتفظ بقوة دائمة تكون مستعدة للدفاع عن أراضي القبيلة أو القيام بالهجوم. ونظم قواته على أساس هيكل عشري، حيث تضم الزمرة عشرة جنود، وتتكون السرية من عشرة زمر، والكتيبة من عشر سرايا وهكذا، حتى تصل إلى مستوى ما أطلق عليه "تومين" (Tumens) والتي تضم عشرة آلاف رجل. وتولى أبناء جنكيز خان وأفراد عائلته وعشيرته والذين يهتم بهم المناصب القيادية الرئيسية في جيشه وفرضوا نظاماً صارماً للتدريب والانضباط.

وتتشابه هذه التطبيقات والتجربة التنظيمية بالأسلوب والتجربة التي طبقها أتيلا الهوني (Attila the Hun) قبل أكثر من 700 عام. ولا يكشف لنا التاريخ ما إذا كان جنكيز خان قد نقل أياً من أفكار سلفه أتيلا أو أن تلك الأفكار خاصة به، فقد تمكن جنكيز خان من تنظيم جيشه على نحو منظم ليحقق الحد الأقصى من النتائج المتوقعة.

شكل محاربو الخيالة الثقيلة، المسلحون بالحراب والسيوف، الذين تحميهم الخوذات الجلدية ودروع الصدر، نصف جيش جنكيز خان تقريباً. أما الصفوف المتبقية فقد كانت مكونة من الخيالة الخفيفة، وهم رماة القوس المسلحون بالأقواس والسهام والذين لا يستخدمون أي معدات حماية سوى الخوذة الجلدية. وكان كل أفراد الجيش المغولي راكبين على الخيول ولم يكن فيه أي مجموعة راجلة، وكان أفراد الخيالة يقودون الخيل الزائدة التي تحمل المؤن والمعدات الكافية اللازمة للحملات الطويلة الأمد. وقد أدت التجديدات والتعديلات إلى خلق جيش على قدر عال من القدرة على الحركة والتنقل بحيث تتفوق كثيراً على أي جيش آخر في ذلك الحين.

ولكي يوفر جنكيز خان الإسناد اللازم لعمليات جيشه استخدم شبكة واسعة من الجواسيس والكشافة الذين كانوا ينقلون تفاصيل قوة العدو ومواقفه. وعندما تتمكن عناصر الاستطلاع من كشف موقع ضعف لدى العدو، كان جنكيز خان يسرع إلى حشد قوة مكونة من 250 ألف رجل ليهاجم بها ذلك الموقع، تتقدمها الخيالة الثقيلة ويساندها رماة القوس من المؤخرة. وكان بإمكان أرتال من الفرسان أن يتوزعوا على مجموعات قتال أصغر حجماً ويستغلوا نقاط الضعف، أو أن يعبروا من خلال تشكيلات بعضهم البعض ويطوقوا نقاط العدو القوية. ويعتبر هذا الهجوم الجريء والسريع أول نموذج لأسلوب "الحرب الخاطفة" الذي ظل يطبع طرق القتال لعدة قرون.

ولم يبق الجيش المغولي جامداً، وإنما كان يتطور باستمرار حسبما يستدعي الموقف؛ فعندما اضطر جنكيز خان إلى مواجهة المدن ذات التحصينات القوية في شمالي الصين قام بإدخال المجانيق وآلات الحصار المختلفة التي يمكن تفكيكها وحملها على ظهور الدواب. وعندما قل أصحاب المهارات الهندسية والطبية عن الحد المطلوب في صفوف جيشه قام بتجنيد خبراء من بلدان أخرى أو خبراء أجانب ممن وقعوا في الأسر لديه.

لقد أدى الرعب، كأداة نفسية وكأحد خصائص فن الحرب في ذلك الوقت، دوراً مهماً في تكتيكات جنكيز خان. ونادراً ما احتفظ جيشه بأسرى الحرب؛ فقد كان يذبح المدنيين والعسكريين على السواء عند الاستيلاء على المدن. وذاع صيت جيش المغول الذي أصبحت سمعته مخيفة للغاية، حتى إن العدو المحتمل يفضل الهرب على محاولة مواجهة جيش جنكيز خان الوحشي.

وبمجرد أن تمكن جنكيز خان من سحق كل عناصر المعارضة في موطنه وإنشاء دولة المغول بالفعل، تطلع إلى أماكن ومناطق أخرى بغرض توسيع إمبراطوريته. فقد غزا الصين عام 1206 وتمكن خلال سنتين من عبور "سور الصين العظيم". وبحلول عام 1215 تمكن جنكيز خان من إخضاع كل مناطق الصين بعد شن معارك هجومية منظمة. وفي عام 1218 أضاف شبه جزيرة كوريا إلى إمبراطوريته.

وكرد فعل على قتل تجار مغول، قام جنكيز خان عام 1219 بتوجيه جيشه نحو الغرب ضد الأتراك، وتمكن خلال وقت قصير من الاستيلاء على المنطقة التي تضم اليوم العراق وإيران وتركستان الغربية. وبعد ذلك هاجم خان المنطقة التي تضم شمالي الهند الحديثة وباكستان ثم استولى عليها. وبعد أن دانت له المناطق الواقعة إلى الجنوب والغرب بالسيطرة التامة، قام جنكيز خان بغزو روسيا عام 1222 واحتل الأراضي الممتدة من الخليج العربي إلى المحيط المتجمد شمالاً.

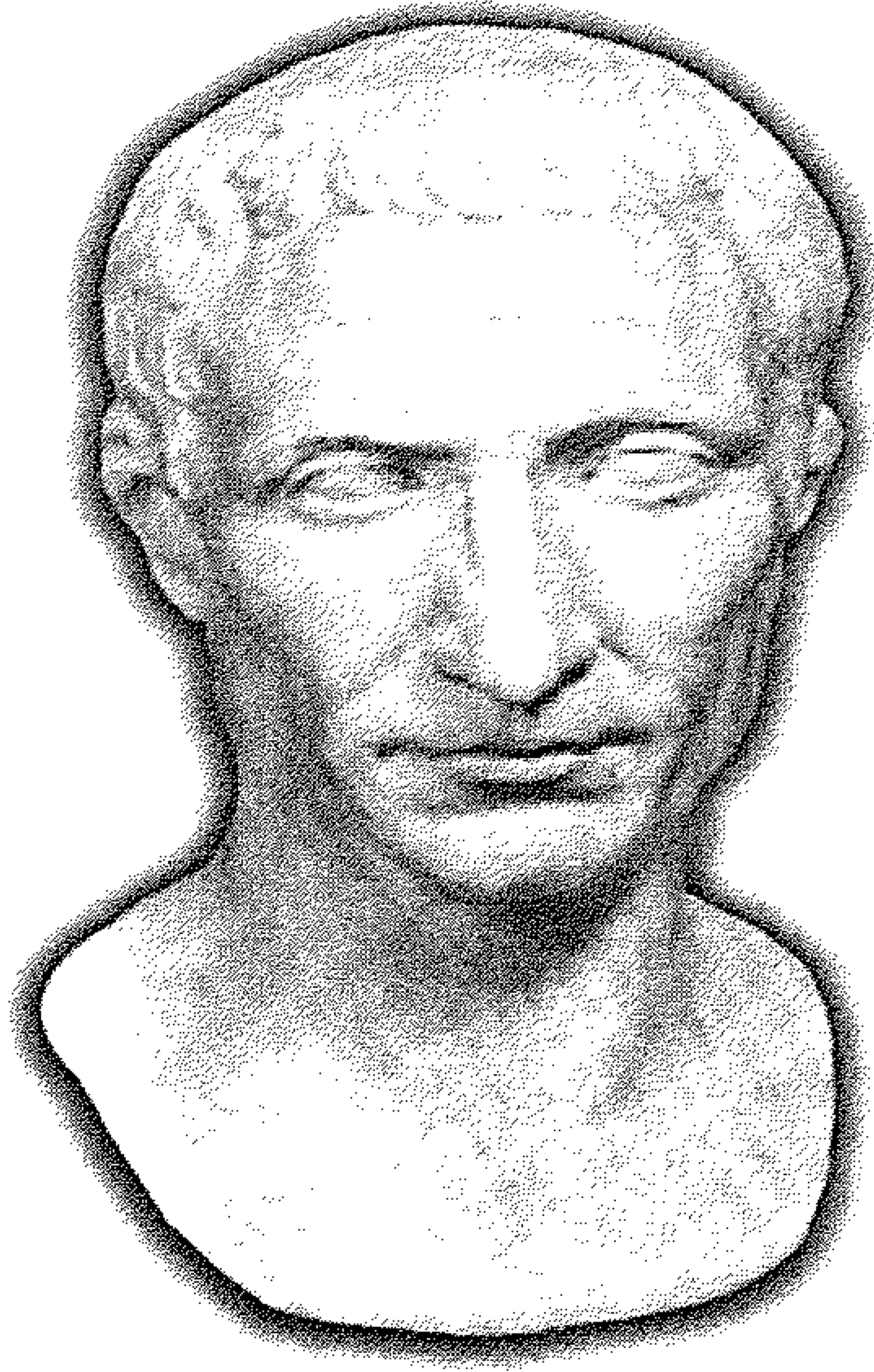
وعلى الرغم من أن جنكيز خان قد قتل وسلب في كل أنحاء آسيا، فإنه لم يهمل ما تبقى من شعوب البلدان التي هزمها. فقد أقام فيها حكومات راسخة، وعين عليها مسؤولين محليين، كما عمل على توفير قدر كاف من الغذاء والأمن للجميع وسمح بممارسة الشعائر والعادات الدينية السائدة دون أي اضطهاد أو منع. وبقدر ما كان جنكيز خان قاسياً في الحرب، كان حريصاً مهتماً في زمن السلم؛ فقد وفر للمناطق التي احتلها المغول وللسكان المحليين الذين أخضعهم لحكمه تحسناً كبيراً في نوعية حياتهم.

بحلول عام 1226 كان جنكيز خان يحكم إمبراطورية تمتد من بولندا في الغرب إلى كوريا في الشرق ومن فيتنام في الجنوب إلى سواحل روسيا على المحيط المتجمد في

الشمال. ولم يكن جنكيز خان ليقف عند ذلك الحد من تلقاء نفسه إلا بعد أن أجبره تقدم العمر على الإبطاء ثم التوقف. فقد حاول بعد أن جاوز الستين من عمره، وبعد أن ساءت حالته الصحية أن يعود إلى منغوليا من الحملة التي شنها لإخماد تمرد في الصين ولكنه توفي أثناء رحلة العودة. وكان قد عين قبل موته بقليل، أحد أبنائه ليتولى قيادة الجيش وأمره بذبح الثوار الصينيين بعد هزيمتهم.

دامت الإمبراطورية التي كونها جنكيز خان لأكثر من 150 عاماً عقب موته بفضل القيادة المقتدرة من قبل أبنائه وأحفاده. وعلى الرغم من تمكن كل من روسيا والصين من اقتطاع أجزاء من إمبراطوريته، فقد بقيت دولة المغول. ومازال جنكيز خان بطلاً قومياً في منغوليا حتى اليوم، فقد كانت الذكرى الـ 800 لميلاده مناسبة للاحتفالات القومية في منغوليا رغم تدخل السلطات الحاكمة في الاتحاد السوفيتي حينها. ومايزال اسم جنكيز خان، في داخل آسيا وخارجها، يمثل المرادف الذي يذكر الناس بالهيمنة على العالم وجبروت القوة العسكرية. ويتسع مجال إنجازاته وأعماله التي يظل أثرها قائماً، كما تتفوق مهاراته العسكرية في كل النواحي. ويحتل جنكيز خان بسهولة مرتبة القائد الذي يعتبر واحداً من أبرز القادة العسكريين نفوذاً في تاريخ العالم، ولا ينافسه في ذلك سوى جورج واشنطن، ونابليون، والإسكندر الأكبر.

5



يوليوس قيصر

Julius Caesar

إمبراطور روماني

(حوالي 100 - 44 قبل الميلاد)

وفرت الفتوحات التي قام بها رجل الدولة والعسكري العظيم يوليوس قيصر الأمن للإمبراطورية الرومانية لأكثر من خمسمئة عام، كما نشرت قوانين وعادات ولغة الإمبراطورية الرومانية في كل أنحاء أوربا . وامتد أثر الإنجازات التي حققها قيصر لدرجة أن اسمه قد أصبح لقباً للأباطرة الرومان، ثم للقادة بعد قرون من عهده، فكلمة (Kaiser) في الألمانية وكلمة (Czar) الروسية، كلتاهما مشتقة من اسمه .

لم يظهر على يوليوس قيصر في صباه ما ينبئ عن مهارات عسكرية متميزة في المستقبل . وبعد ولادته في 12 تموز/ يوليو 100 قبل الميلاد (يختلف المؤرخون في هذا التاريخ)، كرس شبابه لبلوغ غايات سياسية، فقد جمع مزية تحدره من عائلة عريقة وذات نفوذ مع قدراته الشخصية المؤثرة "الكاريزما" ومهاراته الإدارية، ليرتقي سلم التدرج الوظيفي في الحكومة الرومانية .

فاز قيصر، وهو في مطلع الأربعينات من عمره، بالانتخاب لمنصب قنصل وأصبح واحداً من كبار حكام روما. وبعد أن شعر أن سلطة وشرعية حكومة روما الديمقراطية قد تجاوزت مرحلة شبابها وعنفوانها، بدأ قيصر في تحجيم سلطة مجلس الشيوخ؛ ففي عام 59 قبل الميلاد شكل أول حكومة ثلاثية مع بومبيوس (Pompey) وكراسوس (Crassus). وتولى كل واحد من هؤلاء الثلاثة، بناء على اتفاق مسبق، مسؤولية أجزاء مختلفة من الحكومة بالإضافة إلى السيطرة على أجزاء معينة من الإمبراطورية.

شملت المناطق التي يسيطر عليها قيصر الجزء الشمالي من إيطاليا والساحل الفرنسي الجنوبي، وأراضي السلافيين الممتدة على بحر الأدرياتيك. وبالإضافة إلى مسؤولياته الجديدة، تسلم قيصر أربع فرق رومانية مكونة من حوالي عشرين ألف جندي. واستخدم قيصر هذه الفرق على الفور لضم المزيد من الأراضي وتوسيع المناطق الدفاعية العازلة.

وجه قيصر جيشه خلال السبع سنوات التالية، لفتح بقية بلاد الغال، والتي تتكون من الجزء المتبقي من فرنسا الحالية وبلجيكا وأجزاء من ألمانيا إضافة إلى هولندا وسويسرا. وبصفة عامة، كان العدد الإجمالي للقوة التي تتكون منها الفرق الرومانية يقل كثيراً عن قوة العدو المحتمل، ولكن قيصر كان مدركاً إمكانية مهاجمة أعدائه وإلحاق الهزيمة بهم بالتدريج، وذلك لعدم اتحاد القبائل السلتية (Celtic) الفرنسية ضده. واعتمد قيصر تكتيكات مبسطة ليس فيها أي إبداع أو تجديد. وبدلاً من تبني أفكار جديدة في هذا الصدد، اعتمد قيصر على الكفاءة القتالية لجيشه وعلى قدراته الذاتية لحفز جنوده ورفع روحهم المعنوية.

وصف قيصر أسلوبه القيادي على لسان طرف آخر في كتابه «**انطباعات عن الحرب الغالية**» *Commentaries on the Gallic War*، وقال فيها: «الموقف حرج، ونظراً إلى عدم توافر احتياطي من القوات، انتزع قيصر درعاً من أحد الجنود في المؤخرة وشق طريقه إلى خط المواجهة. ثم نادى على كل قائد بالاسم وعلا صوته لبث الحماسة وحفز بقية قواته، وهو يأمرها بالاندفاع أماماً وفتح الصفوف بحيث يتمكن الجنود من

استخدام سيوفهم بسهولة أكثر. وكان مجيئه قد جدد الأمل ورفع الروح المعنوية، فقد تسابق الرجال إلى بذل أفضل الجهد أمام أعين القائد على الرغم من الخطر المحدق».

بعد ذلك، اتجه قيصر نحو ما تبقى من ألمانيا، وعبر نهر الراين في استعراض للقوة لتثبيط همة أي محاولة من ألمانيا لاسترداد الأراضي التي خسرتها. وفي عام 56 قبل الميلاد عبر قيصر القنال الإنجليزي وغزا بريطانيا بأسطول مكون من ثمانمئة سفينة. ولم يتكرر مثل ذلك الحشد من القوة في القنال الإنجليزي إلا بعد حوالي ألفي عام في ذروة الحرب العالمية الثانية. وقد مهد هجوم قيصر على إنجلترا الطريق لكي تصبح تلك الجزيرة مقاطعة رومانية بعد قرن فيما بعد.

أضافت الفتوحات الواسعة التي قام بها قيصر زخماً لشعبيته الكبيرة أصلاً في روما، مما دفع مجلس الشيوخ وطرفي الحكومة الثلاثية الآخرين إلى التخوف من طموحاته المحتملة لتولي السلطة بمفرده. ففي عام 49 قبل الميلاد أمر مجلس الشيوخ قيصر بالعودة إلى روما كمواطن عادي. وبدلاً من ذلك، عبر قيصر نهر روبيكون (Rubicon) مع جيشه وشن حرباً أهلية ضد معارضيه. وبفضل جيشه الذي أصبح أفضل تدريباً وخبرة تمكن من إخلاء شبه الجزيرة الإيطالية من خصومه خلال 66 يوماً وأرسل بومبيوس مع مجلس الشيوخ إلى المنفى. ولم يكتف قيصر بذلك، فقد طارد جنود بومبيوس إلى داخل إسبانيا وهزمهم في معركة إيلردا (Ilerda)، رغم نجاة بومبيوس مع جزء كبير من جيشه.

واصل قيصر مطاردته في عمق اليونان والتي انتهت إلى المعركة الفاصلة التي وقعت في فارسالوس (Pharsalus) عام 48 قبل الميلاد. وعلى الرغم من تفوق العدو من حيث العدد بنسبة اثنين إلى واحد، تمكن قيصر أولاً من صد هجوم للفرسان وتولى بنفسه قيادة هجوم معاكس لسحق جيش بومبيوس، حيث قتل ستة آلاف جندي دون أن يخسر سوى 1200 رجل فقط. ومرة أخرى هرب بومبيوس مع ما تبقى من جيشه وانسحب من المعركة. واغتيل بومبيوس عقب وصوله إلى مصر بفترة قصيرة، ولكن قيصر طارد ما تبقى من قواته ودمرها ليبدأ بعد ذلك علاقة عاطفية مع كليوباترا. ولكي يكافأ قيصر حبيبته الجديدة على مودتها هزم عدوها فارنيسس (King Pharnaces) ملك بونتس

(Pontus) عام 47 قبل الميلاد في حملة استمرت خمسة أيام. وتحدث قيصر عن ذلك الانتصار بزهو حين قال: «جئت ورأيت وفتحت».

أنهى قيصر عملياته العسكرية بحملة ناجحة وأخيرة لإنهاء المعارضة المتبقية في شمال أفريقيا وإسبانيا عام 45 قبل الميلاد، وعند عودته إلى بلاده نصبه الرومان حاكماً مدى الحياة وقنصلاً لفترة العقد التالي. وقد بادر قيصر بتنفيذ برنامج إصلاحات شامل تضمن توحيد القانون الروماني وإقامة نظام حكومات محلية موحد. كما وضع برامج لمكافأة قواته بمنحهم أراضي ومنح الجنسية الرومانية لمختلف حلفائه.

اغتيل قيصر خلال أقل من سنة عقب عودته إلى روما وقبل أن يتمكن من تطبيق معظم إصلاحاته وكان في منتصف الخمسينات من عمره، وقد تم اغتياله على يد قتلة كانوا يتخوفون من قوته ويحسدونه عليها. وتزعم القتلة اثنان من المقربين إلى قيصر هما كاسيوس (Cassius) الذي أنعم عليه قيصر بشهامته ليبقيه في السلطة عقب انتهاء الحرب الأهلية، وبروتس (Brutus) الذي كان أحد مساعدي قيصر الأوفياء قبل أن يتنكر له.

وهكذا انتهى عهد قيصر عام 44 قبل الميلاد، إلا أن إمبراطوريته ونفوذه استمرا إلى فترة أطول. فقد بقيت الإمبراطورية الرومانية تحميها فتوحات قيصر لأكثر من خمسمئة عام، ومازال التأثير الروماني الذي نشره مستمراً إلى يومنا هذا. وتتفوق إنجازاته لتقزم كل الذي حققه معاصروه خلال فترة حياته. وخلقت انتصاراته أكبر إمبراطورية على مستوى العالم في ذلك العصر، وهي الإمبراطورية التي أورثها لمن خلفه مع جيش ماهر يملك التنظيم الجيد والدافع المعنوي للحفاظ على تلك الإمبراطورية لقرون قادمة.

6



جوستاف أدولف

Gustavus Adolphus

ملك سويدي

(1632 - 1594)

نظم جوستاف أدولف أقوى جيش في مطلع القرن السابع عشر وتقدم قواته بشجاعة وهو يقودها ليكسب لقب "أبو الحرب الحديثة" بسبب مهاراته الإبداعية في مجال التكامل التكتيكي لمجهود قوات المشاة والفرسان والمدفعية والإمداد الميداني. وقد ساعدت النجاحات التي حققها في المجال العسكري على جعل السويد القوة المهيمنة في منطقة البلطيق طيلة المئة عام التالية. وكان نابليون أحد القادة الذين درسوا مساهمات جوستاف وأعجبوا به.

عمل الملك شارل التاسع، ملك السويد حينها، على تدريب وتربية ابنه جوستاف، منذ لحظة ولادته في التاسع من كانون الأول/ ديسمبر 1594 بمدينة إستكهولم، لتهيئته لتولي العرش. وهكذا، تعلم ملك المستقبل مسؤوليات البلاط الملكي وآدابه، مع تركيز تعليمه الأساسي على فنون القيادة العسكرية. وعندما بلغ السادسة عشرة من العمر،

تولى جوستاف قيادة القوات السويدية ضد الغزاة الدنماركيين في جزيرة إيست جوتلاند (East Gotland) الواقعة على الساحل الجنوبي الشرقي للسويد.

كان البرلمان السويدي راضياً للغاية عن أداء جوستاف ابن السابعة عشرة، إلى حد تغاضيه عن شرط العمر والسماح للمحارب الشاب أن يعتلي العرش بعد وفاة والده الملك شارل التاسع عام 1611. وجاء تقدير جوستاف لهذا الاختيار الحكيم، بتعيينه للإداري المتمرس أكسيل أوكسنشتيرنا (Axel Oxenstierna) مستشاراً للسويد. وعمل الاثنان معاً بانسجام تام خلال العقود التالية، حيث تولى المستشار أوكسنشتيرنا تسيير شؤون الحكم بينما ركز جوستاف على قيادة الجيش.

ورث جوستاف بالإضافة إلى عرش أبيه، حروباً دائرة مع الدنمارك وروسيا وبولندا؛ فقد وجه قوته العسكرية أولاً ضد خصمه الأقرب والأكثر تهديداً له وهو الدنمارك، وقد توصل إلى اتفاق سلام معها عام 1613. ودخل خلال الفترة 1613-1617 في حرب مع الروس محققا نصراً أكسب السويد أراضي جديدة، وقطع على روسيا أي منفذ نحو بحر البلطيق. كما خاض الحرب على مدى ثماني سنوات أخرى خلال الفترة 1621-1629، التي انتهت إلى هزيمة بولندا وإضافة مساحات أخرى من الأراضي لسواحل السويد الجنوبية والشرقية على بحر البلطيق.

وفي عام 1630، قام جوستاف، الذي بات يعرف حينها بلقب "أسد الشمال" بتوجيه جيشه نحو ألمانيا ودخل في الحرب التي سميت فيما بعد "بحرب الثلاثين عاماً" ضد الجهود التوسعية التي تبذلها الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وعلى الرغم من أن جوستاف قد كان متأثراً بقضية البروتستانتية فإن دافعه الأساسي إلى دخول تلك الحرب هو ضمان أمن حدود بلاده. وبعد أن تفاوض على التحالف مع فرنسا، أنزل جوستاف جيشه المكون من 16 ألف جندي على ساحل بوميرانيا (Pomerania) (في بولندا الحديثة)، ونجح في صد قوات الإمبراطورية الرومانية وإجبارها على الانسحاب من البلطيق. اندفع جوستاف نحو الداخل، وهزم يوهان سركليس فون تيلي (Johann Tserclaes von Tilly) في معركة بريتنفيلد (Breitenfeld) بالقرب من ليبتسخ في 17 أيلول/ سبتمبر 1631.

وبعد ذلك الانتصار حوَّل جوستاف جيشه نحو الغرب واحتل واديي نهري ماين (Main) والراين الغنيين. وعقب قضاء فصل الشتاء في ماينز (Mainz) واجه جوستاف مرة أخرى جيش تيلي في ربيع عام 1632، وانتهت المعركة التي وقعت في منطقة بافاريا بانتصار جوستاف وهزيمة تيلي الذي أصيب بجروح قاتلة.

تولى فينسل فون فالنشتاين (Wenzel von Wallenstein)، الذي حل محل تيلي، قيادة الجيش المهزوم، وأعاد تجهيزه ليصبح مستعداً للقتال مرة أخرى بحلول فصل الخريف. وبعد عدة معارك غير حاسمة في منطقة نورينبرج (Nurnberg) خلال شهري أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر، اشتبك جيش فالنشتاين الإمبراطوري وقوات جوستاف أخيراً في قتال حاسم بمعركة لتسين (Lutzen) في 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 1632. وقاد جوستاف، الذي قارب التاسعة والثلاثين من عمره، هجوماً مباشراً بقوات سلاح الفرسان مخترقاً عمق قوات العدو، حيث سقط بضربة قاتلة ومات على الفور. ولكن الجيش السويدي المنضبط لم يتراجع أو يستسلم بموت قائده، بل تجمعت القوات وشنت هجوماً كاسحاً، كسب "لأسد الشمال" آخر انتصار ينسب إليه.

كانت الشجاعة والجرأة التي مات عليها جوستاف هي السمة التي لازمت حياته العسكرية بأكملها. ولكن لم تؤد الشجاعة سوى دور ثانوي في النجاحات والانتصارات التي حققها. فقد وضع جوستاف مفاهيم جديدة لفن الحرب ظل العسكريون يتناقلونها طيلة قرون تالية، بدءاً بسياسات التجنيد من مستوى الجندي العادي في أسفل الهرم العسكري وانتهاءً بأسلوب التنظيم الكلي لقواته المقاتلة.

كانت مجموعات المرتزقة غير المنظمة هي التي تتشكل منها معظم الجيوش التي تفتقر إلى التنظيم الكلي والتسلسل القيادي الواضح، وذلك قبل ظهور جوستاف كقائد عسكري. وبعد ذلك جاء "أسد الشمال" ليقوم بإنشاء وحدات دائمة، ووضع هيكلاً قيادياً ثابتاً، كما أرسى فلسفة التعاون والتنسيق بين جميع الوحدات والعناصر المقاتلة. وبدلاً من العمل المستقل الذي تقوم به أجزاء مختلفة من الجيش بمعزل عن بعضها البعض، أصبح الجيش السويدي بأكمله موحداً وجاهزاً للقتال كفريق متحد. وقد تمكن

جوستاف بفضل استخدامه لأسلوب قواعد وخطوط الإمدادات وتوحيد وتكامل مجهود المشاة والفرسان والمدفعية، من تشكيل أول جيش محترف بالفعل في التاريخ العسكري.

كان جوستاف يجند كل الشبان في السويد ويلزمهم بفترة خدمة عسكرية لمدة عشرين سنة، وكان يطلب منهم الالتزام بأعلى مستوى من الانضباط الأخلاقي أثناء خدمتهم، وكان يمنعهم من الانزلاق إلى أساليب السباب والشتائم، وامتهان المقدسات والأديان، كما كان يمنعهم من الانغماس في إدمان الخمر والزنا ونهب ممتلكات الغير، وكان يعوضهم في المقابل بالرواتب المنتظمة وتمليك الأراضي دون مقابل. وعلى عكس الجنود في الجيوش الأوربية الأخرى في ذلك الحين - الذين اعتبرهم السكان المدنيون حفنة من المشردين والمنبوذين - كان الجنود السويديون يعاملون كملاك أراض ويحظون بالاحترام. وكان الجنود يؤجرون الأرض لغيرهم أو يزرعونها بالمشاركة فيما بينهم أثناء فترة خدمتهم.

أسس جوستاف وحدات دائمة ذات تنظيم عسكري وتسلسل قيادي ثابت في إطار جيش موحد. ووفقاً لذلك التنظيم تتكون السرية من مئة رجل وتشكل كل أربع سرايا كتيبة واحدة، كما تشكل كل ثلاث كتائب لواء واحداً. ويعتمد تدريب جيش جوستاف على الانضباط التام وتكرار التدريب والتمرينات، ثم المناورات الميدانية الفعلية.

ولم يغفل جوستاف مواكبة التطور في الأسلحة الجديدة وتحسين وتحديث الأسلحة القديمة؛ فقد كانت الكتيبة الواحدة عنده مكونة من قوة جوهرية تشمل سريتين من رماة الرمح (الحراب) وسرية مشاة مسلحة بالبنادق على كل جنب من جانبي الكتيبة. وجرب الحراب ذات الطول المختلف وعمل على تحسين هذه الأسلحة بإضافة قصبة حديدية للرمح الخشبي، وذلك ليمنع حملة السيوف في قوات العدو من قطعها إلى جزأين. أما التحسينات التي أدخلها على بنادق المشاة فقد شملت تخفيف الوزن الثقيل وتدريب الجنود على الرماية دفعة واحدة بوابل من القذائف بدلاً من الرماية الفردية كما جرت العادة من قبل. وقام بتقسيم المشاة (حملة البنادق) إلى ثلاثة صفوف ودربهم

حتى أصبح كل صف قادراً على الرماية كقوة واحدة وفي وقت واحد، بينما تقوم الصفوف الأخرى بإعادة تعمير البنادق استعداداً للضرب.

تبنى جوستاف أيضاً أفكاراً من أعدائه وطوعها لمصلحته وتحقيق تفوقه؛ فقد تعلم الفرسان السويديون من الألمان أسلوب الهجوم بموجات والرماية بالبنادق والمسدسات ثم مطاردة العدو بسيوف المبارزة. وبالنسبة إلى بطاريات المدفعية حاول جوستاف توحيد عيارات المدافع لتسهيل عمليات إعادة التزود بالذخيرة. كما دمج مدفعية الميدان لتصبح جزءاً من وحدات المشاة والفرسان، وأسند إليها مهام الإسناد المباشر. وظلت فكرته المبتكرة التي كون بموجبها فريق أسلحة مشتركة مشكلاً من قوات إسناد مشترك ومتبادل، باقية دون تغيير جوهري إلى يومنا هذا.

لم يقف الأثر الذي تركه جوستاف عند حد التأثير في التطبيقات العسكرية التي عرفتها الجيوش من بعده، بل خلف إرثاً من القوة والاستمرارية في بلاده؛ فلم تنهر حكومته ولم يتشتت جيشه بعد رحيله المفاجئ. فقد تولت ابنته كريستينا العرش الملكي في السويد، كما واصل مستشاره أوكسنشتيرنا تقديم قيادة إدارية قوية وعادلة في الحكومة. وعلى مستوى الميدان، ترك جوستاف عدداً من القادة الأكفاء وهم الذين عملوا على تخليد الفلسفة والانضباط اللذين حافظا على قوة الجيش السويدي لعدة عقود قادمة.

ولاشك في أن جوستاف قد أثبت فعلاً أنه أفضل قائد ميداني في عصره، والأهم من ذلك، أنه قد وضع أساليب التنظيم العسكري والتكتيكات التي سادت الجيوش لأكثر من قرن بعد ذلك. وهو بالفعل "أبو الحرب الحديثة"، وهو هذا القائد العسكري النادر الذي كسب احترام ومحبة جنوده ومواطنيه على السواء. وباعتباره أفضل قائد مجدد ضمن أول ستة قادة في هذه القائمة، كان من الممكن أن يحقق وبسهولة المزيد من النجاحات التي ستضعه في مرتبة أعلى، لولا وفاته المفاجئة في سن مبكرة من حياته.

7



فرنسيسكو بيزارو
Francisco Pizarro
فاتح إسباني
(حوالي 1475 ـ 1541)

هزم المستكشف والفاتح الإسباني فرنسيسكو بيزارو إمبراطورية إنكا (Inca) واستولى على أغلب أجزاء أمريكا الجنوبية لتصبح تابعة لإسبانيا. كما أنشأ بيزارو أيضاً مدينة ليما في بيرو، وفتح الطريق للثقافة الإسبانية وديانتها لتسود قارة أمريكا الجنوبية. وبذلك تمكن بيزارو من فتح أكبر مساحة من الأراضي مقارنة بأي قائد عسكري آخر ووفر لبلاده ثروات كبيرة بأقل تكلفة ممكنة من الرجال والموارد.

ولد بيزارو كابن غير شرعي لجندي إسباني محترف، ووفقاً لما ورد في بعض الروايات، عمل بيزارو مزارعاً وضيعاً قبل أن يلتحق بالخدمة العسكرية وهو في مطلع سني مراهقته. وليس هناك أي دليل يثبت تلقيه لأي تعليم نظامي عام أو عسكري، والأرجح أنه قد ظل أمياً، أو أنه قد ظل في الخدمة العسكرية لفترة طويلة أكسبته خبرة كافية قبل أن يبحر إلى جزيرة هيسبانيولا (Hispaniola) عام 1502. وبعد وصوله إلى

العالم الجديد عمل بيزارو ضمن المفرزة العسكرية التابعة لحكومة إسبانيا في تلك الجزيرة. وفي عام 1513 شارك بيزارو في حملة المستكشف الإسباني فاسكو نينويز دي بالبوا (Vasco Nunez de Balboa) إلى بنما والتي اكتشفت المحيط الهادي.

بقي بيزارو كمستعمر في بنما وتولى خلال الفترة 1519 ـ 1523 منصب عمدة وحاكم مدينة بنما. وجمع بيزارو ثروة محدودة خلال هذه الفترة، وشجعته الأخبار التي تحدثت عن ثروات هائلة استولى عليها هرنان كورتز (Hernando Cortés) في المكسيك، على السعي لزيادة ثرواته. وخلال الفترتين 1524 ـ 1525 و1526 ـ 1528، أبحر بيزارو جنوباً على امتداد ساحل كولمبيا المطل على المحيط الهادي متتبعاً ما تحدثت عنه الإشاعات من وجود حضارة هندية هائلة تمتلك ثروات لا حصر لها.

جلبت الرحلتان اللتان قام بهما بيزارو عنتاً شديداً عليه؛ فعندما أرسل أحد مرؤوسيه ليعود إلى بنما لجلب تعزيزات في مرحلة متأخرة من الحملة الثانية، رفض الحاكم هناك مواصلة دعم المغامرة المكلفة وأمر بيزارو بالعودة. ووفقاً لما ورد في بعض الأساطير، فقد رسم بيزارو خطاً بسيفه على الرمال داعياً الراغبين في "الثراء والمجد" أن يعبروا ذلك الخط وينضموا إليه في سعيه للبحث عن الثروة المنتظرة. وبالفعل، فقد تبعه ثلاثة عشر من المغامرين بينما عاد بقية الرجال إلى بنما، فواصل بيزارو وزمرته الصغيرة الإبحار جنوباً ليكتشف إمبراطورية إنكا.

عاد بيزارو إلى بنما محملاً بالذهب ومجموعة من حيوانات اللامة (شبيهة بالجمال وتعيش في أمريكا الجنوبية) واصطحب معه قلة من سكان منطقة إنكا ليثبت اكتشافه للمنطقة. وعلى الرغم من ذلك الدليل، لم يقتنع حاكم بنما الذي رأى بأن إرسال حملة أخرى سيكون أمراً مكلفاً للغاية، ولذا فقد قرر عدم دعم خطط بيزارو.

بعد ذلك مباشرة، أبحر بيزارو إلى إسبانيا وتمكن من إقناع الإمبراطور شارل الخامس بتمويل الحملة. ثم عاد الجندي المغمور إلى بنما وهو يحمل شارة النبلاء بتفويض ملكي؛ فقد منحه الملك رتبة "قائد عام" وفوضه لتولي منصب الحاكم على جميع الأراضي التي تقع على بعد أكثر من ستمئة ميل إلى الجنوب من بنما.

في كانون الثاني/ يناير 1531 أبحر بيزارو إلى بيرو ومعه حوالي مئتي جندي و65 حصاناً. وتسلح أغلب جنوده بالحراب والسيوف وحمل ثلاثة من جنوده أسلحة نارية بدائية من بنادق القربينة (arquebuses)، وهي بنادق من طراز قديم، بينما حمل عشرون من جنده الأقواس والسهام "النشاب". وانضم أربعة من أشقاء بيزارو إلى حملته، إضافة إلى الثلاثة عشر فرداً الذين انضموا إليه في البداية، ومنهم زميله في الجندية دييجو دي ألماجرو (Diego de Almagro) وكاهن يدعى هرنان دي ليوك (Hernando de Luque).

وبحلول حزيران/ يونيو 1532 كان بيزارو قد انتهى من إنشاء قاعدة لعملياته في مدينة سان ميغيل دي بيورا (San Miguel de Piura) وهي مدينة تقع في منطقة سهلية جنوبي ميناء تومبز (Tumbes). وعلم بيزارو حينها أن حكام إمبراطورية إنكا قد كونوا جيشاً قوامه 30 ألف رجل ووضعوه تحت إمرة القائد أتاهوالبا (Atahualpa). لم يتخوف بيزارو ورفاقه القلائل بعد سماع الأخبار التي تحدثت عن ذلك العدد الهائل واندفعوا إلى اليابسة وعبروا جبال الأنديز، ويعد عبورهم لتلك السلسلة الجبلية عملاً بطولياً فذاً في حد ذاته. واحتل جيش بيزارو الصغير مدينة كاجاماركا (Cajamarca) ودعا بيزارو القائد أتاهوالبا إلى الاجتماع به. فذهب أتاهوالبا، الذي كان يعتقد في قرارة نفسه بأنه شبه إله، إلى الاجتماع محروساً بحوالي ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف رجل من الحراس المسلحين بأسلحة خفيفة، وهو غير آبه وغير مهتم بأولئك الإسبان.

هاجم بيزارو ضيفه بدلاً من التحدث إليه، وتمكن الإسبان الذين استخدموا بنادق القربينة وتتقدمهم قوات الخيالة من ذبح حراس قائد جيش إنكا، وأخذوا أتاهوالبا نفسه أسيراً في أقل من نصف الساعة. ولم يصب أي من الجنود الإسبان، باستثناء بيزارو نفسه الذي أصيب بجرح طفيف أثناء قيامه شخصياً بالقبض على قائد جيش إنكا. وطالب بيزارو بفدية عن أتاهوالبا واستلم بالفعل كمية من الذهب والفضة، تساوي الملايين من الدولارات حينها، ولكن بيزارو لم يفرج عن أتاهوالبا حتى بعد أن تسلم الفدية الكبيرة. فقد قام بإعدامه ونصب قائداً موالياً له لزعامة إمبراطورية إنكا.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1533، قاد بيزارو قواته ليدخل عاصمة إنكا كوزكو(Cuzco) دون أن يواجه أي مقاومة تذكر، ولم تتمكن إمبراطورية إنكا من استرداد قوتها بعد ذلك.

حقق الغزاة الإسبان وبصفة خاصة الجنود الثلاثة عشر الذين رافقوا بيزارو منذ البداية، فائدة وأرباحاً كبيرة من ذلك الانتصار، كما استفادت منه بلادهم إسبانيا. فقد تمكن بيزارو وبأقل من مئتي رجل، من الاستيلاء على أغلب أجزاء بيرو والإكوادور الحالية، بالإضافة إلى النصف الشمالي من تشيلي وجزء من بوليفيا، وتعتبر تلك المساحة أكبر من بقية أجزاء أمريكا الجنوبية بأكملها. وضمت تلك المساحة ستة ملايين من سكان إمبراطورية إنكا السابقة، بالإضافة إلى شعوب محلية أخرى، ويشمل ذلك الجزء الغالب من سكان أمريكا الجنوبية.

عاد بيزارو - عقب انتصاره الكبير - إلى الساحل وأنشأ ميناء ليما الذي اتخذه قاعدة لاستغلال مكاسبه الجديدة. وفي ذلك الميناء لقي بيزارو - الذي بلغ الستينات من عمره - حتفه. ولم يقتل بيزارو على أيدي أعدائه الهنود ولكن جاءه الموت من بين رجاله؛ ففي عام 1537 انقلب الشريك السابق دييجو دي ألماجرو ضد رفيقه بيزارو، وذلك لعدم اقتناعه بالحصة التي خصصت له من ثروات إنكا. ولكن بيزارو ألقى القبض على خصمه وقتله على الفور، ولم يقبل أتباع ألماجرو بذلك، حيث اقتحموا في 26 حزيران/ يونيو 1541 قصر بيزارو وأعدموه.

حققت انتصارات بيزارو السيطرة الإسبانية على أغلب أجزاء أمريكا الجنوبية، وبقيت تلك الإنجازات على ذلك النحو لأكثر من ثلاثة قرون، حتى جاءت حركات التحرير التي قادها خوسيه دي سان مارتين (Jose de San Martin) وسيمون بوليفار. ولاتزال العادات واللغة والمذاهب الدينية الإسبانية تسود أغلب أجزاء قارة أمريكا الجنوبية إلى يومنا هذا.

يمكن أن نصف بيزارو بأنه قائد مغامر قاس ومجرد من أي قيم أخلاقية. ولاشك في أن الحظ قد أدى دوراً في نجاحاته، حيث لم يبذل حكام إمبراطورية إنكا أي جهد لتدمير جيشه أثناء عبوره لسلسلة جبال الأنديز دون غطاء يحميه، كما لم يبذلوا أي جهد عسكري محدد للدفاع عن إمبراطوريتهم. صحيح أن بيزارو قد توافرت له أفضلية تمثلت في عدد قليل من الأسلحة النارية والأقواس (النشابات)، ولكن من الناحية

المنطقية، لا يمكن أن نتصور حتمية انتصار مئتي رجل على جيش مكون من ثلاثين ألف فرد. ولكن تلك القلة هي التي انتصرت، لينضم بيزارو إلى قائمة القادة الذين بدَّل تأثيرهم العسكري مسار تاريخ ومستقبل قارة وشعوبها.

هناك تشابه كبير بين الحياة المهنية والنجاحات التي حققها كل من بيزارو وهرنان كورتز، بيد أن بيزارو واجه عدواً على مسافة أبعد بكثير من القواعد والمراكز الإسبانية على البحر الكاريبي، التي كان يمكن أن توفر له الدعم والإسناد، على نحو يوسع نجاحاته، وبالتالي يضعه في مرتبة متقدمة على مواطنه الإسباني، هرنان كورتز.

8



شارلمان (شارل الأكبر)
Charlemagne (Charles the Great)
ملك الفرنكيين
(814 - 742)

نفذ شارلمان، ملك الفرنكيين والإمبراطورية الرومانية المقدسة، عمليات عسكرية شبه مستمرة لأكثر من أربعة عقود لبسط حكمه على أغلب أجزاء غربي ووسط أوربا. ويعتبر شارلمان الذي استحق لقب "منارة العصور المظلمة"، أكبر قائد عسكري مؤثر في مرحلة العصور الوسطى، وذلك بسبب تفوق جيوشه في المعارك التي قادت لتوحيد الشعوب والثقافات الجرمانية والرومانية والمسيحية، في بوتقة شكلت حجر الزاوية للحضارة الأوربية فيما بعد.

ولد شارلمان لأبيه الملك بيبين (Pepin) المعروف بلقب بيبين القصير (Pepin the Short) وذلك في 2 نيسان/ إبريل 742 بمدينة آخن (Aachen) التي تقع في ألمانيا الحالية، بالقرب من الحدود الهولندية ـ البلجيكية. وبحكم ذلك تحدر شارلمان من عائلة كانت تكافح لبسط نفوذها على منطقتها وإخضاع جيرانها لحكمها. فقد أصبح والده بيبين في عام

754 ملكاً بالقوة على مجموعة الشعوب الجرمانية (أو الفرنكية) (Franks) والتي تضم فرنسا وبلجيكا وسويسرا وأجزاء من هولندا وألمانيا الحالية. كما باشر على الفور جهوده العسكرية للاستيلاء على الأراضي الواقعة جنوبي نهر لوار (Loire River)، كما عمل على تقديم الدعم للبابا في روما ضد اللمباردين (Lombards) في شمالي إيطاليا. ورافق شارلمان والده أثناء تلك الحملات واستقى تعليمه العسكري من تلك التجربة.

توفي الملك بيبين عام 768، مورثاً إمبراطوريته لابنيه شارلمان وكارلومان (Carloman). وكانت هناك صعوبة في شغل منصب الملك من بعده لتنافس الأخوين عليه، إلا أن وفاة كارلومان في عام 771 حسمت الموقف لصالح شارلمان الذي أصبح بعدها القائد الوحيد. وكان شارلمان قد تزوج ابنة ملك لمبارد ديسديريس (Desiderius) عام 770 بغرض إقامة تحالف مع العدو السابق لمملكة الفرنكيين التي حكمها والده. وعند موت شقيقه كارلومان وتوليه العرش، أعاد شارلمان زوجته إلى والدها وبدأ حملة توسيع إمبراطوريته بهجوم ضد اللمبارديين. وبحلول عام 774 كان شارلمان قد هزم حماه (والد زوجته) وضم أراضي اللمبارديين في شمالي إيطاليا لإمبراطوريته الفرنكية.

أسس شارلمان القدر الأكبر من سياسته التوسعية على الوعد الذي قدمه والده إلى روما بحماية المصالح البابوية. وعلى الرغم من أن الدين قد وفر له العذر اللازم، فقد تمثل الدافع الأقوى من أي توجه ديني لشارلمان في حرصه على ضم المزيد من الأراضي وتوسيع حدود إمبراطوريته. فقد وجه شارلمان قوته ضد الساكسون الوثنيين الذين كانوا يحتلون ما يعرف اليوم بشمالي ألمانيا، وذلك قبل أن ينتهي من هزيمة اللمبارديين. وتطلب الأمر ثماني عشرة حملة وأكثر من ثلاثين سنة قبل أن تتمكن قوات شارلمان من إلحاق الهزيمة الكاملة بالساكسون في عام 804. وقتل أكثر من ربع الشعب الساكسوني في سلسلة الحروب الطويلة التي شنها شارلمان، أو بسبب سياسته التي اتبعها بعد الحرب والتي تحتم على المهزوم أن يختار بين الدخول في المسيحية أو الإعدام.

شكلت قوات المشاة المسلحة بالفؤوس والحراب والمحمية بالدروع وسترات الصدر الجلدية، الجزء الأكبر من الجيش الفرنكي. وشكل هؤلاء الجنود الراجلون، الذين عرفوا أثناء عهد شارلمان، بدايات الخيالة الراكبين في العصور الوسطى. وكان أولئك

المشاة يقاتلون من على ظهور الخيل بسيوف طويلة تفوقت كثيراً على أسلحة البلدان الأخرى المعروفة في تلك الفترة. لم يكن شارلمان يحتفظ بجيش نظامي متفرغ، بل كان يستدعي جنوده من مزارعهم ومدنهم على أساس موسمي، وكان يفعل ذلك أثناء فصل الربيع في العادة، لينفذ حملات تدوم نحو 3-6 أشهر. وكان يشترط على كل الشبان الأحرار القادرين جسمانياً أن يخدموا دون رواتب وأن يوفروا سلاحهم والمؤن التي تكفيهم لمدة ثلاثة أشهر. وكان يجزيهم من الغنائم التي تجمع بنهاية الحملة، وكان يدعم مؤن رجاله بقطيع من الماشية يتبع الجيش.

نظم شارلمان واحدة من أفضل شبكات الاستخبارات التي عرفت في تلك الفترة، حيث كان يرسل الجواسيس والكشافين ليحددوا مواقع وقدرات العدو. ولكي يربك شارلمان أعداءه كان يقسم جيشه على رتلين ولا يوحد القوة الرئيسية إلا عند شن الهجوم. وكان يبدأ المعارك عادة بهجوم سلاح الفرسان الذي يتبعه هجوم مكثف بالمشاة، ونادراً ما كان جيش شارلمان يقوم بأي مناورة بعد الاشتباك مع العدو. وكانت قوات شارلمان تخرج منتصرة بسبب تفوقها العددي ومهارات أفرادها.

نفذ شارلمان، خلال معاركه مع الساكسون حملات لتوسيع إمبراطوريته في منطقة جنوب غربي فرنسا وجنوب ألمانيا الحالية. وقد غزا هنجاريا والبوسنة المعروفة اليوم وهزم الأفاريين (Avars)، وهم شعب آسيوي له صلات بشعب الهون (The Huns). وفي عام 778 غزا شارلمان إسبانيا، وعلى الرغم من فشله في المعارك التي خاضها ضد الأندلسيين ذوي الأصول العربية بغرض الاستيلاء على بلادهم بأكملها، فإنه تمكن من احتلال الجزء الشمالي منها والذي أصبح يعرف باسم التخوم الإسبانية (Spanish March). ومع انسحاب القوات الفرنكية من إسبانيا، سقطت قوات حرس المؤخرة التابعة لشارلمان، والتي كانت تحت قيادة رولاند (Roland) وهو ابن أخيه، أمام قوات الباسك المسيحية. وقد خلدت الملحمة الشعرية التي ظهرت في القرون الوسطى باسم "أغنية رولاند" (The Song of Roland) تلك المعركة إلى يومنا هذا.

بات شارلمان يسيطر على الجزء الغالب من غربي ووسط أوربا وكان يقود أقوى جيش في العالم الغربي. وفي اليوم الذي توافق مع ميلاد المسيح من عام 800، كان

شارلمان يحث على الصلاة في كنيسة القديس بطرس العتيقة في روما، حيث قام البابا ليو الثالث (Pope Leo III) بوضع تاج على رأس شارلمان ليتوجه إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة التي استعاد مجدها.

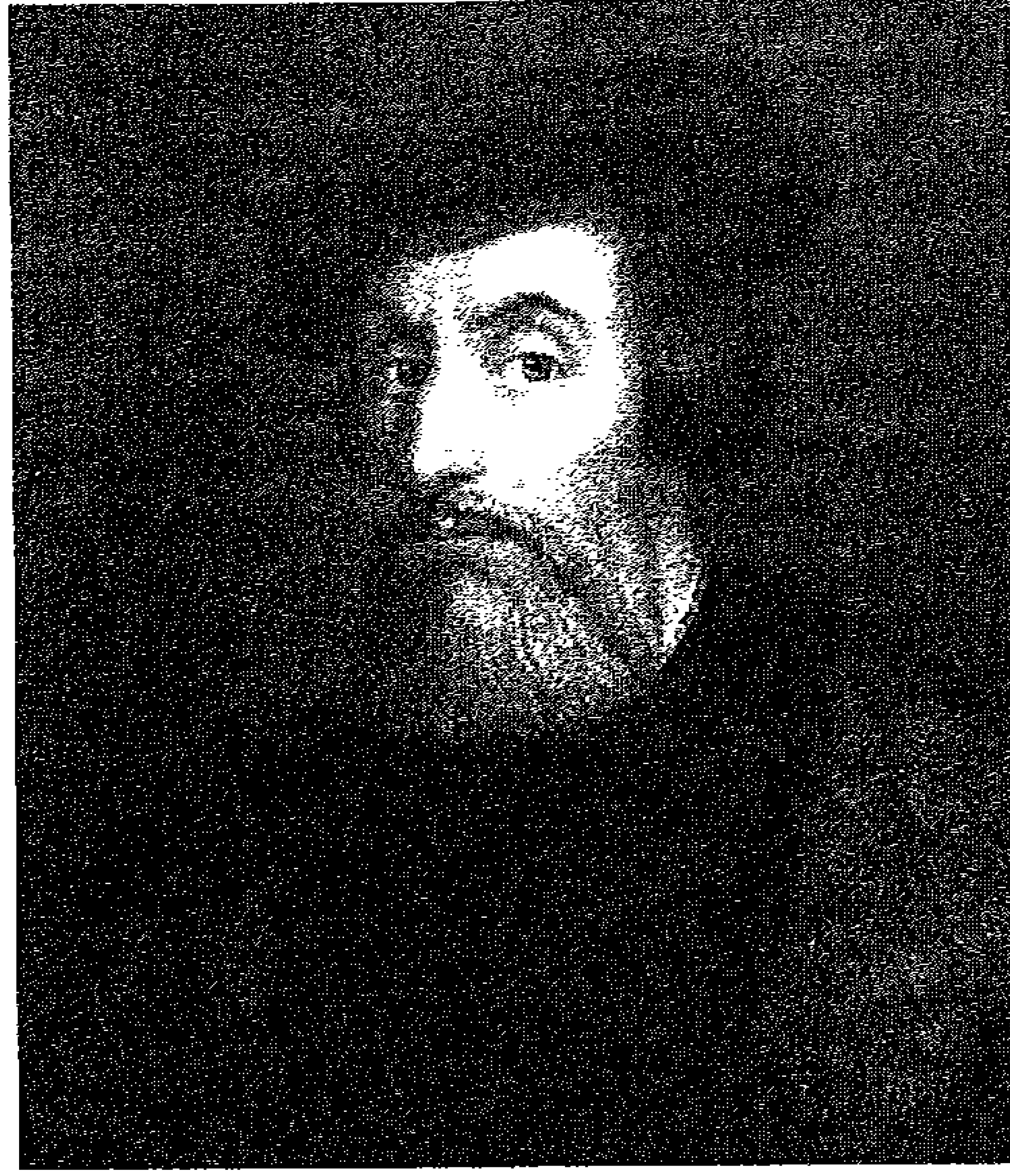
وفي واقع الأمر، كانت الإمبراطورية الرومانية الجديدة التي حكمها شارلمان مختلفة للغاية عن تلك التي سادت في الماضي؛ فقد كانت الإمبراطورية الجديدة بنصف حجم سابقتها تقريباً، كما أن شارلمان نفسه من أصل تيوتوني (Teutonic) (جرماني) وليس رومانياً.

ولم يزر شارلمان - الإمبراطور الجديد لروما - تلك المدينة إلا في أربع مناسبات فقط طوال حياته مفضلاً ممارسة الحكم من مدينة آخن وقضاء أغلب وقته وهو يقود حملاته الميدانية.

توقف شارلمان من عام 800 وما بعد عن توسيع حدود إمبراطوريته، وركز جهده على صد التهديدات التي كانت تأتيه من الفايكنغ والدنماركيين في الشمال ومن اليونانيين البيزنطيين والعرب في البلاد المطلة على البحر الأبيض المتوسط في الجنوب. ولم تقع أي معارك رئيسية، وعاش شارلمان سنواته الأخيرة من حياته في سلام ليركز على الشؤون المحلية والثقافية. ومات شارلمان وهو في الثانية والسبعين من عمره بمرض التهاب ذات الجنب في 28 كانون الثاني/ يناير 814 ودفن في مدينة آخن.

أظهر شارلمان طيلة فترة حياته مهاراته القيادية وقدراته كقائد عسكري محنك. كما أنه يمثل أعظم قيادة عرفتها العصور الوسطى في مجالات وضع وتطوير حكم القانون ونسخ الكتب والوثائق ونشر العقيدة المسيحية وتدريس اللغة اللاتينية. وعلى الرغم من أن أعمال شارلمان قد شجعت على تأجيج الحروب الدينية التي أغرقت أوربا وآسيا في بحور من الدماء لقرون فيما بعد، ورغم أن إمبراطوريته قد دامت لثلاثين سنة فقط بعد موته، فقد كان القائد الذي كان له الفضل الأكبر في صهر الثقافات المسيحية والجرمانية والرومانية التي أثمرت ما أصبح يعرف بالحضارة الأوربية.

9



هرنــــان كــورتـــز
Hernando Cortés
فـاتح إسباني
(1547 - 1485)

غزا هرنان كورتز إمبراطورية الأزتيك (Aztec) التي يقطنها أكثر من خمسة ملايين نسمة وأخضعها لإسبانيا بقوة لا تتجاوز الستمئة رجل يستخدمون عشرين حصاناً وعشرة مدافع صغيرة. ولم يسبق مطلقاً أن تمكنت قوة صغيرة بهذا الحجم، من إخضاع منطقة كبيرة ذات ثروات هائلة كتلك المنطقة.

ولد كورتز عام 1485 لعائلة متوسطة الدخل من منطقة ميدلين (Medellin) في جنوب غربي إسبانيا. درس القانون لفترة وجيزة قبل أن يشرع في الإبحار من موطنه إلى العالم الجديد بحثاً عن الثروة وهو في التاسعة عشرة من عمره. وبعد عدة سنوات من اشتغاله بالزراعة في جزيرة هيسبانيولا بالكاريبي انضم كورتز عام 1511 إلى الحملة العسكرية التي احتلت كوبا تحت قيادة دييجو ديه فيلاسكيز (Diego de Velazquez)، وعقب ذلك الانتصار نصب كورتز ليصبح عمدة لسانتياجو وتزوج شقيقة زوجة فيلاسكيز.

منح فيلاسكيز الإذن لكورتز في عام 1518 ليشكل قوة صغيرة ويشرع في حملة استكشاف للمكسيك التي كان الإسبان قد زاروها أول مرة في السنة السابقة. وبمرور الوقت بدأ فيلاسكيز يندم على تعليماته بتعيين كورتز، حيث تزايد توجسه من طموحاته الزائدة، وحاول بالفعل التراجع عن أوامره وإلغاءها. إلا أن إجراءاته تلك جاءت متأخرة للغاية؛ إذ لم تفلح في منع كورتز من الإبحار غرباً في شباط/ فبراير 1519 بأسطول من إحدى عشرة سفينة.

استكشف كورتز ساحل يوكاتان (Yucatan) قبل أن ينزل في تاباسكو (Tabasco) التي لم يقابل فيها أي صعوبة تذكر في إخضاع السكان المحليين. وعلى الرغم من أن السكان المحليين لم يكونوا يملكون ما يفيد، فقد دلوا كورتز على الثروة الهائلة لإمبراطورية الأزتيك، والتي تتركز في مناطق بعيدة في العمق. فقام كورتز بتحريك قوته لمسافة قصيرة في اتجاه الشمال، وأنشأ ما أصبح يعرف بميناء فيرا كروز (Vera Cruz) ليخطط منه للتقدم ضد الأزتيك. واتخذ كورتز لنفسه صديقة من سكان تاباسكو واصطحبها معه، كما حشد تأييد السكان ومساعدتهم لدعم ومساندة جيشه. وأحرق كورتز سفنه بعد الوصول إلى اليابسة ليتخلص من أي وسيلة للهرب ولمنع أفراد قوته الصغيرة المكونة من ستمئة رجل من الفرار، حيث كانوا يخشون من المغامرة بدخول الأراضي الداخلية.

قاتل كورتز بضراوة على امتداد مسيرته نحو تينوتشتيتلان (Tenochtitlan) وهزم العديد من القبائل المحلية، ومنها القبائل التي تقطن منطقة تالاكسكالان (Tlaxcalans)، وفي كل مرة كان كورتز يكون تحالفاً مع خصومه السابقين ويحشد تأييدهم ضد الأزتيك. ومع اقترابه من تينوتشتيتلان، عمد أيضاً إلى استغلال أسطورة الأزتيك التي تتحدث عن ملك عراب ذي لحية كثة وبشرة فاتحة يدعى كيتسالكوتل (Quetzalcoatl)، وتقول الأسطورة إن هذا الملك هو الذي علم شعب الأزتيك الزراعة وفن الحكم وإنهم سيستقبلون عودته بفرح واحتفاء كبير.

حاول مونتيزوما (Montezuma) القائد الأزتيكي إيقاف تقدم كورتز، إلا أنه لم ينجح بسبب أسطورة الملك كيتسالكوتل التي فرضت ترحيب شعبه بعودة "العراب الأبيض"، بالإضافة إلى خوف مقاتليه واضطرابهم من مشهد الخيل ورماة الرمح

الإسبان وهي أشياء لم يعرفها الأزتيك من قبل. وبسبب اضطرابهم لم يبد الأزتيك مقاومة تذكر، وسرعان ما هزم جيشهم. وفي 18 تشرين الثاني/ نوفمبر 1519، دخل كورتز عاصمة الأزتيك ووضع زعيمهم مونتيزوما في السجن.

بدأ كورتز بجمع الثروات التي غنمها بفضل فتوحاته لتلك المنطقة، ولكنه لم يهنأ بها، إذ نمى إلى علمه أن جيشاً إسبانياً يقوده بانفيلو ديه نارفايز (Panfilo de Narvaez) قد نزل بميناء فيرا كروز، وأن ذلك الجيش يحمل أوامر من فيلاسكيز لاعتقال كورتز بسبب عصيانه وتجاوزه للأوامر الصادرة إليه. ولم ينتظر كورتز قدوم ذلك الجيش لاعتقاله؛ فقد قسم القوة الصغيرة التي كان يقودها إلى جزأين، قاد أحدهما بنفسه في رحلة أخذته مرة أخرى إلى الغابات لمواجهة نارفايز وترك مئتي جندي خلفه تحت إمرة بيدرو دي الفارادو (Pedro de Alvarado) لتأمين العاصمة تينوتشتيتلان. شن كورتز هجوماً عنيفاً ضد قوات نارفايز أثناء الليل، واعتقل نارفايز وأقنع الناجين من جنوده بالانضمام إليه.

عاد كورتز أدراجه إلى العاصمة تينوتشتيتلان ولدى وصوله إليها وجد الأزتيك في حالة غضب وهياج بسبب المعاملة القاسية التي تعرضوا لها على يد الفارادو. وقبل أن يتمكن كورتز من معالجة الموقف، ثار عليه الأزتيك في 20 حزيران/ يونيو 1520. وعلى الرغم من مصرع مونتيزوما في القتال فإن الإسبان اضطروا إلى الانسحاب من المدينة. وفي 7 تموز/ يوليو تمكن كورتز من هزيمة قوة كبيرة من الأزتيك الذين كانوا يطاردون قواته، ولم يتمكن الفاتح الإسباني من تكوين تحالفات جديدة ومحاولة استعادة عاصمة الأزتيك إلا بعد مرور أكثر من سنة كاملة من انسحاب الإسبان منها.

تحرك كورتز بأسلوب منظم ضد العاصمة تينوتشتيتلان، ليدمر القوات والقرى الأزتيكية الصغيرة أثناء تقدمه. وبعد حصار دام ثلاثة أشهر دخل كورتز المدينة مرة أخرى في 13 آب/ أغسطس 1521، وأمر بإزالة الهياكل والآثار المرتبطة بالثقافة المحلية، وأعاد بناء بعضها أو أعاد تسميتها من جديد. وكان من نتائج ذلك ظهور اسم مكسيكو سيتي عاصمة المكسيك الحالية. وأرسل كورتز الغنائم التي استولى عليها إلى إسبانيا وأرفق معها إقراراً يعلن فيه بأن الأعمال التي قام بها قد كانت باسم العرش الإسباني

ولم تكن لمكاسب شخصية، وكان من الصعب على الملك أن يرفض تلك الثروة الكبيرة. وبعد قبول الملك التفسير الذي قدمه كورتز، أصدر أمراً بتعيينه قائداً عاماً لإسبانيا الجديدة. وأبحر الراغبون في العيش في المستعمرات الجديدة من إسبانيا إلى العالم الجديد، وساعدهم كورتز بتزويدهم بالأراضي حول مدينة مكسيكو سيتي ليعزز السيطرة الإسبانية على المنطقة وهي السيطرة التي استمرت لقرون قادمة.

قاد كورتز حملة أخرى إلى هندوراس عام 1524، ولكن تخوف العديد من أفراد البلاط الإسباني من طموحاته حمل الملك على سحب لقب الحاكم منه عام 1528، وأمره بالعودة إلى إسبانيا. عاد كورتز إلى المكسيك بعد سنتين ولكن دون سلطاته السابقة. وفي عام 1536، قاد حملة لاستكشاف ساحل المكسيك المطل على المحيط الهادي واكتشف منطقة باها كاليفورنيا (ساحل كاليفورنيا) (Baja California). وبعد ثلاث سنوات سعى كورتز للحصول على إذن من الملك لقيادة قوة برية في جهة الشمال بغرض تحديد موقع مدن سيبولا الأسطورية (Seven Cities of Cibola)، وهي سبع مدن اعتقد المستكشفون الإسبان إمكانية توافر ثروات هائلة فيها. رفض ملك إسبانيا طلب كورتز واختار فرانشيسكو فاسكيز ديه كورنادو (Francisco Vasquez de Coronado) ليقود الحملة في عام 1539. عاد كورتز إلى إسبانيا عقب ذلك ليشارك في النزاع الذي وقع عام 1541 ضد الجزائريين، ولكنه لم يتمكن مرة أخرى من الحصول على موافقة للقيام بحملات استكشاف أو مغامرات إضافية. وتقاعد ليستقر في مزرعة يملكها قرب أشبيلية حيث عاش مرفهاً من الثروة التي جمعها في المكسيك حتى توفي عام 1547 وهو في الثانية والستين من العمر.

إن القائد العسكري الوحيد الذي تمكن مقارنة إنجازاته بإنجازات كورتز هو فرنسيسكو بيزارو الذي حقق انتصارات ضد الإنكا في بيرو. فقد حقق الاثنان انتصارات كبيرة بأقل عدد من القوات، وأخضعا أغلب أجزاء وسط وجنوب أمريكا للحكم الإسباني بعد أن كانت تحت السيطرة المحلية. ويعزو البعض انتصارات وإنجازات كورتز لاستخدامه الأسلحة النارية والمدافع، ولكن في الواقع كانت تلك الأسلحة بدائية للغاية ولم تزد فائدتها على الأقواس والرماح التقليدية. ولكن كورتز استخدم الحصان الذي

لم يكن معروفاً قبل ذلك في تلك المنطقة بغرض إشاعة الرعب وتخويف أعدائه في العالم الجديد، كما استغل بذكاء القصص والأساطير التي تحدثت عن عودة عراب ذي بشرة فاتحة.

وعلى الرغم من ذلك، لا تفسر هذه العوامل وحدها النجاحات التي حققها؛ فقد تمكن كورتز من فتح المكسيك وإخضاعها للحكم الإسباني بفضل قيادته الفذة للقوات المحاربة وقدراته الهائلة على تكوين التحالفات مع الذين هزمهم. وسيبقى تأثيره في قوة إسبانيا على المدى الطويل، وفي فتح العالم الجديد أمام الاستعمار الأوربي، ولا يفوقه في ذلك إلا ما حققه فرنسيسكو بيزارو في أمريكا الجنوبية.

10



قـــورش الأكبـــر
Cyrus the Great
ملك فارسـي
(حوالي 590 - 529 قبل الميلاد)

يعتبر قورش الأكبر، مؤسس الإمبراطورية الفارسية، أقدم قائد عسكري مؤثر تتوافر عنه مصادر موثوقة حتى الآن. ففي القرن السادس قبل الميلاد هزم شعوب الميديين (Medes) والليديين (Lydians) وهم سكان مملكة قديمة شملت معظم أجزاء آسيا الصغرى، كما هزم حكام بابل، ووحد كل هذه الأجزاء في إمبراطورية واحدة امتدت من الهند إلى البحر الأبيض المتوسط. وقد أسس قورش الذي اتصف بالكفاءة في إدارة الأراضي الخاضعة له، مملكة عاشت في ازدهار طيلة قرنين باعتبارها أبرز قوة في العالم.

من الصعب حقاً أن نميز بين الحقيقة والأسطورة في السنوات الأولى من حكم قورش. إذ يعتقد أنه ولد في الفترة بين عام 600 و585 قبل الميلاد. وكان والده قمبيز (Cambyses) من أفراد عائلة الأخمنيين (Achaemenid) الحاكمة. وتقول الأساطير،

وبصفة خاصة كتابات هيردوت (Herodotus) إن قورش قد عاش طفولته في منطقة جبلية وأرضعته الذئاب ثم تربى على يد أحد الرعاة. وتذهب بعض تلك الروايات إلى حد أبعد لتدعي أن الاسم الفارسي لقورش معناه "الكلب الصغير".

تعود أقدم معلومات موثوقة حول قورش إلى سنة 558 قبل الميلاد حين أصبح حاكماً لمنطقة أنشان (Anshan) الفارسية ليخلف والده عليها. قاد قورش بعد ذلك ببضع سنوات تمرداً على إمبراطورية الميديين الحاكمة، وتمكن من هزيمتهم بعد حرب لمدة ثلاث سنوات، وعاملهم برحمة وهو يضمهم إلى إمبراطوريته. كما تبنى قورش العديد من القوانين والإجراءات الإدارية التي وجدها عند الميديين.

واجه قورش تحدياً من الملك كريزوس (Croesus)، ملك ليديا (Lydia) في آسيا الصغرى والذي قام بغزو بلاد فارس في عام 546 قبل الميلاد. وبعد أن تمكن من صد الغزاة قام قورش بمطاردتهم داخل حدود إمبراطوريتهم واشتبك معهم في معركة حاسمة في وادي ثيمبرا (Thymbra). وشكل قورش جيشه الأقل عدداً في تشكيلة مربع ووضع رماة القوس التابعين له في مواقع لمنع اختراق الليديين لجيشه الأقل عدداً، وعندما انتشر الليديون لتطويق المربع، قاد قورش هجوماً معاكساً بالفرسان بغرض فصل وتدمير مجموعات العدو التي عزل بعضها عن بعض. وعندما توقف كريزوس عن القتال وانسحب إلى عاصمته ساردیس (Sardis) (بالقرب من أزمير الحالية في تركيا)، قام قورش مرة أخرى بمطاردته وهزيمته. ولم يقتل قورش الملك كريزوس، وتخلى الليديون عن عدائهم له بسبب معاملته الطيبة لهم، ليضيفوا دعمهم إلى جيشه بعد ذلك.

في عام 539 قبل الميلاد، وجه قورش جيشه نحو مملكة بابل الغنية في الشرق. استسلم البابليون لقورش دون قتال لعدم رضاهم عن قيادتهم في الأصل، بالإضافة إلى إعجابهم بالمعاملة التي لقيتها المناطق التي أخضعها قورش لحكمه. وكانت سوريا وفلسطين جزءاً من البلاد التي ضمها قورش لإمبراطوريته مع بابل. استمر قورش في التزام المثل الإنسانية في حكمه، حيث قام بتصحيح العديد من الأوضاع السابقة

بالإضافة إلى تجنب الوحشية في معاملة السكان. ومن الأمور التي قام بها إعادته اليهود إلى موطنهم الذي طردهم منه البابليون قبل خمسين عاماً.

توسعت الإمبراطورية الفارسية لتمتد من الحدود الشرقية لنهر السند مع الهند شمالاً حتى بحر أرال (Aral) وبحر قزوين والبحر الأسود، كما تمتد غرباً إلى البحر الأبيض المتوسط. وكانت الإمبراطورية الفارسية هي المركز السياسي والثقافي في العالم المتحضر. وبعد أن حقق كل تلك الإنجازات، اتخذ قورش الذي أصبح يعرف بلقب "قورش الأكبر" لنفسه لقباً آخر هو "ملك بابل وسومر (Sumer)، وآكاد (Accad)، وأركان العالم الأربعة".

وعلى الرغم من اتساع إمبراطورية قورش، وتمتعها بالسلام والثروات وعدم تعرضها لأي تهديد من قوة خارجية، فقد كان راغباً في المزيد من الفتوحات. فقد شرع في عام 530 قبل الميلاد في إخضاع قبائل المساجيتا (Massagetae) وهم رعاة يعيشون في المنطقة الواقعة شرقي بحر قزوين بوسط آسيا. كسب الفرس المعارك الأولى في الحرب التي استعرت فيما بعد، ولكن قورش قتل بعد سنة واحدة من بدء الحرب في إحدى المعارك وهو لم يتجاوز التاسعة والثلاثين من العمر. ولم يتمكن جنوده من العثور على جثته، وقيل إن ملكة قبائل المساجيتا قد فصلت رأسه عن بقية جثته ووضعته في فرو حيوان ممتلئ بالدم وعلقت ساخرة وهي تقول: «آن للزعيم الفارسي أن يجد ما يكفيه من الدماء».

لم تهتز الإمبراطورية الفارسية لفقد قورش ولم تؤثر فيها تلك المعركة؛ فقد خلف قورش جيشاً منضبطاً ذا تسلسل قيادي واضح، مما يسر على ابنه تولي القيادة من بعده. قاد الابن قمبيز الثاني الفرس إلى نصر مؤزر على قبائل المساجيتا واسترد جثة والده ليدفنها في عاصمة الإمبراطورية الفارسية بازارجاد (Pasargadae). وفي وقت لاحق، أخضع قمبيز الثاني مصر لحكمه واستمر في الحفاظ على الاحترام الذي حظي به والده قورش من اليونان وجيران الإمبراطورية الآخرين مما ضمن له السلام معهم.

تمكن قورش من تكوين إمبراطوريته بالقوة العسكرية وقدرته على توحيد الشعوب التي هزمها، وتصفه السجلات التي عثر عليها بأنه قائد مميز، تمكن من تكوين جيش متحمس وقادر على هزيمة قوات أكبر حجماً. كما أظهر قورش أيضاً براعة في حكم شعبه والشعوب التي خضعت لحكمه؛ فبفضل سياسات الاعتدال في معاملة الشعوب التي أخضعها لحكمه، وتسامحه حيال الأديان والعادات المحلية، تحول الأعداء السابقون إلى حلفاء يعتمد عليهم. ونتيجة لذلك عاشت الإمبراطورية الفارسية في ازدهار وسلام لأكثر من قرنين بعد رحيل الرجل الذي أسسها. ولم تسقط من تلك الإمبراطورية سوى أجزاء لقوى خارجية، بعد مجيء الإسكندر الأكبر. ومنذ ذلك الحين، ظلت بقايا أراضي قورش الشاسعة تحت السيطرة الفارسية لمدة اثني عشر قرناً أخرى.

على الرغم من ظهور إمبراطوريات كبرى فيما بعد، كالإمبراطورية الرومانية، والبريطانية، والصينية التي كان لها تأثير أقوى في التطور التاريخي للعالم، فقد كانت الإمبراطورية الفارسية هي الأولى. وما كان لتلك الإمبراطورية أن توجد بذلك الحجم الكبير - الممتد من البحر الأبيض المتوسط إلى بحر السند على الحدود مع الهند - أو لربما ما وجدت تلك الإمبراطورية في الأصل، لو لم يتول زعامتها وتوسعة حدودها قائد كقورش، ومايزال قورش بطلاً فارسياً وقائداً مهماً في التاريخ العسكري حتى اليوم.

11



فريدريك الأكبر (فريدريك الثاني)

Frederick the Great (Frederick II)

قائد بروسي

(1786 - 1712)

يعتبر فريدريك الثاني ضمن قلة من القادة الذين اكتسبوا لقب "الأكبر" . وقاد الجيش البروسي لأكثر من خمسة وعشرين عاماً ضد مجموعة من الأعداء الذين كانوا كثيراً ما يتفوقون عدداً على قواته . وتميزت العمليات التي نفذها فريدريك بالشجاعة والجرأة والإقدام ، كما تميز أسلوبه القتالي بعمليات الهجوم الوقائي لأخذ زمام المبادرة . وتمكن فريتس العجوز (Old Fritz) كما كان يلقب أيضاً ، من إنشاء الدولة البروسية لتصبح قوة عسكرية كبيرة يقطنها شعب هيمن على أوربا لفترة نصف قرن . وظلت إنجازات فريدريك الأكبر متفوقة لا يضاهيها أي إنجاز آخر ، حتى مجيء نابليون الأول فيما بعد . وقد وقف نابليون الذي كان في قمة مجده أمام قبر فريدريك الأول في بوتسدام ليقول وهو يجل القائد البروسي العظيم : «لو كان حياً حتى الآن ، لما استطعنا أن نكون اليوم هنا في بروسيا» .

لم تظهر طفولة فريدريك، بعد ولادته في 24 كانون الثاني/ يناير 1712 ببرلين أي مؤشر ينبئ عن قدرات عسكرية متفردة. وكان والده، الملك فريدريك وليم الأول (Frederick William I) قد اعتبر اهتمام الابن بالفلسفة والفن مؤشراً إلى ضعف شخصيته، فتعرض فريدريك الابن للاضطهاد المعنوي والعقاب البدني من والده لذلك السبب. وتحت تلك الضغوط قبل فريدريك الابن التعيين كضابط ضمن حرس والده الشخصي، المكون من أفراد وحدة قوامها رماة القنابل اليدوية. ولم يجد ذلك التعيين نفعاً في تغيير وتطوير فكرته عن الحياة العسكرية. وحاول فريدريك وهو في العشرين من عمره أن يهرب إلى فرنسا برفقة أحد أصدقائه، غير أنه اعتقل وأجبر على مشاهدة عملية إعدام صديقه قبل أن يدخل السجن.

استسلم فريدريك الابن لمصيره المحتوم أثناء فترة السجن، ثم عاد ليتصالح مع والده بعد أن قضى 18 شهراً خلف القضبان. وفي عام 1732 قبل فريدريك تعيينه برتبة عقيد في كتيبة مشاة روبين (Ruppin)، ثم انضم بعد سنتين للقوات البروسية تحت قيادة الأمير أوجين (Eugene of Savoy) في حرب وراثة العرش البولندي. وتعلم الشاب فريدريك من قائده أوجين العديد من المبادئ الحربية التي استفاد منها مستقبلاً. كما واصل تعليمه في الموسيقى والفنون وهو يدرس فن الحرب في الوقت نفسه، وبدأ بالكتابة إلى فولتير الذي بادله الرسائل لفترة طويلة.

وبعد ثلاثة أيام من موت والده، اعتلى فريدريك الابن عرش بروسيا في 28 أيار/ مايو 1740 وتولى قيادة جيشها. وباشر فريدريك بعد توليه الملك إصلاحات مدنية وعسكرية على الفور وتأكيد الحقوق الفردية بإلغاء الرقابة وضمان حرية الصحافة. كما جعل تعذيب المسجونين من المدنيين محرماً بحكم القانون.

قرر فريدريك أن يصبح القائد الأوحد للمؤسسة العسكرية وتحقق ذلك حالاً. فقد أعلن أمام جمع من كبار القادة الذين عينهم والده، قائلاً: «في هذه المملكة، أنا الفرد الوحيد الذي يمارس السلطة».

ورث فريدريك جيشاً قوياً قوامه ثمانون ألف فرد مع قدر وافر من الأموال اللازمة لتغطية الاحتياجات العسكرية. وتولى الضباط المحترفون تدريب الجنود الذين ينتمي

معظمهم إلى الطبقات الدنيا. وعلى الرغم من قوة الجيش البروسي فقد واجه خصوماً أشداء؛ إذ كان الأعداء الذين يشملون فرنسا والنمسا وروسيا يطوقون حدود بروسيا، وكانت إمبراطورية فريدريك تفتقر إلى أي حدود طبيعية كبيرة كالجبال أو المجاري المائية التي توفر التحصينات والدفاعات الطبيعية. وبعد أشهر قليلة من تولي فريدريك قيادة الجيش البروسي، اختار استراتيجية استخدمها طيلة حياته المهنية الباقية؛ فقد كان يلجأ إلى الهجوم عند تعرضه لتهديد، وعندما يرى أن هناك ضعفاً في أحد جيرانه، يبادر بالهجوم عليه، وكان يهاجم حينما يصعب عليه اختيار إجراء معين.

وبغض النظر عن عدد أو قوة عدوه، كان فريدريك يفترض أن أفضل خيار له هو الهجوم. بيد أنه لم يكن يهاجم مواقع العدو بتهور، فقد حذق استخدام طبيعة الأرض والمناورة وعنصر المفاجأة. كما أصدر كتاباً بعنوان **«تعليمات فريدريك الأكبر لقادته»** في عام 1747. وبإصدار ذلك الكتاب لم يكن قد أصدر دليلاً مكتوباً لجيشه فقط، وإنما كان ذلك بمنزلة إعادة صياغة لمبادئ الحرب الحديثة، وذلك بتفصيل أفكاره حول دور التكتيك والمناورة في نظام وأسلوب القتال.

ساهمت أول تجربة قتالية لفريدريك في تغيير العديد من أفكاره؛ فعندما مات الإمبراطور النمساوي شارل السادس في تشرين الأول/ أكتوبر 1740، دون أن يحدد قبل موته من يخلفه في العرش، هاجم فريدريك النمسا وهي مازالت في حالة ارتباك. وتقدم البروسيون دون مقاومة تذكر حتى تمكن النمساويون من حشد قواتهم وتنظيم صفوفهم في معركة مولفيتز (Mollwitz) في 10 نيسان/ إبريل 1741، حيث تمكن سلاح فرسانهم من صد وحدات الفرسان البروسية وأجبروها على الانسحاب من الميدان. وتمكن قائد سلاح الفرسان البروسي من إقناع فريدريك بالانضمام إلى الانسحاب.

وعلى الرغم من غياب فريدريك تمكن المشاة من القوات البروسية من كسب المعركة. وعاد فريدريك وهو في غاية الحرج إلى جبهة القتال، وقرر عدم الانسحاب مطلقاً من معركة لم تحسم بعد، كما قرر تحسين وحدات سلاح الفرسان ودعمها. وخلال العقدين التاليين انهمك فريدريك في معارك عنيفة وأظهر شجاعة فائقة وصلت حد الإفراط. كما قام بتطوير سلاح الفرسان في بروسيا ليصبح أفضل سلاح فرسان في العالم حينها.

بانتهاء الحرب السيليزية الأولى (First Silesian War) عام 1742، خلد القائد البروسي ليستمتع بنشوة النصر. وبعد سنتين من الهدوء، دخل فريدريك مرة أخرى في حرب ضد النمسا وكسب الحرب السيليزية الثانية في وقت وجيز. وعندئذ، كانت كل أنحاء أوربا تعترف ببروسيا كقوة رئيسية.

قام فريدريك بنشر الكتاب الذي ألفه عن فن الحرب خلال العقد التالي، وجاء نشر الكتاب في الوقت الذي تمكن فيه من توسيع جيشه؛ فقد أضاف وحدات المدفعية التي تجرها الخيول، وألحقها بوحدات سلاح فرسانه مباشرة، وعقد التمارين والتدريبات الميدانية المكثفة لتحقيق الانسجام. واهتم فريدريك بتشييد الطرق لتسهيل حركة التجارة والأعمال الدفاعية، كما وفر مبالغ كبيرة واحتفظ بها لتمويل أي حروب قد يضطر إلى خوضها مستقبلاً.

وفي عام 1756 انحاز فريدريك الذي لم يفارقه القلق بسبب مجاورة العديد من الأعداء، إلى بريطانيا في حرب السنوات السبع ضد كل من النمسا وفرنسا. ومواصلة لأسلوبه المعروف في الحرب الهجومية، شن هجوماً وقائياً مباشراً ضد ساكسونيا. وعلى الرغم من أن هدفه المعلن هو تدمير الخصم قبل أن يتمكن من الاستعداد، فقد كان يحمل كراهية قديمة للساكسونيين منذ أن أصيب بمرض جنسي انتقل إليه عن طريق العدوى، خلال رحلة قام بها في مطلع شبابه إلى تلك المنطقة.

وبالرغم من الانتصارات المبدئية، فقد وجد فريدريك نفسه في مواجهة قوات أكبر حجماً، أتت من النمسا وفرنسا وروسيا. فحشد فريدريك جيشه ليهاجم كل قوة على حدة، وذلك بدلاً من القتال على جبهة عريضة؛ فقد استخدم طبيعة الأرض ليخفي قواته أثناء حشدها للهجوم ونجح في هزيمة جيش فرنسي - نمساوي أكبر بكثير من قواته في منطقة روسباخ (Rossbach) في 5 تشرين الثاني/ نوفمبر 1757. وبعد شهر من ذلك نظم هجوماً مخادعاً في اتجاه واحد وهو يحرك بقية جيشه خلف التلال ليشن الهجوم الرئيسي بغرض تدمير نقطة نمساوية ضعيفة في مدينة لوتن (Leuthen)، واستخدم الجيش البروسي التكتيك ذاته ليهزم الروس في معركة زورندورف (Zorndorf) التي وقعت في 25 آب/ أغسطس 1758.

وعلى الرغم من الانتصارات التي حققها فريدريك على أعدائه الثلاثة، فإنه لم يقنع بذلك. ففي حين أثبتت تكتيكاته تفوقاً، فإنه واجه المزيد من الخسائر التي لم يستطع تعويضها بسهولة، مما أدى إلى إضعاف قدرات جيشه. وخلال الفترة 1759 ـ 1761، حرك فريدريك قواته المجهدة في أنحاء أوربا دون أن يحقق إنتصارات حاسمة، ولكنه كان يعمل على ضمان بقاء بلاده وهو يحتفظ بجيش ميداني، دون أن يحقق أي إنجازات أخرى.

وفي أحلك اللحظات أثبت فريدريك أن عامل الحظ يعتبر من الخصائص المميزة للقائد العسكري الناجح. ففي عام 1762، أصبح جيش فريدريك ضعيفاً للغاية بحيث لم يعد قادراً على القيام بهجوم، وبدا واضحاً أنه سيتعرض لهزيمة أمام الروس. ولكن المصادفة وربما الحظ أيضاً، أهدتا القائد البروسي نصراً آخر دون أن يخوض حرباً؛ فقد توفيت الملكة إليزابيث قيصرة روسيا وتولى العرش الروسي بطرس الثالث الذي كان معجباً بشخصية فريدريك، وقام بطرس بسحب روسيا من التحالفات السابقة ووقع معاهدة سلام منفصلة مع فريدريك. وبعد القيام بالعديد من الحملات غير الحاسمة، وافقت النمسا وفرنسا على توقيع معاهدة سلام في هيوبرتسبيرج (Hubertusburg) في 16 كانون الثاني/ يناير 1763، لتنهيا ما عرف بحرب السنوات السبع.

عاد فريدريك إلى موطنه ليبني بلاده بروسيا، وليحسن مستوى حياة سكانها بالحماس نفسه الذي تعامل به مع المعارك والحروب. كما واصل دراسته للموسيقى والفن حتى وفاته في سن الرابعة والسبعين بقصره في سان سوسي (Sans Souci) في 17 آب/ أغسطس 1786. ولكن وفاته لم تؤثر في الجيش البروسي الذي ظل مهيمناً وقوياً، إذ لم يعرف الهزيمة إلا في القرن التالي وعقب ظهور عبقري آخر هو نابليون الأول.

بالرغم من تراجع قوة الجيش البروسي في الأيام الأخيرة من حرب السنوات السبع، فإن تلك الحرب قد رسخت سمعة فريدريك كأعظم قائد عسكري في عصره. وقد ساعدت قيادته الماهرة على بقاء بلاده ووضعها كقوة أوربية رائدة طيلة نصف قرن من الزمان. ويستحق فريدريك بالفعل لقب "الأكبر"، وهو أكثر قائد عسكري انعقد له النصر والنفوذ في الفترة الواقعة بين عهد دوق مارلبورو (Duke of Marlborough) ونابليون.

12



سيمون بوليفار
Simon Bolivar
محرر أمريكا الجنوبية
(1830 - 1783)

نظم سيمون بوليفار، الملقب بمحرر أمريكا الجنوبية، وقاد قوات عسكرية لا تتجاوز عشرة آلاف رجل ليحرر بها الجزء الشمالي في أمريكا الجنوبية من الحكم الإسباني في مطلع القرن التاسع عشر. وأدى جهده المباشر إلى تحقيق الاستقلال لكل من كولومبيا وفنزويلا وبيرو والإكوادور وبوليفيا. وحين اكتفى آخرون بالحديث أو الحلم بالاستقلال، قام بوليفار بتوحيد وحث مجموعة صغيرة من أتباعه ليهزموا المحتلين الإسبان باستخدام الهجمات المفاجئة والقرارات الصائبة في خضم المعركة.

ولد بوليفار في 24 تموز/ يوليو 1783، لأبوين من أصل إسباني في كركاس عاصمة فنزويلا، وعاش طفولة مرفهة رغم وفاة والديه قبل أن يصل إلى سن الصبا. وعمل ولي أمر بوليفار على ضمان توفير تعليم متقدم له على يد مدرسين في كركاس، ثم تلقى المزيد من التعليم في إسبانيا عام 1799. تزوج بوليفار في التاسعة عشرة من عمره بامرأة

من نبلاء إسبانيا قبل وقت قصير من عودته إلى بلاده. وخلال سنة واحدة من وصول الزوجين إلى فنزويلا، توفيت زوجته بالحمى الصفراء.

عاد بوليفار حزيناً إلى أوربا وتنقل كثيراً في إيطاليا وفرنسا، وانكب خلال هذه الفترة على قراءة مؤلفات الفلاسفة جان جاك روسو وجون لوك وفولتير، كما ازداد إعجابه بالإنجازات التي حققها نابليون. وفي طريق عودته إلى موطنه في أمريكا الجنوبية، سافر بوليفار عبر الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت قد نالت استقلالها للتو عن بريطانيا العظمى. وحين وصل إلى فنزويلا كان اقتناعه بحتمية استقلال بلاده عن إسبانيا قد ترسخ في نفسه، كما ازداد إيمانه بقدره لقيادة حركة المطالبة بالاستقلال.

انضم بوليفار عام 1810 إلى فرنسيسكو ديه ميراندا (Francisco de Miranda) في ثورة ضد الإسبان واحتل كركاس بسرعة خاطفة. وعقب رحلة ثالثة إلى أوربا لتأمين الدعم المالي اللازم للثورة، عاد بوليفار ليشارك في الأحداث التي قادت إلى إعلان استقلال فنزويلا في الخامس من تموز/ يوليو 1811. إلا أن إسبانيا لم تتخل عن تمسكها بالمنطقة وقادت هجوماً مضاداً على الفور وهزمت قوات ميراندا. وقاد بوليفار الدفاع عن ميناء بورتو كابيو (Puerto Cabello)، ولكنه خسر المعركة بعدما كشف أحد أفراده خطط الثوار للقوات المهاجمة.

نجا بوليفار من الأسر، ولجأ إلى جرانادا الجديدة (كولومبيا الحالية) لمواصلة حركة المطالبة بالاستقلال من هناك. وفي صيف عام 1813 قاد قوة أخرى ودخل بها فنزويلا، حيث تمكن بحلول نهاية العام من دخول كركاس وفرض سيطرته التامة على البلاد. وفي السنة التالية دافع بوليفار عن حكومته الجديدة في عدة معارك قبل أن يهزمه جيش مشترك من القوات الملكية الإسبانية وقوات أخرى من السكان المحليين.

نجا بوليفار للمرة الثانية من الأسر ورحل إلى جرانادا الجديدة ثم إلى جامايكا. وفي عام 1815، انتقل بوليفار إلى هاييتي وكون صداقات مع حكومتها الجديدة التي نالت الاستقلال عن فرنسا. حاول بوليفار خلال السنوات الأربع التالية القيام بمحاولتي غزو إضافة إلى العديد من الغارات للعودة إلى الجزء الشمالي من أمريكا الجنوبية. وعلى

الرغم من فشل تلك الحملات، فقد أضافت المزيد لسمعة بوليفار بوصفه زعيماً لحركة النضال من أجل الاستقلال.

وفي عام 1819 عزز بوليفار جيشه الثوري بمرتزقة أيرلنديين وإنجليز من الذين خاضوا حروباً ضد نابليون، وكان يدفع لهم من أموال تبرعت بها هاييتي، ليحتل قاعدة أنجستورا (Angostura) في جرانادا الجديدة. ومن ثم قاد جيشه المكون مما يقارب 2500 رجل عبر سهل منخفض وسبعة أنهار غمرتها مياه الأمطار، ليقطع سلسلة جبال الأنديز المغطاة بالثلوج. وفي 7 آب/ أغسطس من السنة نفسها، فاجأ بوليفار الإسبان المدافعين عن بوياكا (Boyaca) وتمكن بعد ثلاثة أيام من تحرير بوجوتا (Bogota).

وفي 17 كانون الأول/ ديسمبر 1819، أعلن بوليفار عن تأسيس جمهورية كولومبيا التي تشمل جرانادا الجديدة وفنزويلا، ونصب نفسه رئيساً عليها. وعلى الرغم من محاولات بوليفار فقد دخل في قتال لمدة عامين آخرين قبل أن يتمكن من تحرير فنزويلا بالفعل من الحكم الإسباني في معركة كارابوبو (Carabobo) التي جرت في 24 حزيران/ يونيو 1821.

بعد ذلك وسع بوليفار رؤيته لتشمل تحرير كل أنحاء أمريكا الجنوبية، حيث تمكن من تحرير الإكوادور من السيطرة الإسبانية في أيار/ مايو 1822، بمساعدة من أحد القادة التابعين له، وهو الجنرال أنطونيو خوسيه دي سوكريه (Antonio José de Sucre)، ومن ثم انتقل إلى آخر معقل إسباني في الجزء الشمالي من أمريكا الجنوبية ودخل ليما في أيلول/ سبتمبر 1823. وفي 9 كانون الأول/ ديسمبر 1824، تمكن بوليفار وسوكر، وبجيش قوامه سبعة آلاف مقاتل فقط، من هزيمة عشرة آلاف رجل من القوات الإسبانية في معركة أياكوتشو (Ayacucho) والتي كان أغلب القتال فيها بالالتحام المباشر، حيث استخدمت السيوف والحراب. وانتهت آخر مقاومة إسبانية بشمالي أمريكا الجنوبية في السنة التالية، وانضمت بيرو، بالإضافة إلى البلد الجديد بوليفيا، المكونة من الأجزاء الجنوبية الشرقية لبيرو، إلى الشعوب التي حررها بوليفار.

لم يكن بوليفار ناجحاً في دور رجل الدولة كنجاحه في دور القائد العسكري الذي يقود الثورات. فقد أصر على فرض رؤيته حول "كولومبيا الكبرى"، المكونة من الدول

المحررة الموحدة، باعتبارها الرؤية الوحيدة. وأدى حكمه الفردي القاسي إلى غليان داخلي نجمت عنه حروب أهلية وحركات تطالب بالاستقلال وتعمل ضده. وخلال أربع سنوات فقط كانت كل الدول التي حررها بوليفار قد انفصلت عنه، بحيث أصبح في عام 1828 رئيساً على كولومبيا فقط. ومع تدهور صحته التي زادها سوءاً اغتيال رفيقه سوكر، والذي كان قد هيأه ليخلفه في الحكم، اضطر بوليفار إلى الاستقالة. وقبل أن يغادر إلى منفاه المنتظر في أوربا، مات بمرض السل الرئوي وهو في السابعة والأربعين من عمره بتاريخ 17 كانون الأول/ ديسمبر 1830، في مدينة سانتا ماريا (Santa Maria).

حقق بوليفار إنجازات مميزة، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أنه قد تمكن بجيش لم يتعد عشرة آلاف رجل في كل مرة، من تحرير أغلب أجزاء قارة بأكملها، وهي مساحة تقارب نصف مساحة الولايات المتحدة الأمريكية بأكملها. كما استحق بوليفار في بعض ما أنجزه لقب " جورج واشنطن أمريكا اللاتينية "، وهو اللقب الذي اقترن باسمه في كثير من الأحيان.

بيد أن بوليفار لا يماثل جورج واشنطن من حيث المرتبة، وفقاً لترتيب هذه القائمة وذلك لقصر مدة سيطرته التي لم تترك أي تأثير عسكري على المدى البعيد، إلا أنه كان بإمكانه أن يحققه لو عاش لفترة أطول. كما أن البلدان التي حررها لم تحقق أي مكانة متصدرة على مستوى الأسرة الدولية فيما بعد. وتبقى حكومات تلك البلدان ضعيفة في أفضل حالاتها، ولكنها لاتزال حرة إلى يومنا هذا، وذلك إنجاز مباشر يحسب لسيمون بوليفار.

13



وليم الفاتح
William the Conqueror
ملك إنجليزي
(حوالي 1027 - 1087)

قاد وليم الفاتح آخر غزو ناجح لإنجلترا عام 1066، وهو الغزو الوحيد لها منذ الفتح الروماني قبل ألف عام. وشكل انتصاره في معركة هاستنجز (Hastings)، والذي تحقق بفضل إبداعه في استخدام رماة السهام وقيادته المقدامة، بداية لنظام إقطاعي جديد في إنجلترا تمخضت عنه ثورة اجتماعية وسياسية امتد أثرها لأمد طويل. نصب وليم نفسه ملكاً على عرش إنجلترا، وأسس السلالة الملكية التي ضمت جميع ملوك إنجلترا منذ ذلك الحين.

ولد وليم عام 1027 أو عام 1028، في مدينة فاليز (Falaise) بنورماندي، كابن غير شرعي لروبرت الأول، دوق نورماندي، وورث لقب أبيه وهو في سن الثامنة. وحظي وليم، حتى بلغ سن الرشد، بالحماية التي وفرها له ملك فرنسا هنري الأول.

تربى وليم ليبلغ منتصف العقد الثاني من عمره وكان شاباً طويلاً قوي البنية، وأظهر وليم مهاراته الفردية المميزة في القتال وحشد الآخرين للقتال باسمه منذ عمر مبكر، كما تمكن بعد أن بلغ سن الرشد من إنهاء عدد من حالات التمرد التي قادها إقطاعيون في دوقيته ووطد سلطانه على نورماندي بقوة السيف. ومن ثم قام بغزو مقاطعة مين (Maine) وبريتاني (Brittany) المجاورتين واستولى عليهما.

بعد انتهاء وليم من توسعة المناطق الخاضعة له في فرنسا، تطلع إلى مناطق أخرى لضم المزيد من الأراضي. ورأى أن الفرصة بانتظاره عبر القنال الإنجليزي؛ فقد نصب نفسه وريثاً لعرش إنجلترا على أساس أن شقيقة جده لأبيه، هي أم الملك إدوارد والذي لم تكن له ذرية ترثه.

وفي عام 1051 أقنع وليم الملك إدوارد بتأييد مطالبته بالعرش، ومضى إلى تعزيز ذلك باحتجاز هارولد جودوين (Harold Godwin)، شقيق زوجة إدوارد، في فرنسا حتى وافق أيضاً على مطلبه. وبعد وفاة إدوارد عام 1066، نكث هارولد عهده ونصب نفسه ملكاً على إنجلترا. رد وليم على الفور بحشد قوة من حوالي خمسة وعشرين ألف جندي، مكونة من أعداد متساوية من رماة الأقواس وحملة الحراب والفرسان. وتتشكل تلك القوة من العبيد والفرسان في دوقيته بالإضافة إلى مرتزقة ومتطوعين من أنحاء فرنسا وأوروبا ممن أغراهم بحصة من الغنائم. كان وليم يعتمد على الفرسان في القيام بالدور الهجومي، ولكنه ظل على مدى سنوات يجرب أقواساً ذات أطوال مختلفة ليضيف مدى أطول وقوة لرماة القوس، واستخدم هذه المزية ليباغت بها الإنجليز.

وصل وليم بجيشه الغازي إلى الساحل الإنجليزي ليجد هارولد وجيشه في مواجهته وراء دفاعات أعدت على عجل على امتداد خط الساحل، على بعد ثمانية أميال إلى الشمال الغربي من هاستنجز. وتقدم النورمانديون الذين جلبهم وليم حتى أصبح ما بينهم وبين القوات الأنجلو-ساكسونية لا يتجاوز مئة ياردة، وبادروا إلى إلقاء موجة من السهام تبعها هجوم من حملة الحراب. وعلى الرغم من الإرهاق الذي أصاب رجال هارولد نتيجة تصديهم لغزو من النرويج قبل ذلك، فقد تمكنوا من صد وإيقاف هجوم الفرسان الذي قاده وليم بنفسه.

وبدا واضحاً أن نجاح الغزو قد أصبح مهدداً حتى بدأ الساكسونيون في الخروج من تحصيناتهم ومطاردة النورمانديين المنسحبين. وهنا، نزع وليم خوذته ليتعرف إليه جنوده ويحتشدوا ليقود بهم هجوماً معاكساً ضد مشاة العدو المتقدم. وفي الوقت نفسه أصدر أوامره لرماة الأقواس بتغيير أسلوب الرماية من المسار الأفقي إلى الرماية بزاوية واسعة بغرض اكتساب قوة اختراق أكبر بفعل سقوط السهام من عل. وتعادلت القوتان في المعركة لفترة، ولكن أصيب هارولد بسهم قاتل مما أجبر الإنجليز على الانسحاب، ولم يبق منهم سوى الحرس الشخصي لهارولد والذي بقي لحماية الجثة.

قام وليم بمطاردة الجيش الإنجليزي المشتت أثناء انسحابه واستولى على مدينة دوفر. وفي 25 كانون الأول/ ديسمبر 1066، دخل لندن ليتسلم التاج البريطاني ويسمي نفسه، وليم الأول ملك إنجلترا. وتمكن الملك وليم خلال الخمس سنوات التالية، من إخماد سلسلة من الثورات وصادر كل الأراضي واستبدل بالأرستقراطية الأنجلو-ساكسونية أتباعه النورمانديين.

أنشأ ملك إنجلترا الجديد - الذي لم يكن يتحدث سوى لغته الفرنسية ولا يعرف القراءة مطلقاً - نظام حكم وإدارة قوياً. وعلى الرغم من وحشيته وتصلبه في الحكم فقد تمكن من مزج الثقافتين الأنجلو-ساكسونية والنورماندية في قوة واحدة امتد تأثيرها في العالم لمئات السنين.

وفي سعي وليم من أجل تجويد نظام الحكم في مملكته، حقق إنجازاً آخر؛ ففي عام 1086 أصدر مرسوماً بمباشرة العمل في سجل إحصائي بعنوان (Domesday Book) وهو سجل تفصيلي يحوي بيانات كاملة عن السكان والأراضي والممتلكات الأخرى. ويعتبر ذلك السجل الإحصائي - الذي لاتزال نسخته الأصلية محفوظة في مكتب السجلات العامة بلندن - واحداً من أهم المراجع للمهتمين بالبحوث التاريخية.

وقضى الملك وليم العقد التالي بعد توليه عرش إنجلترا في القيام بأعمال أخرى؛ فقد صرف معظم وقته في فرنسا ليخمد ثورات في دوقيته السابقة. وفي عام 1087 اختلف وليم والملك فيليب ملك فرنسا على حدود سلطاتهما ودخلا في حرب. وبعد وقت

قصير من استيلاء وليم على مدينة مانتيه (Mantes) تعرض لإصابة قاتلة بعد إسقاطه من فرسه في معركة رون (Rouen)، وتوفي في 9 أيلول/ سبتمبر 1087 وهو في الستين من عمره.

ماتزال المراجع التاريخية تشير إلى معركة هاستنجز باعتبارها المعركة التي غيرت خارطة العالم. ويعتبر عام 1066 نقطة فاصلة في التاريخ؛ فقد استمر إرث الملك وليم قائماً طيلة الألف عام التالية عبر أحفاده وسلالته التي لاتزال تتربع على عرش إنجلترا حتى اليوم. وهم الذين بسطوا نفوذ إنجلترا وفرضوا هيمنتها على العالم ليجعلوا من بلادهم أكبر قوة تنجح في استعمار بلدان أخرى وتتحول إلى قوة عظمى دائمة التأثير.

14



أدولـــف هتلـــر
Adolf Hitler
(1945 - 1889)

تمكن أدولف هتلر الدكتاتور المطلق للرايخ الثالث الألماني، والذي عين نفسه قائداً عاماً للقوات الألمانية، من الاستيلاء على أكبر أجزاء تخضعها قوة عسكرية لدولة واحدة، في كل من أوربا وآسيا وأفريقيا. وهو الذي أشعل الحرب العالمية الثانية التي نجم عنها موت أكثر من 35 مليون نسمة من سكان العالم، كما اشتهر كواحد من أكثر القادة العسكريين نفوذاً وتأثيراً على مر الأزمان، ولكنه أصبح أيضاً رمزاً إلى الشر والوحشية أكثر من غيره.

ولد هتلر لأب ألماني يعمل ككاتب جمارك صغير وأم من طبقة الفلاحين النمساويين في 20 نيسـان/ إبريل 1889، بمدينة براناو آم إن (Braunau am Inn) الصغيرة في النمسا. وفشل هتلر في المدرسة الثانوية وقضى الفترة الأولى من العقد الثالث من عمره كعامل، كما اشتغل بالرسم في الشوارع، وكان ينام في الحدائق العامة ويأكل في المطاعم التي تقدم الحساء للمعوزين بأسعار زهيدة. وبعد معاناته من مرارة الفشل

المستمر، انتقل من فيينا إلى ميونخ على أمل أن يوفر له موطن أبيه الألماني حياة أفضل من تلك التي عاشها في مسقط رأسه بالنمسا. وقد لخص هتلر مشاعره حول أسباب انتقاله في مذكراته وهو يقول:

«كنت على اقتناع راسخ بأن الدولة (النمسا) ستقف حتماً كعائق أمام كل ألماني عظيم. . . فقد كرهت المزيج الذي ضمته النمسا من التشيك والروثينيين (Ruthenians) (جزء من سكان تشيكوسلوفاكيا السابقة) والبولنديين والمجريين والصرب والكروات، وقبلهم جميعاً ذلك الورم الطفيلي الدائم اليهود. . . لقد أصبحت متعصباً في كراهيتي للسامية».

تطوع هتلر عام 1914، في كتيبة المشاة البافارية السادسة عشرة، وخدم ما تبقى من فترة الحرب العالمية الأولى على الجبهة الغربية كفرد مشاة ومراسل راجل. وعلى الرغم من تعرضه للإصابة مرة وتعرضه لهجوم بالغاز في إحدى المرات، ثم نيله وسام الشجاعة أربع مرات، فإن هتلر لم يتجاوز رتبة العريف طيلة فترة خدمته في تلك الكتيبة.

عاد هتلر إلى ميونخ عند انتهاء الحرب وانضم عام 1919 إلى حزب العمال الألماني الناشئ. وفي نيسان/ إبريل من السنة التالية، تولى زعامة الحزب نفسه ووسع تنظيمه كما غير اسمه إلى الحزب الوطني الاشتراكي (النازي). واستخدم هتلر مهاراته الخطابية وقدراته التنظيمية لزيادة عضوية الحزب النازي وتآمر مع الوحدات العسكرية المحلية لفرض سيطرته على إقليم بافاريا. ورغم الاضطراب السياسي والاقتصادي الحاد الذي ساد ذلك الإقليم فإن المسؤولين المحليين تمكنوا من إخماد التمرد الذي استمر يومي 8-9 تشرين الثاني/ نوفمبر 1923، واعتقلوا هتلر.

دانت حكومة بافاريا هتلر بتهمة الخيانة ووضعته في سجن لاندزبيرج لمدة تسعة أشهر قبل أن تطلق سراحه بموجب عفو عام. واستغل هتلر فترة سجنه في إعداد كتابه «كفاحي» *Mein Kampf*، وهو الكتاب الذي قدم فيه أفكاره النازية ولمح فيه لخططه التوسعية في المستقبل. وبحلول عام 1927، كان هتلر قد تمكن من استعادة صدارة الحزب النازي وزاد عضويته بفضل قدراته الخطابية. وجاء عام الكساد الكبير عام 1929، ليعيد

هتلر إلى مركز اهتمام التيار الرئيسي وسط الشعب الألماني، الذي سحرته وعوده المتدفقة بتوفير الوظائف وتقوية الاقتصاد واستعادة مجد ألمانيا وقوتها ومجدها الوطني.

حقق هتلر عبر صناديق الاقتراع ما عجز عن تحقيقه بالقوة؛ فقد جاءت انتخابات عام 1932 لتحقق سيطرة الحزب النازي على مجلس البرلمان الأدنى "الرايخستاج" (Reichstag). وفي السنة التالية أصبح العريف السابق في الجيش مستشاراً لألمانيا.

وبمجرد وصول هتلر إلى السلطة، عمل على فرض نفسه كزعيم شعبي مستغلاً جاذبيته الشخصية وسطوته كدكتاتور مطلق، حيث عمل على قتل وسجن خصومه ومعارضيه. كما خرق شروط الهدنة التي أوقفت الحرب العالمية الأولى، حين قام بإعادة تسليح ألمانيا ليبني جيشاً قوياً، وتمكن من توفير قدر كاف من الوظائف وتعزيز قوة الاقتصاد الألماني. وقام هتلر - الذي اعتبر نفسه جندياً مقاتلاً - بتنحية صفوة القادة في الجيش الألماني ممن اعتبرهم مسؤولين عن هزائم ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى واستبدل بهم المقربين من الموالين له.

كان هتلر على إلمام تام بالنواحي العسكرية، وكان مطلعاً على المفهوم الحديث عن حرب المدرعات وفن المناورة؛ فقد موَّل بناء سلاح المدرعات ووفر الأسلحة الأخرى ليحول فكرة الحرب الخاطفة إلى واقع فعلي، كما أمر بتشكيل سلاح طيران وأسطول غواصات. وعلى الرغم من تبني هتلر للتقنيات العسكرية الحديثة بمجرد ظهورها، وتفهمه لأهمية عاملي المفاجأة والهجوم المكثف في الحرب الحديثة، فقد كان قائداً عسكرياً فاشلاً من حيث التقويم الكلي؛ فقد تجاهل نصائح مرؤوسيه المتمرسين وضحى بجنوده في بعض الأحيان وعرض السكان المدنيين للخطر دون سبب وجيه.

في عام 1936 بدأ هتلر حملته الهجومية ليسترد مجد ألمانيا وأراضيها باحتلاله أرض الراين. وبعد سنتين فقط تمكن من ضم النمسا وتشيكوسلوفاكيا بينما كان العالم مندهشاً بقوة ألمانيا العسكرية. ولم تعلن فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا إلا بعد أن غزا هتلر بولندا عام 1939. ولم تؤد جهودهما في عرقلة تقدم ألمانيا إلى نتيجة تذكر.

وفي عام 1940 احتل هتلر الدول الإسكندنافية وبلجيكا وهولندا وفرنسا، كما احتل اليونان ويوغسلافيا في السنة التالية. ولم يمنع ألمانيا شيء من غزو بريطانيا إلا نظام الدفاع الجوي الممتاز وحاجز القنال الإنجليزي.

بحلول عام 1941 كان هتلر قد أنجز كل ما كان ممكناً، وربما أكثر مما كان متوقعاً من بلد بحجم ألمانيا. بيد أن الذي تحقق لم يكن ليرضي طموح الفوهرر (الزعيم المطلق)؛ فقد خرق في حزيران/ يونيو من السنة نفسها معاهدة عدم اعتداء كان قد وقعها مع الاتحاد السوفيتي وغزا روسيا. وفي الوقت ذاته تقريباً، وبعد القصف الياباني لميناء بيرل هاربر الأمريكي، أعلن هتلر الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية.

بلغ هتلر وألمانيا أوج قوتهما، ولكن الهجوم الذي شنته ألمانيا في اتجاه الشرق ضد السوفييت توقف خارج موسكو أمام مقاومة الجيش الأحمر وشتاء روسيا القاسي، ليضاف اسم هتلر إلى قائمة القادة الذين تجرعوا الهزيمة هناك. وأعفى هتلر كبار قادته ورفض قبول احتمال فشل جيشه، وترك جنوده ليواجهوا الموت أو الأسر بدلاً من السماح لهم بالانسحاب.

عين هتلر نفسه ليشغل منصب القائد العام خلال الأربع سنوات التالية. وتعامل مع الجيش من خلال رئيس للأركان ومع القوات الأخرى عبر هيكل قيادي صممه بنفسه. والتزم هتلر بعد ذلك ارتداء الزي العسكري في معظم الأوقات، وتولى بنفسه قيادة كل تحرك عسكري، واتخذ لقب "القائد الأعظم" وهو بالألمانية (Grofaz). وعلى الرغم من كفاءة مرؤوسيه من القادة المتمكنين مثل كارل دونتز (Karl Doenitz) وإيرفين روميل (Erwin Rommel) وهاينز جودريان (Heinz Guderian)، فقد احتفظ لنفسه بكامل السلطات القيادية وكان كثيراً ما يتجاهل آراء قادته ومستشاريه.

وعلى الرغم من اتضاح عدم قدرة ألمانيا على إدامة الجبهات ضد كل من السوفييت في الشرق والأمريكيين والحلفاء في الغرب، فإن هتلر قد برر تدهور جيشه باقتناعه أن ألمانيا لا تستحق البقاء إذا لم تحقق السيطرة على العالم. وفي هذا الوقت الحرج واصل هتلر وألمانيا عامة استخدام القطارات والرجال والمؤن - التي كانت الجبهة في أشد حاجة

إليها – في نقل اليهود ومن أسماهم بغير المرغوب فيهم من معارضيه السياسيين والغجر والشاذين جنسياً والمعوقين إلى غرف الغاز والمحارق. وواصل هتلر جهوده حتى النهاية في القضاء على شعوب بأكملها ليقتل أكثر من ستة ملايين فرد أغلبهم من اليهود*. وتخلد هذه المحرقة وحدها هتلر باعتباره أشهر شخصية وحشية في التاريخ.

حتى في الوقت الذي تداعى فيه جيش هتلر، توعد أعداءه بإخراج "أسلحة متفوقة"، وتباهى بأن ألمانيا على استعداد لمواصلة القتال حتى «الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق بعد منتصف الليل»، وهو ما فعله الألمان تقريباً. ولكن في نهاية الأمر، وبعد أن أطبقت القوات الروسية على تحصينات مركز القيادة في برلين، انتحر هتلر الذي كان قد بلغ السادسة والخمسين من العمر في 30 نيسان/ إبريل 1945. وبعد سبعة أيام من انتحاره، انتهت الحرب العالمية الثانية، مخلفة أكثر من 35 مليون قتيل وعدداً لا يحصى من الجرحى والمشوهين واليتامى والأرامل والمشردين.

برز هتلر كأقوى شخصية عسكرية على مستوى العالم طيلة عقد بأكمله تقريباً. ويحتل هتلر هذه المرتبة العالية في قائمة القادة العسكريين المؤثرين، ليس بفضل أي إنجاز شخصي خالد ولكن لأنه قد شكل قوة دافعة لتغيير العالم. فقد أشعلت أعماله العدائية الحرب العالمية الثانية، التي أزهقت أرواح الملايين وأعادت تشكيل خارطة أوربا. وفي أعقاب تلك الحرب انهارت قوى عالمية سابقة لتحل محلها قوى جديدة، أما ألمانيا نفسها، فقد تحملت عبء نصف قرن من التجزئة قبل أن تتوحد من جديد. ولم تتمكن الإمبراطوريتان البريطانية والفرنسية من استعادة قوتيهما حتى الآن، كما صعد الاتحاد السوفيتي ليصبح قوة عظمى ثم لينهار لاحقاً. وتخلت الولايات المتحدة الأمريكية عن نهجها الانعزالي وأصبحت القوة العظمى الوحيدة في الوقت الراهن على مستوى العالم. كما ظهرت للوجود دولة إسرائيل وظلت باقية حتى الآن لفترة أطول بكثير من حقبة ألمانيا النازية تحت حكم هتلر.

* بعض المصادر تشكك في صحة هذا الرقم، انظر على سبيل المثال: روجيه جارودي، «**الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**»، (بيروت: دار عطية، 1996، الطبعة الثانية)، 173-175. (المحرر)

15



أتيلا الهوني
Attila the Hun
فاتح من الهون

(حوالي 406 ـ 453)

هزم أتيلا الملقب بملك الهون (أو الهياطلة) (Huns) أجزاء كبيرة من جنوب أوربا، وكان المعارض الرئيسي الذي قاوم الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الخامس الميلادي. وعلى الرغم من وصف أعدائه له بلقب الوحشي ولقب "بلاء من الرب" وتصنيف أغلب المؤرخين له كشخصية فظة، فقد أثبت مهارة بارزة كمخطط تكتيكي بارع وكمجدد في مجال عمليات سلاح الفرسان والإمداد.

ولا يعرف الكثير عن الفترة الأولى من حياة أتيلا باستثناء بعض السجلات التي ذكرت أنه ولد كأحد أبناء الأسرة الحاكمة لبدو الهون الآسيويين، حوالي عام 406. وبعد موت عمه روجا (Ruga) (أو روسا Rusa) عام 434، اقتسم هو وشقيقه بليدا (Bleda) الملك. وأدى اقتسام العرش على هذا النحو الذي لم يكن شيئاً غريباً حينها، إلى تولي أحد الملكين إدارة الحكومة وتنصيب الآخر قائداً للجيش. وأخذ أتيلا قيادة

الجيش الذي كان في حالة حرب ضد جيرانه لمئات السنين، وخاصة مع الإمبراطورية الرومانية الشرقية. وكانت العمليات التي نفذها روجا ضد الرومان ناجحة إلى حد أن روما كانت تدفع للهون مبالغ سنوية مقابل الحفاظ على السلام معهم.

لم يكن أتيلا وشقيقه يضعان أي اعتبار للاتفاقيات أو للسلام المعقود مع جيرانهما؛ فقد استأنفا بعد اعتلائهما العرش على الفور هجوم الهون ضد روما وضد كل من حاول اعتراض طريقهما. وقام الهون خلال العشر سنوات التالية بغزو الأراضي التي تضم اليوم المجر واليونان وإسبانيا وإيطاليا. كما قام أتيلا بإرسال الثروات التي استولى عليها إلى موطنه وأجبر الجنود المهزومين على الانضمام إلى جيشه، بينما عمل على حرق المدن التي استولى عليها وقتل سكانها من المدنيين. وأغدقت الحرب ثروة هائلة على الهون الذين لم تكن الثروة هدفاً وحيداً لهم على ما يبدو؛ فقد كان جيش أتيلا مستمتعاً بممارسة فنون الحرب وصرامة الحياة العسكرية ومغانمها التي أحبوها أكثر من القيام بالزراعة ورعاية الماشية.

اتبع أتيلا تنظيماً عسكرياً على نسق النظام القبلي المعروف لدى الهون. فقد أسند إلى كل قبيلة تتكون من حوالي خمسين ألف نسمة، مهمة أن تنشئ جيشاً ميدانياً من عشرة آلاف محارب وسمى كلاً منها "تومين" (Tumen). واستخدم في هذا التنظيم سلسلة عشرية؛ إذ شكل كل عشرة من الفرسان الوحدة الأساسية في الهرم التنظيمي، وشكلت كل عشر وحدات سرية من مئة فرد، وكل عشر سرايا تكون كتيبة من ألف فرد ويتكون التومين من عشر كتائب. ويحمل القائد الذي يقود كل عشرة آلاف من الفرسان "التومين" لقب "خان" ويأتي بعد الملك مباشرة من حيث المرتبة.

كان جيش الهون بأكمله يقاتل راكباً على الخيول ومسلحاً بالأقواس وأنواع متعددة من السهام. أما الخيل التي استخدمها الهون فقد كانت أصغر حجماً نسبياً، وكانت ذات حوافر عريضة وشعر خشن وعرف طويل، وكانت تتسم بالقوة والقدرة على مقاومة المرض وتحمل درجات الحرارة المرتفعة أو المنخفضة للغاية. وعلاوة على ذلك كانت تلك الحيوانات تتمتع بقدر من الذكاء حيث كانت تستجيب للتوجيهات التي تتلقاها بحركة ركبة الفارس والتعليمات الشفهية، مما يوفر للمقاتل الحرية اللازمة في استخدام

يديه لإطلاق السهام ضد العدو. كما ساهمت خيول الهون في إنجاح قتال الالتحام المباشر، وذلك بمهاجمة مشاة العدو بالحوافر والأسنان.

تركزت القدرة الهجومية لسلاح الفرسان الهون على استخدام القوس والرمح بمهارة فائقة. كان كل محارب يحمل قوساً طولها حوالي خمس أقدام وتصل سهامها إلى مدى مئة متر بدقة. ويستطيع رماة القوس مضاعفة تلك المسافة تقريباً في حالة الهجوم المكثف بوابل من السهام على مناطق الأهداف العامة. كما كان الفرسان يحملون سيوفاً مقوسة وقضباناً لكسر الدروع وفؤوساً لاستخدامها عند الالتحام المباشر. وكان المقاتلون الهون أحياناً يحملون حبالاً كحبال رعاة البقر، ليستخدموها في التقاط جنود العدو وسحبهم من خطوط القتال لفتح الثغرات واستغلالها. كما استخدموا العربات ذات العجلتين التي تجرها الخيول لنقل عدد إضافي من رماة القوس المكملين لترسانة الهون.

ارتدى الجنود الهون زياً مكوناً من عدة طبقات من الجلد الثقيل الممسوح بالدهون الحيوانية، مما جعل لباسهم الميداني طرياً ومقاوماً للمطر. ووفرت الخوذات الحديدية المغطاة بالجلد والدروع السلسلية التي تغطي العنق والكتفين حماية إضافية للفرسان الهون ضد ضربات السهام والسيوف. كما استخدم المقاتلون الهون أحذية جلدية طرية تناسب الركوب على الخيل تماماً ولكنها لا تصلح للمسير، وكانت تلك الأحذية ملائمة للجنود الذين كانوا يرتاحون للقتال الراكب أكثر من القتال الراجل أو المسير.

كان أتيلا وجنوده يزينون أسلحتهم ولباسهم العسكري وخيولهم بالمعادن والحجارة الثمينة طبقاً لثروة ورتبة المقاتل، دون أن يعوق ذلك قدرتهم على التنقل، حيث كانوا يعتمدون على سرعة الحركة لتنفيذ الهجوم المفاجئ. وكان كل مقاتل يركب على حصان ويقود ما بين حصان إلى سبعة من الخيول المحملة بالسهام الإضافية والمياه والأرزاق. ولم تكن هناك قطارات تحمل المؤن وتتبع الجنود الهون كما هي الحال في الجيوش المتطورة، ولكن كان على كل جندي أن يجلب إمداداته بنفسه.

ونظراً إلى محدودية تعداد قبيلة الهون وحاجة الحملة الميدانية الواحدة إلى عدد يبلغ مئة ألف جندي، وضع أتيلا تكتيكات للحفاظ على جنوده، فاعتمد أتيلا على المعركة

المتحركة وقوة الصدمة، وكان نادراً ما يدخل جنوده في قتال التحام مباشر أو في قتال مستمر. وكان يفضل الاقتراب من العدو باستخدام المظاهر الطبيعية للتمويه وإخفاء قواته حتى يصبح في حدود المدى الذي تصل إليه السهام، ويبدأ صف من الجنود الرماية بالسهام من زاوية مرتفعة لكي يرفع جنود العدو المدافعون دروعهم لصد السهام، بينما يقوم صف آخر بالرماية مباشرة على خطوط العدو. وبمجرد تأكدهم من قتل العدد الكافي من جنود العدو، يقوم الجنود الهون بمرحلة الالتحام للقضاء على ما تبقى من قوات العدو وحسم المعركة.

حقق أتيلا وشقيقه الانتصارات في الهجمات المستمرة التي كانا يقومان بها ضد الإمبراطورية الرومانية الشرقية لمدة عقد بأكمله قبل أن يتوفى الشقيق بليدا عام 445، أو قبل أن يعدمه أتيلا طبقاً لما ذكرته بعض المصادر. وبعد ذلك اتجه الهون إلى روما نفسها، وقام أتيلا بحرق كل شيء وقتل كل من اعترض سبيله ليصل إلى مشارف مدينة ترويه (Troyes) الحالية في فرنسا قبل أن يتمكن جيش مشترك من الرومان والقوط الغربيين من إيقاف تقدمه عام 451.

وبدلاً من اتباع أتيلا تكتيكه المعتاد بالضرب ثم الانسحاب؛ أي "الكر والفر"، صمد ليقاتل في معركة من أكثر المعارك دموية في التاريخ القديم. وتقدر بعض الروايات - التي تبالغ في التقدير على الأرجح - عدد القتلى في تلك المعركة بأكثر من 200 ألف. وعلى الرغم من نجاح العدو في إجبار الهون على الانسحاب، فإن أتيلا لم يوجه جيشه نحو الوطن؛ فقد توقف ليريح جنوده لفترة ومن ثم واصل غزوه جنوباً في عمق إيطاليا مكتسحاً مدن أكيليا وميلانو وبادو متقدماً نحو روما. ومع الدمار الذي خلفته حملات أتيلا فقد ساهم دون قصد في إنشاء واحدة من أجمل المدن في العالم؛ إذ نزح من تبقى من سكان شمال إيطاليا عقب غزوات الهون، ليستقروا في الجزر والبحيرات الضحلة المتصلة ببحر الأدرياتيك لتنشأ مدينة البندقية التي نعرفها اليوم.

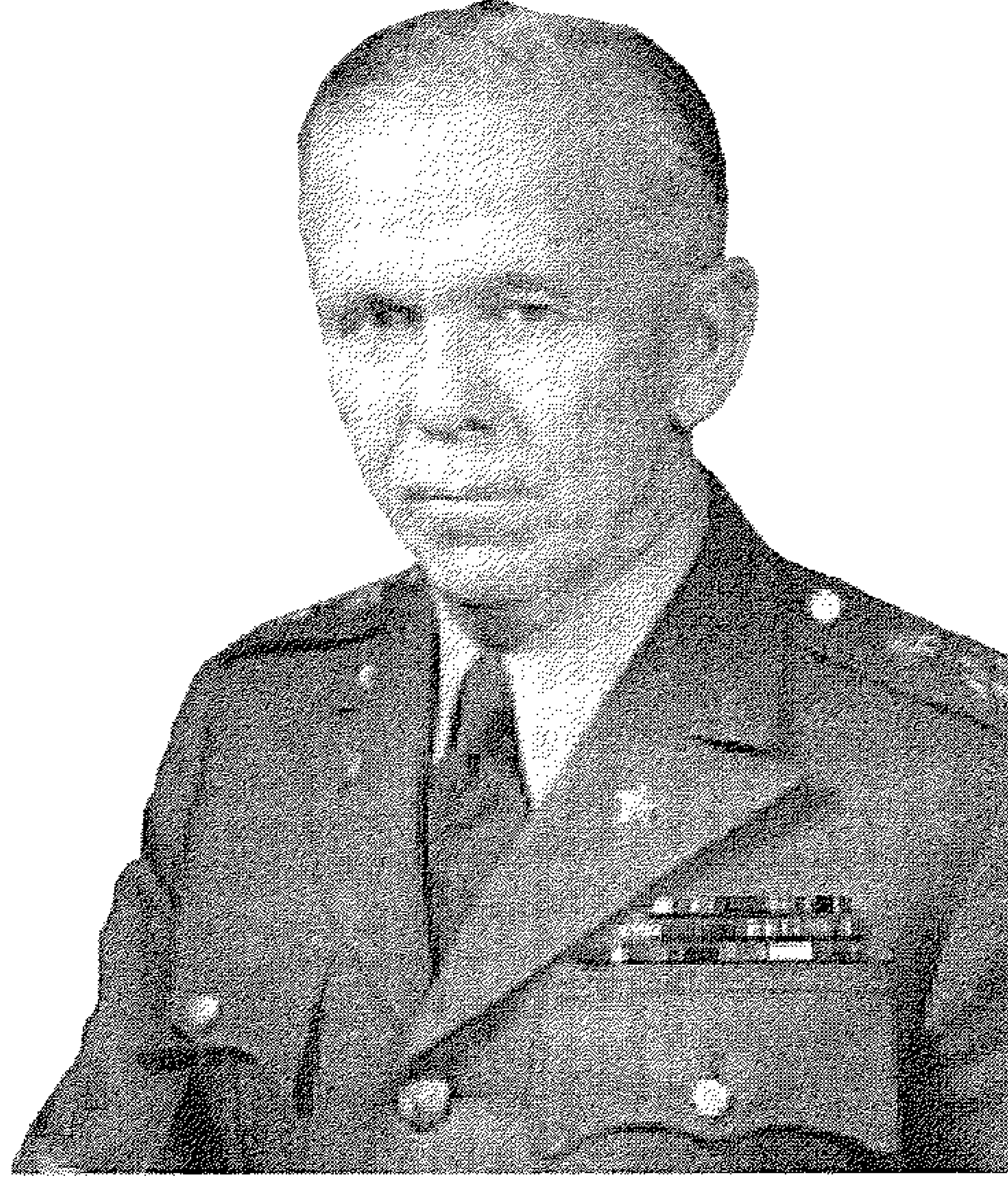
وعلى مشارف روما تفاوض البابا ليو الأول (Leo I) مع أتيلا على شروط الاستسلام. وطبقاً لما ورد في بعض المصادر، فقد تمكن البابا من الحصول على موافقة أتيلا لإيقاف الهجوم بعد أن أعجب الأخير بمظهره وحضوره المهيب. ولكن الدوافع

الحقيقية لتلك الموافقة تأتي على الأرجح من المعلومات التي تلقاها أتيلا بأن روما قد أمرت بعودة عدد من كتائبها التي تخدم في الخارج لمواجهة الهجوم الهوني.

وأياً كان السبب - إعجاباً أو تهديداً - فقد جمع أتيلا جيشه وغنائمه وعاد إلى موطنه. وفي عام 453 خطط أتيلا ذو العقلية الهجومية لغزو إيطاليا مرة أخرى، ولكنه توفي قبل ذلك في السابعة والأربعين من عمره بسبب نزيف مستمر من الأنف. وحاول أبناء أتيلا الحفاظ على قوة الجيش من بعده، إلا أنهم لم يتمكنوا من السيطرة على القتال الداخلي بين القبائل المختلفة، وخلال عشرين سنة من وفاة أتيلا انتهت قوة الهون العسكرية.

من الصعب أن نميز التطورات التي حققها أتيلا في التنظيم والأسلحة عن تلك التي حققها أسلافه. ومع ذلك لا يستطيع أحد أن ينكر براعته التكتيكية أو روحه القتالية الشرسة؛ فقد تمكن في الكثير من الحالات من مواصلة القتال وتحقيق النصر بأقل خسائر حتى حين كان يحارب بجنود أقل عدداً. وعلى الرغم من أنه لم يطلب الرحمة أو يمنحها لجندي أو مدني مهزوم فقد كان ماهراً في عقد التحالفات مع أعدائه السابقين ليتمكن من تحقيق هدفه وهو هزيمة الرومان. لقد كان أتيلا الهوني أعظم قائد عسكري في عصره حيث كانت سمعته تنشر الرعب في صفوف أعدائه الذين تهيبوا ذلك القائد الملقب "بالبلاء" واحترموه. وبعد أكثر من 1500 عام من رحيله لايزال اسمه مرادفاً لقتال سلاح الفرسان الشرس وعبقرية المحارب. ولا يحول دون احتلاله مرتبة أعلى في هذه القائمة سوى قصر فترة إمبراطوريته التي تفككت خلال عشرين سنة من موته.

16



جورج كاتليت مارشال
George Catlett Marshall
قائد أمريكي
(1959 - 1880)

قام جورج مارشال الذي تولى منصب رئيس أركان الجيش الأمريكي، بتنظيم القوات الأمريكية وتهيئتها لخوض الحرب العالمية الثانية. وهو الذي أعد الخطة الاستراتيجية لحرب الجبهتين التي هزمت فيها قوى المحور، كما عمل مستشاراً أساسياً لرئيسين أمريكيين في كل ما يتعلق بالشؤون العسكرية. وكان مارشال قد قضى فترة الحرب العالمية الثانية بأكملها وهو يوجه قواته من واشنطن، باستثناء الفترات التي كان يحضر فيها اجتماعات الحلفاء الرئيسية لمناقشة الخطط الاستراتيجية، أو حين كان يقوم بزياراته النادرة لمراكز القيادة والسيطرة الخلفية في بلدان خارج الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الرغم من أنه لم يشارك في القتال مباشرة، فقد برز كواحد من أكثر القادة نفوذاً وتأثيراً في التاريخ العسكري.

ولد جورج مارشال في 31 كانون الأول/ ديسمبر 1880 في مدينة يونيتاون (Uniontown) بولاية بنسلفانيا، وتخرج في المعهد العسكري بولاية فرجينيا عام 1901 وعين ضابطاً برتبة ملازم ثان. وخدم مارشال خلال السنوات السابقة للحرب العالمية الأولى فترتين في الفلبين، وأسندت إليه عدة مهام ميدانية كما عمل في معاهد عسكرية بمنطقة الغرب الأوسط الأمريكي.

ترقى مارشال إلى رتبة نقيب عام 1916، وانضم إلى فرقة المشاة الأولى كضابط ركن وانتقل معها إلى فرنسا عام 1917. وفي آب/ أغسطس 1918 التحق مارشال الذي كان قد ترقى إلى رتبة عقيد مؤقت (مكلف) بهيئة أركان الجيش الأول. وفي أيلول/ سبتمبر من السنة نفسها، وضع مارشال الخطة اللازمة وأشرف على التنفيذ الناجح لحركة أكثر من نصف مليون جندي وحوالي ثلاثة آلاف قطعة مدفعية إلى جبهة أرجون (Argonne) لبدء هجوم جديد.

عمل مارشال كضابط ركن طيلة فترة الحرب، وبعد الهدنة التي تم التوصل إليها لإيقاف الحرب، عاد إلى رتبته الأصلية كنقيب وأصبح معاوناً للجنرال جون جوزيف بيرشنج (John Joseph Pershing). وخدم مارشال تحت إمرة الجنرال بيرشنج حين كان الأخير رئيساً لأركان الجيش حتى العام 1924. وتدرج مارشال خلال هذه الفترة في الرتب حتى وصل إلى رتبة مقدم، وتعلم الكثير على يد الجنرال بيرشنج وكون علاقات في المجالين العسكري والسياسي استفاد منها فيما بعد.

وبعد نقله من وظيفة المعاون، خدم فترات في الصين، ثم بمدرسة المشاة في فورت بيننج (Fort Benning)، وقوات الحرس الوطني في ولاية إيلينوي قبل أن يتولى قيادة كتيبة المشاة الثامنة في ولاية كارولينا الجنوبية. وفي عام 1938 التحق مارشال بهيئة الأركان العامة للجيش وهو برتبة عميد. وبعد أن بات مقتنعاً تماماً بالدور القيادي الذي ينتظره مستقبلاً، بدأ بإعداد سجل احتفظ فيه بأسماء الضباط الذين أعجب بأدائهم المهني إضافة إلى الضباط المبرزين.

وفي أيلول/ سبتمبر 1939، تخطى مارشال 32 ضابطاً ممن هم أقدم رتبة منه حينما اختاره الرئيس فرانكلين روزفلت لتولي منصب رئيس أركان الجيش. ولأن مارشال كان مدركاً احتمال دخول الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً في الحرب الدائرة في أوربا، فقد بدأ وضع الخطط الاستراتيجية وحشْد تأييد الكونجرس لزيادة حجم القوات وتسليح الجيش وتزويده بالمعدات الملائمة.

وفي أعقاب قصف اليابان ميناء بيرل هاربر الأمريكي وإعلان الولايات المتحدة الأمريكية دخولها الحرب، باشر مارشال تطبيق خططه؛ فبعد أن تمكن من زيادة قوة الجيش من مجرد 200 ألف رجل إلى قوة هائلة قوامها ثمانية ملايين جندي، أعاد مارشال تنظيم هيئة الأركان العامة للجيش وقسمه إلى ثلاث قيادات رئيسية هي: القوات البرية، وخدمات الجيش، والطيران. واستخدم مارشال "مفكرته السرية" التي احتفظ بها ليختار القادة المؤهلين لكل من هذه القيادات الثلاث، كما اختار الضباط الأكفاء لملء المناصب الرئيسية في كل قطاعات الجيش.

ظل مارشال يعمل مستشاراً عسكرياً موثوقاً به لدى كل من الرئيس روزفلت والرئيس هاري ترومان (Harry Truman) فيما بعد طيلة فترة الحرب العالمية الثانية. وحضر مارشال اجتماعات التخطيط الرئيسية التي عقدها الحلفاء في الدار البيضاء وبوتسدام. وهو أول قائد أمريكي يتبنى استراتيجية الحرب على جبهتين، مع إعطاء الأولوية لهزيمة ألمانيا. وكان لأفكاره في تطوير الأسلحة والمعدات أثر واضح في تسريع عملية تعبئة الشعب الأمريكي وحشد قاعدته الصناعية للمساهمة في المجهود الحربي.

عبر مارشال في أكثر من مناسبة خلال الحرب عن رغبته في قيادة قوات مقاتلة بصفة مباشرة، وخاصة قبل تنفيذ عملية أوفرلورد (Operation Overlord) التي نفذت لغزو نورماندي. وفي كل مرة كان رؤساؤه يردون عليه مكررين بأن في استطاعته أن يخدم بلده والمجهود الحربي على أفضل نحو كضابط ركن وكمخطط استراتيجي يعمل من داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

كان من أهم خصائص مارشال، التي حافظت له على علاقة جيدة مع الرؤساء الذين خدم تحت إمرتهم، افتقاده أي طموحات سياسية شخصية؛ فقد ترقى إلى رتبة قائد الجيش (General of the Army) بغرض مساواة رتبته مع رتبة "مارشال" (المشير) البريطانية وليس بغرض استرضاء أي طموحات لديه. وفي خطوة تبرهن على تواضع مارشال الجم، استقال من منصبه بعد وقت قصير من انتهاء الحرب وأوصى بأن يعين دوايت ديفيد أيزنهاور ليحل محله.

بيد أن مارشال لم يقض سوى فترة قصيرة للغاية في حياة التقاعد عن الخدمة؛ فبعد عشرة أيام من استقالته، تمكن الرئيس هاري ترومان من إقناعه بالذهاب إلى الصين، كممثل شخصي له، بغرض التوسط في النزاع بين الشيوعيين والقوميين. وعلى الرغم من فشل مارشال في تلك المهمة، فإن الرئيس ترومان عينه وزيراً للخارجية في كانون الثاني/ يناير 1947. وفي 5 حزيران/ يونيو من السنة نفسها أعلن مارشال أفكاره لتنفيذ برنامج يهدف إلى تمويل استعادة الاقتصادات الأوربية لوضعها الصحيح. ووفرت الخطة التي أصبحت تعرف "بخطة مارشال" الأموال اللازمة لتمويل اقتصادات أوربا التي مزقتها الحرب، وساهمت في خلق صداقات قوية مع الحلفاء السابقين، وكسب أصدقاء جدد من بين الأعداء السابقين في الوقت ذاته. وساعد تنفيذ خطة مارشال أيضاً على مقاومة توغل الشيوعية في أوربا الغربية. وفي عام 1953 تسلم مارشال جائزة نوبل للسلام تقديراً لخطته، ليصبح العسكري المحترف الوحيد الذي يحصل على مثل ذلك التقدير.

استقال مارشال من منصبه كوزير للخارجية عام 1949 بسبب مرضه، وبعد سنة من ذلك، استدعاه الرئيس هاري ترومان ليصبح وزيراً للدفاع في حكومته. وعمل مارشال خلال فترة توليه المنصب على ضمان التأييد والدعم الأمريكي القوي للأمم المتحدة ولمنظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو). وعاد مارشال إلى التقاعد مرة أخرى في 12 أيلول/ سبتمبر 1951، وتوفي في 16 تشرين الأول/ أكتوبر 1959 في العاصمة الأمريكية واشنطن، ودفن في مقبرة أرلينجتون الوطنية.

يمكن تصنيف مارشال باعتباره أبرز ضابط ركن كان له أثره المميز في التاريخ العسكري؛ فقد عمل من منصبه في واشنطن على تصميم القوات واختيار القادة الذين حققوا النصر في الحرب العالمية الثانية. وكان مارشال - الذي اشتهر بنزاهته وذكائه وفطنته السياسية أكثر مما اشتهر بالاستبسال أو الشجاعة في أرض المعركة - واحداً ممن كانوا بمنزلة مفتاح النصر في الحرب وتأسيس القوة الحربية للولايات المتحدة الأمريكية لتصبح الأقوى على مستوى العالم بأكمله. وكان لجهده في تقديم وتنفيذ خطة مارشال الفضل في إعادة بناء أوربا الغربية وهزيمة الشيوعية وانهيار الاتحاد السوفيتي فيما بعد. وعلى الرغم من تمكن زميليه الجنرال أيزنهاور والجنرال دوجلاس مكارثر (Douglas MacArthur) من تحقيق شهرة أكبر في جبهات القتال، فإن الأعمال والإجراءات غير المباشرة التي قام بها مارشال وهو يضع الخطط ويتولى القيادة من واشنطن، قد كان لها أثر كبير في مجريات الحرب وما تلاها من أحداث ومتغيرات.

17



بطـــرس الأكبـــر
Peter the Great
قيصر روسي
(1725 - 1672)

حقق بطرس الأكبر، الذي يعتبر أبرز قائد عسكري وأشهر القياصرة نفوذاً في التاريخ الروسي، تحوُّل بلاده من منطقة شبه منعزلة في القرون الوسطى، لتصبح واحدة من القوى الكبرى في العالم في مستهل القرن الثامن عشر. ومزج بطرس ما بين الأفكار الغربية والتقاليد الروسية لتحديث بلاده وليخلق جيشاً قوياً وقوات بحرية عصرية.

ولد بطرس في 9 حزيران/ يونيو 1672 بموسكو، وكان الابن الوحيد للقيصر أليكسيس (Alexis) من زوجته الثانية ناتاليا نارشكين (Natalya Naryshkin). وتنافس بطرس مع إخوته وأخواته من أبيه على السلطة بعد وفاة الأب القيصر؛ ففي عام 1689 وبعد سلسلة من المحاولات العسكرية والسياسية، اعتلى بطرس قمة المسؤولية في روسيا وهو في السابعة عشرة من عمره. ورغم اشتهاره بأنه قد جعل من روسيا دولة غربية ذات شأن، فقد ركز جل جهده لتحقيق إنجازات تتصل مباشرة بالمجال العسكري وفن الحرب. وشهدت فترة حكمه التي دامت أكثر من 35 عاماً، سلاماً لمدة عام واحد فقط.

تحول بطرس خلال العقد الأول من فترة حكمه من مجرد مراهق ضخم البنية إلى شخص قوي ذي قامة ممتدة، طوله 6.5 أقدام، وجاء نموه على ذلك النحو لينبئ عن النقلة والازدهار والحضور الكبير الذي حققه لروسيا في مراحل لاحقة. وقام بطرس - بسبب اهتمامه الشديد بدراسة التاريخ والنظريات العسكرية - بتشكيل كتيبتين من حرسه الشخصي ليتعرف أساليب التدريب، ويصمم ألعاب الحرب لمساعدته على فهم دراساته. وأدرك بطرس في شبابه أن القوة البرية لن تكفي لتأسيس القدرة العسكرية الروسية، ولذا بدأ عملية تحديث لقواته البحرية. وفي عام 1696 شن بطرس الذي كان في الرابعة والعشرين من عمره هجوماً ضد الأتراك في أزوف (Azof). ووفر ذلك الانتصار لروسيا ممراً للوصول إلى البحر الأسود.

وعلى الرغم من هذا النجاح، كان بطرس مدركاً عدم وجود وجه للمنافسة بين قواته المسلحة وبلاده عامة وبين القوى الأوربية المتفوقة. وبعد أن اعتلى بطرس عرش بلد فاته قطار حقبة النهضة والإصلاح في أوربا، ليصبح متخلفاً عنها بحوالي قرن تقريباً في مجالات التطور الثقافي والعلمي، عقد العزم على فهم الأسباب والدواعي التي جعلت الروس يتأخرون عن جيرانهم.

تنقل بطرس خلال عامي 1697 ـ 1698 في كل أنحاء أوربا متخفياً باسم وهمي ومتحرراً من شكليات البلاط القيصري. وتمكن خلال تلك الفترة من دراسة بناء السفن في هولندا وإنجلترا وشاهد تدريبات رماية في بروسيا. وزار خلال رحلته المعاهد العسكرية والمدنية والمصانع والمتاحف، كما اطلع على الترسانات والمنشآت العسكرية. وعند عودته إلى روسيا جلب معه المعلمين ورجال الأعمال والعسكريين الغربيين ليعملوا مستشارين له.

كان على بطرس أن يخمد ثورة داخلية قبل أن يبدأ في تطبيق برنامجه التحديثي في روسيا. وأنجز تلك المهمة بحمام دم أوحى به إلى شعبه أن حكمه سيكون استبدادياً رغم أفكاره العصرية. وأدت معاملته القاسية لمعارضيه - حيث أخضع الكنيسة والنبلاء للعرش الملكي - إلى إخماد أي مقاومة رئيسية للتغييرات الجذرية التي كان يعتزم تطبيقها. وفرض بطرس الأفكار والمناهج الغربية على التعليم والتجارة والصناعة

وأسس أكـاديمية للعلوم في بلاده. كمـا أصـدر نسخـة مبسطة من الحروف الهجائية الروسية، وأدخل الأرقام العربية، ومهد لإصدار أول صحيفة في بلاده. ومضى في جهوده نحو تحويل روسيا لدولة عصرية إلى حد بعيد إلى درجة مطالبة جميع الرجال بحلق لحاهم، كما فرض على رجال البلاط الالتزام بارتداء الزي الغربي. ولم ينس حتى التشجيع على العادات الغربية التي لم تكن معروفة في روسيا من قبل مثل تدخين التبغ وشرب القهوة.

وبجانب اهتمامه بالحضارة المدنية، شرع بطرس في تشكيل قوات بحرية وجيش يستطيع الحفاظ على أمن روسيا وتوسيع حدودها. واستهل جهده في هذا الصدد ببناء قوة بحرية لا مثيل لها، وبدأ بحملة بناء سفن دشن فيها أكثر من خمسين سفينة حربية حديثة وسبعمئة قارب إسناد. وأصبحت البحرية الروسية مسيطرة على بحر البلطيق خلال وقت قصير، ونافست القوى الأوربية على الهيمنة على المحيط الأطلسي.

بدأ بطرس تنظيمه للجيش وفق نظام تجنيد فرض فيه على كل عشرين أسرة تقديم جندي واحد. وكان بطرس قد كرس جهده لبناء الجيش الروسي، حتى إنه عند ميلاد أحد أبنائه احتفل به واصفاً إياه بأنه "مجند جديد". وبعد أن ازدادت قوة الجيش الروسي لأكثر من ربع مليون فرد، قام مستشارو بطرس الغربيون بإعادة تنظيم الجيش، وأدخلوا نظام تدريب حديثاً. كما وفر بطرس لباساً جديداً للجيش وبنادق حديثة للمشاة ومدافع أنتجتها المصانع الروسية، وأدخل نظاماً لتدريب الضباط، وجعل الترقية على أساس الكفاءة بدلاً من المكانة الاجتماعية.

كان بطرس يقضي الكثير من الوقت مع قواته في الميدان، وكان لا يعود إلى موسكو إلا للضرورة القصوى. كما كان غالباً ما يشارك جنوده في المسير ويساعد سدنة المدافع خلال قيامهم بالرماية من السفن الحربية. لقد أثبت بطرس عظمته قائداً مميزاً حين أدرك افتقاده الذاتي للخبرة القتالية، فكان يسمح للعسكريين المحترفين بأن يتولوا زمام القيادة في ميدان المعركة.

أعلن بطرس الحرب على السويد عام 1700 ، وخاض ما يسمى بحرب الشمال الكبرى (Great Northern War) التي استمرت لمدة واحد وعشرين عاماً. وتعرض جيشه المشكل حديثاً إلى هزيمة أولية في مدينة نارفا (Narva) ، ولكنه اكتسب الخبرة اللازمة حيث حقق انتصاراً حاسماً في معركة بولتافا (Poltava) عام 1708 . وبعد تحقيق المزيد من الانتصارات في الحرب البرية وهزيمة البحرية السويدية في معركة هانجو (Hango) ، بدأت حدة الحرب تخفت حتى طالبت السويد بالسلام عام 1721 ، وتنازلت عن كل من إستونيا (Estonia) وليفونيا (Livonia) وساحل البلطيق الواقع إلى الشمال من فيبورج (Vyborg) ، لتؤول جميعها إلى السيادة الروسية .

واصل بطرس خلال فترة الحرب تحديث جيشه وتحقيق المزيد من التقدم على الصعيد الداخلي؛ ففي عام 1712 نقل عاصمته من موسكو إلى مدينة سان بطرسبرج التي وصفها بأنها "نافذة أفضل" نحو أوربا . كما أصدر العديد من الكتب ومن ضمنها كتاب **«قواعد القتال لعام 1708»** *Rules of Combat of 1708* وكتاب **«القانون العسكري لعام 1716»** *Military Code of the Year 1716* وذلك لتوحيد رؤيته في مجالي التدريب والعمليات . وأسس بطرس الكلية العسكرية عام 1718 ليضمن توحيد الهيكل القيادي .

وبالطبع ، فقد كلفت هذه التغييرات ومجالات التطور الأخرى الكثير من المال ، مما دفع بطرس إلى فرض ضرائب ثقيلة على شعبه . ووقع العديد من الانتفاضات ، ولكنه أخمدها بوحشية وقام بإعدام القادة المعارضين له . وفي عام 1718 قام باعتقال وتعذيب ابنه بسبب تآمره ضده ، واستمر في اعتقاله حتى مات في السجن لاحقاً .

في وقت مبكر من عام 1725 ، غاص بطرس - الذي كرس حياته لجنوده - في نهر متجمد في فنلندا لينقذ عدداً من الجنود المشرفين على الغرق ، وأصيب نتيجة لذلك بانخفاض غير طبيعي في درجة حرارة جسمه ، وهو المرض الذي لم يُشف منه مطلقاً . توفي بطرس في مدينة سان بطرسبرج في 8 شباط/ فبراير 1725 ، وكان في الثالثة والخمسين من عمره .

نجح بطرس في تحويل روسيا بأجمعها إلى دولة حديثة، وساعد التقدم الكبير الذي حققه في المجال العسكري على جعل بلاده قوة كبرى. والأهم من ذلك أن بطرس الذي عمل على توفير أفضل الأسلحة والمعدات لجيشه وقواته البحرية، لم يجد أي حرج في اختيار من هم أفضل منه كفاءة لقيادة القوات في ساحة القتال. وفرض بطرس تأثيره العسكري بزيادة عدد أفراد الجيش والقوات البحرية وبتطويره لاقتصاد قادر على دعم وإمداد الجيش بالأسلحة والمؤن. كما عمل على رفع الروح المعنوية لجنوده في الجيش والبحرية بحضوره المستمر في جبهات القتال وأثناء التدريب في المعسكرات. لقد أدت مهارات بطرس التنظيمية والإدارية المدعومة بحماسه القيادي، إلى خلق مؤسسة عسكرية عصرية رفعت من مكانة روسيا وارتقت بها إلى مصاف القوى العالمية.

ظلت روسيا القيصرية التي تركها بطرس باقية كقوة أوربية متصدرة طيلة القرنين التاليين. ولم يأت اضمحلالها النهائي من هجوم خارجي، بل جاء نتيجة للثورة البلشفية داخلها عام 1917، وما كان لروسيا أن تتبوأ مكانتها كقوة مساوية لبريطانيا وفرنسا وبروسيا لولا الإصلاحات المباشرة التي قام بها بطرس والتي هيأت الأرضية اللازمة للمزيد من التقدم مستقبلاً، ولما أمكن للاتحاد السوفيتي على الأرجح أن يصبح قوة عظمى في القرن العشرين ويفرض نفوذه في الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة التي تلتها.

18



دوايــت ديفيد أيزنهــاور

Dwight David Eisenhower

قائد أمريكي

(1969 - 1890)

قاد دوايت أيزنهاور أكبر قوة عسكرية متعددة الجنسيات تم حشدها في أضخم مجهود حربي في تاريخ العالم. وقام أيزنهاور الذي كان مسؤولاً عن أكثر من أربعة ملايين جندي بالتخطيط وقيادة هجوم الحلفاء الذي أدى إلى هزيمة قوات المحور في الحرب العالمية الثانية. وساعدت قدراته الفذة في تنسيق وإدارة قوات الحلفاء المختلفة والسيطرة على مرؤوسيه من القادة المتشددين على خلق جيش موحد تمكن من تحقيق نصر صعب.

ولد أيزنهاور في 14 تشرين الأول/ أكتوبر 1890 بمدينة دينسون (Denison) في ولاية تكساس، وانتقل برفقة والديه إلى مدينة أبيلين (Abilene) في ولاية كنساس التي تربى فيها. ولأنه لم يكن قادراً على دفع المبلغ اللازم للالتحاق بالدراسة في كلية جامعية، فقد تقدم بطلب وتم قبوله في الأكاديمية العسكرية الأمريكية. شارك أيزنهاور أثناء فترة وجوده في الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت (West Point) في فريق كرة القدم

الأمريكية لدفعة عام 1915، وهي الدفعة التي خرج من بينها أكثر من خمسين جنرالاً في المستقبل. وتخرج أيزنهاور محتلاً المرتبة الحادية والستين في دفعته المكونة من 164 مرشحاً، وعين برتبة ضابط في قوات المشاة.

حقق أيزنهاور مكانة مميزة لنفسه خلال المهام الأولى التي أسندت إليه، حيث قام بوضع البرامج التدريبية للمشاة ولسلاح الدبابات المشكل حديثاً. وعلى الرغم من عدم مشاركته في الأعمال القتالية خلال الحرب العالمية الأولى، التي قضى فترتها في مهام داخل الولايات المتحدة الأمريكية، فقد استفاد من سلسلة الترقيات السريعة التي تمت في ذلك الوقت ليبلغ رتبة رائد في عام 1920.

كانت عوائد الخدمة في الجيش زمن السلم خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى محدودة للغاية، ومع ذلك بقي أيزنهاور في رتبته كرائد لمدة عقدين وكافح ليعيش وأسرته على الرواتب المحدودة التي يقدمها الجيش. بيد أن أيزنهاور استفاد من تلك السنوات الطويلة وكأنه كان يقرأ التحديات التي ستبرز في المستقبل؛ فقد حقق لنفسه مكانة متميزة حين حصل على المركز الأول في دورة كلية القيادة والأركان بفورت ليفنورث (Fort Leavenworth) في ولاية كنساس. وفي عام 1929 نقل أيزنهاور للعمل مع الجنرال جون جوزيف بيرشنج، وأصدر دليلاً يصف مواقع المعارك التي وقعت خلال الحرب العالمية الأولى. وفي عام 1935 التحق أيزنهاور بمكتب رئيس أركان الجيش للعمل مع الجنرال دوجلاس مكارثر، ومن ثم رافق مكارثر كمساعد له في الفلبين التي خدم فيها لمدة ثلاث سنوات.

عزز أيزنهاور سمعته كضابط ركن مثابر في مختلف المناصب التي عمل فيها، وحصل على رتبة مقدم، خلال فترة ما قبل الحرب التي شهدت حركة ترقيات. وكان من الصعب حقاً، حتى لأولئك الذين تعرفوا على مهارات أيزنهاور في ذلك الوقت، أن يتوقعوا أنه سيرتقي خلال ثلاث سنوات فقط إلى رتبة جنرال ويتولى منصب القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوربا.

وتقديراً لأداء أيزنهاور المميز وما تركه من انطباع إيجابي لدى كل من بيرشنج ومكارثر، فقد عينه رئيس أركان الجيش الجنرال جورج كاتليت مارشال رئيساً لقسم

العمليات في الجيش بعد وقت قصير من تعرض ميناء بيرل هاربر للقصف. وأدى أيزنهاور دوراً رئيسياً في وضع الخطة الاستراتيجية الشاملة للحلفاء، التي تقضي باحتواء قوات العدو وتطويقها في مسرح منطقة المحيط الهادي مع الحفاظ على أولوية هزيمة القوات النازية في أوربا أولاً.

كان أيزنهاور هو الضابط الذي اختاره جورج مارشال ورشحه للترفيع إلى رتبة لواء وقيادة القوات الأمريكية المحتشدة في بريطانيا العظمى. وفي تموز/ يوليو 1942 أصدر رئيس الأركان أمراً بترفيع أيزنهاور إلى رتبة فريق وعينه كقائد للقوات الأمريكية في "عملية المشعل" (Operation Torch)، وهو الاسم الرمزي لحملة الحلفاء لغزو شمال أفريقيا. وجاء رد أيزنهاور الفوري على الفشل المبدئي الذي حدث في ممر كاسرين (Kasserine Pass) بإجراء تغييرات شاملة وسط القادة العاملين تحت إمرته، حيث قام بتنحية من تسببوا في ذلك الإخفاق من مناصبهم واستبدل بهم الضباط الذين اختارهم بنفسه.

أدت التغييرات العملياتية والقيادية التي نفذها أيزنهاور إلى ترجيح كفة قواته ضد قوات الجنرال الألماني إيرفين روميل العاملة في شمال أفريقيا، واستسلم الجنود النازيون والإيطاليون بأعداد هائلة. وبالإضافة إلى تحقيق النصر، برهن أيزنهاور في شمال أفريقيا على قدراته في السيطرة على مرؤوسيه من القادة المتشددين والمغامرين؛ مثل بيرنارد لو مونتجمري (Bernard Law Montgomery) وجورج باتون (George S. Patton).

وبعد ترفيع أيزنهاور إلى رتبة فريق أول، تولى قيادة القوات التي نفذت غزو صقلية في تموز/ يوليو 1943 وما تلاه من تقدم في عمق الأراضي الإيطالية. وفي كانون الأول/ ديسمبر 1943، أصبح قائداً للقيادة العليا لقوات التدخل السريع التابعة للحلفاء، وأسندت إليه مهمة تخطيط وتنفيذ غزو فرنسا في "عملية أوفرلورد". وبفضل قيادة أيزنهاور المباشرة وقدراته الإدارية الفذة، تمكن الحلفاء من حشد أكبر قوة غازية في التاريخ وحافظوا على سرية خططهم ليفاجئوا الألمان بتوقيت ومكان الإنزال الذي نفذته قواتهم.

بعد تنفيذ الإنزال الناجح في نورماندي، قاد أيزنهاور قوات الحلفاء المكونة من عدة ملايين من الجنود وهي تندفع براً متجهة نحو ألمانيا. وعبر جيش أيزنهاور نهر الراين وهدد برلين نفسها عقب الانتكاسات المحدودة التي واجهها أثناء غزو هولندا بالقوات المحمولة جواً، والذي سمي بعملية "بستان السوق" (Market Garden)، والمفاجأة التي واجهها نتيجة الهجوم المعاكس الألماني من جبال الآردن (Ardennes) فيما سمي "بمعركة النتوء" (Battle of the Bulge). وفي قرار مثير للجدل، بني على المعلومات الاستخبارية غير الصحيحة عن خطط هتلر الدفاعية النهائية، تحول أيزنهاور من برلين وقام بتأمين سلسلة الجبال الواقعة جنوبي ميونخ، وهو المكان الذي توقع الحلفاء أن تدور المعارك الحاسمة فيه. وأتاح ذلك القرار للسوفييت أن يستولوا على برلين.

حل أيزنهاور بعد الحرب محل جورج مارشال كرئيس للأركان، قبل أن يتقاعد عام 1948 ليصبح رئيساً لجامعة كولمبيا. ثم عاد بعد ثلاث سنوات إلى أوربا ليقود حلف شمال الأطلسي "الناتو". وفي عام 1952 خاض أيزنهاور الانتخابات كمرشح جمهوري للرئاسة الأمريكية، وكسبها بأكبر هامش تصويت شعبي حتى ذلك الوقت. وكانت إدارته هي التي توصلت إلى إنهاء الحرب الكورية. وبعد أن ظل في منصب الرئاسة لفترتين متتاليتين، تقاعد ليستريح في مزرعته الخاصة بضاحية جيتزبورج (Gettysburg) في ولاية بنسلفانيا. وكان قد أطلق قبل تقاعده تحذيره الأخير من مخاطر تمدد الحكومة وما أسماه "بعقدة التصنيع الحربي". وتوفي أيزنهاور في الثامنة والسبعين من عمره بمدينة واشنطن، في 28 آذار/ مارس 1969.

برهن أيزنهاور على قدراته الهائلة في توطيد العلاقات بين قوات الحلفاء والمحافظة عليها، فضلاً عن مهارته في إدارة العمليات الكبيرة. وعلى الرغم من انتقاده في أغلب الأحيان لعدم المشاركة المباشرة في القتال، فقد أثبت شجاعته الشخصية في اتخاذ القرارات الصعبة وتنفيذها. ومع أنه يصنف كضابط ركن وكضابط إداري أكثر من كونه قائداً مقاتلاً بالمعنى التقليدي، فقد كان في كل الحالات الرجل المناسب في المكان المناسب وفي الوقت المناسب.

كان الأثر الذي تركه أيزنهاور هائلاً؛ فلولا قيادته المتأنية وقدرته على تشكيل التحالفات وتعزيز روح الفريق وسط القادة العاملين معه لما تمكن جيش الحلفاء من تحقيق التماسك الذي ضمن له النصر. وعلى الرغم من أنه قد خسر برلين بقرار ذاتي، فقد نال شرف تحقيق النصر الحاسم في أوربا. وليس هناك من يفوقه تأثيراً في حقبة شهدت أكثر الحروب تدميراً في تاريخ العالم، إلا أدولف هتلر الذي أشعل ذلك الصراع، وجورج مارشال القائد الذي عمل أيزنهاور تحت إمرته.

19



أوليفـــر كـرومـويـل
Oliver Cromwell
قـائـد إنجليـزي
(1658 - 1599)

قاد أوليفر كرومويل القوات المؤيدة للنظام البرلماني إلى تحقيق النصر على القوات الملكية في الحرب الأهلية الإنجليزية التي وقعت في القرن السابع عشر. وأدت إنجازاته إلى تبني نظام الحكم الديمقراطي في إنجلترا واستعادة مكانة بلاده كقوة عسكرية بعد غيابها كقوة رئيسية في المسرح الدولي لمدة قرنين تقريباً، فضلاً عن اكتسابه لقب "الوصي على العرش" الذي يجمع بين سلطات الملك والحاكم المطلق. وجمع كرومويل، الذي يعتبر قائداً عسكرياً متميزاً ومجدداً، بين اللين والشدة ليقوم بتحويل الجيش البريطاني إلى قوة محترفة.

لم تبدأ حياة كرومويل العسكرية المميزة إلا بعد أن تجاوز الأربعين من عمره. ولد كرومويل في 25 نيسان/ إبريل 1599، لأب من ملاك الأراضي الزراعية في منطقة هنتنجدن (Huntingdon)، وطغى الانهماك في الأنشطة الدينية على الفترة المبكرة من

حياته. وحين بلغ العشرينات من عمره، كان ناشطاً في ممارسة الشعائر الدينية لطائفة التطهريين (Puritans)، الذين دعوا إلى "تطهير" الكنيسة الوطنية والهيكل السياسي من نفوذ مذهب الروم الكاثوليك. ومنذ ذلك الحين لم يعد ممكناً فصل طموحات كرومويل السياسية عن الأفكار الدينية التي يتبناها أو تلك التي يقف ضدها.

مثل كرومويل منطقة هتنجدن في البرلمان الإنجليزي خلال الفترة 1628 ـ 1629، وعاد إلى موطنه بعد أن قام الملك تشارلز الأول بحل ذلك الجهاز الحكومي. ولم يدخل كرومويل المجال العسكري إلا بعد اندلاع الحرب الأهلية عام 1642، عقب صراع على السلطة بين الملك تشارلز ومؤيديه من أنصار الملكية من جهة، والثوار مؤيدي النظام البرلماني من جهة أخرى. (ذكرت بعض الروايات أن كرومويل قد خدم كجندي مرتزق في أوربا أثناء فترة شبابه، ولكن ليس هناك ما يؤكد هذه الروايات التي تبدو غير صحيحة على الأرجح).

وعلى الرغم من بلوغ كرومويل سن الثالثة والأربعين، فقد شكل مجموعة من قوات الفرسان، وكان ذلك أول أعماله كقائد عسكري. وطالب كرومويل الضباط والأفراد بأن يتقيدوا بأعلى مستوى من الأمانة والالتزام الأخلاقي، وعادت تلك المعايير بفوائد عظيمة عليه فيما تبقى من حياته المهنية. كما فرض على مرؤوسيه التقيد بالطاعة الفورية للأوامر ومنع القيام بأعمال السلب والنهب وتبادل الشتائم، أو أي سلوك غير ديني. وتصدر الحماس الديني واعتقاد أن الله لا ينصر الأعداء استراتيجية كرومويل العسكرية.

قام كرومويل بتسليح رجاله بأحدث الأسلحة المتوافرة حينها، وزودهم بأجود ما يتوافر من زي عسكري، كما جلب لهم أفضل أنواع الخيول، وعمل على دفع الرواتب الكافية لهم في توقيت استحقاقها. وكان السبب الرئيسي للنجاح الذي حققته أول مجموعة فرسان شكلها كرومويل - ولنجاح التشكيلات الأكبر التي قادها فيما بعد - هو الانضباط. فقد تمكن كرومويل بفضل التدريب المتكرر والقادة الأقوياء من استدعاء قواته المهاجمة وإعادة تشكيلها لمواجهة متغيرات لاحقة، أو حتى لتغيير اتجاه هجوم ما أثناء تنفيذه.

اعتمدت تكتيكات كرومويل على انضباط أفراده، وبدلاً من التقدم بأسلوب العدو السريع المتبع في وحدات الفرسان آنذاك، كان فرسان كرومويل يتقدمون بأسلوب الخبب، مع الاستعداد لرد الفعل واستغلال أي تغير في سير المعركة يكشف عن نقطة ضعف لدى العدو. وشمل تسليح كل فارس حزاماً لحمل المسدسات. وتقوم قوات الفرسان عند الاقتراب من العدو بإطلاق النار من تلك المسدسات، قبل إشهار السيوف العريضة ذات النصلين، التي يصل طولها إلى ثلاث أقدام لاختراق خطوط العدو.

أثبت الفرسان المقاتلون تحت إمرة كرومويل فاعليتهم منذ أول يوم في الحرب. فقد جلب النجاح ترفيعاً لكرومويل إلى رتبة عقيد، كما أسند إليه قيادة كتيبة حقق بها النصر على مؤيدي الملكية في جرانثام (Grantham) يوم 13 أيار/ مايو 1643، وفي مدينتي بيرلي هاوس (Burleigh House) وجينزبيرو (Gainsborough) في تموز/ يوليو من السنة نفسها. وفازت كتيبة كرومويل المكونة من 14 مجموعة قتال، وهو ضعف العدد المعتاد لوحدة كهذه، بلقب "الحديديين" وهو اللقب الذي حمله قائدهم نفسه خلال الحملات الناجحة في شتاء 1643ـ1644.

أعيد تنظيم قوات الثوار عام 1645 لتصبح "جيشاً نموذجياً حديثاً"، باستبدال القادة الذين كسبوا مناصبهم القيادية بفضل وضعيتهم كمؤيدين للنظام البرلماني ليحل محلهم ضباط أفضل كفاءة وتأهيلاً. ونتيجة لذلك، تولى كرومويل قيادة قوات الفرسان بأجمعها وقام بغرس أفكاره في مجالي التنظيم والانضباط لتعم الجيش بأكمله. وأدت هذه التغييرات إلى خلق أول جيش محترف بذلك الحجم الكبير في تاريخ بريطانيا، الذي تميز أفراده بارتداء السترات العسكرية الحمراء التي أصبحت رمزاً توارثته الأجيال المتعاقبة.

تمكن الجيش الحديث بالاشتراك مع كتيبة سلاح الفرسان التي يقودها كرومويل من سحق قوات الملكيين بمدينة نيزبي (Naseby) في 14 حزيران/ يونيو 1645. وبعد عدة انتصارات تالية للثوار، وضعت الحرب الأهلية أوزارها عام 1646 بعد أن تم التوصل بصعوبة إلى هدنة بين الملك ومؤيدي البرلمان. ولكن جاءت سلسلة من الأحداث السياسية المعقدة لتؤدي إلى الحرب الأهلية الثانية عام 1648. وسارع كرومويل إلى

إخماد ثورة في ويلز وأثبت فاعليته القيادية باستخدامه الناجح لقوات المشاة مع سلاح الفرسان ليحقق نصراً على الإسكتلنديين المتحالفين مع الملك في معركة بريستون (Preston).

قام كرومويل عام 1649، وبدعم من القوات المؤيدة للنظام البرلماني، بمحاكمة الملك تشارلز وإعدامه. وبعد وقت قصير من تنفيذ الإعدام شن كرومويل الذي أصبح قائداً عاماً للجيش عمليات لتصفية آخر معاقل المعارضة في الجزر البريطانية؛ فقد أنزل قواته في دبلن بأيرلندا، وقام خلال شهري آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر باكتساح مدينة درويدا (Drogheda)، وهي أحد معاقل الكاثوليك هناك، وقام جنود كرومويل بذبح الناجين ومن ضمنهم السكان المدنيون. وسارعت الوحدات الأيرلندية الأخرى إلى الاستسلام خوفاً من مصير مشابه.

بحلول ربيع 1650 عاد كرومويل - الذي كان قد فرغ من إخضاع ما تبقى من المقاومة الأيرلندية - إلى إنجلترا لإخماد تمرد إسكتلندي. وعلى الرغم من أنه كان نادراً ما يشرك قواته في القتال حتى يتأكد من تفوقها العددي، فقد واجه قوة إسكتلندية في مدينة دنبار (Dunbar)، تعادل بالتقريب ضعف حجم جيشه المكون من اثني عشر ألف رجل. واستغل كرومويل عاصفة مطرية لإخفاء حركة قواته، ثم هاجم الإسكتلنديين وهزمهم بعد ذلك. وتمكن بعد سنة واحدة من تصفية آخر ما تبقى من جيوب المقاومة في مدينة وستر (Worcester)، وبذلك أصبحت كل الجزر البريطانية موحدة تحت حكومة واحدة.

رفض كرومويل أن يصبح ملكاً بعد أن عرض عليه تولي العرش واستعاض عن ذلك بخلق منصب "الوصي على العرش" عام 1653، ووفر له ذلك المنصب السلطة المطلقة. وأثبت كرومويل أنه قائد متسامح على نحو غير عادي، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار وحشيته في ميدان المعركة واستخدامه للتعصب الديني كوسيلة لحث جيشه على القتال؛ فقد سمح للبروتستانت بممارسة شعائرهم الدينية بحرية، كما سمح لليهود، الذين منعهم البريطانيون من دخول البلاد لأكثر من ثلاثمئة عام، بالعودة وممارسة طقوسهم الدينية دون خوف أو تهديد.

لم تدم فترة وصاية كرومويل سوى مدة قصيرة لم تتعد الخمس سنوات؛ فقد داهمه الموت بعد يوم ميلاده التاسع والخمسين، ومات بمرض الملاريا في لندن في اليوم الثالث من شهر أيار/ مايو 1658، ودفن في كنيسة ويستمنستر. وجاء ابنه ريتشارد خلفاً له ولكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بالسلطة؛ فقد تمكن تشارلز الثاني ابن الملك تشارلز الذي أعدمه كرومويل، من استعادة السلطة عام 1660 في خضم التعقيدات السياسية في إنجلترا آنذاك. وقام الملك الجديد بنبش رفات كرومويل وتعليقه على منصة إعدام للتشهير به باعتباره خائناً، ودفن الرفات فيما بعد في أسفل منصة المشنقة.

وعلى الرغم من قصر الفترة التي شهدت أعماله ذات الأثر المباشر، فإن كرومويل هو أبرز شخصية إنجليزية في عصره، وهو الذي ترك أثراً كبيراً على شكل حكومة بلاده وجيشها مستقبلاً. وكان من الصعب على القوات المؤيدة للنظام البرلماني أن تنتصر في الحرب الأهلية الإنجليزية، أو أن تؤسس المبادئ الديمقراطية التي أثرت في نهاية المطاف في الحركات المشابهة في فرنسا والمستعمرات الأمريكية، لولا المهارات التنظيمية والقيادية التي توافرت لأوليفر كرومويل. وبينما تجيء الحكومات الإنجليزية وتسقط، تبقى إنجلترا كقوة دولية مؤثرة لمئات السنين بفضل قوتها العسكرية التي أسسها كرومويل.

20



دوجــــلاس مـكـارثـــر

Douglas MacArthur

قـائـد أمريكـي

(1964 - 1880)

كان دوجلاس مكارثر قائداً لفرقة عسكرية في الحرب العالمية الأولى، كما عين قائداً للجزء الأعظم من قوات الحلفاء في مسرح العمليات بمنطقة المحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية، وتولى قيادة قوات الأمم المتحدة في كوريا. ويعتبر مكارثر واحداً من أعظم جنرالات الولايات المتحدة الأمريكية، بل وأكثرهم إثارة للجدل. فقد انتهى الذين خدموا تحت إمرته إما إلى حبه وإما كراهيته، لكنهم أجمعوا - حتى أعداؤه - على الاعتراف بذكائه المميز في مجال التخطيط الاستراتيجي، ومهارته في إجادة فنون الحرب البرمائية، وقدرته على تحقيق النصر بأقل الخسائر.

ولد مكارثر وسط عائلة احترفت الجندية بمدينة ليتل روك في ولاية أركنساس، يوم 26 كانون الثاني/ يناير 1880. وكان والده السيد آرثر قد منح قلادة الشرف خلال الحرب الأهلية الأمريكية، كما خدم في الجيش الأمريكي خلال الحرب الإسبانية ـ الأمريكية

وفترة العصيان المسلح الذي وقع في الفلبين. وتمكن مكارثر في مطلع صباه، بمساعدة والدته التي كان لها دور مؤثر في مستقبل حياته المهنية العسكرية، من الالتحاق بالكلية العسكرية في ويست بوينت وكان أول دفعته التي تخرجت عام 1903، وتم تعيينه ضابطاً برتبة ملازم ثان في سلاح المهندسين.

شملت المهام التي أسندت إلى مكارثر في وقت مبكر من حياته العسكرية، فترات خدمة في الفلبين واليابان، حيث خدم كضابط مرافق لوالده الذي وصل حينها إلى رتبة لواء، أثناء فترة عمله كمراقب في الحرب الروسية ـ اليابانية عام 1904 ـ 1905. وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1906، عمل مكارثر لفترة وجيزة كمساعد عسكري للرئيس ثيودور روزفلت ثم ترفع إلى رتبة نقيب، ورافق الحملة التأديبية التي احتلت مدينة فيرا كروز في المكسيك عام 1914.

التحق مكارثر عام 1916 بهيئة أركان وزارة الحربية كرئيس لإدارة المعلومات. وحظي خلال تلك الفترة بإعجاب وزير الحربية نيوتن بيكر (Newton D. Baker) حين اقترح الخطط الخاصة باستخدام وحدات الحرس الوطني في القتال إلى جانب الوحدات النظامية، في حالة دخول الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً في الحرب العالمية الأولى. وعندما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على ألمانيا في 6 نيسان/ إبريل 1917، ساعد مكارثر على تشكيل فرقة مشاة مكونة من وحدات الحرس الوطني المنتقاة من عدة ولايات. وعين مكارثر الذي كان قد وصل إلى رتبة عقيد رئيساً لأركان الفرقة الثانية والأربعين التي أطلق عليها اسم "قوس قزح"، وأبحر معها إلى فرنسا.

عين مكارثر قائد لواء في الفرقة الثانية والأربعين في أيلول/ سبتمبر 1917، وفي الأيام الأخيرة من الحرب تولى قيادة الفرقة، وكان أصغر قائد فرقة خلال فترة نهاية الحرب. وكان مكارثر يقود رجاله من المقدمة، ويعتقد أن جيش العدو لا يمكن أن يناله بسوء، وكان يأمر رجاله على الدوام بضرورة "التقدم بجرأة". كما كان يأنف من اعتمار الخوذة الحديدية، ولم يحمل قناع الوقاية من الغاز، وعرف عنه تسلق المرتفعات بلا سلاح فردي، باستثناء سوط قصير اعتاد حمله. وعند توقيع هدنة الحرب كان

مكارثر قد حصل على أربعة نجوم فضية بفضل شجاعته، كما أثنى عليه الجنرال جون جوزيف بيرشنج الذي قال عنه: «إن مكارثر هو أعظم قائد قوات لدينا».

ظل مكارثر في أوربا في مهمته القيادية حتى شهر حزيران/ يونيو 1919، عندما تم تعيينه مديراً لأركان الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت. وعمل مكارثر، الذي يعتبر أصغر ضابط يتولى ذلك المنصب في تاريخ الأكاديمية - حيث لم يكن قد تجاوز التاسعة والثلاثين من العمر بعد - على تحديث إجراءات الأكاديمية وتنقيح مناهجها التي لم تشهد سوى القليل من التغيير خلال عدة عقود. وغادر مكارثر الأكاديمية عام 1922 ليخدم فترة أخرى في الفلبين، وتولى في عام 1930 وهو برتبة جنرال مهام رئيس أركان الجيش في واشنطن. وعلى الرغم من القيود المالية التي فرضتها ظروف فترة الكساد الكبير، فقد تمكن مكارثر من حشد التأييد والدعم لمزيد من التحديث في سلاح الطيران والمدرعات.

في تشرين الأول/ أكتوبر 1935، نقل مكارثر إلى الفلبين ليقضي فترة خدمة اعتبرها الأخيرة في حياته العسكرية، حيث كلف بمساعدة الفلبينيين في تنظيم وتدريب قواتهم المسلحة استعداداً لاستقلال بلادهم. وتقاعد في 31 كانون الأول/ ديسمبر 1937، مفضلاً البقاء في مانيلا، حيث عمل مستشاراً للجيش الفلبيني برتبة مشير.

ونظراً إلى تزايد الاعتداءات اليابانية، استدعت وزارة الحربية الأمريكية مكارثر للخدمة الفعلية في 26 تموز/ يوليو 1941 كقائد لقوات الجيش الأمريكي العاملة في منطقة الشرق الأقصى، وأصدرت له تعليمات باتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة أي غزو ياباني محتمل للفلبين. ولم يكن مكارثر يعتقد أن لدى اليابانيين الرغبة أو القدرة على مهاجمة الفلبين، فلم يقم بوضع قواته في الاستعداد، حتى بعد تسع ساعات من صدور إنذار عقب تعرض ميناء بيرل هاربر للقصف. ونتيجة لذلك، فقد نجح الهجوم الجوي الياباني في تدمير الجزء الأكبر من أسطوله الجوي، كما أدى الهجوم البري الذي شنه اليابانيون في 22 كانون الأول/ ديسمبر إلى إجبار القوات الأمريكية والفلبينية على التراجع إلى شبه جزيرة باتان (Baatan Peninsula) وجزيرة كوريهدور (Corregidor) المحصنة.

اعتاد مكارثر على المشاركة بنفسه في القتال بغرض رفع الروح المعنوية لجيشه المحدود، ولكن جنوده لم يستطيعوا الصمود في مواجهة الزحف الياباني. وبناء على تعليمات مباشرة من الرئيس روزفلت، انسحب مكارثر وضباطه المعدودون من جزيرة كوريهدور، باستخدام زورق طوربيدي في 11 آذار/ مارس 1942. ولدى وصوله إلى أستراليا منح قلادة الشرف وقال عبارته الشهيرة: «جئت عابراً وسوف أعود». وصمدت الفلبين حتى شهر أيار/ مايو من السنة نفسها قبل أن تستسلم، ومضت سنتان قبل أن يتمكن مكارثر من الوفاء بوعده.

نظراً إلى المنافسة التقليدية بين الجيش والبحرية الأمريكية، فقد تقاسم مكارثر قيادة منطقة المحيط الهادي مع الأميرال تشيستر وليم نيمتس (Chester William Nimitz)، ولكنهما اتفقا على الخطة الاستراتيجية وتعاونا بصورة جيدة. فتقدم الحلفاء نحو اليابان مستخدمين سلسلة من عمليات الإبرار البحري التي مكنتهم من الوثب إلى الجزر الفلبينية مع تحاشي المعاقل القوية لليابانيين. وأدى التنسيق بين القوات البرية والجوية والبحرية الذي أشرف عليه مكارثر، إلى تنفيذ عمليات الإبرار البحري الناجحة، كما استخدم قدراته المميزة في تحديد توقيتات ومواقع الضربات المتتالية، ليحقق الانتصار تلو الانتصار. وفي 20 تشرين الأول/ أكتوبر 1944، وقف مكارثر على ساحل جزيرة ليتي (Leyte) الفلبينية وأعلن «ها قد عدت». وخسر اليابانيون في المعارك التي دارت من أجل السيطرة على الفلبين ما مجموعه 192 ألف جندي مقارنة بثمانية آلاف جندي أمريكي فقط.

أظهر مكارثر طيلة فترة الحرب في منطقة المحيط الهادي وخلال حياته المهنية بأكملها ذكاء متفرداً وكفاءة في المجالات الاستراتيجية واستخدام القوى البشرية والموارد المتوافرة؛ فقد تفوق على أعدائه بجرأته وإقدامه، وساعد حضوره القيادي ووجوده وسط أفراده في ميدان القتال على رفع معنويات رجاله وأكسبه إعجاب الجميع في بلاده.

ترفع مكارثر إلى رتبة قائد جيش في كانون الأول/ ديسمبر 1944، وتم تعيينه في شهر نيسان/ إبريل من السنة التالية قائداً عاماً لقوات الجيش الأمريكي في منطقة المحيط الهادي. وفي 2 أيلول/ سبتمبر 1945، تلقى مكارثر الذي كان قد بلغ الخامسة والستين

من العمر، الإعلان الرسمي عن استسلام اليابان على ظهر السفينة الحربية يو. إس. إس ميسوري (USS Missouri) في خليج طوكيو. وبقي مكارثر في اليابان بعد استسلامها وساهم بقدر كبير في تحولها نحو الحكم الدستوري وخروجها من آثار الدمار الذي خلفته الحرب. وأطلق العديد من اليابانيين على الجنرال الذي كسب احترام وإعجاب أعدائه السابقين لقب "الإمبراطور غير المتوج".

تم تعيين مكارثر قائداً للقيادة الأمريكية بمنطقة الشرق الأقصى عام 1947، وكان يشغل ذلك المنصب حين قامت كوريا الشمالية بغزو الشطر الجنوبي من شبه الجزيرة الكورية في 25 حزيران/ يونيو 1950. وعلى الرغم من هذه المفاجأة الكاملة، فقد تمكن من نقل الوحدات المقاتلة إلى كوريا، وتولى قيادة قوات الأمم المتحدة في 8 تموز/ يوليو 1950. وحين تمكن الأمريكيون بصعوبة من إبطاء تقدم قوات كوريا الشمالية حول منطقة محور بوسان (Pusan)، قام مكارثر في 15 أيلول/ سبتمبر بشن هجوم برمائي على مدينة إينتشون (Inchon) مخالفاً بذلك نصائح جميع مساعديه تقريباً. إلا أن ذلك الإبرار حقق نجاحاً تاماً، حيث أدى إلى فصل قوات كوريا الشمالية الغازية وإجبارها على الانسحاب بعد هزيمة ماحقة.

بحلول شهر تشرين الأول/ أكتوبر من السنة نفسها كان الحلفاء قد توغلوا داخل كوريا الشمالية، وكانوا أقرب إلى إعلان انتصارهم النهائي في تلك الحرب، حين تدخلت الصين لتجبر قوات الأمم المتحدة على التراجع جنوباً في شبه الجزيرة الكورية. فتبنى مكارثر فكرة فرض حصار على الساحل الصيني وقصف أهداف داخل الصين نفسها، ولم يستبعد استخدام الأسلحة النووية. كما اقترح الاستعانة بقوات المقاومة الوطنية الصينية من فرموزا (تايوان) لتساند قوات الأمم المتحدة. لكن هذه الخيارات لم تجد مؤيداً في الحكومة الأمريكية، وحين أصر مكارثر على أفكاره ومقترحاته وتقدم بها كمطالب رسمية، أمر الرئيس هاري ترومان بتنحيته عن موقعه القيادي في 11 نيسان/ إبريل 1951.

عاد مكارثر إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك، وكانت تلك أول مرة يعود فيها إلى بلاده منذ عام 1937. وتجمع أكبر حشد استعراضي في تاريخ مدينة نيويورك

- قدر بأكثر من 7 ملايين فرد - للترحيب بعودته إلى موطنه. وفي بادرة تكريم نادرة، دعاه الكونجرس إلى مخاطبة جلسة مشتركة لمجلسي النواب والشيوخ. وختم مكارثر خطابه الذي ألقاه في تلك المناسبة بعبارة لا تنسى حيث قال: «العسكريون القدامى لا يموتون، وإنما يخبو نشاطهم فقط». وفي نهاية ذلك الخطاب المؤثر وقف عضو الكونجرس ديوي شورت (Dewey Short)، الذي تلقى تعليمه في جامعتي هارفارد وأكسفورد، على منصة المجلس وخاطب الأعضاء قائلاً: «كأننا نستمع إلى حديث رباني يلقيه على مسامعنا اليوم إنسان من لحم ودم».

لكن نشاط مكارثر تضاءل وخبا بالفعل. فقد انتقل إلى منطقة وولدورف - أستوريا (Waldorf-Astoria) في نيويورك وظل في معزل عن الحياة العامة، باستثناء مشاركته في اجتماعات مجالس إدارات عدد من المؤسسات الكبيرة وإلقاء الخطب في مناسبات معينة يدعى إليها. وفي إحدى تلك المناسبات قدم عصارة تجربته في حياة الجندية ضمن خطاب ألقاه أمام طلاب الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت عام 1962، موجزاً إياها في ثلاث كلمات هي "الواجب، الشرف، الوطن". وتوفي مكارثر في سن الرابعة والثمانين، في 5 نيسان/ إبريل 1964 بمركز والتر ريد (Walter Reed) الطبي العسكري في واشنطن، ودفن في نورفوك (Norfolk) بولاية فرجينيا.

ماتزال شخصية مكارثر تحتل مكانة مميزة بين الأمريكيين والقادة العسكريين على مستوى العالم، إذ نادراً ما يقارن بأي قائد آخر، ويصعب في الوقت نفسه وصف كل خصائص شخصيته المتفردة؛ فقد جمع بين الغرور والغطرسة والتمسك بالرأي وضيق الأفق ولم يعترف بعيوبه مطلقاً، ولعله لم يشعر بها مطلقاً، وكان من شدة زهوه واعتداده بشخصه لا يتحدث عن نفسه إلا بصيغة التبجيل. ويعتبر مكارثر واحداً ضمن قلة من القادة العسكريين الأمريكيين الذين تحدوا تحدياً مباشراً سلطة القائد العام المدني وهو الرئيس الأمريكي. وكان مكارثر وسيماً وأنيقاً في لباسه، وكان يطلب من المصورين التقاط الصور له من زاوية سفلى ليبدو أطول قامة وأكثر هيبة.

وبغض النظر عن نقاط ضعف مكارثر، فقد حقق لنفسه مكانة مميزة كواحد من أبرز القادة في فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها، وذلك بهزيمته لليابانيين في منطقة المحيط

الهادي وبإنقاذ كوريا الجنوبية من الغزو الذي شنته قوات الشطر الشمالي. وليس هناك من يتفوق على مكارثر، الذي خدم كضابط عادي ثم كقائد عسكري بارز في الفترة الممتدة من الحرب العالمية الأولى إلى العصر النووي ثم فترة الحرب الباردة، ليمتد تأثيره المباشر في تطور الجيش الأمريكي فيما بعد، سوى وينفيلد سكوت (Winfield Scott). وبالرغم من الجدل الذي يثيره أي نقاش عن شخصية مكارثر، فإن القليلين فقط يختلفون مع الرأي الذي يعتبره واحداً من أكثر القادة نفوذاً وشهرة في التاريخ الحديث.

21



كارل فون كلاوسفيتس
Karl von Clausewitz
قائد بروسي
(1831 - 1780)

كارل فون كلاوسفيتس هو مؤلف أشهر مرجع عسكري في التاريخ، وهو المرجع الذي اختار له عنوان «**عن الحرب**» *Vom Kriege* . وظل كلاوسفيتس يؤثر في تفكير القادة العسكريين منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا، بنظريته حول التداخل بين السياسة والمؤسسة العسكرية والسكان وتكامل هذه العوامل مع تصوره عن عنصري المصادفة والظروف. كما كان له أثر مباشر في الإصلاحات التي أدخلت على الجيش البروسي والتي أدت إلى هزيمة نابليون. وقام بوضع التنظيم العسكري لهيئة الأركان الذي استخدمه الجيش البروسي، والجيوش الألمانية فيما بعد، كما وضع الإجراءات المنظمة للتدريب ولتطوير المهارات المهنية لدى الضباط.

التحق كلاوسفيتس بسلك الجندية منذ مطلع صباه؛ فقد ولد في الأول من حزيران/ يونيو 1780 بالقرب من مدينة ماجدبورك (Magdeburg) في بروسيا، وكان

والده ضابطاً متقاعداً. والتحق كلاوسفيتس بالجيش وهو في الثانية عشرة من عمره، وخاض أول تجربة قتالية في حياته ضد الفرنسيين بعد سنة واحدة من التحاقه بالخدمة. وتم قبوله عام 1801 في الأكاديمية العسكرية التي أنشئت حديثاً في برلين، حيث درس أفكار فريدريك الأكبر وميكافيلي، بالإضافة إلى دراسة التاريخ العسكري لبروسيا والدول الكبرى الأخرى.

وبعد التخرج من الكلية، التحق بالخدمة العسكرية مرة أخرى، وأسره الفرنسيون عام 1806 خلال معركة برينزلو (Prenzlau). وأتاحت له السنة التي قضاها في الأسر الفرصة للتأمل في المفاهيم الحربية قبل العودة إلى بروسيا، ليعين مدرباً خاصاً لولي العهد فيها ورئيساً لإحدى إدارات وزارة الحربية. وقام كلاوسفيتس أثناء تدريبه لولي العهد بكتابة مذكرة تدريبية نشرت فيما بعد بعنوان **«مبادىء الحرب»** ***Principles of War***، ناقش فيها العلاقة بين الهجوم والدفاع وأهمية معرفة التوقيت الصحيح والملائم للتحول من مرحلة إلى أخرى. كما توقع فشل نابليون إذا ما قام بغزو روسيا بسبب التطور والتحديث الذي أدخل على الجيش الروسي، بالإضافة إلى اتساع مساحة البلاد وقسوة شتائها.

وفي عام 1812، رفض كلاوسفيتس المشاركة في التحالف الذي دخلت فيه بروسيا قسراً مع عدوتها السابقة فرنسا، وفضل الهروب من الخدمة بدلاً من مساعدة نابليون في حربه ضد روسيا. وكان ذلك هو رأي العديد من رفاقه الضباط الذين اعتبروا التحالف ضد روسيا مناقضاً لمصلحة بلادهم. وذهب كلاوسفيتس ليلتحق بالجيش الروسي، وخدم في مواقع مختلفة طيلة سنتين، حيث عمل رئيساً لأركان سلاح المشاة، وقاد المفاوضات التي أقنع فيها قادة الجيش البروسي بتغيير موقفهم والعمل مع الروس ضد الفرنسيين.

وبعد إعادة كلاوسفيتس للخدمة في الجيش البروسي، عقب التحالف مع روسيا، قضى الفترة المتبقية من الحرب مقاتلاً ضد نابليون. وفي عام 1818 نال الترقية إلى رتبة لواء، وعين مديراً لكلية الحرب العليا في برلين. وكرس جهده طوال أكثر من عقد لإعادة تنظيم الجيش البروسي وتسجيل فلسفته وأفكاره العسكرية في المرجع الذي اختار له

عنوان «عن الحرب». وفي عام 1830 التحق بقوات الاستطلاع والرصد البروسية خلال فترة الثورة البولندية، وأصيب أثناء وجوده هناك بمرض الكوليرا وهو في الحادية والخمسين من عمره، وتوفي بعد عودته إلى بريزلو (Breslau) في 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 1831.

لم يكن كلاوسفيتس قد أكمل مسودة كتابه المطول حول النظرية العسكرية عند موته؛ لذا فقد تولت أرملته ماري جمع كتابات زوجها المختلفة بدءاً من عام 1832، وتمكنت خلال السنوات الخمس التالية من إصدار عشرة مجلدات من أعماله. وتعتبر المجلدات الثلاثة الأولى التي يتكون منها كتابه «عن الحرب» هي الأكثر أهمية وصلة بالواقع.

اعتبر كلاوسفيتس في كتاباته أن الحرب والسياسة شيء واحد، وطالب بأن يتولى الزعماء السياسيون توجيه الحرب لتحقيق أهدافها. وقد وضح هذه العلاقة في عبارة واحدة حين قال: «إن الحرب هي امتداد للعملية السياسية بوسائل مختلفة».

حاول كلاوسفيتس أيضاً أن يجعل من العمليات العسكرية علماً قائماً بذاته. فقد استخدم فكرة "الاحتكاك" المعروفة في العلوم الطبيعية وطبقها على المجال العسكري، وعرّفها بعناصر الإجهاد والأخطاء الثانوية وعوامل المصادفة أو الحظ العاثر التي تنتهي بالخطط الجيدة إلى الفشل بدلاً من تحقيق النجاح. وأضاف بأن على المرء أن يؤسس النظرية على الحقائق دائماً لكي يحقق أي مكسب منتظر، وأشار إلى أن الأهداف التي تبدو سهلة قد تكون صعبة، إن لم تكن مستحيلة التحقيق.

ركز كلاوسفيتس في كل كتاباته على أن المهمة الأساسية لأي جيش هي الاشتباك مع القوة الرئيسية للعدو وتدميرها في معركة حاسمة، وتمسك بضرورة أن تركز الاستراتيجية العامة على تدمير جيش العدو بهذا النحو.

أقر كلاوسفيتس أنه لكي يتمكن أي قائد من كسب المعارك الحاسمة، وتحقيق أهدافه السياسية تبعاً لذلك، فلابد من أن يقتنع القادة والجنود بتلك الأهداف، وأن تتوافر لهم روح معنوية مرتفعة للغاية. ويقول في كتابه «عن الحرب»: «لابد من توافر الدافع العاطفي القوي الذي يستحث القدرة العظيمة لدى القائد العسكري، سواء كان ذلك

الدافع هو الطموح (كما حدث في حالة قيصر)، أو الكراهية الشديدة للعدو (كما كان في حالة هنيبعل)، أو الإحساس بالفخر العظيم نتيجة هزيمة العدو (كما في حالة فريدريك الأكبر)». وقال كلاوسفيتس: «افتح قلبك لعاطفة كهذه، وكن مصمماً على الوصول إلى الهدف المجيد، حينها فقط سيتوج القدر جبينك بالمفخرة والمجد الساطع، الذي هو زينة الأمراء، كما سيخلد صورتك في قلوب أحفادك».

سجل كلاوسفيتس، ضمن كتاباته الواسعة، رغبته في تأليف مرجع عن فن الحرب «لا يكون عرضة للنسيان خلال سنتين أو ثلاث». ولاشك في أن كتاب كلاوسفيتس قد تخطى ذلك الحاجز الزمني. فعلى الرغم من أن كتابات أنطوان هنري جوميني قد حققت شهرة أكبر في أنحاء العالم خلال القرن التاسع عشر، فإن الجيش البروسي اعتبر كلاوسفيتس مؤلف إنجيله في مجال النظرية العسكرية. وقد تزايد الذين تبنوا أفكار كلاوسفيتس مع مرور الوقت، بينما تناقص مؤيدو أفكار جوميني. وبحلول القرن العشرين أصبح الضباط في الجيوش الكبيرة والصغيرة على حد سواء يدرسون أفكار كلاوسفيتس العسكرية.

كتب الجنرال فون بلومبيرج (Von Blomberg) وزير الحربية الألماني، مقدمة للطبعة الخامسة عشرة من كتاب كلاوسفيتس «**عن الحرب**» التي صدرت عام 1937، يقول فيها: «على الرغم من كل التغيرات التي طرأت على التنظيم وأساليب العمل العسكري، فإن كتاب كلاوسفيتس سيبقى دوماً أساساً لأي تطوير حقيقي لفن الحرب».

22



آرثـــر ويلزلـــي (دوق ويلنجتـــون الأول)
Arthur Wellesley (First Duke of Wellington)
قائد بريطاني
(1852 - 1769)

احتل دوق ويلنجتون مكانته كواحد من أبرز القادة العسكريين على مر الأزمان، حتى قبل أن يهزم نابليون بوقت طويل. وجاءت تلك المكانة نتيجة حذقه لأساليب الحرب السائدة في عصره، وليس لابتداعه أي طرق جديدة في فنون القتال. نجح ويلزلي في تنسيق عناصر المناورة واستخدام الإسناد المدفعي والقدرة على استغلال التضاريس، فساعدته هذه العوامل على تحقيق الانتصارات العسكرية في كل أنحاء الإمبراطورية البريطانية والقارة الأوربية بأكملها. لكن هزيمته لنابليون في معركة ووترلو الشهيرة عام 1815 هي التي حققت له تلك المنزلة الرفيعة كواحد من أبرز القادة العسكريين المعروفين في تاريخ بريطانيا والعالم بأجمعه.

ولد ويلزلي لعائلة إنجليزية - أيرلندية بمدينة دبلن في 1 أيار/ مايو 1769 (هذا على الأرجح، إذ لم يتم تحديد تاريخ ومكان ميلاده المؤكدين)، وتنتمي عائلته إلى طبقة

النبلاء، ولكنها كانت من العائلات التي تبددت ثرواتها. ولم يحقق الصبي آرثر ويلزلي أي تفوق لافت للنظر خلال فترة تعليمه في مدرسة إيتون (Eaton). وبعد أن صنفته العائلة وأسرة التدريس في المدرسة المرموقة كتلميذ متواضع الذكاء، اختار ويلزلي الحياة العسكرية التي توسم فيها فرصته الوحيدة لتحقيق التفوق الذي يميزه عن الآخرين. وبعد التخرج من أكاديمية عسكرية فرنسية في آنجيه (Angers) دفع مبلغاً من المال، طبقاً لما كان سائداً حينها، نظير تعيينه ضابطاً في كتيبة المشاة الراجلة الثالثة والسبعين، وكان عمره في ذلك الحين ستة عشر عاماً فقط.

تدرج ويلزلي في سلم الرتب بسرعة عن طريق شرائها، كما كانت العادة المتبعة حينها، وليس بفضل كفاءته المهنية. فقد وصل وهو في سن الخامسة والعشرين إلى رتبة مقدم، وأصبح قائداً لكتيبة المشاة الثالثة والثلاثين. ولم يشترك في أي قتال خلال العقد الأول من فترة خدمته العسكرية، حيث قضى أغلب وقته ملحقاً بالبرلمان الأيرلندي ومستمتعاً بالحياة الاجتماعية فيه. وجاءت أول مشاركة فعلية له في القتال أثناء الحملات التي شنها الجيش البريطاني ضد هولندا خلال الفترة 1793 ـ 1795. فبرز كجندي شجاع ومقتدر أثناء عدد من المعارك التي خطط لها ونفذها رؤساؤه بمستوى ضعيف. وتولى قيادة القوات التي أمنت حراسة مؤخرة الجيش البريطاني أثناء انسحابه من هولندا في خريف عام 1794.

عاد ويلزلي إلى إنجلترا ليبحث عن حرفة أخرى بعد الإحباط الذي أصيب به بسبب ما شهده من عدم كفاءة لدى قادته، ومن ضمنهم دوق يورك، فضلاً عما اعتبره خسارة غير مبررة لحياة عدد كبير من الجنود. وعندما فشل في الحصول على وظيفة جديدة، عاد بعد تردد لمواصلة الخدمة في الجيش وأبحر مع كتيبته إلى الهند. ويبدو أن ويلزلي قد قرر تكريس جهده من جديد لاحتراف الجندية حيث تخلى عن معاقرة الخمر ولعب القمار. وتعززت فرصه في التقدم عندما أصبح شقيقه ريتشارد حاكماً عاماً على الهند وبدأ يعينه في مواقع مسؤولية أعلى باطراد. ورغم المحاباة التي صعدت به إلى المكانة القيادية، فإنه قد أثبت كفاءة تامة في مقاومة المعارضة الهندية، فقد هزم عام 1799 سلطان ميسور (Mysore) في سيرنجباتام (Seringapatam). كما تمكن بعد أربع

سنوات وبقوة لم تتجاوز 7 آلاف رجل و22 مدفعاً، من هزيمة جيش من قبائل المهراتا (Mahrattas) [قبائل هندوسية] مكون من 40 ألف جندي تدعمهم مئة قطعة مدفعية في أساي (Assaye).

عاد ويلزلي إلى إنجلترا ليرفَّع إلى رتبة فارس عام 1805. وفي عام 1807 قاد فرقة مقاتلة خلال المواجهات الوجيزة مع الدنمارك، وانتصر في المعركة الرئيسية الوحيدة التي وقعت بمدينة كيوجي (Kioge) في 29 آب/ أغسطس من العام ذاته. وفي العام التالي أبحر ويلزلي الذي كان قد ترقى إلى رتبة فريق، باتجاه البرتغال على رأس 17 ألف جندي لمواجهة قوات نابليون الغازية. وقام ويلزلي خلال الأعوام الستة التالية بتعزيز سمعته المتألقة بتحقيق انتصارات متكررة على الفرنسيين في المعارك التي وقعت بكل من تلافيرا دي لارينا (Talavera de la Reina) عام 1809، وسالمانكا (Salamanca) عام 1812، وفيتوريا (Vetoria) عام 1813. وأجبر النصر الذي حققه في تولوز (Toulouse) عام 1814 ما تبقى من القوات الفرنسية على الخروج من شبه جزيرة أيبيريا. وبينما كان ويلزلي يستعد لمطاردة الناجين في داخل الأراضي الفرنسية، وصلته أنباء تنازل نابليون عن العرش.

حقق ويلزلي انتصارات لاحقة في البرتغال وإسبانيا باتباع تكتيكات واستراتيجيات مختلفة. ومن أنجح تكتيكاته الانتقال ما بين حالتي الدفاع والهجوم مع اتباع سياسة الأرض المحروقة. ولأنه كان مدركاً محدودية احتياطيه من القوة البشرية، ويتجنب التعرض للخسائر التي لا طائل من ورائها، فقد كان يركز على التخطيط التفصيلي والعمل بمنهجية مدروسة. وفي الواقع، كانت تكتيكاته مبسطة تماماً؛ فهو يحقق النصر بتركيز قوة نيرانه المتفوقة على العدو، ثم يكتسحه بعدد أكبر من الجنود الأفضل تدريباً وحماسة للقتال.

كان ويلزلي الذي أصبح فيما بعد دوق ويلنجتون يفضل عدم المبادرة إلى الهجوم ويختار استدراج العدو نحوه، وإغراءه للتقدم نحوه ومطاردته عبر الأرياف التي يكون قد أحرقها وأفرغها من الغذاء والمؤن. كما كان يختار مواقع دفاعاته المحصنة جيداً على أفضل الأراضي والمظاهر الطبيعية التي توفر الحماية لجنوده ضد نيران المدفعية، وتزيد

صعوبة تنفيذ أي هجوم من طرف العدو. كما أضاف إلى قوته القتالية زيادة عدد الجنود الذين يقومون بالمناوشة والتقدم، لتشتيت قوة العدو الهجومية أو لاستدراجه لمواجهة أقوى الدفاعات. وفي المؤخرة يحتفظ ويلزلي بخطوط اتصال محمية تربطه بميناء مؤمن يتيح له تلقي المؤن وسد النقص في الأفراد.

وحالما تظهر قوات العدو - التي تكون منهكة وجائعة بسبب افتقارها إلى التموين، حيث كانت الجيوش في تلك الحقبة تعيش على ما يتوافر من الأرض من محاصيل وغيرها - يقوم ويلزلي بالإشراف بنفسه على توجيه قواته المتحصنة التي تنفذ واجباتها بانضباط تام. وبعد انسحاب قوة العدو المهاجمة، يتولى ويلزلي مطاردتها والقضاء على الناجين من أفرادها.

عاد ويلزلي في الخامسة والأربعين من عمره من إسبانيا إلى بلاده ليكافأ بتولي مسؤوليات إدارية أعلى، وبتكريم كبير شمل الأموال والأراضي، كما منح لقب دوق ويلنجتون الأول. وتم تكريمه بإطلاق لقب " قاهر فاتح أوربا " وقام بتمثيل بريطانيا في مؤتمر فيينا الذي اجتمع في مطلع عام 1815 لتقسيم إمبراطورية نابليون. وقبل انتهاء المؤتمر وصلت أنباء تفيد بهروب نابليون من منفاه في جزيرة إلبا وعودته إلى فرنسا لمواصلة القتال من جديد. وبينما كان ويلزلي يهم بالمغادرة لتولي قيادة جيوش الحلفاء خاطبه قيصر روسيا ألكسندر الأول قائلاً: «بوسعك أن تنقذ العالم مرة أخرى».

كانت مهمة " إنقاذ العالم مرة أخرى " هي التي باشرها دوق ويلنجتون على وجه التحديد. فعلى الرغم من تفوق قوات نابليون من حيث العدد، وعدم توافر المعلومات المبدئية الصحيحة عن الطريق الذي يتقدم عليه نابليون، فإن ويلزلي قد فضل كعادته الأراضي ذات التضاريس الطبيعية التي توفر أكبر قدر من الحماية الدفاعية، واختار الأرض المرتفعة الوحيدة في المنطقة. وفي 18 حزيران/ يونيو 1815، وبمساعدة كبيرة من المشير البروسي جيبهارد ليبرخت فون بلوخر، تمكن ويلزلي من هزيمة نابليون في معركة حاسمة هي معركة ووترلو التي جرت في منطقة السهول الوسطى في بلجيكا. وكانت تلك المعركة هي الأخيرة لكل من نابليون وويلزلي، فقد لجأ نابليون إلى منفاه في جزيرة سانت هيلينا، بينما استمر ويلزلي في التمتع بالمزيد من الشهرة والثروة.

وعـقب مـعـركـة ووترلـو عـاد ويلزلــي الذي أصـبح يعـرف على نطاق واسع بلقب "الدوق الحـديدي" إلى بلاده ليـعـمل خـلال الثـلاثين عـامـاً التـاليـة وزيراً وعـضـواً في البرلمان، قبل أن يصبح رئيساً للوزراء عام 1828، ثم قائداً عاماً للجيش البريطاني عام 1842، ليتقاعد عن شغل المناصب العامة في عام 1846. توفي ويلزلي في والمر كاسل (Walmer Castle) بمقاطعة كنت في 14 أيلول/ سبتمبر 1852، وكان في الثالثة والثمانين من العمر، وأقيم له قداس ومراسم تشييع كبيرة في كاتدرائية القديس بولس في لندن.

أظهر ويلزلـي بالإضافة إلى عبقريته في مجال التكتيك والتخطيط الاستراتيجي، شجاعة نادرة وتماسكاً وهدوءاً أثناء المعركة. وعلى الرغم من أنه لـم يكن محبوباً كثيراً بين أفراد قواته الذين كان يصفهم "بحثالة الأرض"، فإنه تمكن من كسب احترامهم لإدراكهم حرصه التام على الحد من الخسائر البشرية في جيشه، وقدرته على ضمان إطعامهم وتسليحهم وتموينهم بصورة جيدة. وكان ويلزلي يأنف الرفاهيات التي تتوافر عادة للقادة في المعسكر الميداني، بل كان يفضل العيش بتقشف، ويقضي أغلب الوقت على صهوة حصانه متفقداً رجاله أو متجولاً لتقويم الأراضي المحيطة بمعسكره. كما اشتهر بقدراته القيادية في التأثير في مرؤوسيه؛ إذ كان بوسعه وهو المعروف بانضباطه المتشدد، أن يكون لاذعاً في السخرية وتكدير المخالفين من جنوده، وفي الوقت نفسه البكاء على جندي مجهول سقط شهيداً في المعركة.

حققت إنجازات ويلزلي فترة سلام مؤقتة في أوربا وجعلت من بريطانيا العظمى دولـة قوية فرضــت هيمنتها على العالم لفترة طويلة. ومايزال ويلزلي وجون تشرشل (John Churchil) دوق مارلبورو يحظيان بأكبر قدر من التقدير والاحترام الذي تكنه بريطانيا لأبرز قادتها العسكريين. وعلى الرغم من أن نابليون يحتل مرتبة أعلى وفقاً لتسلسل الشخصيات في هذا الكتاب، من حيث تأثيره الممتد في فن الحرب وفي الحضارة بشكل عام، فإن دوق ويلنجتون قد فاقه في تلك المعركة الحاسمة التي لا يكسبها إلا جنرال عظيم.

23



سـون تسـو

Sun Tzu

كـاتب صيـني

(حوالي 400 - 330 قبل الميلاد)

ألف سون تسو في القرن الرابع قبل الميلاد المرجع الصيني الكلاسيكي **«فن الحرب»** *Ping-fa*، وهو من أقدم المراجع المعروفة في مجال النظرية العسكرية والاستراتيجية. وظل ذلك السفر الذي يحوي خمسة وعشرين ألف كلمة والمؤلف من ثلاثة عشر فصلاً، على امتداد عقود عديدة، هو المصدر الرئيسي للعقيدة الحربية في الصين مع تأثيره الكبير في اليابانيين. وعكف ماو تسي تونج في العصر الحديث على دراسة التوجيهات التي يتضمنها ذلك المرجع خلال فترة نضاله لقيادة الاجتياح الشيوعي للصين. كما اطلع عليه فو نيجين جياب (Vo Nguyen Giap) خلال حربي الهند الصينية الأولى والثانية. ومايزال القادة العسكريون، الثوريون منهم والتقليديون، إضافة إلى رجال الأعمال والصناعة، يسعون للحصول على ما يستنيرون به في مجالاتهم من مرجع **«فن الحرب»**. وهو بالنسبة إلى البعض مجرد مرجع أولي، بينما يعتبره آخرون كتاباً مكتملاً في مجال فنون الحرب.

يرى بعض المؤرخين الصينيين أن سون تسو قد ظهر في القرن السادس قبل الميلاد تقريباً، ولكن محتوى المرجع نفسه يرجح أن يكون ظهوره الأول في القرن الرابع قبل الميلاد. هناك بعض الأدلة التي تظهر أن سون تسو قد خدم في جيش ملك مملكة "وو" (Wu) [مملكة صينية قديمة]، ويظهر اسمه في الوثائق التاريخية باعتباره القائد العسكري الذي استولى على مدينة ينج (Ying) عاصمة إقليم تشو أوو (Chu'u). وتنسب روايات تاريخية أخرى إلى سون تسو الفضل في هزيمة ولايتي تشي إي (Chi'i) وتشين (Chin) بشمالي الصين. ومن أكثر القصص التي تردد سردها عن سون تسو، استخدامه لعدد كبير من محظيات حاشية ملك مملكة "وو"، ليشرح لمليكه الكيفية التي يجب أن يؤدي بها الجنود مختلف التدريبات والتحركات العسكرية.

درس الصينيون والمغول ما احتوى عليه مرجع **«فن الحرب»** من تعاليم وظلوا يطبقونها لعدة قرون. وظهرت أول ترجمة يابانية كاملة للكتاب في حوالي عام 760 م، ولكن هنالك شواهد قوية تدل على أن أجزاء من ذلك العمل على الأقل قد ظهرت في اليابان قبل مئات السنين. ولم يحظ المرجع نفسه بأي اهتمام في العالم الغربي حتى عام 1722، حين قام الأب آرنيوت (J. J. M. Arniot)، وهو مبشر مسيحي من الطائفة اليسوعية أرسل إلى بكين، بترجمة الكتاب ونشره في باريس. وعادت الترجمة إلى الظهور في نسخة مطبوعة عام 1782، وهي النسخة التي يرجح أن يكون نابليون، الشغوف بالقراءة، قد اقتناها. وظهرت ترجمات لذلك العمل إلى اللغات الروسية والألمانية والإنجليزية في القرن التالي. وتتوافر اليوم ست نسخ من الترجمة الإنجليزية له، وتجتذب نسخة عام 1963 التي أعدها صمويل جريفيث (Samuel B. Grifith)، وهي عبارة عن توسيع لأطروحته التي أعدها في جامعة أكسفورد عام 1960، أكبر عدد من المهتمين والقراء.

لا تعترف الحرب - التي تعتبر أبعد ما تكون عن العلوم القياسية - بالقواعد والتوجهات المحددة كما لا تتسق كثيراً مع البيئة الأكاديمية. ورغم ذلك يعتبر مرجع **«فن الحرب»** تسجيلاً خطياً لأول جهد يسخر الفكر العقلاني كأساس لتخطيط وتنفيذ الأعمال القتالية. ويبدو أن هناك تبسيطاً شديداً في الكثير من النصائح التي قدمها سون

تسو في كتابه، ومع ذلك فقد أظهرت مئات السنوات من النزاعات المسلحة انتهاكات متكررة لأكثر المبادئ الأساسية التي ضمنها فيه.

تحدث كتاب «فن الحرب» عن مبدأين جوهريين هما (1) تجهيز دفاعات ملائمة لصد أي هجوم و(2) البحث عن سبل ناجعة لهزيمة العدو. لكن الجانب الأهم في المبدأ الأخير - وربما كان الأصعب تنفيذاً - هو البحث عن أساليب لهزيمة العدو دون الاشتباك معه في معركة فعلية. وقد أشار جريفيث في تقديمه للنسخة التي أصدر ترجمتها إلى أن سون تسو كان يرى بأن «على المخطط الاستراتيجي الناجح أن يجد السبل لإخضاع جيش العدو دون أن يشتبك معه، وأن يستولي على مدنه دون الحاجة إلى محاصرتها، وأن يسقط دولته دون أن يريق الدماء».

يعتبر استخدام القوة العسكرية هو الملاذ الأخير وفقاً لما جاء في تعاليم سون تسو. فهو يرى بأن يجرب الطرف المعني، قبل الدخول في القتال الفعلي، تكتيكات أخرى مثل نشر الإشاعات في معسكر العدو وتقديم رشاوى للتأثير في قياداته، فضلاً عن محاولة زعزعة الثقة وإضعاف الروح المعنوية والقدرات. وشجع سون تسو في كتابه على ضرورة القيام بالاستطلاع التفصيلي وجمع المعلومات عن العدو والأرض قبل مباشرة العمل القتالي. وقال أيضاً: «ليس هناك من بلد أفادته حرب طويلة الأمد»، كما دعا إلى تنفيذ الهجوم العاجل والحاسم.

تشمل العبارات التي يتكرر اقتباسها من كتاب «فن الحرب» مقولات مثل «اعرف عدوك واعرف نفسك ليكون النصر حليفك حتماً»، وأخرى مثل «تجنب مكامن القوة وهاجم نقاط الضعف». كما تعتبر تحليلاته عن القادة الناجحين مبسطة ومباشرة بذات القدر، حيث يقول عنهم: «إنهم يدافعون حين تكون القوة غير كافية، ويهاجمون حينما تتوافر بكثرة».

وعلى الرغم من أن سون تسو قد كتب النص الأصلي لكتابه كدليل توجيهي للعمليات الحربية التقليدية، فقد أعطت التطورات التي حدثت في القرن العشرين مرجعه مصداقية كدليل في مجال حرب العصابات. فقد درسه ماو تسي تونغ في الصين

وجياب في فيتنام، كما ارتفعت نسبة مبيعات نسخة جريفيث المترجمة في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء حرب فيتنام. وامتدح الكاتب العسكري البريطاني ليدل هارت (B. H. Liddel Hart) في الاستهلال الذي كتبه لنسخة ترجمة جريفيث، أفكار سون تسو، وقال عنه: «لا يوجد مفكر عسكري سابق تمكن مقارنته به سوى كلاوسفيتس، وحتى كلاوسفيتس يعتبر "قديماً" بالمقارنة مع سون تسو... يمتلك سون تسو تصوراً أوضح، ورؤية أعمق وتجدداً أبدياً».

اختار سون تسو ثلاثة عشر عنواناً لفصول كتابه؛ هي: «التقديرات»، «شن الحرب»، «الاستراتيجية الهجومية»، «الوضعيات»، «الجهد»، «نقاط القوة والضعف»، «المناورة»، «المتغيرات التسعة»، «المسير»، «التضاريس»، «الأنواع التسعة من الأرض»، «الهجوم بالنيران»، و«استخدام العملاء السريين». ومازال هذه العناوين توفر الخطوط الرئيسية لأي دراسة عن فن الحرب المحير. لقد كانت دراسة سون تسو هي أول مرجع يرصد جوانب هذا الفن، ولكن المدهش أنه قد حقق غرضه بالمستوى نفسه أو بأفضل من كل الذين أتوا من بعده. إن كتاب **«فن الحرب»** هو مرجع سهل ومبسط، وهو وثيقة مقروءة وملائمة لكل مراكز التدريب العسكري وللجندي العادي.

وكما قال هارت، فعلى الرغم من أن سون تسو يعتبر أكثر تجدداً ومعاصرة بالمقارنة مع كلاوسفيتس، فإن الأخير قد استطاع بتوجهه الأوربي، أن يؤثر بقدر أكبر في التاريخ العسكري إذا ما قورن بكل من سون تسو أو أنطوان هنري جوميني. ولم يكن لأي من هؤلاء الثلاثة مساهمة بارزة في ميدان المعركة، ومع ذلك فقد امتد تأثيرهم إلى مدى أطول من الأثر الذي خلفه عدد من القادة الميدانيين.

24



هرمن ـ موريس (كونت سكسونيا)
Hermann-Maurice (Comte de Saxe)
قائد فرنسي
(1750 - 1696)

نال هرمن ـ موريس كونت سكسونيا رتبة مشير فرنسا، نظراً إلى دوره القيادي خلال حرب خلافة العرش الملكي النمساوي التي وقعت في الفترة (1740 ـ 1748). ويتربع موريس المعروف ببراعته في مجال التكتيك ومهارته كقائد يستطيع حث جنوده للانتصار في المعارك، حتى في حالة التفوق العددي للعدو، على رأس قائمة أبرز القادة العسكريين الذين عاشوا في فترة منتصف القرن الثامن عشر. وكان لكتاباته العسكرية - وبخاصة المضمنة في كتابه «**أفكاري**» *Mes reveries*، والتي شملت موضوعات مثل قابلية الحركة والتدريب والانضباط والروح المعنوية - أثر في القادة الذين ظهروا بعده ومنهم نابليون الأول.

ولد هرمن ـ موريس في 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1696، بمدينة جوسلار (Goslar) وكان واحداً من أكثر من ثلاثمئة طفل غير شرعي أنجبهم فريدريك أغسطس (Frederick

(Augustus) أمير سكسونيا الذي أصبح فيما بعد ملكاً على بولندا. رتب فريدريك منح رتبة شرفية (رتبة فخرية) لموريس، عند بلوغه سن الثانية عشرة، ليعمل كضابط في قوات المشاة الساكسونية. وبعد أن خدم مع الأمير أوجين حاكم سافوي، ومع دوق مارلبورو عام 1709، تسلم موريس لقب كونت سكسونيا (يكتب باللغة الفرنسية Comte de Saxe) من والده عام 1711، وخدم ضمن صفوف جيش الإمبراطورية الألمانية في المعارك التي جرت عام 1712 ضد القوات السويدية بمدينة بوميرانيا، كما شارك في حصار شترلزونت (Stralsund). حصل موريس وهو في سن السابعة عشرة على رتبة عقيد، وانغمس في حياة المجون والملذات التي عجلت بانتهاء حياته ومساهماته العسكرية فيما بعد.

تزوج كونت سكسونيا عام 1713، وبدد ثروة زوجته في الإنفاق على نساء أخريات، ثم أقنع والده بأن يشتري له رتبة عقيد في كتيبة ألمانية كانت تخدم في فرنسا عام 1719. واصل الخدمة العسكرية القاسية إلى جانب التمتع بحياته الماجنة في فرنسا البلد الذي اختار العيش فيه، وعكف على دراسة أساليب وفنون الحرب. وترقى إلى رتبة عميد بعد أن حقق شهرة واسعة كمدرب ماهر للجنود، خاصة في كيفية استخدام البندقية.

شكلت حرب خلافة العرش البولندي التي اندلعت عام 1733، مع وفاة والده الملك فريدريك الذي كان حاكماً على بولندا، تحدياً بين موريس ومعلمه السابق الأمير أوجين وأخيه فريدريك أغسطس الثاني، وذلك عند دخول فرنسا طرفاً في تلك الحرب ضد سكسونيا والنمسا. وحقق كونت سكسونيا الذي تمسك بإخلاصه لفرنسا، نجاحات متزايدة أبرزتها قيادته لقوة الساتر في حصار مدينة فيليبسبيرج (Philippsburg) خلال صيف عام 1734. ووصل إلى رتبة فريق بانتهاء تلك الحرب عام 1738 وأصبح من المقربين للملك لويس الخامس عشر، كما أصبح صديقاً مقرباً لخليلة الملك مدام دي بونبادور (Madame de Pompadour) التي ساندته في حياته المهنية اللاحقة.

عندما اندلعت حرب خلافة العرش الملكي في النمسا عام 1740، قاد كونت سكسونيا "المتطوعين" الفرنسيين الذين وقفوا إلى جانب بافاريا، وفي عام 1741 قام

بتخطيط وقيادة الهجوم الذي أدى إلى الاستيلاء على براج. وأعلنت فرنسا دخولها الحرب رسمياً عام 1744، وتولى كونت سكسونيا الذي كان قد وصل إلى رتبة مشير قيادة الجيش الفرنسي في منطقة فلاندرز (Flanders). وتمكن من هزيمة الجيوش المتحالفة التي تضم قوات من بريطانيا والنمسا وهولندا، رغم تفوقها على قواته في الخبرة والتدريب والعدد.

حاصر كونت سكسونيا مدينة تورنيه (Tournai) [بالجزء الغربي من بلجيكا] في 25 نيسان/ إبريل 1745، وعند اقتراب تعزيزات قوات الحلفاء من المنطقة، استعد لمواجهتها متحصناً بأرض فونتنوي (Fontenoy) المرتفعة التي يسهل القيام منها بالعمليات الدفاعية. أصيب موريس بنوبة من داء الاستسقاء المؤلم، ولكنه واصل توجيه القتال، حيث مزج موجات من نيران المدفعية مع رماية منظمة بالبنادق لصد هجوم العدو المبدئي. وعندما بدأ هجوم العدو التالي في الاستعداد لاختراق الدفاعات الفرنسية، نهض كونت سكسونيا ليتولى بنفسه حشد جيشه لتحقيق النصر.

أتبع كونت سكسونيا النصر الذي حققه في فونتنوي بالاستيلاء على مدن أخرى [في بلجيكا] هي: جنت (Ghent) وبروكسل وأنتويرب (Antwerp) ومونس (Mons) ونامور (Namur)، وتمكن خلال سنة واحدة من السيطرة على كل أجزاء فلاندرز. وبعد أن أصبح كونت سكسونيا أشهر جنرالات فرنسا وأكثرهم احتراماً، نال رتبة مشير فرنسا، وكان ثالث ضابط يحصل على تلك الرتبة في تاريخ فرنسا. وفي السنة الأخيرة من الحرب قاد جيشه في عمق الأراضي الهولندية وحقق انتصاراً حاسماً في لوفيلد (Lauffeld) في 2 تموز/ يوليو 1747، واحتل مدينة ماستريخت في 7 أيار/ مايو 1748.

وضعت معاهدة إكس لا شابيل (Aix-la-Chapelle) نهاية للحرب في وقت لاحق من عام 1748، وتقاعد كونت سكسونيا ليعيش في قصر شامبوغد (Chambord) الذي حصل عليه كهدية عرفان وتقدير من البلد الذي أحبه واختار العيش فيه. وجاءت كتيبته الألمانية السابقة لتعسكر بالأراضي المحيطة بالقصر ليستخدمها في اختبار التدريبات والتكتيكات الجديدة. كما واصل حياة الملذات والنساء، وكان يستضيف حفلات ماجنة في قصره. توفي كونت سكسونيا في 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1750 وكان عمره أربعة

وخمسين عاماً. ونسبت بعض الأقوال موته لمبارزة مع شخص آخر، بينما تقول مصادر أخرى أكثر مصداقية، أنه قد توفي لسبب غير أخلاقي.

جاءت النجاحات والسمعة التي حققها كونت سكسونيا نتيجة دمجه وتنسيقه لإمكانيات سلاح الفرسان والمشاة والمدفعية، فضلاً عن قدرته الفذة في استخدام المناورة والتعزيزات في أفضل التوقيتات. فقد استطاع من خلال قيادته الشخصية بث الحماس وسط جنوده، وتمكن من تحقيق العديد من الانتصارات على خصوم أكبر عدداً وأفضل تدريباً، وكان مدركاً لنقاط القوة والضعف في جيشه، ولم يدخل قواته في أي قتال إلا عندما يتأكد من ضمان النصر. وكان ماهراً في استخدام المدفعية، وفي استخدام نظام المعركة الملائم لجيشه بالموازنة الملائمة بين قوات المشاة والفرسان.

كانت الإنجازات التي حققها كونت سكسونيا في ميدان القتال قد أكسبته تلك المكانة المميزة باعتباره أنجح قائد عسكري في منتصف القرن الثامن عشر، لكن تأثيره الممتد يأتي من كتاباته، وتلك مهارة وراثية على ما يبدو، فقد كانت إحدى حفيداتـه هي القاصة الفرنسية جورج سانـد (George Sand). واحتوى كتاب **«أفكاري»** الذي أعده كونت سكسونيا عام 1732 وصدر بعد وفاته، على آرائه حول تنظيم وتجهيز وتنفيذ العمليات الحربية. وكانت بعض أفكاره غير عملية، ومنها فكرته الخاصة باستخدام الرمح الطويل والحربة المركبة - التي تركب على سبطانة (ماسورة) البندقية - ولكنها أبرزت نزعته نحو التجديد وتحديث الوسائل الحربية. وقد سبق عصره كثيراً بدعوته لتكوين جيوش موحدة تضم قوات المشاة والفرسان والمدفعية.

اطلع قادة أوربا الذين أتوا في القرن التالي على أفكار وتوصيات كونت سكسونيا واهتموا بها. فقد أعجب به نابليون كثيراً، وطبق جل أفكاره على قواته التي حققت السيطرة الحربية في مطلع القرن التاسع عشر.

اكتسب كونت سكسونيا سمعته كأبرز قائد عسكري في منتصف القرن الثامن عشر بفضل الانتصارات التي حققها في ميدان القتال. وهو يتفوق على رفقائه من المنظرين العسكريين مثل أنطوان هنري جوميني وألفريد ثاير ماهان (Alfred Thayer Mahan)،

لكونه قد جمع الأثر القتالي المباشر مع الكتابة والتنظير في المجال الحربي . وهو يأتي بعد كارل فون كلاوسفيتس وسون تسو اللذين تحظى كتاباتهما بقدر واسع من الاهتمام والدراسة حتى اليوم .

25



تيمورلنك
Tamerlane
فاتح تتاري
(1405 - 1336)

تمكن تيمور لنك، الذي يعتبر أبرز قائد عسكري في آسيا الوسطى خلال فترة العصور الوسطى، من إعادة بناء إمبراطورية المغول التي أسسها جنكيز خان. ودخل تيمور لنك خلال حياته العسكرية الطويلة في حالة حرب شبه دائمة، بغرض توسيع الرقعة الجغرافية التي خضعت له، والمحافظة على حدود إمبرطوريته الواسعة الممتدة من البحر الأبيض المتوسط في الغرب إلى الهند في الجنوب وروسيا في الشمال.

ولد تيمور لنك عام 1336 لعائلة تتارية عسكرية متواضعة في مدينة كيش (Kesh)، والتي أصبحت تعرف باسم شخريسابز (Shakhrisabz) في أوزبكستان الحالية. ويأتي اسم تيمور لنك (Timur Lang) أو "تيمور الأعرج" (Timur the Lame) من عاهة جسمانية لازمته من شلل جزئي في أطرافه اليسرى. ورغم الخلفية العائلية المتواضعة والعاهة الجسمانية، فقد ارتقى تيمور الذكي سلم المجد السياسي والعسكري وسط قبائل

الجكاتاي (Jagatai) المغولية في منطقة من آسيا الوسطى والتي تضم حالياً تركستان والجزء الأوسط من سيبيريا.

وصل تيمور لنك إلى مرتبة رئيس وزراء، وقام في عام 1370 بإقصاء الخان وتولى زعامة قبائل الجكاتاي بعد أن أعلن بأنه من سلالة مغولية تنتسب مباشرة لجنكيز خان، وتعهد باستعادة إمبراطورية المغول السابقة. وقام تيمور لنك خلال الخمسة والثلاثين عاماً التالية باكتساح أراض وبلدان جديدة وأخمد كل الاضطرابات الداخلية التي واجهته. وخلافاً للنهج الذي اتبعه جنكيز خان، ركز تيمور لنك على نهب الأراضي التي استولى عليها، وقام بنقل ثرواتها إلى قصره في سمرقند. ولم يوحد تيمور لنك أي ولايات جديدة لتنضم إلى إمبراطوريته الكبرى، ولكنه ترك دماراً هائلاً يتمثل في الأكوام الكبيرة من بقايا الجماجم البشرية التي جمعها على ذلك الشكل لتذكر الناس بانتصاراته. وعلى الرغم من أنه قد أبدى تقديره للفنون والآداب وجعل من سمرقند مركزاً ثقافياً، فإنه قد قاد في الوقت ذاته عمليات ميدانية اتسمت بالوحشية والفظاعة.

ركز تيمور لنك في المرحلة الأولى على إخضاع القبائل المجاورة لسيطرته، ثم اتجه نحو بلاد فارس، وتمكن خلال الفترة 1380 ـ 1389 من السيطرة على إيران وميسوبوتاميا [بلاد الرافدين] وأرمينيا وجورجيا. وفي عام 1390 قام بغزو روسيا، وعاد عام 1392 ليعبر بلاد الفرس، وأخمد ثورة فيها بقتل كل الذين عارضوه كما ذبح أسرهم وأحرق قراهم ومدنهم.

امتلك تيمور لنك مهارات مميزة في التكتيك، وساعدت شجاعته الشخصية على رفع معنويات جيشه الذي كان يضم أكثر من مئة ألف رجل في الغالب. وكان تشكيل قواته متشابهاً إلى حد بعيد مع النسق الذي اتبعه جنكيز خان من قبل؛ ويتكون ذلك التشكيل من قوات الخيالة المسلحة بالأقواس والسهام والسيوف متقدمة على أرتال من الركاب المحملة بالمؤن والتجهيزات اللازمة للحملات الطويلة.

غزا تيمور لنك الهند عام 1398 دون مبرر واضح سوى حبه للقتال ونهمه لزيادة ثرواته. فقد استولى جنوده على مدينة دلهي، ومكثوا فيها لفترة وجيزة قاموا خلالها

بذبح السكان وتدمير ما عجزوا عن حمله إلى سمرقند. وكان ذلك الدمار كبيراً إلى درجة أن دلهي قد احتاجت إلى أكثر من قرن بأكمله لتعود إلى الوضع الذي كانت عليه قبل الغزو. ولم يكن تيمور لنك يقتصر على ضحاياه من المدنيين فقط؛ فقد أمر بضرب أعناق مئة ألف من الجنود الهنود الذين وقعوا في الأسر بعد معركة بانيبات (Panipat) في 17 كانون الأول/ ديسمبر 1398.

قام تيمور لنك عام 1401 بدخول سوريا، وذبح عشرين ألفاً من سكان دمشق، كما هزم السلطان العثماني بايزيد الأول في العام التالي. وفي ذلك الحين أدركت البلدان التي لم تصلها قبضة تيمور لنك مدى قوته ودفعت له الأموال لتبعد وحوشه الكاسرة عن غزو أراضيها. وبحلول عام 1404 بدأ تيمور لنك يتسلم حصصاً مالية من سلطان مصر وإمبراطور بيزنطة جون الأول.

وبذلك أصبحت إمبراطورية تيمور لنك تضارع إمبراطورية جنكيز خان، وأصبح لديه قصر مكتظ بالكنوز. وحتى بعد أن بلغ تيمور لنك المحارب المسنّ الستين من العمر لم يقنع بما حازه فبدأ يخطط لغزو الصين، لكن المنية وافته في 19 كانون الثاني/ يناير 1405، عن عمر يناهز الثامنة والستين قبل أن ينفذ خطته. ومازال قبره حتى اليوم يعد من أروع الآثار المعمارية في مدينة سمرقند.

ترك تيمور لنك وصية تقضي بتقسيم إمبراطوريته بين أبنائه وأحفاده. وكنتاج طبيعي، جاء ورثة تيمور لنك ليثبتوا تعطشهم للدم والطموح الواسع. فقد تولى ابنه الأصغر شهروخ (Shahrukh) زعامة إمبراطورية والده بأكملها عام 1420، عقب سنوات من الاقتتال والصراعات الداخلية، لا لشيء إلا لأنه الوحيد الذي ظل على قيد الحياة بعد ذلك الصراع.

ليس هناك أدنى شك في أن تيمور لنك كان قائداً عسكرياً ذا سطوة، ولكنه كان يفتقد الدافع السياسي إلى إقامة إمبراطورية حقيقية؛ فقد اعتبر الأراضي التي يقوم بالاستيلاء عليها مجرد أماكن يستفيد بنهبها، ويترك لجنوده العبث بها والتلهي بقتل سكانها. ولم يخلف أي إنجازات في تلك البلدان، بل ترك دماراً وقتلى تشهد عليهما

آلاف الهياكل والجماجم البشرية . ومع ذلك ، ليس هناك خلاف على اتساع فتوحاته أو على الرعب الذي كان يسبق قدوم جحافله . وهيمن تأثيره المباشر على آسيا الوسطى على امتداد فترة طويلة من القرن الرابع عشر ، وأدى إلى ازدياد التعصب الناتج عن توجه الشعوب نحو التسلح للدفاع عن نفسها أمام زحف تيمور لنك وسلاح فرسانه .

اكتسب تيمور لنك القوة وهيمن على مساحات واسعة من الأراضي بفضل حجم جيشه وقوته ، وفرض سيطرته على الشعوب التي أخضعها عن طريق الوحشية الصرفة . وليس له من نظير في قائمة القادة الذين يضمهم هذا الكتاب سوى أدولف هتلر وصدام حسين . وهو يأتي في المرتبة الوسطى بينهما ؛ لأنه فاق الأخير سطوة ولم يتفوق على الأول فيما ارتكبه من مذابح .

26



أنطوان هنري جوميني
(Antoine Henri Jomini)
قائد فرنسي
(1869 - 1779)

ظل القادة والدارسون العسكريون في شتى أنحاء العالم، لأكثر من جيلين عقب حروب نابليون في مطلع القرن التاسع عشر، يدرسون أعمال أنطوان هنري جوميني باعتبارها المرجع الأساسي في مجال فنون الحرب الحديثة. فقد شرحت كتابات جوميني العمل الحربي بأسلوب مبسط في مبادئ توجيهية قليلة، وأبرزها ضرورة قيام أي جيش بتوجيه ضربات لنقاط العدو الضعيفة بقوات مكثفة لتحقيق النصر السريع. وكان جنرالات الحرب الأهلية الأمريكية والقادة الأوربيون المشاركون في الصراعات التي وقعت في منتصف القرن التاسع عشر يحملون المرجع الذي ألفه جوميني بعنوان «**الموجز في فن الحرب**» *Summary of the Art of Warfare*، باعتباره الموجه الأساسي لهم في تنفيذ العمليات الحربية الكبيرة.

ولد جوميني في 6 آذار/ مارس 1779 ابناً لعمدة بيرن، في سويسرا. وبعد العمل لفترة وجيزة كموظف في أحد المصارف، انضم للجيش السويسري الذي تشرف عليه فرنسا وهو في سن التاسعة عشرة، وتم تعيينه قائد لواء بعد سنتين فقط. برهن جوميني على أنه دارس مميز للعلوم العسكرية، وباشر على الفور إصدار مجلدات ضخمة ضمنها أفكاره وما توصل إليه في المجال الحربي. وأعجب المشير الفرنسي ميشيل ني بمؤلفات جوميني الأربعة الأولى، التي صدرت خلال الفترة 1804 ـ 1805، لدرجة أنه قد طلب من المؤلف الشاب أن ينضم إلى هيئة أركانه كمرافق عسكري له خلال حملة أوسترليتز في نهاية عام 1805.

كان نابليون الذي أعجب بكتابات جوميني أيضاً، قد أمر بترفيعه إلى رتبة عقيد في عام 1805، لينضم بعد ذلك إلى هيئة الأركان العامة للإمبراطور خلال فترة الحرب ضد بروسيا في عام 1806، وشارك في المعارك التي جرت في يانّا (Jena) وفي إيلوس (Eyulaus) ومنح قلادة الشرف.

التحق جوميني بالحملة الفرنسية التي أرسلت إلى إسبانيا خلال الفترة 1808 ـ 1809، حيث أصبح رئيساً لأركان جيش المشير ميشيل ني بالرغم من اختلاف شخصيتيهما. وكانت علاقة جوميني بني تتأرجح ما بين الإعجاب المتبادل إلى العداوة المفتوحة التي وصلت في إحدى المرات إلى حد تهديد جوميني بالاستقالة من الخدمة والانضمام إلى الجيش الروسي. ولكن، تدخل نابليون وأصدر أمراً بترفيع جوميني، ليتيح له المجال لمواصلة العمل كمساعد لني، وقبوله في الوقت نفسه العمل برتبة فريق في القوات الروسية تحت إمرة ألكسندر الأول.

خدم جوميني برتبة فريق في كلا الجيشين – الفرنسي والروسي – حتى عام 1814، حين قام لويس ألكسندر بيرتييه بمنع ترفيعه إلى رتبة قائد فرقة، بعد أن ألقي القبض عليه بتهمة التباطؤ في رفع تقرير معين. وعلى الرغم من عدم خطورة تلك التهمة التي تعتبر متواضعة، فقد كان امتعاض بيرتييه من غرور جوميني أكبر. ونظراً إلى عدم رغبة جوميني في العمل مع بيرتييه، فقد هرب من الخدمة في الجيش الفرنسي، والتحق

بقوات ألكسندر الأول الذي رفعه بدوره إلى رتبة فريق وعينه كمرافق عسكري ومستشار له خلال السنتين التاليتين. لكن جوميني رفض المشاركة بصفة مباشرة في القتال الذي خاضته روسيا ضد فرنسا، وفشل بعد معركة ووترلو في أن يحول دون إعدام ميشيل ني بأمر من العائلة الملكية في فرنسا.

انتقد العديد من رفقاء السلاح الفرنسيين الذين خدم معهم جوميني من قبل تأييده لروسيا، بينما عبر بعضهم عن عدم ارتياحهم لوقوفه مع ميشيل ني. ولكن نابليون الذي كان يتحدث من منفاه في جزيرة سانت هيلينا، عبر عن تسامحه وعفوه عن جوميني، عاذراً له تصرفه الذي نسبه لغلبة أصوله السويسرية على صلاته الفرنسية.

واصل جوميني بعد معركة ووترلو كتاباته في تفرغ شبه كامل حتى عام 1823، حين استدعاه القيصر إلى روسيا ورفعه إلى رتبة فريق أول. وقام جوميني خلال الأعوام العشرة التالية بوضع تنظيم كلية القيادة والأركان الروسية، كما قام بتدريب وتعليم نقولا قيصر روسيا القادم، وشارك لفترة قصيرة في حصار فارنا خلال الحرب التي جرت عام 1828 ضد الأتراك.

تقاعد جوميني عام 1829 من الخدمة في الجيش الروسي، وغادر روسيا التي لم يعد إليها إلا للعمل كمستشار للقيصر خلال الفترة 1853-1856 في أثناء حرب القرم، ليعيش بقية حياته في بروكسل مواصلاً كتابة مؤلفاته عن فنون الحرب. وتوفي في بروكسل بتاريخ 22 آذار/ مارس 1869 وهو في التسعين من عمره، ليكون حتى ذلك الحين الخبير الذي لا منافس له في مجال فن الحرب.

أصدر خلال حياته الممتدة أكثر من ثلاثين مؤلفاً في التاريخ الحربي والنظرية الحربية. وشملت أعماله عدداً من المؤلفات والدراسات تحدث فيها عن فريدريك الأكبر، والثورة الفرنسية، وحرب السنوات السبع، وحياة نابليون، بيد أن مؤلفه **«الموجز في فن الحرب»** *Summary of the Art of War* الصادر عام 1838 هو الأكثر شهرة وتأثيراً؛ فقد أصبح الكتاب بعد إصداره بوقت قصير مرجعاً أساسياً في الأكاديمية العسكرية الأمريكية في ويست بوينت، وفي عدد آخر من المعاهد العسكرية. ويعترف

القـادة العسكريون من كـل أنحاء العـالـم الذيـن أعجبـوا ببراعـة نـابليون وأسـاليبـه القتـالية، بأن - جـوميـني - ذلـك الضـابط السـويسري هـو الذي يقف خلف نجـاحـات الإمبراطـور الفرنسـي.

تتسم كتابات جوميني بالإسهاب وصعوبة تلخيصها. ويمكن لقارئها أن يستخدم النص نفسه، ليثبت أو يدحض وجهات نظر متباينة، طبقاً لغرضه. وبرغم ذلك يبقى جوميني متصدراً بتقديمه لأول مؤلفات رائجة حاولت تحليل الفنون الحربية التي ابتدعها نابليون بأسلوب منهجي.

وبالإضافة إلى أطروحات جوميني النظرية، قدم تعريفاته لمفهومات أخرى مثل التكتيك والاستراتيجية، وذلك بأسلوب مقبول حتى اليوم. كما شملت المصطلحات الأخرى التي تناولها بالتعريف والشرح "مسرح النـزاع"، وهو الأقرب إلى المصطلح المعاصر "مسرح العمليات" ويقصد به حدود المنطقة التي يدور فيها الصراع. كما شرح عبارة "خطوط الاتجاه" وتعني محاور الاقتراب والهجوم.

أكد جوميني في كتابه «**الموجز في فن الحرب**» على «أن المشاة هم أهم سلاح بلاشك» ولكنه استـدرك مـبيناً ضـرورة أن تتلقى قوات المشاة الإسناد المنسق جيـداً من جـانب وحدات المدفعيـة والفرسـان وعناصر الإمداد الميداني. كمـا أكد علـى أهميـة الـروح المعنوية المرتفعـة وسط الجنـود، وتحدث عـن ضرورة وجود "روح وطنية" تدعم الجيش المحـارب فـي الميـدان.

من الموضوعات الجوهرية التي تناولها جوميني في كتاباته العسكرية منظومة الخطط والإجراءات التفصيلية اللازمة للتعامل مع مختلف المواقف والتضاريس. ويتناول كل منهـا سلسلة من الخطط لحشد القوات الصـديقـة وشن هجـوم قـوي على نقـاط العـدو الضعيفة باختراق خطوطه، ثم استغلال هذه الأفضلية بإجراءات للمتابعة. ورغم أن القراءة المتعمقة لأعماله تكشف أن أفكاره قد كانت أكثر مرونة عما وصفت به، فقد انتقد دارسو فن الحرب المحدثون خططه المقيدة، والتي تحتوي على تشكيلات هندسية وقواعد مطلقة أو نهائية، وكلها عقائد خلت من الرؤية التي تتوقع وتستوعب اختراع

الأسلحة ذات النيران السريعة والدقة العالية في إصابة الهدف على أطول مدى، وعلى النحو الذي يركز النيران الكثيفة حسب الحاجة.

حظي جوميني خلال فترة حياته بالإعجاب لبروزه كمؤلف رائد في مجال المفهومات والفنون الحربية. وقد ظلت مصطلحاته الحربية باقية لفترة طويلة، حتى بعد أن نسي الناس أغلب ما قدمه من مرتكزات أساسية حول كيفية تنفيذ الأعمال القتالية. لكن ما يثير الاهتمام هو أن المنظر الذي حل محله قد عاش في الحقبة ذاتها، وشهد العديد من التجارب المشابهة التي عاشها جوميني، هو كارل فون كلاوسفيتس الذي هرب من الخدمة في جيش بلاده البروسي ليخدم لفترة وجيزة مع الروس، كما فعل جوميني من قبل. وشارك كل من كلاوسفيتس وجوميني معاً في عدد من الحملات، كما ألف كل منهما أعمالاً تناولت فهم كل منهما وشرحه للفنون الحربية.

أصدر جوميني أول مؤلفات لاقت رواجاً واسعاً حول مفهومات وتصورات العمل الحربي، ولكن الدارسين العسكريين اتجهوا في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر إلى كتابات كلاوسفيتس الأكثر تعمقاً وفلسفة. وعلى الرغم من توصل الاثنين إلى الاستنتاجات نفسها تقريباً، فقد أصبحت أفكار كلاوسفيتس الأقل جموداً هي العقيدة المفضلة لدى القادة الباحثين عن المرونة في فنون وأساليب الحرب. ويحتل كل من كلاوسفيتس وسون تسو مرتبة متقدمة في هذه القائمة، بسبب تأثيرهما الممتد لفترة معاصرة وأطول مدى.

27



أوجين أمير سافوي
Eugene of Savoy
قائد نمساوي
(1736 - 1663)

مُنع أوجين أمير سافوي من خدمة موطنه الأصلي فرنسا، وانضم إلى الجيش النمساوي ليرتقي سلم الرتب العسكرية فيه بسرعة، حتى وصل إلى رتبة مشير وذاع صيته كواحد من أبرز العسكريين في عصره. وتجمعت لديه خصائص، مثل سرعته في تحريك جيشه، وتوظيفه الاستراتيجي للتضاريس لصالحه، وقدرته على تشجيع مرؤوسيه المخلصين والمتحمسين لتحقيق سلسلة من الانتصارات المنتظمة. وأثبت أوجين خلال نصف قرن تقريباً من القيادة الميدانية دوره الرئيسي في تأسيس هيمنة النمسا على الولايات والدول ذات العرقية الألمانية، وبروزها كإحدى قوى أوربا الرئيسية في القرن الثامن عشر.

ولد أوجين في باريس في 18 تشرين الأول/ أكتوبر 1663، لوالدين كانا منفيين من فرنسا بسبب مشاركتهما في مؤامرة ضد الملك لويس السادس عشر، وتربى أوجين الذي

كان طفلاً عليلاً ودميماً في منزل جدته التي هيأته لحياة مهنية مرتبطة بالكنيسة، ولكنه رفض خطط جدته وسعى للحصول على إذن من السلطات للسماح له بالانضمام إلى الجيش الفرنسي. وعندما رفض الملك لويس السادس عشر طلبه، غادر باريس إلى النمسا التي قضى فيها ما تبقى من حياته مقاتلاً ضد موطنه الأصلي.

جاءت نجاحات أوجين المبدئية خلال الحروب التي شنتها النمسا لتحرير المجر من قبضة الأتراك خلال الفترة 1684 ـ 1688، وحرب التحالف الكبير (War of the Grand Alliance) خلال الفترة 1688 ـ 1697. ونال أوجين ترقية على كل معركة من سلسلة المعارك التالية التي خاضها وكسبها ليصعد إلى رتبة مشير وهو في سن الثلاثين من عمره.

من الأعمال المعروفة لأوجين خلال هذه الفترة النصر الذي حققه ببراعة فائقة عند نهر زنطة (Zenta) عام 1697. فقد حرك جيشه في مسير سريع لمدة عشر ساعات متصلة، ليفاجأ الجيش التركي تماماً أثناء محاولته عبور نهر زنتا ويدخل ترانسلفانيا (Transylvania). واختبأت قوات أوجين المتقدمة خلف تلال، وهاجمت بتحرك على شكل كماشة لتحاصر الجيش التركي على النهر. وفي المعركة التي جرت في وقت متأخر من الظهيرة، تمكنت قوات أوجين من قتل أكثر من عشرين ألفاً من قوات العدو بخسارة لم تتعد الخمسمئة من جنوده.

واجه أوجين – في سلسلة الحروب والتحالفات المعقدة التي شهدها مطلع القرن الثامن عشر – عدداً كبيراً من الأعداء، وهو يقاتل إلى جانب – أو ضد – أغلب القادة العسكريين البارزين الذين عاشوا في تلك الفترة. فقد هزم الفرنسيين في حرب خلافة العرش الإسباني التي وقعت عام 1701 في معركة كاربي (Carpi)، وتحالف عام 1704 مع دوق مارلبورو لينتصر على القوات الفرنسية ـ البافارية في بلينيم (Blenheim). وبعد سنتين من تلك المعركة قاد أوجين الجيش النمساوي ودخل إيطاليا ليحرر ذلك البلد من الاحتلال الفرنسي. وفي عام 1708 حاصر أوجين القوات الفرنسية في مدينة ليل الفرنسية وقصفها وهزمها، بينما هي متحصنة في القلعة التي لم يخترقها أحد قبله،

والتي صممها وبناها المهندس الفرنسي البارع سباستيان لو بريستر دو فوبان (Sebastien Le Prestre de Vauban).

تحالف أوجين مرة أخرى في مرحلة لاحقة من تلك السنة مع دوق مارلبورو ليهزم الفرنسيين في فلاندرز. وكانت آخر حملة ميدانية رئيسية له في عام 1716 ضد مئتي ألف من القوات التركية التي طوقت جيشه حيث لم يتجاوز تعداد جيشه، ربع تلك القوة. ولم يتراجع أوجين ولم يُخفْه ذلك العدد الضخم من قوات العدو، بل فعل ما لم يكن يتوقعه أحد؛ فقد أمر بشن هجوم ليلي تفوق فيه رماة الرمح من جنوده الذين اكتسحوا سدنة المدفعية التركية، وحققوا النصر الذي فتح أمامه الطريق إلى بلغراد.

خدم أوجين ما تبقى من حياته كمستشار عسكري موثوق به في بلاط الإمبراطور النمساوي شارل السادس. ورغم وظيفته الاستشارية المرموقة فإنه لم يعمل كموظف مكتبي بحت في البلاط الملكي؛ فقد التحق وهو في السبعين من عمره بالجيش النمساوي في وادي الراين، وخدم لفترة وجيزة خلال حرب الخلافة على العرش الملكي في بولندا. وتوفي بعد سنتين من ذلك بمدينة فيينا في 21 نيسان/ إبريل 1736 دون أن يتذوق طعم التقاعد الكامل.

حرص أوجين طيلة حياته كقائد عسكري على قيادة قواته في جبهات القتال وتعرض للإصابة في معارك مختلفة، وأصبح ماهراً في استخدام الأرض والتضاريس لدعم تحصيناته وفي تحريك جيشه بسرعة لتحقيق المفاجأة. وكان أوجين محبوباً بين جنوده وتميز لدى حلفائه بالإخلاص وعدم الأنانية؛ وهي صفات نادرة في من وصلوا إلى رتبة مشير في تلك الحقبة. والواقع أنه قد استطاع التعايش مع كل من تحالف معهم لتعزيز قدراته وهزيمة أي عدو واجهه في ذلك الوقت، ولكنه كان يكره مواطنيه الفرنسيين حتى نهاية حياته. وعلى الرغم من انشغاله الدائم بالمجال الحربي، فقد كان متحضراً، وكان يقدر الثقافة؛ وتلك خصائص نادرة في القادة الذين عاشوا في تلك الفترة أو الذين ظهروا من بعده.

كان لأوجين تأثير كبير في الأساليب القتالية في زمنه وفي المستقبل بسبب التجديدات التي أدخلها، إلى جانب مهارته القيادية المتفوقة. فقد منع بيع الرتب للضباط؛

وعمل على تعيينهم على أساس المؤهلات والكفاءة بدلاً من التعيين على أساس الطبقة الاجتماعية أو المنشأ. كما أسس نظاماً من قواعد الإمداد الميداني في الخطوط الأمامية وفَّر به لجنوده الكميات الكافية من المؤن والذخيرة واللوازم الأخرى. وشملت التجديدات والإبداعات الأخرى التي قام بإدخالها تنسيق مجهود وحدات الفرسان التي تقاتل راكبة على الخيول، ووحدات حملة البنادق المحمولة على الخيل حتى تصل إلى أرض المعركة وتترجل للقتال. وأصبح استخدام أوجين لقوات سلاح الفرسان والمشاة المحمولة في عمليات الاستطلاع بقوات محمولة (راكبة) لرصد مواقع العدو واستكشاف مزايا التضاريس، من الخصائص التكتيكية التي استخدمها الجيش النمساوي لفترة طويلة بعد رحيله.

درس كل من هرمن - موريس كونت سكسونيا، وفريدريك الأكبر الأساليب التي اتبعها أوجين في التنظيم القتالي وتنفيذ العمليات الحربية. كما أبدى نابليون قدراً كبيراً من الاحترام له واعتبره واحداً من أبرز القادة العسكريين وأكثرهم تأثيراً في العصور اللاحقة. وظلت إبداعات أوجين - التي درسها وقلدها العديد من القادة البارزين ممن ظهروا بعده - شاهداً على مكانته كواحد من أبرز القادة العسكريين في جيله، ولم ينافسه على تلك المرتبة إلا حليفه وصديقه دوق مارلبورو، ومواطنه الفرنسي كونت سكسونيا.

28



فردينان جونزالو (القرطبي)
Fernandez Gonzalo de Cordoba
قائد إسباني
(1515 - 1453)

أدخل فردينان جونزالو القرطبي المعروف بلقب "القائد العظيم" وهو اللقب الذي أطلق عليه لانتصاراته المتعددة، تغييراً جذرياً في فنون الحرب السائدة خلال القرن السادس عشر. فقد أدى إدخاله لبندقية ثقيلة استخدمتها قوات مشاته إلى تحقيق التفوق العسكري الإسباني على المستوى الأوربي لأكثر من قرن بأكمله.

ولد فردينان لأبوين من الطبقة النبيلة، وشارك في معارك ضد قوات المسلمين في غرناطة قبل أن يبلغ العشرين من عمره، كما عمل في مرحلة لاحقة كوصيف في البلاط الملكي الإسباني. وشارك خلال الفترة 1482ـ1492 كقائد صغير في الحروب التي انتهت بهزيمة العرب في الأندلس لتضع نهاية الحكم الإسلامي هناك والذي استمر لأكثر من ثمانمئة عام. وتمكن خلال تلك الفترة من صقل معرفته في مجال التكتيك العسكري

وأساليب القتال، كما أظهر شجاعة فردية مميزة. فقد تولى بنفسه قيادة الهجوم خلال حصار مونتفريو (Montefrio)، واستخدم السلالم لعبور التحصينات الجدارية التي بناها العرب عند فتح الأندلس.

قاد فردينان - بناء على تعليمات من ملكة إسبانيا - جيشاً من 2100 جندي إلى إيطاليا في أيار/ مايو 1495، لمساعدة ملك نابولي الذي أقصاه ملك فرنسا شارل الثامن عند غزوه لتلك المنطقة. ونظراً إلى عدم كفاية تدريب قواته وضعف تنسيقه مع حلفائه الإيطاليين، فإنه لم يستطع الصمود أمام الفرنسيين الذين هزموه في معركة سيمنارا (Seminara).

وعقب تلك الهزيمة، انسحب فردينان وبدأ برنامج تدريب فاعل لقواته وأعاد تنظيم جيشه. وبسبب تفوق القوات الفرنسية عليه من حيث تعدادها، شن حرب عصابات لشل خطوط إمداد العدو الطويلة وتجنب الدخول في معارك كبيرة، ما عدا الحالات التي تكون فيها الظروف مواتية بالحد الأقصى. وتمكن خلال سنة واحدة من هزيمة القوات الفرنسية وأسر قائدها، وبحلول عام 1498 كان قد استرد للإيطاليين كل الأراضي التي خسروها.

بعد عودته إلى إسبانيا، استغل الدروس التي تعلمها خلال تجاربه العملية في القتال ووظفها لإعادة تنظيم جيشه؛ فقد أضاف إلى وحدات المشاة جنوداً مسلحين ببندقية أثقل وزناً من البنادق التقليدية، لها مقبض بدعامة، وتتم الرماية عليها بالارتكاز على الكتف وتعرف باسم "القربينة" (arquebus). كما قام بتطوير التنسيق بين المشاة والمدفعية وسلاح الفرسان، ووزع جنوده على شكل قوات مناورة مستقلة بدلاً من الاحتفاظ بها ككتلة واحدة، وفقاً لما كان سائداً في تلك الفترة.

أتيحت الفرصة لفردينان لاختبار سلاحه وتنظيمه القتالي الجديد عام 1503، عندما عاد إلى إيطاليا لصد غزو فرنسي جديد. ففي ظهيرة يوم 28 نيسان/ إبريل من السنة نفسها، قام بتحريك قواته التي تضم ستة آلاف فرد إلى أحد جوانب مرتفع بالقرب من سيرنيولا (Cerignola)، حيث قام الجيش الفرنسي المؤلف من عشرة آلاف فرد بالهجوم

على قوات مشاته قبل انتهائها من حفر خندق دفاعي. وردت قواته ليتساقط الجنود الفرنسيون صفاً تلو الآخر أمام نيران البنادق الحديثة، ولقيت القلة المتبقية منهم حتفها على أسنة الرماح الإسبانية. وكانت تلك هى المعركة الأولى في التاريخ التي تحسم بأسلحة نارية، ومنذ ذلك الحين عرفت المعارك شكلاً جديداً من السلاح الذي أدخل تغييراً جذرياً في القتال.

احتل فردينان مدينة نابولي وأجبر الفرنسيين على التراجع إلى نهر جريجليانو (Garigliano). ودخل الجانبان في مأزق؛ حيث لم يتمكن الطرفان من التفوق وهما يتقابلان على جانبي النهر. وأخيراً قام فردينان في مساء يوم 29 كانون الأول/ ديسمبر 1503 بتركيب جسور عائمة لعبور القوات تحت ستار الظلام وبدأ بها هجوماً فاجأ به الفرنسيين تماماً. وأثبت جنوده من المشاة المسلحين بالبنادق الجديدة والحراب، كفاءتهم في تنفيذ العمل الهجومي بمستوى أدائهم المميز ذاته الذي ظهر في الحالة الدفاعية. كما ساعد تدريبه لمرؤوسيه من القادة على تنفيذ تلك العملية المعقدة بسلاسة وبأقل قدر من الاتصالات.

وفي كانون الثاني/ يناير 1504 استولى فردينان على جيتا (Gaeta)، وقام الفرنسيون - الذين عجزوا عن القيام بأي عمل دفاعي جوهري عقب هزيمتهم في جريجليانو - بتوقيع معاهدة أنهت مطالبتهم بمدينة نابولي.

كانت تلك هى المعركة الأخيرة له، وأُطلق عليه بعدها لقب "القائد العظيم". وجاءت نهاية حياته كقائد عسكري بارز نتيجة لقرار سياسي بعيداً عن ميادين القتال؛ فقد أصدر الملك الإسباني الجديد فردينان، الذي تخوف من شعبية "القائد العظيم"، قراراً بتنحيته عن القيادة واستدعائه للعودة إلى إسبانيا. وظل فردينان القرطبي على ولائه للملك وتقيد بأوامره حتى تقاعد ليعيش في الضيعة التي تملكها أسرته في غرناطة. وتوفي في سن الثانية والستين، في 1 كانون الأول/ ديسمبر 1515، بمرض الملاريا الذي أصيب به خلال حملاته في إيطاليا.

يتبوأ فرديناند القرطبي مكانته في قائمة أبرز القادة العسكريين التي يقدمها هذا الكتاب، ليس لكونه أول من أدخل الأسلحة النارية بصورة فعلية في المعركة فحسب، ولكن أيضاً لأسلوبه المبتدع في إدخال استخدام تلك الأسلحة لدى قوات المشاة التي درجت على استخدام الحراب التقليدية.

حاول القادة الإسبان اللاحقون إدخال تعديلات على التكتيكات والتنظيم الذي وضعه فرديناند، ولكن التعديلات التي أدخلها هي التي كان لها الفضل المباشر في تحقيق التفوق الإسباني في المجال الحربي على مستوى القارة الأوروبية طيلة القرن التالي. لقد أدخل فرديناند ثورة في المجال القتالي وأدى دوراً رئيسياً في تحقيق النقلة الجوهرية؛ من أدوات حروب القرون الوسطى المتمثلة في السيوف والحراب إلى عصر البارود والبندقية والمتفجرات.

29



سباستيان لو بريستر دو فوبان
Sébastien Le Prestre de Vauban
قائد فرنسي
(1707 - 1633)

أسس سباستيان لو بريستر دو فوبان أهمية عنصر هندسة الميدان في المعركة، وأصبح أمهر قائد في عصره في تنفيذ حرب الحصار الهجومي وتجهيز التحصينات الدفاعية. وقد أكسبته مساهماته المميزة في مجالات الهندسة القتالية وتطوير الأسلحة واستخدام المدفعية ترفيعاً إلى رتبة مشير فرنسا، كما حظي بالاحترام العالمي بسبب التجديدات التي أدخلها على النواحي القتالية.

ولد فوبان عام 1633 في سان ليجيه دو فوشريت (Saint-Leger de Faucherest) بإقليم بيرجندي (Burgundy) [وسط فرنسا سابقاً]، وانضم إلى جيش لويس الثاني دي بوربون (Louis II De Bourbon)، أمير كونديه (Condé) خلال تمرد عام 1651. وبرز فوبان الشاب على وجه السرعة في مجال تصميم التحصينات الميدانية في معركة أرجون (Argonne)، ولكنه وقع في أسر الجيش النظامي الفرنسي بعد سنتين من الخدمة مع

المتمردين، ولكن سرعان ما تعرف المسؤلون في الجيش الفرنسي على مهارات الأسير الجديد ومنحوه عفواً ورتبة ضابط للانضمام إلى صفوفهم. وبعد سنة من ذلك قام فوبان - ورغم تعرضه للإصابة مرتين - بتنظيم حصار ستيناي (Stenay) والذي أدى إلى الاستيلاء على إحدى القواعد الرئيسية التابعة للأمير لويس الثاني. وعند سقوط ستيناي في 3 أيار/ مايو 1655 شملت المكافأة التي حصل عليها فوبان ترفيعه إلى درجة "مهندس ملكي".

قام فوبان طيلة العشرين سنة التالية بوضع وتنفيذ أفكار الحصار وفك الحصار للجيش الفرنسي. وكان لمهاراته المتميزة في هذا المجال قيمة كبيرة في ذلك الوقت؛ لشيوع استخدام أسلوب الحصار في الحروب آنذاك.

خدم فوبان خلال سنواته الأولى في الحياة العسكرية، وتلقى العلم على يد المهندس الفرنسي البارز شيفاليه دو كليرفيه (Chevalier de Clerville)، لكن التلميذ النجيب سرعان ما تخطى معلمه في البراعة والابتكار؛ فقد تم تعيين فوبان مديراً لكل أفرع الهندسة الملكية تقديراً لدوره في إدخال تحسينات على التحصينات الأمامية خلال "حرب انتقال السلطة" (War of Devolution) التي جرت خلال الفترة 1667 ـ 1668.

ركز فوبان بعد تلك الحرب على تحسين وتحديث التحصينات التي تؤمن الحدود الفرنسية. فقد صمم وأشرف على بناء أكثر من ثلاثين حصناً جديداً، وقام بتحديث الثلاثة آلاف حصن الموجودة أصلاً. ولم يكتف بمعالجة الدفاعات الأرضية فقط، وإنما قام أيضاً ببناء التحصينات اللازمة حول القواعد البحرية في كل من بريست (Brest) ودنكيرك (Dunkirk) ولوهافر (Le Havre) وروشيفرت (Rochefort) وطولون (Toulon) تمشياً مع توسع البحرية الفرنسية.

صمم فوبان هذه القواعد البرية والبحرية ليساند بعضها بعضاً، وأضاف نقاط إمداد ضمن تلك القلاع لتعمل كقواعد تموين مساندة للقوات البرية العاملة خارج التحصينات. وخلافاً للنموذج الأوربي السابق المبني على أساس التحصينات الفردية، وضع فوبان نظام الدفاع في العمق الذي يستخدم مستويات أو "موجات" متعددة من

التحصينات. كما أضاف أبراجاً في زوايا القلاع لتعزيز كل طبقة دفاعية، ولتستخدم أيضاً كمراكز للقيادة والسيطرة. وصمم نقاطاً شبه منفصلة لتستخدم في الإنذار المبكر واستدراج العدو المهاجم إلى عمق الجزء القوي من الدفاعات الرئيسية.

قدم فوبان أيضاً تحديثاً في عمليات الحصار الهجومي؛ فقد وضع خطة هجوم طبقت على نطاق واسع ضد تحصينات العدو، وتشمل حفر خنادق تستخدمها القوات المتقدمة وتساندها نيران المدفعية الثقيلة. وكسب فوبان محبة جنود المشاة؛ لإدخاله هذه الخنادق الوقائية والنيران المساندة كبديل لأسلوب حشد قوات المشاة للقتال في معركة مكشوفة.

تخطت التحديثات العسكرية التي أدخلها فوبان حدود بناء التحصينات الميدانية اللازمة للدفاع والهجوم؛ فقد كان جنود المشاة حتى ذلك الحين يُركبون الحراب على بنادقهم بغرسها داخل سبطانة البندقية مما يجعل الرماية منها مستحيلة. ونتيجة لذلك لم تكن أغلب الجيوش في تلك الفترة تصرف الحراب لحملة البنادق، بل كانت تكتفي بإدخال حملة الرماح ضمن صفوف قوات المشاة، وكان حملة الرماح مسلحين بالحراب المركبة على قصبة الرمح؛ فجاء فوبان ليبتكر الحربة التي تُركب على مشبك خارج سبطانة البندقية ولا تعطل الرماية منها، وبذلك الاختراع أصبح بوسع كل فرد من أفراد المشاة أن يقاتل بالبندقية والحربة معاً.

أثبتت طرق الحصار التي وضعها فوبان نجاحها أثناء الحرب مع هولندا في معارك ماستريخت (Maastricht) عام 1673 وفلانسيين (Valenciennes) عام 1677 وإيبر (Ypres) عام 1678. وبينما كان الحصار يستغرق في الأحوال المعتادة ستة أشهر أو أكثر قبل تحقيق النصر، تمكن فوبان من اختصار هذه المدة إلى أسبوعين أو ثلاثة أسابيع فقط بفضل تكتيكاته الهجومية.

توجه فوبان إلى أرض المعركة مرة أخرى مع اندلاع حرب عصبة أوجسبورج (War of the League of Augsburg)، وحاصر نقاط العدو القوية. وتمكن في معارك وجيزة من اختراق دفاعات العدو وهزيمته في كل من مونس (Mons) عام 1691 ونامور (Namur) عام 1692 وآث (Ath) عام 1697. وفي معركة آث أمر فوبان بتوجيه

نيران المدفعية على مسار منخفض لتتمكن قذائف المدفعية غير المتفجرة من اختراق الجدران الداخلية للقلاع والتحصينات.

تقاعد فوبان بعد بلوغه سن التاسعة والستين من الخدمة العاملة عام 1702، بسبب تقدمه في العمر وتدهور حالته الصحية. وفي 14 كانون الثاني/ يناير 1702 تم ترفيعه إلى رتبة مشير فرنسا تقديراً لإنجازاته. وواصل بعد ذلك تقديم الاستشارات للمؤسسة العسكرية في فرنسا وتسجيل أفكاره عن الهندسة العسكرية، بالإضافة إلى دراسات عن الملاحة والغابات والزراعة، حتى توفي في 30 آذار/ مارس 1707 وهو في الرابعة والسبعين من عمره.

قام فوبان طيلة خدمته بتوجيه رسائل مفصلة إلى ملك فرنسا حول أهمية وطرق بناء التحصينات والقلاع وكيفية اختراقها. وأثرت تلك الرسائل التي تم نشرها فيما بعد في عمليات هندسة الميدان في فرنسا وأوربا بصفة عامة طوال القرن التالي. وعادت كتابات فوبان وتطبيقاته الناجحة لنظرياته القتالية بالاحترام الشخصي له، كما أدت إلى الاعتراف المهني بالهندسة القتالية كجزء عضوي في التنظيم الحربي للجيوش.
ومن معاصريه في قائمة القادة التي يضمها هذا الكتاب فردينان جونزالو القرطبي، الذي أدخل استخدام الأسلحة النارية في المعركة، وكذلك جان بابتيست فاكيت دو جريبوفال (Jean Baptiste Vaquette De Gribeauval) ولينارت تورستنسون (Lennart Torstensson) اللذان أدخلا تجديدات في مجال المدفعية.

30



هنيبعل

Hannibal

قائد قرطاجي

(حوالي 247ـ183 قبل الميلاد)

يعتبر هنيبعل، الذي قاد جيش قرطاجة (قرطاج) لعبور جبال الألب، واحداً من أبرز القادة العسكريين الذين قاموا بأعمال بطولية خالدة في التاريخ العسكري القديم. واستطاع هنيبعل، الذي عرف في الأغلب بلقب "أبي الاستراتيجية العسكرية" لأسلوبه الحربي المبتكر، أن يصمد في حملة لمدة خمسة عشر عاماً ضد روما بفضل تكتيكاته المبتكرة في استخدام الفرسان المدرعة. وتجدر الإشارة إلى عدم وجود روايات من تاريخ قرطاج عن حياة هنيبعل، وتعتبر المعلومات الأولية الوحيدة المتوافرة عن شخصيته هي كتابات الرومان الذين كانوا يحترمونه ويخشونه، بل ويكرهونه كعدو لدود في الوقت نفسه.

ولد هنيبعل حوالي عام 247 قبل الميلاد بمدينة قرطاج التي تقع في شمال شرقي تونس الحالية، وتلقى العلم على يد والده الذي كان من أعيان قرطاج، وهو هميلقار برقا (Hamilcar Barca). رافق هنيبعل والده إلى إسبانيا خلال حرب قرطاج الأولى "الحرب الفونية الأولى" (First Punic War) (264ـ241 قبل الميلاد) ضد الرومان. وتقول

روايات غير مؤكدة أن هنيبعل قد أقسم لوالده خلال حملته الفاشلة، التزامه بكراهيته الدائمة لروما وإصراره على تكريس حياته للقتال ضد إمبراطورية الرومان.

وفي عام 221 قبل الميلاد أتيحت لهنيبعل - الذي كان قد بلغ منتصف العشرينات من عمره - أن يفي بتعهده؛ فقد تولى قيادة القوات القرطاجية العاملة في شبه جزيرة أيبيريا بعد موت أخي زوجته. وتمكن خلال سنتين فقط من إخضاع إسبانيا بأكملها غير آبه بالمعاهدات التي عقدتها قرطاج مع روما سابقاً. وطالب الرومان بأن تقوم قرطاج بتسليم هنيبعل إليهم، ثم عادوا بعد رفض طلبهم ليعلنوا عليها الحرب عام 218 قبل الميلاد، ولتبدأ بذلك حرب قرطاج الفونية الثانية (Second Punic War).

قرر هنيبعل نقل الحرب إلى روما مباشرة بدلاً من القيام برد فعل على تكتيكات الرومان. وفي شهر سبتمبر/ أيلول 218 قبل الميلاد انطلق بجيش قوامه خمسون ألف رجل وحوالي أربعين فيلاً ليعبر جبال الألب. وبالرغم من الخسائر الثقيلة في الرجال والركاب بسبب الظروف المناخية السيئة وهجمات رجال القبائل المعادية، فقد نجح هنيبعل في عبور تلك السلسلة بعد مسير بطولي لمدة خمسة عشر يوماً. ومن ثم نجح جيشه المنضبط والمدرب جيداً في هزيمة قوات الرومان التي لم تكن مستعدة في معركتي تايسينوس (Ticinus) وطربيا (Trebia)، وبذلك أصبح يحتل شمال إيطاليا بأكمله.

تحرك هنيبعل صوب الجنوب وبدأ في تجنيد رجال الغال المحليين المعروفين بعدائهم التقليدي لروما. وفي عام 217 قبل الميلاد هزم هنيبعل جايوس فلامينيوس (Gaius Flaminius) في معركة بحيرة تراسمينو (Trasimeno)، ثم اجتاح إقليم كمبانيا (Campania) الخصب. وفي السنة التالية واجه هنيبعل وجنوده سلسلة من أعمال التعطيل المتأنية وغير الفاعلة من جانب الرومان دون وقوع أي محاولة كبيرة لإيقاف تقدمهم حتى وصولهم إلى مدينة كان (Cannae) على نهر أوفيدس (Aufidus). وهنا هاجم هنيبعل الرومان مستخدماً تفوق سلاح فرسانه في قابلية الحركة ليطوق مركز دفاعات الرومان ويدمرها، وقتل أكثر من خمسين ألفاً من الجنود الرومان في تلك المعارك، بينما خسر هنيبعل أقل من سبعة آلاف من قواته فقط.

كان باستطاعة هنيبعل أن يتقدم صوب روما ونابولي بعد ذلك، ولكن لم تحقق خطته (لاستقطاب حلفاء روما المنشقين عنها) أهدافها، كما تجاهلت قرطاج طلبه لتوفير تعزيزات لقواته بسبب الغيرة السياسية لما حققه من نجاحات. ورغم تلك الصعوبات استمر هنيبعل في تقدمه، وكان بوسعه إصابة النجاح لو توافرت له أسلحة الحصار الملائمة والعدد الكافي من الجنود. وواصل التفوق على جيش الرومان في المعارك الميدانية، ولكن المدن الرئيسية تمكنت من صد هجماته خلال عامي 215 و211 قبل الميلاد.

طلب هنيبعل من أخيه الأصغر هسدروبعل (Hasdrubal)، الذي كان يقود جيشاً في إسبانيا، أن يمده بالمساعدات بعد أن فشل في تأمين التعزيزات اللازمة من قرطاج. واتجه هسدروبعل لإجابة طلب أخيه، ولكنه لم يصل؛ إذ علم القائد الروماني كلوديوس نيرو (Claudius Nero) بالطريق الذي سلكه ذلك الجيش، ونصب له كميناً عند نهر ميتوراس (Metaurus) عام 207 قبل الميلاد، وأرسل الروم رأس هسدروبعل إلى أخيه هنيبعل كإنذار له بحتمية انتصارهم.

وعلى الرغم من ذلك واصل هنيبعل القتال، ولكنه انسحب من إيطاليا أخيراً عام 204 ق. م ليعود إلى موطنه عندما قام سيبيو أفريكانوس (Scipio Africanus) – وهو ابن مغمور لقائد هزمه هنيبعل عقب عبور جبال الألب – بغزو قرطاج. وشرع هنيبعل بعد ذلك في تنظيم جيش جديد من حوالي خمسين ألف مقاتل، وعلى رأسهم مجموعة من كبار المحاربين الذين شاركوا في حملاته بإيطاليا ليواجه بهم قوات الرومان المتقدمة لغزو قرطاج. وواجه سيبيو قوات هنيبعل في معركة زاما (Zama) التي جرت في آذار/ مارس 202 قبل الميلاد لكن هنيبعل، الذي كان قد كسب أغلب انتصاراته بفضل تفوق سلاح فرسانه، انهزم تلك المرة أمام فرسان العدو المتفوقين. وهكذا تمكن سيبيو من الانتصار على هنيبعل، وكسب لقب "أفريكانوس" (Africanus).

على الرغم من توصل قرطاج وروما إلى صلح عام 201 قبل الميلاد فإن هنيبعل كان يخطط من داخل حكومته وجيشه لمواصلة القتال؛ مما أثار شكوك روما وعدم ثقة مواطنيه. وفي عام 196 قبل الميلاد قامت قرطاج تحت إلحاح روما بنفي هنيبعل إلى سوريا، حيث ساهم هناك في تمرد فاشل ضد روما قبل أن يهرب إلى إقليم بثينية (Bithynia) في

شمالي آسيا الصغرى. وفي عام 183 قبل الميلاد، أو بعده بعام تقريباً، انتحر هنيبعل بتجرع السم وهو في السبعين من عمره مفضلاً الموت على الوقوع في أسر القوات الرومانية المتقدمة. وطبقاً لما ورد في سجلات الحقبة الرومانية، فقد مات هنيبعل بعد أن قال: «دعونا نُرح الرومان من قلقهم المستديم، بعد أن اعتقدوا أنهم سينتظرون طويلاً موت رجل مسن».

بالرغم من اشتهار هنيبعل بعبور جبال الألب بجيشه وجنوده، فقد كان أعظم قائد عرفته قرطاج القديمة؛ إذ بقي لمدة خمسة عشرة عاماً يقود حملة ناجحة بعيداً عن موطنه، وهو يعيش على ما تجود به الأرض وعلى غنائم انتصاراته وبراعته التكتيكية. وكان يشارك رجاله قسوة الظروف والأخطار، حيث فقد إحدى عينيه بسبب التهاب خلال معسكر شتوي عام 217 قبل الميلاد. واعترف أعداؤه الرومان بمهاراته القيادية المتميزة حيث وصفوه في كتاباتهم بأنه «لم يكن يكلف الآخرين بأن يفعلوا ما لم يكن يستطيع فعله وما لم يكن سيقدم على فعله».

ومع أن شهرته قد بقيت طويلاً بعد زوال قرطاج، وعلى الرغم من نسج الحكايات الخيالية حوله كأعظم القادة العسكريين قاطبة، فإنه لا يستحق ذلك التكريم الكبير. صحيح أنه كان شجاعاً في تصرفاته وجريئاً في قيادته وذكياً في ابتداع تكتيكات الفرسان، ولكن سيبيو هو القائد الأفضل من نواح عديدة، كما أكد ذلك تفوقه على هنيبعل في المعركة. ومع ذلك يظل اسم هنيبعل، الذي عمل أعداؤه دون غيرهم على حفظ سيرته، هو الاسم المرتبط بالبطولات الكبيرة وبالشجاعة؛ ليثبت مع مرور الوقت أن الشهرة والمجد غالباً ما يفوقان قدرات المرء وإنجازاته الفعلية، ليغيرا طبيعة ومدى الأثر الذي خلفته تلك الإنجازات.

لاتزال بطولات هنيبعل، وخاصة عبوره لجبال الألب بالأفيال، تحظى بالاهتمام والإطراء على نطاق واسع، وتغطي على ما حققه سيبيو الذي لا يعرفه إلا دارسو التاريخ العسكري المثابرون. ولذلك السبب وحده يأتي ترتيب هنيبعل في هذه القائمة قبل القائد سيبيو الذي انتصر عليه في ميدان المعركة.

31



جون تشرشل (دوق مارلبورو)
John Churchill (Duke of Marlborough)
قائد إنجليزي
(1722 - 1650)

حقق جون تشرشل مكانة مرموقة لنفسه كواحد من أبرز القادة العسكريين في القرن الثامن عشر، بعد أن أبرز قدرات متفوقة في التخطيط الاستراتيجي والعمل التكتيكي، في أثناء قيامه بتنسيق مجهود قوات تحالف ضخم مكون من جيوش دول مختلفة. وكان تشرشل، الذي واجه انتقادات مبررة بسبب طموحه وانتهازيته، قد حذق التعامل مع الساحة السياسية المتقلبة وعمل على موالاة كل من امتلك زمام القوة خلال فترة الاضطرابات الداخلية التي نتجت عن التنافس على التاج الملكي في إنجلترا. وقد حقق له ذلك النهج تأمين مستقبل مهني ناجح في الحياة العسكرية، كما رفع من مكانة بريطانيا التي كانت مجرد جزيرة صغيرة لتصبح قوة أوربية عظمى.

ولد تشرشل لعائلة فقيرة مؤيدة للملكية بمدينة ديفون (Devon) في 26 أيار/ مايو 1650، وبدأ حياته المهنية في السابعة عشرة من عمره، حيث عمل كوصيف مرافق

لجيمس، دوق يورك، وكان تشرشل قد نال تلك الوظيفة بمساعي شقيقته التي كانت خليلة لدوق يورك. وتمكن خلال السنوات القليلة التالية من تكوين سلسلة من العلاقات الشخصية مع العديد من سيدات الطبقة الحاكمة، كما كسب علاقات مهنية مع الشخصيات التي أدرك أنها ستقود إنجلترا لاحقاً.

حصل تشرشل بوساطة أصدقائه في البلاط الملكي على تعيينه برتبة ضابط في قوات الحرس الراجلة (المشاة) عام 1667، وقضى العامين التاليين من خدمته كضابط حديث في العمليات ضد المغاربة في طنجة وعلى امتداد الساحل الأفريقي الشمالي. وخلال الفترة 1672-1674 خدم تشرشل مع القوات الفرنسية والإنجليزية المتحالفة ضد الهولنديين، وقاتل أثناء ذلك إلى جانب العديد من الضباط الفرنسيين الذين واجههم كأعداء فيما بعد.

بعد عودة تشرشل إلى إنجلترا تزوج في عام 1677 سارة جينينجز (Sarah Jennings)، وهي وصيفة للأميرة آن، الملكة مستقبلاً وابنة الملك جيمس الذي تولى الملك لاحقاً. وقام تشرشل بأداء خدمات دبلوماسية في البلاط الملكي بينما واصل ارتقاء سلم الرتب ليصل إلى رتبة عميد. ودعم مكانته بقيادته للقوات التي أخمدت التمرد الذي نشب عند اعتلاء الملك جيمس العرش الملكي في إنجلترا.

ورغم مساندة تشرشل للملك جيمس في مطلع ولايته، فقد اختار تشرشل أن يهجره عند وصول وليم أوف أورانج (William of Orange) إلى إنجلترا عام 1688 للمطالبة بالتاج الملكي. وسواء جاء تبديل الولاء بسبب اتباع الملك جيمس للمذهب الكاثوليكي أو لدواعي الانتهازية الصرفة، فقد كان قرار تشرشل حكيماً وفي محله؛ إذ رفعه الملك وليم إلى رتبة فريق وعينه دوقاً لمارلبورو، عندما تولى الملك فيما بعد.

أظهر تشرشل خلال الأعوام الأربعة التالية شجاعة شخصية ومهارات تكتيكية مميزة خلال النزاعات الثانوية التي وقعت في منطقة فلاندرز وأيرلندا، ولكنه لم يتمكن من قيادة قوة كبيرة لعدم وثوق سادة البلاط الجديد بشخصه. وفي عام 1692 أدى نزاع دخل

فيه مع الملكة ماري - فضلاً عن إجرائه اتصالات مع الملك جيمس في منفاه - إلى الزج بدوق مارلبورو في سجن برج لندن. وعقب موت الملكة ماري عام 1694، أطلق الملك وليم سراح تشرشل وأعاد له رتبته وامتيازاته.

عاد دوق مارلبورو إلى أداء مهام دبلوماسية وعسكرية ثانوية حتى عام 1702، حيث وقعت حادثتان مكنتاه من الصعود إلى مصاف الشخصيات العظيمة؛ فقد توفي وليم وتولت الأميرة آن - ابنة الملك جيمس وصديقة تشرشل منذ أمد بعيد - العرش الملكي في إنجلترا. وتزامنت مع تلك الفترة وفاة الملك تشارلز الثاني، ملك إسبانيا، دون أن يخلف ولياً للعرش الملكي. واندلع صراع أوربي مرير سمي بحرب خلافة العرش الإسباني لتحديد ملك إسبانيا في المستقبل. ودخلت إنجلترا الحرب في تحالف مع النمسا وهولندا، بعد تخوفها من احتمال حصول حفيد ملك فرنسا على التاج الملكي وتوحده مع إسبانيا في تحالف قوي ومهدد لها.

كسب دوق مارلبورو رضاء البلاط الملكي وجاءته الفرصة أخيراً لإظهار براعته العسكرية على مستوى كبير؛ فبينما ظل الحلفاء الهولنديون على ترددهم طيلة فترة الحرب، شكل دوق مارلبورو مع أوجين أمير سافوي النمساوي واحدة من أقوى علاقات التعاون التي عرفها التاريخ الحربي. فقد تمكنا خلال الأعوام التسعة التالية من إنهاء الهيمنة الفرنسية على القارة الأوربية، دون أن يُهزما في أي من المعارك التي خاضتها قواتهما.

كانت أولى العقبات التي واجهتهما هي التغيير الذي طرأ على المجال الحربي نفسه. وبعد التغيير الذي حققه القائد الفرنسي سباستيان لو بريستر دو فوبان بإدخال تغييرات جذرية على أساليب القتال باعتماد التدابير الدفاعية، بدأت أغلب الجيوش الأوربية في الاعتماد على التحصينات القوية التي جعلتها تتردد في المغامرة بالخروج من تحصيناتها وتنفيذ عمليات المناورة. وأدرك دوق مارلبورو عدم إمكانية كسب الحرب بالاعتماد على الأسلوب الدفاعي فقط، ووضع خطة قاعدتها الأولى هي الهجوم مع التقيد بمبدأ التخطيط لتجنب المخاطرة.

مزج دوق مارلبورو مبدأي الهجوم والتخطيط بالتركيز على تكتيكات الحركة السريعة إلى الهدف، وتمكن من تنفيذ هجمات مباغتة ليبدأ بهجوم قوي على أحد أجناب العدو لتشتيت انتباهه. وبمجرد دخول قوات الاحتياط المعادية في المعركة، يتولى دوق مارلبورو الموجود في مقدمة قواته قيادة قواته بنفسه والهجوم على مركز ثقل قوات العدو أو الجانب المقابل منها. وظل دوق مارلبورو طيلة حياته المهنية يمتلك القدرة الفذة على اختيار الوقت والمكان المناسبين لإشراك قواته الاحتياطية في القتال.

كانت قابلية الحركة والحفاظ على الروح المعنوية المرتفعة هي المفتاح الرئيسي للانتصارات التي حققها دوق مارلبورو، وقد حذق كلاً من هذين العنصرين؛ فقد قام بتصميم مقطورات صغيرة لحمل المؤن وتخفيف حمولة الجندي. وفي الحملات التي تتطلب مسيراً لمسافات طويلة كان يرسل قوافل الإمداد في المقدمة لتسبق القوات وتجهز المعسكرات لاستقبال تلك القوات المقاتلة، وكان ينفذ الجزء الأكبر من هذه التحركات ليلاً أو خلال ساعات الصباح المبكر ليتجنب رصدها من قبل استطلاع العدو.

عمل دوق مارلبورو على ضمان دفع رواتب أفراده في وقتها المحدد، وكان يوفر احتياجاتهم إلى درجة صرف أحذية عسكرية جديدة لهم قبل التوجه إلى خوض المعارك الرئيسية. وكان جنوده يعلمون أن تفوقه في التخطيط وعدم رغبته في المغامرة بقواته من العوامل التي تقلل نسبة الإصابات والقتلى بينهم. ونتيجة لذلك فقد كسب احترام جنوده وحاز إعجابهم، فاختاروا له لقب "العريف جون" تعبيراً عن إعزازهم له.

تمكن دوق مارلبورو بمهاراته التكتيكية وجنوده المتحمسين من كسب انتصارات سهلة في أراضي هولندا الإسبانية (بلجيكا الحالية) عام 1702. وبعد عامين فقط، تمكن من خلال تحالفه مع الأمير أوجين من تحقيق النصر في أكبر معركة له، بعد ما دفع قواته مسافة 250 ميلاً عبر أراضي ألمانيا إلى بلينيم في بافاريا ليفاجأ الفرنسيين في معقلهم القوي. وفي 13 آب/ أغسطس 1702، شن دوق مارلبورو هجوماً على القوات الفرنسية وكبدها خسارة بلغت 34 ألف جندي، بينما بلغت خسائره 13 ألف جندي. وضعت تلك الهزيمة نهاية لدور بافاريا في الحرب، كما انتهت سمعة فرنسا كقوة لا

تقهر، أما إنجلترا فقد كرمت دوق مارلبورو كبطل، ومنحته المال وشيدت له مقراً فخماً سمي بقصر بلينيم.

عاد دوق مارلبورو بعد النصر الذي حققه في بلينيم إلى إقليم فلاندرز وحقق فيه انتصاراً حاسماً على القوات الفرنسية في مدينة راميي (Ramillies) في 23 أيار/ مايو 1706. وبعد سنتين فقط أثبت مقدرته على تحقيق النصر حتى في حالة فشل تكتيكه المعتاد؛ فقد فاجأت قوة فرنسية أكبر حجماً قوات دوق مارلبورو عند مدينة أودينارد (Oudenaarde) في 11 تموز/ يوليو 1708، ولكنه تمكن من المناورة بجيشه وكسب الأفضلية بسبب التغيير العاجل من وضعية الدفاع إلى الهجوم.

وفي 11 أيلول/ سبتمبر 1709، حقق دوق مارلبورو آخر انتصاراته في معركة مونس (Mons)، ولم تحسم تلك المعركة الشرسة حتى قام دوق مارلبورو بإشراك قوات الاحتياط في الوقت الملائم تماماً. وعلى الرغم من خروجه منتصراً فقد خسر 21 ألفاً من قواته.

خدمت الخسارة البشرية الكبيرة التي تكبدتها القوات البريطانية في معركة مونس أغراض المحافظين الذين كانوا قد وصلوا لتوهم إلى سدة الحكم في إنجلترا؛ فقد تبنوا التركيز على القوات البحرية بدلاً من القوات البرية، واستخدموا ما حدث في معركة مونس كذريعة لإنهاء الحياة المهنية لدوق مارلبورو، فاستصدروا أمراً بإعفائه من مهامه القيادية، كما اتهموه بتبديد الأموال العامة للصرف على تشييد قصر بلينيم. وعندما تولى الملك جورج الأول العرش الملكي في عام 1714، أمر بإعادة رتبة وامتيازات دوق مارلبورو له، لكنه لم يتمكن من العودة إلى الخدمة بسبب سوء حالته الصحية؛ فقد أصيب بسلسلة من السكتات الدماغية، وتوفي وهو في الثانية والسبعين من عمره في 16 حزيران/ يونيو 1722.

حقق دوق مارلبورو أثناء حياته المهنية المميزة النصر الحاسم في أربع معارك كبيرة، ونجح في تنفيذ ستة وعشرين حصاراً، ولم يهزم أمام أي عدو. فقد ساد ميادين المعارك في أوربا طيلة عشرة أعوام، وحقق لإنجلترا مكانتها كقوة دولية كبرى. ويأتي دوق

مارلبورو في المرتبة - وفقاً للترتيب المعتمد في هذا الكتاب - بعد حليفه أوجين أمير سافوي بوصفه أكثر العسكريين تأثيراً في عصره. وعلى الرغم من أن تأثير دوق مارلبورو كان أقوى من حليفه عندما كان في قمة نفوذه، فقد حُرم الدعم السياسي خلال السنوات الأخيرة من حياته.

32



وينفيلد سكوت

Winfield Scott

قائد أمريكي

(1866 - 1786)

وينفيلد سكوت هو أبرز قائد عسكري أمريكي مؤثر في الفترة الواقعة ما بين حرب التحرير والحرب العالمية الثانية؛ فقد ظل في الخدمة العاملة برتبة جنرال لمدة أطول من تلك التي خدمها أي ضابط آخر في التاريخ العسكري الأمريكي، وقاد الجيش الأمريكي لأكثر من عشرين سنة. وتعتبر أكبر مساهمة له في مجال القيادة العسكرية هي نظرته الثاقبة للعلاقة بين النجاح والانضباط العسكري.

ولد وينفيلد في 13 حزيران/ يونيو 1786 في ضيعة لوريل برانش (Laurel Branch) التي تملكها أسرته بالقرب من مدينة بطرسبرج بولاية فرجينيا، والتحق بكلية وليم وماري ثم تركها ليدرس القانون بصفة مستقلة. وبعد هذه الفترة الوجيزة في عالم الدراسة الأكاديمية التحق سكوت بقوات سلاح الفرسان المحلية عام 1807، مما مهد له الطريق ليحصل على التعيين برتبة ضابط في قوات المدفعية بالجيش النظامي. ولم

تكن السنوات الأولى من حياة سكوت العسكرية ناجحة، حيث فكر مرتين في الاستقالة والعودة إلى ممارسة مهنة المحاماة. فقد خدم خلال الفترة 1809 ـ 1810 بولاية نيوأورليانز، واتهم هناك قائده الجنرال جيمس ويلكنسون (James Wilkinson) بأنه «خائن وكاذب وجبان». وعلى الرغم من ثبوت صحة اتهامات سكوت في نهاية المطاف، فقد أدت إلى مثوله أمام المحكمة العسكرية وإيقافه عن الخدمة لمدة سنة واحدة.

لم تكن التجربة القتالية الأولى التي خاضها سكوت مشرفة شأنها في ذلك شأن خدمته في زمن السلم؛ فقد انضم في بداية حرب عام 1812 وهو برتبة مقدم إلى القوات الأمريكية التي حاولت غزو كندا انطلاقاً من الجزء الشمالي لولاية نيويورك. وفي معركة كوينستون هايتس (Queenston Heights) التي جرت في 13 تشرين الأول/ أكتوبر 1812 وقع سكوت أسيراً لدى القوات البريطانية، واحتجزته لمدة ثلاثة أشهر قبل أن تطلق سراحه في عملية تبادل للسجناء.

قاد سكوت في أيار/ مايو 1813 الهجوم الناجح ضد قاعدة جورج، وبعد شفائه من الجروح التي أصيب بها في ذلك الهجوم شارك في الهجوم الفاشل ضد مدينة مونتريال. وأتاحت له تلك التجربة تشخيص مشكلة الجيش الأمريكي، وهي اعتماده على المليشيات ذات التدريب الضعيف واختيار القادة لتولي المناصب القيادية، وفقاً لمكانتهم في المجتمعات المحلية التي ينتمون إليها، وليس طبقاً لمهاراتهم أو ملكاتهم التي تؤهلهم لتولي القيادة العسكرية.

وصل سكوت في آذار/ مارس 1814 إلى رتبة عميد واتخذ نهجاً قيادياً مميزاً لازمه طوال ربع قرن فيما بعد. فقد باشر تدريباً نشطاً لقواته يشتمل على سلسلة من التمارين والتدريبات التي تعيدها القوات عدة مرات. كما فرض التكرار في التدريب وأمر بضرورة التقيد بالانضباط الصارم في الزي العسكري والسلوك، لدرجة حدت بجنوده إلى إطلاق لقب "المختال" عليه.

كسب اللواء الذي قاده سكوت الإطراء المستحق لأدائه المميز في الفترة المتبقية من حرب عام 1812؛ فقد تمكنت قواته من هزيمة قوات بريطانية أكبر عدداً في معركة

تشيباوا (Chippewa) في 5 تموز/ يوليو 1814 . وواجه اللواء نفسه بعد أقل من ثلاثة أسابيع الهجوم البريطاني الرئيسي في معركة ممر لونداي (Lundy Lane)، حيث تعرض سكوت لإصابة خطيرة مرة أخرى. وبانتهاء الحرب كان سكوت قد ترقى إلى رتبة لواء وكسب احترام العسكريين، كما اعتبره المدنيون بطلاً قومياً.

شارك سكوت بعد انتهاء الحرب في إعادة تنظيم الجيش، وقام بتأليف أول مرجع تدريبي للجيش متضمناً الدروس التي تعلمها في ميدان المعركة. كما قام بزيارتين إلى أوربا للاطلاع على أنماط التنظيم العسكري ومناهج التدريب المختلفة المطبقة في بلدان أخرى.

أثبت سكوت خلال فترة ما بعد حرب عام 1812 مهارته في التفاوض لحل النزاعات بمستوى لا يقل عن كفاءته في تدريب الجنود؛ فقد قاد عام 1832 المفاوضات التي أدت إلى توقيع معاهدة حالت دون وقوع حرب مع الهنود الحمر من قبائل سوك (Sauk) وفوكس (Fox). كما قام خلال الفترة 1838 ـ 1839 بتسوية نزاعات حدودية على امتداد الحدود بين نيوإنجلند وكندا، والتي كانت تهدد باندلاع حرب ثالثة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى. وأشرف عام 1838 على نقل قبيلة شيروكي (Cherokee) الهندية من ولاية جورجيا إلى محميات تحولت لتصبح ولاية أوكلاهوما فيما بعد.

برز نجم سكوت خلال هذه الفترة، وكان كثيراً ما يعارض التطلعات السياسية لأعضاء الكونجرس والرؤساء، كما كسب الاعتراف والتقدير لنزاهته ومهاراته القيادية. فقد تولى في 5 تموز/ يوليو 1841 قيادة الجيش بأكمله، وهو المنصب الذي ظل يشغله طيلة العشرين سنة التالية، ليدخل المزيد من التطور في الانضباط وتوحيد التدريب والتكتيك المتبع.

ظل سكوت قابعاً في واشنطن خلال المرحلة الأولى من اندلاع الحرب المكسيكية عام 1846، مفسحاً المجال للجنرال زاكري تايلور (Zachary Taylor) ليقود الغزو الأمريكي للمكسيك. وعلى الرغم من نجاح تايلور في كسب العديد من المعارك التكتيكية بشمالي المكسيك، فقد أدرك سكوت أن تحقيق النصر الحاسم يستوجب من الولايات المتحدة الأمريكية نقل المعركة إلى داخل المكسيك، ويشمل ذلك العاصمة نفسها مكسيكو

سيتي. بيد أن الرئيس جيمس بوك (James K. Polk) كان متردداً في بداية الأمر، بسبب تخوفه من ازدياد شعبية الجنرال سكوت على المستوى القومي وتحوله إلى منافس سياسي له، ثم عاد ليمنحه الإذن بقيادة الجيش الأمريكي ميدانياً لحسم تلك الحرب.

نفّذ سكوت بقوات الغزو أول إبرار بحري أمريكي رئيسي في ميناء فيرا كروز بتاريخ 8 نيسان/ إبريل 1847، وتمكن من الاستيلاء على ذلك الميناء بأقل الخسائر. ثم تحرك بسرعة نحو الأراضي الداخلية، وواجه وهزم قوة مكسيكية أكبر عدداً تحت قيادة سانتا آنا (Santa Anna) في سيرو جوردو (Cerro Gordo) بتاريخ 18 نيسان/ إبريل. وعلى الرغم من طول خطوط الإمداد وصعوبة المنطقة الجبلية، فقد تمكن جيشه من احتلال مدينة بويبلو (Puebla)، وحقق انتصارات حاسمة في المعارك التي جرت خلال شهري آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر في كونتريراس (Contreras) ومولينو ديل راي (Molino del Rey) وتشابولتيك (Chapultepec). ومن الضباط الشبان الذين عملوا كمساعدين للجنرال سكوت، وتعلموا منه المهارات التي أفادتهم كثيراً عند مشاركتهم في حروب قادمة، روبرت إدوارد لي (Robert Edward Lee) ويوليسيس سيمبسون جرانت (Ulysses Simpson Grant)، بالإضافة إلى أكثر من مئة ضابط أصبحوا قادة في الجيش خلال الحرب الأهلية فيما بعد. وفي 14 أيلول/ سبتمبر تمكن سكوت من احتلال مدينة مكسيكو سيتي دون أن يخسر معركة واحدة خلال الحملة التي امتدت لخمسة أشهر كاملة. وأدى ذلك الانتصار إلى ضم المزيد من الأراضي للولايات المتحدة الأمريكية من تكساس إلى كاليفورنيا وهي ثلث مساحتها الكلية.

بقي سكوت في مدينة مكسيكو سيتي كحاكم عسكري لها حتى اضطر إلى العودة إلى بلاده في نيسان/ إبريل 1848 ليدحض الاتهامات الباطلة التي وجهها إليه الرئيس بوك حول سوء التصرف الشخصي ومزاعم بالفساد المالي. وعلى الرغم من شعبيته الكبيرة كقائد عسكري متمكن، فلم يحقق القدر نفسه من النجاح عندما تحول إلى ممارسة السياسة؛ إذ فشل في أن يكسب ترشيح الحزب المعارض للحزب الديمقراطي له في خوض الانتخابات الرئاسية التي جرت في عام 1848. ثم عاود الكرة ليكسب ترشيح الحزب له بعد أربع سنوات، ولكنه خسر الانتخابات العامة بفارق كبير عن فرانكلين بيرس (Franklin Pierce).

تمتع سكوت بالاحتفاظ بمنصبه العسكري أثناء مشاركته في الحياة السياسية، واستمر في إدخال المزيد من التحسينات على التدريب مستفيداً من الدروس التي واجهها في المكسيك. كما حافظ على مهاراته في التفاوض، وساعد على التوصل إلى تسوية عام 1859 بشأن النزاع الحدودي بين بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية على جزر سان خوان (San Juan) في منطقة بيوجيه ساند (Puget Sound).

كان سكوت مع حلول عام 1861 قد قضى أكثر من خمسين عاماً في خدمة بلاده خاض خلالها حربين كبيرتين. ومع أنه مولود في ولاية فرجينيا، فإن ولاءه لبلاده لم يتبدل لدى اندلاع الحرب الأهلية؛ فقد كان واحداً من القليلين الذين رأوا أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع إنهاء التمرد في غضون أشهر فحسب؛ لذا عمل على وضع خطة لهزيمة المتمردين من خلال التعبئة العامة وحشد القوات، ثم محاصرة الجنوب وشطر الاتحاد الفيدرالي إلى قسمين على امتداد نهر المسيسبي. وقوبلت خطته التي أطلق عليها اسم "خطة أناكوندا" (Anaconda Plan) بالسخرية من قبل الصحافة والسياسيين وصغار الضباط في الولايات الشمالية، وصورت الصحف شخصية سكوت على أنه رجل هرم كثير النعاس والنوم على مكتبه.

تقاعد سكوت في 1 تشرين الثاني/ نوفمبر 1861، وانتقلت قيادة الجيش الاتحادي إلى الجنرال جورج ماكليلان (George B. McClellan). وعاش سكوت حتى انتهت فترة الحرب الأهلية، وشهد تبني الرئيس لنكولن والجنرال جرانت لخطته التي حققت النصر في نهاية المطاف. وتوفي سكوت في ويست بوينت بولاية نيويورك في 29 أيار/ مايو 1866 قبل أيام فقط من بلوغه سن الثمانين.

ظل وينفيلد سكوت يوجه الجيش الأمريكي وينظمه طيلة نصف قرن، قضاه ما بين جبهات القتال وقاعات مبنى مجلس النواب في الكابيتول. وساهمت شجاعته وجرأته وقدراته التنظيمية في قيادة الجيش منذ مرحلة التكوين الأولي حتى وصل إلى مكانته كقوة عالمية. وعلى الرغم من أنه ليس معروفاً اليوم، على النحو الذي يشتهر به جرانت أو روبرت إدوارد لي، فقد كان قائداً ومعلماً لكليهما. وهو يتفوق عليهما من حيث

المكانة والأهمية لطول المدة التي قضاها في الخدمة، ويأتي بعد جورج واشنطن الذي حقق استقلال الولايات المتحدة الأمريكية. كما يأتي بعد كبار القادة الأمريكيين الذين جاؤوا في مرحلة لاحقة أثناء الحرب العالمية الثانية ليحققوا النصر على قوى المحور، ويؤسسوا المكانة المتميزة التي حظيت بها الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد.

33



يوليسيس سيمبسون جرانت

Ulysses Simpson Grant

قائد أمريكي

(1885 - 1822)

أدى يوليسيس سيمبسون جرانت الدور الرئيسي في الانتصار الذي حققته قوات الاتحاد على القوات الموالية للكونفيدرالية في الحرب الأهلية الأمريكية، وتفوقت مهاراته التكتيكية وقدراته في مجال التخطيط الاستراتيجي على مهارات خصمه اللدود روبرت إدوارد لي. وعلى الرغم من نعته بـ "السكير" ثم "الجزار" بسبب ارتفاع عدد الخسائر البشرية في المعارك التي خاضها، فقد تميز بإدراك أهمية استخدام جميع الإمكانيات العسكرية والاقتصادية في الحرب الشاملة. وتمكن من الحفاظ على وحدة الولايات المتحدة الأمريكية بتحقيقه للانتصار الحاسم في تلك الحرب.

ليس هناك شيء مميز في بدايات حياة جرانت المدنية أو العسكرية؛ فقد جاء ميلاده في 27 نيسان/ إبريل 1822 ليكون الشقيق الأكبر لستة أبناء أنجبهم والده الذي كان يملك مدبغة في منطقة بوينت بليزنت (Point Pleasant) بولاية أوهايو. والتحق عام 1839

بالأكاديمية العسكرية الأمريكية، فقرر لدى وصوله إلى مقر الأكاديمية في ويست بوينت تغيير اسمه من هيرام يوليسيس (Hiram Ulysses Grant) إلى يوليسيس هيرام (Ulysses Hiram Grant) تجنباً لحرج كتابته بالاختصار (HUG) والذي يناظر كلمة "احتضنْ". وأدى خطأ إداري ارتكبه عضو الكونجرس الذي رشحه للقبول في الأكاديمية العسكرية إلى تسجيل اسمه على أساس أنه يوليسيس سيمبسون (Ulysses Simpson)؛ فلم يبذل جرانت أي جهد لتصحيح هذا الخطأ تجنباً للخلط الإداري الذي قد يمنعه من دخول الكلية، وأخذ يستخدم الاسم المختصر وهو يو إس جرانت (U.S. Grant).

لم يُظهر جرانت أي تفوق ينبئ بإمكانيات كبيرة في الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت، وكان ترتيبه الحادي والعشرين من بين تسعة وثلاثين تلميذاً عسكرياً (مرشح ضابط) هم دفعة عام 1843. وعلى الرغم من تفوقه الواضح في مادة الفروسية أثناء الدراسة بالأكاديمية، فقد تم تعيينه ملازماً في قوات المشاة، والتحق بعد التخرج بالكتيبة الرابعة في ثكنات جيفرسون بولاية ميسوري.

وعند اندلاع الحرب مع المكسيك عام 1846 انضم جرانت وكتيبته إلى قوات زاكري تايلور على حدود ريو جراند (Rio Grande). وشارك جرانت في المعارك الأولى من الحرب ونال الإطراء على استبساله في معركة مونتري (Monterrey). وفي عام 1847 نقلت وحدته إلى الجنوب لتنضم إلى حملة الاستيلاء على ميناء فيرا كروز تحت قيادة وينفيلد سكوت، وشارك خلال تلك الحملة في المعارك التي جرت في سيرو جوردو في نيسان/ إبريل، وفي تشوروبيسكو (Churubusco) خلال آب/ أغسطس، وفي مولينو ديل راي وتشابولتيك خلال أيلول/ سبتمبر. ونال جرانت مع سقوط مدينة مكسيكو سيتي ترفيعاً تقديرياً إلى رتبة نقيب فخري، كما رفعت رتبته الأصلية في الجيش النظامي إلى ملازم أول.

عاد جرانت إلى ولاية ميسوري عام 1848 وتزوج جوليا دينت (Julia Dent)، وهي ابنة مزارع محلي قابلها خلال فترة خدمته الأولى مع الكتيبة الرابعة في ثكنات جيفرسون. وتنقل جرانت مع أسرته ليخدم في المسيسبي ونيويورك ومتشجان ومنطقة شمال غربي المحيط الهادي. وفي عام 1854 التحق جرانت الذي كان قد وصل إلى رتبة

نقيب في الجيش النظامي بقاعدة فورت همبولت (Fort Humboldt) في كاليفورنيا. وبعد فشله في جلب زوجته للالتحاق به في مقر خدمته الجديد، بدأ - أو واصل طبقاً لما أوردته بعض الروايات - الإكثار من شرب الخمر ثم استقال من الخدمة العسكرية بعد وقت قصير من ذلك.

عاد جرانت إلى ميسوري وحاول خلال الأعوام الستة التالية ممارسة حرفة الزراعة والدخول في بعض مشروعات الأعمال الأخرى، لكنه لم ينجح في أي منها. وفي عام 1860 انتقل مع أسرته إلى مدينة جالينا (Galena) بولاية إلينوي وعمل إدارياً في متجر بيع المصنوعات الجلدية الذي يملكه والده.

حاول جرانت لدى اندلاع الحرب الأهلية العودة إلى الخدمة في الجيش النظامي، ولم ينجح في ذلك رغم إعلان التعبئة وحاجة الجيش إلى عدد هائل من القوات. ونجح جرانت أخيراً في الحصول على التعيين برتبة عقيد في قوات الميليشيا ليتولى قيادة كتيبة المشاة المتطوعة الحادية والعشرين في ولاية إلينوي، وتم ترفيعه خلال شهرين فقط إلى رتبة عميد وتولى قيادة المنطقة العسكرية في جنوب شرقي ميسوري.

خاض جرانت أول تجربة قتالية في الحرب الأهلية وحقق نصراً محدوداً في بلمونت (Belmont) بولاية ميسوري. ولم ينل اهتمام الرئيس لنكولن والجيش النظامي، إلا بعد أن أدى تنسيقه المميز لمجهود القوات البحرية والبرية إلى الاستيلاء على قاعدتي هنري ودونلسون التابعتين للقوات الكونفيدرالية في شباط/ فبراير 1862. وأصبح مطلب الاستسلام بلا شروط الذي فرضه جرانت على قائد القوات المتمردة في قاعدة دونيلسون، هو اللقب المرادف لاسمه.

تلقى جرانت في ربيع عام 1862 ترفيعاً إلى رتبة لواء وعين قائداً لجيش ولاية تنسي. وفي 6 نيسان/ إبريل من العام نفسه فاجأ جيش الكونفيدراليين الذي يقوده الجنرال ألبرت سيدني جونستون (Albert Sidney Johnston) القوات الاتحادية في مدينة شيلوه (Shiloh) بولاية تنسي، ولكن جرانت تمكن من حشد قواته وقام بصد هجوم المتمردين.

قام جرانت عقب معركة شيلوه بتنفيذ العديد من المناورات التي أظهرت براعته في التكتيك الميداني؛ فقد استخدم أسلوب الحركة السريعة والهجومية ليحقق الانتصار في خمس معارك متتالية ضد قوات أكثر عدداً في المسيسبي أثناء تحرك جيشه نحو فايكسبيرج (Vicksburg) . وقام جرانت مرة أخرى بالتنسيق مع الأسطول البحري الأمريكي على نهر المسيسبي، وفي حزيران/ يونيو أصبحت فايكسبيرج مطوقة من ناحية البحر والبر . استسلمت المدينة أمام قوات جرانت في 4 تموز/ يوليو، مما مكن للقوات الاتحادية فرض سيطرتها الكاملة على نهر المسيسبي وتقسيم المنطقة التي تسيطر عليها القوات الكونفيدرالية إلى قطاعين.

وبعد معركة فايكسبيرج تلقى جرانت أخيراً تعييناً في الجيش النظامي الأمريكي، وتم ترفيعه إلى رتبة لواء وتعيينه قائداً لفرقة المسيسبي العسكرية المشكلة حديثاً . وبعد حملة قصيرة تمكن من الاستيلاء على تشاتانوجا (Chattanooga) وكسر الحصار الذي فرضه المتمردون على تلك المدينة، بعد أن حقق نصراً حاسماً في منطقة لوك أويت ماونتين (Lookout Mountain) . ولم يتوقف جرانت عند ذلك الحد بعد تحقيق النصر، بل واصل مطاردة قوات المتمردين المنسحبة .

ظل الرئيس لنكولن يبحث طيلة ثلاث سنوات عن قائد يستطيع حسم الحرب وحماية الاتحاد، ووقع اختياره في عام 1864 على جرانت لتلك المهمة . وفي 9 آذار/ مارس من العام نفسه أصدر أمراً بترفيعه إلى رتبة فريق وعينه قائداً عاماً للقوات الاتحادية . ورد الرئيس لنكولن على ضباط الجيش النظامي الذين لايحتفظون بذكريات إعجاب لجرانت وعلى مواطنيه المدنيين الذين لم ينسوا فترة إدمان جرانت للخمر بمجرد القول «أحتاج هذا الرجل، فهو مقاتل فذ» .

لم يخيب جرانت ظن الرئيس لنكولن فيه، وباشر مسؤولياته على الفور؛ فأدار العمليات الحربية الكاملة لقوات الاتحاد من قلب الميدان، واستخدم البرق كوسيلة للاتصال . ولأنه يعرف أن الولايات الجنوبية لا تستطيع مجاراة الولايات الشمالية في توفير القوى البشرية والموارد الأخرى، فقد شرع جرانت يشن حرب استنزاف (مواصلة

وامتداداً لخطة أناكوندا التي قدمها وينفيلد سكوت في بداية الحرب الأهلية). وأصدر جرانت أوامره إلى وليم شيرمان (William T. Sherman) بالتوجه إلى أطلنطا، وأمر فيليب شريدان (Philip Sheridan) بتحييد قوات المتمردين في وادي شناندوه (Shenandoah Valley)، بينما رافق بنفسه جيش جورج ميد (George Mead) المنطلق من منطقة نهر بوتوماك (Potomac)، للقتال ضد المتمردين في ريتشموند (Richmond) وضد جيش روبرت لي في فرجينيا. ولم يحقق جرانت النصر في حملته على الرغم من خوضه سلسلة من المعارك الضارية في ويلدرنس (Wilderness) وسبوتسلفانيا (Spotsylvania) وكولد هاربر (Cold Harbor). وفي الواقع كان لي منافساً له، بل تفوق عليه في الأداء الميداني أحياناً. ولكن استمرت القوات الكونفيدرالية في تكبد الخسائر التي لم تتمكن من تعويضها، وأجبرت على التحول إلى وضعية رد الفعل على تحركات جرانت بدلاً من امتلاك زمام المبادرة.

وفي حزيران/ يونيو 1864 تمكن جرانت من تطويق قوات لي في مدينة بطرسبرج بولاية فرجينيا، واستمر ذلك الحصار حتى يوم 1 نيسان/ إبريل 1865، عندما حقق جرانت النصر في معركة فايف فوركس (Five Forks) مخترقاً دفاعات الميمنة لقوات لي ليجبره على الانسحاب. وأرسل جرانت قوات في محاذاة خط انسحاب قوات لي المنسحبة نحو الغرب وأمر شريدان بقطع خط انسحابها. وصل لي إلى منطقة أبوماتوكس كورت هاوس (Appomattox Court House) في 9 نيسان/ إبريل، واستسلم هناك بعد أن أدرك أنه لن يستطيع مواصلة القتال ضد جرانت. وتبعه في الاستسلام ما تبقى من قوات المتمردين في كل مناطق الولايات الجنوبية خلال الأسابيع القليلة التي تلت ذلك.

ظل جرانت في الجيش بعد انتهاء الحرب، وفي عام 1866 أقر الكونجرس ترفيعه إلى رتبة فريق أول، وكان القائد الوحيد الذي وصل إلى تلك الرتبة في الجيش منذ عام 1799. وبعد أن خاض جرانت الانتخابات الرئاسية مرتين، فاز في المرة الأولى فقط عام 1868 ليصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، ولكن حاصرته الفضائح التي شملت الفساد الإداري الذي تورط فيه بعض المسؤولين المعينين سياسياً - ولم يكن

هو طرفاً فيه - خلال فترة رئاسته؛ لتؤكد نجاحه كقائد عسكري وفشله في دور رجل الدولة.

خاض جرانت حملة انتخابية ثالثة في عام 1879، ولكنه لم ينجح فيها. وانتقل بعد ذلك إلى مدينة نيويورك، ودخل هناك عالم الأعمال الخاصة، ولكنه خسر كل ثروته في مغامرة مشروع استثمار مصرفي ليثبت بذلك عدم تحسن مهاراته التجارية. وأصيب جرانت بسرطان الحلق وقضى أيامه الأخيرة في كتابة سيرته الذاتية التي فرغ منها قبل أربعة أيام من موته؛ إذ توفي في 23 تموز/ يوليو 1885 وهو في الثالثة والستين بمنطقة ماونت جريجور (Mount Gregor) في ولاية نيويورك. وحقق الكتاب الذي صدر بعد وفاته نجاحاً كبيراً ووفرت عوائده دخلاً كبيراً عاشت عليه أسرته فيما بعد.

لم تكن شخصية جرانت العسكرية، بقامته القصيرة وتكوينه الجسماني الممتلئ وتحدب كتفيه، تثير إعجاب أي فرد. وعلى الرغم من فشله في كل الأنشطة الأخرى التي حاول ممارستها، فإنه يعتبر من أبرز القادة العسكريين في التاريخ. فقد تكبد خسائر كبيرة وكان مفرطاً في شرب الخمر، ولكنه حقق النصر في أكبر حرب حاسمة بين أنصار التقسيم والوحدة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، وهي الحرب التي ضمنت بقاء الاتحاد وإلغاء تجارة الرقيق.

لم يكن جرانت محبوباً مثل لي، كما لم تكن له الشهرة التي كسبها كل من ستيوارت (J. E. B. Stuart) وشريدان، ولكنه أثبت صحة ما ذهب إليه الرئيس لنكولن عندما قرر اختياره لحسم الحرب الأهلية. فقد برهن على قدرته على القتال ليبين أنه كان القائد المناسب في الوقت المناسب. ويعتبر أسلوب "الحرب الشاملة" واستمرار وحدة الولايات المتحدة الأمريكية من الإنجازات التي خلفها جرانت. ولولا قيادته المتميزة لكان من الممكن أن تظل الولايات المتحدة الأمريكية على ما كانت عليه من تجزئة، ولربما لم تكن لتتبوأ مطلقاً المكانة التي وصلت إليها كقوة عظمى.

يتفوق تأثير جرانت على ما حققه أقرانه الآخرون من القادة على طرفي الحرب الأهلية. ومن بين كل القادة العسكريين في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، يأتي

ترتيب جرانت بعد جورج واشنطن ووينفيلد سكوت (قائده السابق)، ثم القادة الأمريكيين الكبار أثناء الحرب العالمية الثانية، وهم جورج كاتليت مارشال ودوايت ديفيد أيزنهاور ودوجلاس مكارثر.

34



سيبيو أفريكانوس
Scipio Africanus
قائد روماني
(حوالي 237 - 183 قبل الميلاد)

تمكن القائد الروماني سيبيو أفريكانوس من هزيمة القائد القرطاجي المعروف هنيبعل، وكسبت روما بموجب ذلك الانتصار "الحرب الفونية الثانية"، أو حرب قرطاج الثانية (218 ـ 201 قبل الميلاد). وأثبت سيبيو براعته في مجال التدريب وفرض الانضباط، وكان مجدداً في التكتيك والتخطيط الاستراتيجي.

يصعب فصل الحقائق عن الروايات الوهمية فيما يتعلق بحياة سيبيو، وذلك لعدم توافر مصادر موثوقة حول أجزاء معينة من حياته. وهو يتحدر من سلالة شهيرة من القادة العسكريين الرومان، وورد ذكره لأول مرة في المراجع التاريخية لأحداث عام 218 قبل الميلاد. وذكر أنه قد اقتحم صفوف العدو في معركة نهر تايسينوس بشمالي إيطاليا، لينجح في إنقاذ والده الجريح خلال المعركة التي خسرتها القوات الرومانية في مواجهة قوات هنيبعل القرطاجية.

فقدَ سيبيو في الحروب التي جرت ضد القوات القرطاجية خلال السنوات اللاحقة والد زوجته وأخاه وعمه ثم أباه. ويبدو أن تلك الخسائر - بالإضافة إلى ما وقع من تدمير شامل للجيوش الرومانية أمام قوات قرطاج المتفوقة - هي الأسباب التي دفعته إلى تكريس حياته للثأر لأقاربه ومواطنيه. وتحقيقاً لهذا الهدف عكف سيبيو على دراسة فنون الحرب، وركز على استيعاب تكتيكات عدوه هنيبعل. وتوصل إلى ضرورة الانتقال لمواجهة القرطاجيين في عقر دارهم بدلاً من انتظار هجومهم.

نال سيبيو منصباً قيادياً عسكرياً بفضل قدراته إلى جانب انتمائه العائلي. وفي عام 209 قبل الميلاد وصل إلى إسبانيا على رأس جيش يضم 28 ألفاً من جنود المشاة وثلاثة آلاف من الفرسان. ولم يوجه هجومه الأول ضد جيش قرطاج الميداني، بل استهدف ميناء قرطاج الجديد الذي يعتبر قاعدة إمداد أساسية. وبعد حرمان عدوه من المؤن والتعزيزات، توقف ليتلقى جنوده المزيد من التدريب وليعلم ضباطه كيفية التصرف المستقل في ميدان المعركة، وساعدت التدريبات المكررة وجرعات الانضباط المكثفة على إعداد الجيش الروماني للقيام بالمناورات الصعبة لاستغلال نقاط ضعف العدو. وأدخل سيبيو أيضاً تشكيلات قتالية قوية على الأجناب للمساعدة على الحركة واستغلال ضعف العدو. وقد حرص سيبيو على تلبية الاحتياجات الشخصية لجنوده وسلحهم بالسيوف الإسبانية الجيدة المصنوعة من الصلب، مكافأة لهم على التزامهم وطاعتهم.

خاض سيبيو خلال الفترة 208-206 قبل الميلاد سلسلة من المعارك الناجحة في أنحاء إسبانيا ضد قوات قرطاج. فقد هاجم عام 206 قبل الميلاد الجزء الرئيسي من القوات القرطاجية المتبقية في منطقة إيلبا (Ilipa) بالقرب من أشبيلية. وعلى الرغم من التفوق العددي للقوات القرطاجية التي ضمت خمسين ألف جندي على القوات الرومانية التي بلغ تعدادها أربعين ألف جندي، فقد تمكن سيبيو من تجنب تلك الأفضلية بفضل قيامه بهجوم صباحي مفاجئ وتحريك قواته لتطويق أجناب العدو. واعتمد نجاح ذلك التكتيك المعقد على ارتفاع مستوى التدريب والانضباط بين جنوده.

وعقب عودة إسبانيا إلى السيطرة الرومانية مرة أخرى، أصبح جيش سيبيو يعامله كإمبراطور، وكانت تلك أول معاملة على ذلك النحو لقائد روماني. عاد سيبيو إلى روما حيث قرر القيام بغزو شمال أفريقيا بدلاً من مواجهة هنيبعل الذي كان يحتل الجزء الشمالي من إيطاليا حتى ذلك الوقت. ووصل سيبيو إلى موطن القرطاجيين في شمال أفريقيا عام 204 قبل الميلاد، واستطاع بمساعدة من فرسان الزعيم النوميدي (Numidian Chief) المحلي، ماسينيسا (Masinissa) أن يكسب عدداً من المعارك الخاطفة، كما استمر في استخدام الهجمات المفاجئة، وتظاهر في إحدى المرات بالتفاوض السلمي ليكسب التفوق في المعركة.

وطبقاً لما توقعه سيبيو فقد استدعت حكومة قرطاج القائد هنيبعل من إيطاليا للدفاع عن الدولة. ولم يتح سيبيو للجيش القرطاجي العائد الوقت اللازم للراحة أو لإعادة تنظيم صفوفه، وقام بشن هجوم فوري عليه. وبعد عدد من المناوشات الصغيرة تقابل القائدان الكبيران بجيشيهما في معركة زاما (Zama) عام 202 قبل الميلاد، وتمكن سيبيو من هزيمة هنيبعل باستخدام أرتال المشاة وتحريك سلاح الفرسان لتطويق الأجناب. وبلغت خسائر قوات قرطاج خمسة عشر ألفاً من القتلى وما ينيِّف على ذلك من الأسرى، بينما لم تتعد خسائر الرومان وحلفائهم ستة آلاف جندي فقط.

انسحب هنيبعل مع القلة المتبقية من جنوده إلى قرطاج والتمسوا السلام مع الرومان، وانتهت حرب قرطاج الثانية بسيطرة روما على منطقة البحر الأبيض المتوسط، وبخروج الإمبراطورية الرومانية منتصرة لتصبح أقوى إمبراطورية في العالم القديم.

عاد سيبيو إلى روما كبطل معزز، وكافأه مجلس الشيوخ بمنحه لقب "أفريكانوس" (Africanus) أي قاهر أفريقيا. وبعد فترة من التقاعد الوجيز عاد سيبيو ليشارك في الحملة الحربية ضد سوريا عام 190 قبل الميلاد قبل العودة إلى موطنه بعد ثلاث سنوات. وتوفي وهو في منتصف الخمسينات من عمره بمنطقة ليترنم (Liternum) عام 183 قبل الميلاد.

على الرغم من أن سيبيو لم يحقق الشهرة نفسها أو القدر ذاته من الاهتمام الذي حظي به خصمه هنيبعل الأكثر نفوذاً، فقد انتصر عليه في المواجهة الكبيرة الوحيدة التي

جمعت بينهما . كان سيبيو قائداً جريئاً وشجاعاً، واستطاع فرض الانضباط على جنوده وكسب احترامهم وولائهم . وعندما كان أسلوب القتال المباشر هو السائد، قدم سيبيو فكرة الحرب باستخدام أسلوب المناورة المتمثلة في تنظيم ونشر الفرسان الرومان للقيام بالهجمات على أجناب العدو واختراق مؤخرة قواته . وهو يحتل بجدارة مكانته بين قادة روما العظام، بل يعتبر أبرز قائد روماني في الحقبة السابقة ليوليوس قيصر .

35



هوراشيو نيلسون

Horatio Nelson

قائد بريطاني

(1805 - 1758)

يعتبر هوراشيو نيلسون أبرز أميرال عرفه التاريخ لدوره القيادي في تحقيق التفوق التام للبحرية الإنجليزية خلال فترة القرن التاسع عشر بأكملها. فقد كان شجاعاً وصلباً ومحبوباً بين مرؤوسيه، وهو الذي وضع أسس العمل والتقاليد التي لاتزال متبعة في البحرية الملكية حتى اليوم. وكان حامل وسام "فارس الأسلحة" (The Garter King of Arms) قد وصف نيلسون أثناء مراسم دفنه على أبلغ نحو بأنه «البطل الذي سقط في لحظة النصر متوشحاً بالمجد والخلود».

ولد نيلسون في 29 أيلول/ سبتمبر 1758، في بيرنهام ثورب (Burnham Thorpe) بمنطقة نورفوك (Norfolk) بإنجلترا، وقضى السنوات الخمس الأولى من عمره مع عائلته المتدينة قبل أن يتجه إلى العمل في البحر وهو في الثانية عشرة من عمره. كما تولى وهو في العشرين من عمره قيادة فرقاطة إنجليزية، فأصبح أصغر عقيد بحري في

تاريخ البحرية الملكية البريطانية. وخدم نيلسون أغلب الوقت خلال فترة العقد التالي بمنطقة جزر الهند الغربية، وقاتل خلالها ضد المتمردين أثناء الثورة الأمريكية.

انتقل نيلسون بعد اندلاع الحرب مع فرنسا عام 1793 إلى الأسطول العامل في البحر الأبيض المتوسط، وكسب خلال الاثنتي عشرة سنة التالية شهرة واسعة وأصبح بطلاً قومياً. فقد تولى في المرحلة الأولى قيادة السفينة الحربية أجاميمنون (Agamemnon)، وخدم في المياه الإقليمية لجزيرة كورسيكا. وتعرض نيلسون لأول إصابة أفقدته عينه اليمنى أثناء قيادته لعملية هجوم برمائي ضد كالفي (Calvi) عام 1794.

قابل نيلسون أثناء وجوده بمنطقة البحر الأبيض المتوسط السيدة إيما هاملتون (Lady Emma Hamilton) زوجة السفير البريطاني في نابولي. ومع أنه كان متزوجاً فقد دخل معها في علاقة امتدت طويلاً وساعدته على تحقيق المزيد من الشهرة والنجاح؛ فقد عملت على حث أصدقائها النافذين في لندن لترفيع نيلسون إلى المناصب والدرجات الأعلى في حياته المهنية كلما سنحت الفرصة بذلك.

وعلى الرغم من استفادة نيلسون من المساعدات التي قدمتها له السيدة هاملتون في التقدم أثناء خدمته، فإن الشجاعة والقدرات القتالية التي غرسها في مرؤوسيه كانت مميزة في حد ذاتها. فقد أبحر نيلسون في 14 شباط/ فبراير 1797 بسفينته الحربية "القبطان" (Captain) ذات الأربعة والسبعين مدفعاً ليواجه السفينة الإسبانية سانتسيما ترينداد (Santissima Trinidad) ذات المئة والثلاثين مدفعاً - وهي أكبر سفينة حربية على مستوى العالم في تلك الحقبة - وتمكن من التغلب على السفينة سان نيكولاس (San Nicolas) ذات الثمانين مدفعاً والاستيلاء عليها. وساهم أداء نيلسون بقدر كبير في تحقيق النصر بمعركة رأس سان فنسنت (Cape St. Vincent) وأكسبه ترفيعاً إلى رتبة لواء بحري كما منح لقب فارس.

تعرض نيلسون في شهر تموز/ يوليو من العام نفسه لإصابة أخرى نجم عنها بتر ذراعه اليمنى، وذلك خلال قيامه بهجوم جريء وفاشل بالقوارب الصغيرة بغرض الاستيلاء على مدينة سانتا كروز في جزر كناري. وفي عام 1798 عاد نيلسون بعد شفائه إلى

البحر الأبيض المتوسط، ليطارد الأسطول الفرنسي المساند لحملة نابليون المتجهة إلى غزو مصر. كان الجيش الفرنسي قد وصل إلى خليج أبوقير قبل وصول نيلسون، وبرغم ذلك تمكنت السفن الحربية البريطانية في المعركة التي جرت في 1 آب/ أغسطس من تدمير إحدى عشرة سفينة من أصل ثلاث عشرة سفينة فرنسية، دون أن تتكبد القوات البريطانية أي خسائر. وقد أجبر ذلك الانتصار جيش نابليون على التراجع عن خطته لغزو مصر.

أصيب نيلسون بجرح في رأسه خلال المعركة التي خاضها ضد الفرنسيين في المياه المصرية، ولكنه أتبع انتصاره بعملية قتالية ناجحة لإجلاء القوات الفرنسية من نابولي وإعادة العائلة المالكة للحكم. ثم عاد بعد ذلك إلى إنجلترا، وانفصل عن زوجته ليواصل علاقته العاطفية بالسيدة هاملتون في العلن.

التحق نيلسون، الذي وصل إلى رتبة فريق بحري عام 1801، بالقوات العاملة تحت إمرة السير هايد باركر (Sir Hyde Parker)، وشارك في العملية التي نفذت ضد الدنمارك لإيقاف مساعداتها الاقتصادية لفرنسا. ففي 2 نيسان/ إبريل من العام نفسه، قاد نيلسون اثنتي عشرة سفينة حربية واقتحم بها مرفأ كوبنهاجن الذي دافعت عنه ست عشرة سفينة دنماركية وبطاريات المدفعية الثقيلة المتمركزة على الساحل. وبدأت المعركة بقصف مكثف لم تشهده الحروب البحرية من قبل، وبعدما امتلأت السماء بقذائف المدفعية الثقيلة أرسل السير باركر إشارة لنيلسون يأمره فيها بالانسحاب. ورد نيلسون عند تلقيه تلك الإشارة بوضع المقراب (التلسكوب) الذي كان يستخدمه في توجيه النيران على عينه التي لا ترى "المفقودة"، وقال لأحد مرؤوسيه «بقيت لي عين واحدة فقط، ولدي الحق في أن أعمى عن رؤية الأمور أحياناً»، ثم واصل القتال بعد ذلك، وتمكن من تحقيق النصر في النهاية. ولم يعاقب بالتأنيب على مخالفة الأوامر كما كان متوقعاً، بل كوفئ بمنحه رتبة نبيل بدرجة فيكونت (viscountcy) [أدنى من الكونت وأعلى من البارون].

ساهم الانتصار الذي حققه نيلسون بكوبنهاجن في تحقيق هدنة قصيرة بين فرنسا وإنجلترا، ولكنهما عادا للمواجهة في عام 1803؛ فقد أبحر نيلسون بأسطوله إلى البحر

الأبيض المتوسط مرة أخرى واعترض الأسطول الفرنسي ودفعه إلى محاصرته في طولون. وتمكن الفرنسيون في عام 1805 من تفادي الحصار مستغلين تبدل الطقس إلى الأسوأ، وقام نيلسون بمطاردتهم في المحيط الأطلسي وفي طريق العودة منه. وتمت المواجهة بالقرب من كاديز (Cadiz) حيث تلقوا المساندة من أسطول إسباني وانضمت إليهم قواتهم البرية للاستعداد لغزو إنجلترا.

كان الأسطول الفرنسي-الإسباني متفوقاً على أسطول نيلسون في عدد السفن المسلحة؛ إذ ضم ثلاثاً وثلاثين سفينة مقابل سبع وعشرين فقط. ورغم ذلك أعد نيلسون خطة مفصلة ووزعها على قادة السفن، وبث رسالة من سفينة القيادة فيكتوري (Victory) التي كان على متنها، جاء فيها: «إن إنجلترا تنتظر من كل فرد منكم أن يؤدي واجبه». ثم باشر القتال بعد ذلك، وتقابل الأسطولان على مقربة من رأس الطرف الأغر بإسبانيا في 21 تشرين الأول/ أكتوبر 1805، وسارت أحداث المعركة طبقاً لخطة نيلسون. فقد تحرك البريطانيون ليخترقوا خطوط العدو بين السفينتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة، ثم أغرقوا أو استولوا على تسع عشرة سفينة من سفنه ولم يخسروا سوى سفينة واحدة فقط. هيمنت البحرية البريطانية بعد ذلك على البحار طيلة المئة سنة التالية، واستقرت أحلام نابليون المتطلع لغزو بريطانيا في قاع البحر عند الطرف الأغر.

لم يكتب لنيلسون العيش لينعم بحلاوة أكبر انتصار له؛ ففي المرحلة الأولى من القتال، تمكن قناص فرنسي متمركز على صارية إحدى السفن المجاورة من إصابة نيلسون بطلقة بندقية قاتلة، ومات الأميرال الكبير وهو يقول: «الآن أنا مرتاح، وأشكر ربي، فقد أديت واجبي»، وحُمل جثمان نيلسون إلى لندن لدفنه في كاتدرائية القديس بولس.

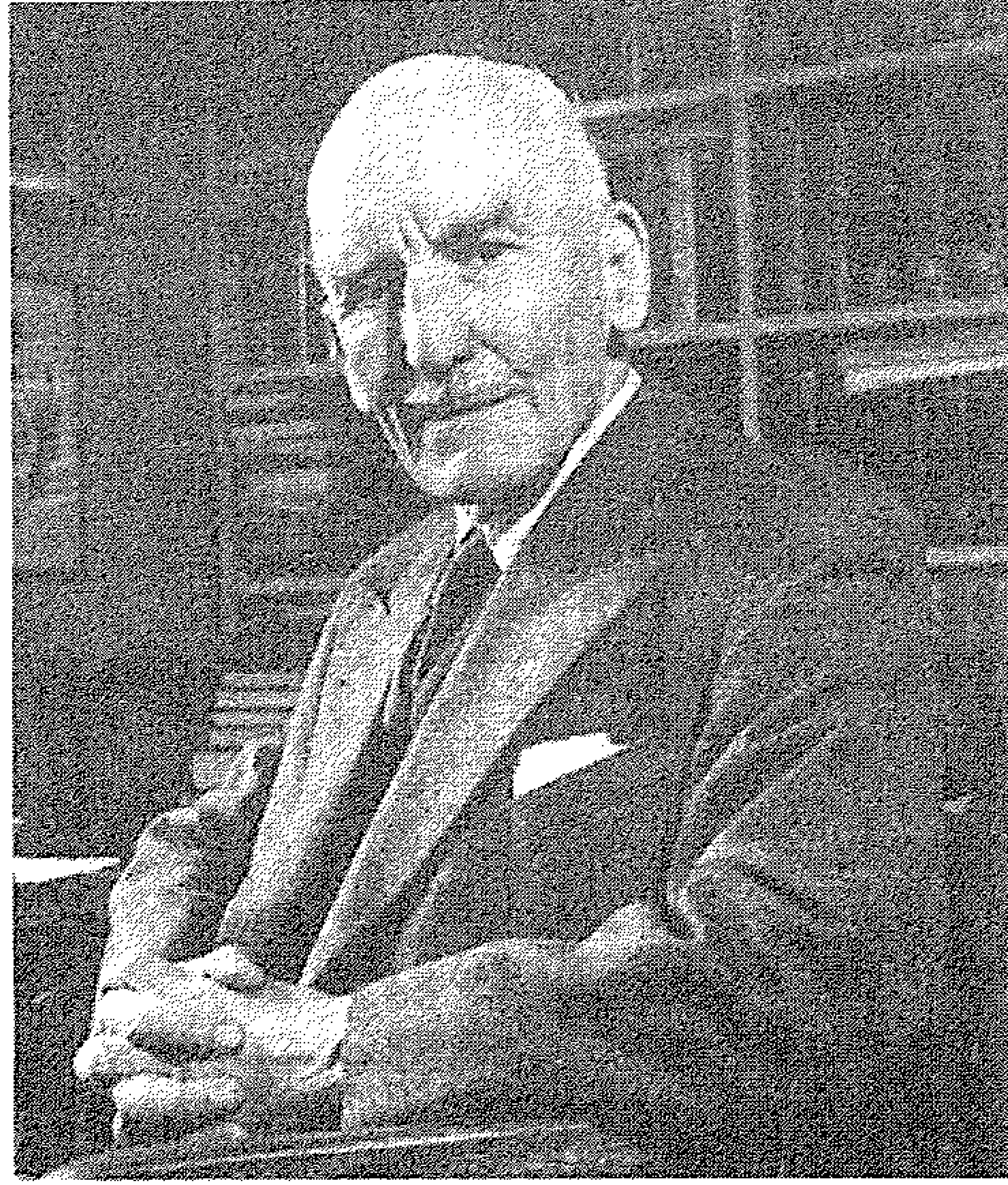
كان نيلسون يمتلك المهارة القيادية التي تمكنه من تحقيق النصر تحت أسوأ الظروف، فضلاً عن براعته في التكتيك والتخطيط الاستراتيجي، والتي تبدت في اختراقه الخط القتالي للسفن الفرنسية في معركة الطرف الأغر البحرية بغرض تركيز قوة نيرانه وتعزيز قدرته على المناورة. وقد حاز نيلسون إعجاب جنوده واحترامهم ومحبتهم له، وكون علاقة قوية مع رفاقه من الضباط الذين خدموا معه والذين كان يشير إليهم "بالإخوة".

وكان يملك الحدس الذي مكنه من اختيار الإجراء العملي الصحيح والإقبال على تعديل خططه في خضم المعركة لتحقيق النصر.

تمكن نيلسون من صهر جهد البحارة والضباط والأسلحة والسفن الحربية في أسطول متماسك على نحو لا مثيل له في أعالي البحار؛ فقد كانت كل السفن العاملة تحت إمرته تقاتل كقوة واحدة وتنفذ خطط قائدها وتعليماته على وجه السرعة.

وعلى الرغم من وفاة نيلسون وهو في قمة نجاحه المهني، وفي سن لم تتجاوز السابعة والأربعين، فقد ظل ما حققه من تفوق للبحرية البريطانية قائماً حتى القرن التالي، ليوفر الأساس الذي بني عليه عدد من نظريات الحرب البحرية التي أدخلها ألفريد ثاير ماهان. ولايزال نيلسون يعتبر بطل البحرية الملكية البريطانية حتى اليوم، والرمز الخالد للبحَّار المقاتل في أنحاء العالم، ولذلك فهو القائد البحري الأكثر تأثيراً ضمن هذه القائمة.

36



جون فريدريك تشارلز فولر
John Frederick Charles Fuller
قائد بريطاني
(1966 - 1878)

يعتبر جون فولر أبرز محلل عسكري في القرن العشرين؛ إذ يعود إليه الفضل في تطوير عمليات المدرعات وتقديم النظريات الملهمة في مجال الحرب الحديثة. وكان لكتاباته حول المعضلات التكتيكية والجوانب السياسية والاجتماعية للحرب والتاريخ العسكري أثر مهم على القادة أثناء الحرب العالمية الثانية والفترة التي تلتها.

ولد فولر في 1 أيلول/ سبتمبر 1878 بمدينة إتشنور (Itchenor) بجنوب إنجلترا لأب كاهن وأم فرنسية تلقت تعليمها في ألمانيا، وتخرج في كلية ساندهيرست العسكرية عام 1898. وبعد فترة خدمة قصيرة في أيرلندا، انتقل مع كتيبته إلى جنوب أفريقيا عام 1899، حيث قاد الوحدة المؤلفة من المشاة البريطانيين والجنود السود من السكان المحليين في الحرب ضد البوير.

عاد فولر عقب الحرب إلى إنجلترا، وقضى فيها خمسة عشر عاماً مع كتيبته، كما تم إلحاقه بعدد من المعاهد العسكرية، ولم يغادر للخارج إلا لقضاء مدة خدمة في الهند. اهتم فولر خلال تلك الفترة بدراسة مبادئ الحرب وأصولها، ووضع نظرية تعتمد أسلوب الاختراق التكتيكي بدلاً من هجوم الالتفاف كعامل رئيسي لتحقيق النصر في المعارك القادمة. كما عكف على نشر تلك الأفكار عن طريق كتابة مقالات في المجلات والمطبوعات المتخصصة تناول فيها موضوعات التعبئة العسكرية والتدريب وانتشار القوات. وقوبلت تلك الكتابات التي صاحبها اهتمامه بالسحر والتنجيم بالانتقادات ومعارضة الخصوم الذين هاجموها بشدة.

خدم فولر خلال الفترة الأولى من الحرب العالمية الأولى في مناصب أركان مختلفة بفرنسا، وأكد على تمسكه بفكرته التي ترى بأن الاختراق هو مفتاح النصر، ولكنه أشار إلى عدم توافر السلاح الذي يستطيع اختراق خطوط العدو الأمامية، وبخاصة مع سيطرة أسلوب الخنادق والقتال بالرشاشات واستخدام موانع الأسلاك الشائكة والمدفعية الثقيلة. وبعد تعرفه على الدبابات للمرة الأولى عام 1916، أدرك فولر أنها توفر الوسائل اللازمة لتنفيذ اختراق ناجح.

انضم فولر إلى سلاح المدرعات البريطاني عند تشكيله في كانون الأول/ ديسمبر 1916، وتم تعيينه رئيس أركان للسلاح الجديد وتم ترفيعه إلى رتبة مقدم. ومن ثم قام بتخطيط أول هجوم مكثف بالدبابات، وتمكن من اختراق خطوط الألمان وانتصر عليهم في معركة كانبري التي جرت في 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917. ودشنت تلك المعركة عصر حرب المدرعات وأبرزت أهمية الدبابات من حيث هي سلاح ميداني رئيسي.

واصل فولر العمل مخططاً رئيسياً لعمليات المدرعات البريطانية ووضع الخطة التي أطلق عليها اسم خطة 1919 من أجل الهجوم الحاسم لإنهاء الحرب. وتضمنت خطة 1919 تنفيذ هجوم اختراقي باستخدام أكثر من أربعة آلاف دبابة سريعة وحديثة ولديها القدرة على القيام بعمليات على مدى طويل. ومع انتهاء الموجة الأولى من تنفيذ الاختراق، تقوم ألف دبابة أخرى باستغلال الثغرة والتغلغل في عمق منطقة العدو لتدمر

مراكز القيادة والسيطرة فيها. وتوفر الطائرات الإسناد الجوي للهجوم كما تقوم بشل مراكز الإمداد والتموين وتدمير وحدات التعزيز التابعة للقوات الألمانية. ووضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها قبل أن ينتهي فولر من تنفيذ خطة عام 1919، ولكن تلك الخطة أدخلت فكرة الحرب الخاطفة أو الاختراق والقتال في عمق خطوط العدو، التي هيمنت على المراحل المبكرة من الصراع العالمي التالي إبان الحرب العالمية الثانية.

عاد فولر عقب الهدنة إلى إنجلترا ونجح في إقناع أهل القرار بتشكيل سلاح المدرعات الملكي البريطاني بصفة دائمة. وهكذا فقد أضاف إلى خصومه في فترة ما قبل الحرب أعداء جدداً، هم قادة سلاح الفرسان البريطاني الذين عارضوا فكرة استبدال آليات من الحديد بخيولهم. ورد فولر الذي اعتاد مثل ذلك الجدل بالقول: «ليس هناك ما يستعصي على العلم، علينا نحن العسكريين أن نمسك بهذه العصا السحرية وأن نطوع المستقبل».

عمل فولر أيضاً على توسيع كتاباته لدعم نظرياته العسكرية؛ فقد احتوى كتاباه **«الدبابات في الحرب الكبرى»** *Tanks in the Great War* الصادر عام 1920، وكتابه **«إصلاح الحرب»** *The Reformation of War* الصادر في عام 1923 على العديد من الأفكار التي تدعو إلى تطبيق فنون وأساليب معينة في حرب المدرعات متناقضة مع العقيدة والتطبيقات العسكرية السائدة حينها. لكن القادة العسكريين في أنحاء العالم اعتبروا كتب فولر متطرفة وخيالية فيما تدعو إليه. وفي عام 1926 أصدر فولر المحاضرات التي ألقاها في كلية القيادة والأركان التي أصبح قائداً لها، في كتاب بعنوان **«أسس علم الحرب»** *Foundations of the Science of War*. كوَّن فولر خلال هذه الفترة علاقة صداقة وأصبح المعلم لزميله المنظر العسكري بازل ليدل هارت، والذي شاركه أفكاره طيلة الفترة المتبقية من حياته باستثناء فترة قصيرة من الخلاف لأسباب سياسية.

انضم فولر إلى هيئة الأركان العامة الإمبراطورية عام 1926 وواصل العمل في كتاباته. وتمسك بدعوته إلى اتباع أسلوب الاختراق في القتال وأغضب رؤساءه ومؤيديه بتأكيده على عدم جدوى الاعتماد على الدفاعات الثابتة. كما وصف خط

ماجينو (Maginot Line) الذي أقامته فرنسا من التحصينات الدفاعية الثقيلة بأنه سيصبح «شاهد قبر على ضريح فرنسا»، وصَدَق توقعه. واعتذر فولر في عامي 1927 و1930 عن قبول مهام قيادية وتقاعد عن الخدمة في الجيش وهو برتبة لواء عام 1933. وحقق كتابه الأخير «لوائح الميدان جزء 3» *Field Regulations III* الذي صدر عام 1932 أثناء وجوده في الخدمة، والذي فسر فيه اقتناعه الراسخ بالنجاح المستقبلي لحرب المدرعات نجاحاً كبيراً خارج بريطانيا، ووجه الجيشان السوفيتي والألماني هيئة الأركان العامة في كل منهما لدراسته والاستفادة منه.

دخل فولر عالم السياسة لفترة وجيزة بعد تقاعده كمرشح فاشي للبرلمان، وتعكس كتاباته خلال هذه الفترة عداء مغلفاً للسامية. كما التحق بصحيفة «ديلي ميل» *Daily Mail* اللندنية التي عمل كمراسل حربي لها، وقام بتغطية الغزو الإيطالي لأثيوبيا والحرب الأهلية في إسبانيا. وعند دخول بريطانيا الحرب العالمية الثانية، تقدم بطلب للعودة إلى الخدمة العاملة، ولم يتم استدعاؤه قط بالرغم من أن الحلفاء والأعداء على السواء قد درسوا وطبقوا نظرياته طيلة فترة الحرب.

اتجه فولر إلى الكتابة في مجال التاريخ العسكري بعد انتهاء الحرب وتحقق السلام. ويعتبر كتابه «التسلح والتاريخ» *Armament and History* الصادر عام 1946 دراسة رائعة للعلاقة بين تطور الأسلحة والأحداث التاريخية، بينما يغطي مؤلفه المكون من ثلاثة مجلدات «التاريخ العسكري للعالم الغربي» *Military History of the Western World* الصادر في الفترة 1954 ـ 1956 التطورات العسكرية منذ حقب سالفة وحتى فترة الحرب العالمية الثانية. توفي فولر في 10 شباط/ فبراير 1966 بمدينة فالميث (Falmouth) بإنجلترا وهو في السابعة والثمانين من عمره، وخلف وراءه أكثر من أربعين كتاباً ومئات من المقالات التي كان قد نشرها في الصحف والمجلات.

يعتبر فولر الذي أطلق عليه لقب "بوني" (Boney) بسبب صغر بنيته الجسمانية وطبيعته المهيمنة مفكراً بارعاً في التكتيك والتخطيط الاستراتيجي، وأثرت أفكاره حول فنون المناورة والقتال بالمدرعات في أغلب القادة العسكريين الذين عاشوا في عصره.

وكان مفكراً أصيلاً بحق؛ لتميزه عن العسكريين العاديين بذكائه المفرط وجرأته في التعبير عن أفكاره. ولايزال تأثيره باقياً حتى اليوم من خلال مؤلفاته الشخصية ثم كتابات رفيقه ليدل هارت. وعلى الرغم من سريان أفكاره حول أهمية الاستفادة من قدرات القوات المدرعة للقيام بالاختراق واستغلال النجاح لتدمير العدو، فإن نظرياته الحربية لم تحقق القدر ذاته من العالمية التي وصلت إليها نظريات رفاقه المنظرين كارل فون كلاوسفيتس وأنطوان هنري جوميني وسون تسو.

37



هنـــري دو لاتور دو آفـــورن دو توريـــن

Henri de La Tour d'Auvergne de Turenne

قائد فرنسي

(1675 - 1611)

يعتبر هنري دو لاتور دو آفورن دو تورين واحداً من أعظم القادة العسكريين في فرنسا خلال حرب الثلاثين عاماً (1618 - 1648) والحروب التي خاضها الملك لويس الرابع عشر. وكان تورين بارعاً في القيام بالمناورات التكتيكية غير التقليدية التي تعمل على تحقيق عنصر المفاجأة وكسب الأفضلية في القتال. كما كان يمتلك القدرة على تولي قيادة الجيوش المهزومة والمحبطة ثم حفزها إلى تحقيق النصر خلال فترة وجيزة. وأكسبته قدرته على هزيمة قوات أكبر عدداً بأقل عدد من الخسائر محبة جنوده واحترام رؤسائه. وينبع التأثير الذي تركه تورين من درجة احترافه وطول فترة حياته المهنية. فقد تمكن خلال حياته العسكرية التي استمرت خمسين عاماً من إدامة جيش مدرب ومنضبط تماماً، وحافظ به على استقلال بلاده.

ولد تورين في عائلة عسكرية بمدينة سيدان (Sedan) في 11 أيلول/ سبتمبر 1611، والتحق بالخدمة عام 1625 جندياً في الجيش الذي كان يقوده عمه الجنرال الهولندي موريس الناساوي (Maurice of Nassau). وبالإضافة إلى تعلم مهارات الجندية الأساسية، عكف تورين على دراسة السيرة المهنية لكل من يوليوس قيصر والإسكندر الأكبر. وخاض أول تجربة قتالية وتميز بإظهار شجاعته الشخصية في حصار بويلادوك (Bois-le-Duc) عام 1626، وهو في الرابعة عشرة من عمره، وتم ترفيعه إلى رتبة نقيب في العام التالي.

وفي عام 1630 انتقل تورين وهو في التاسعة عشرة من عمره إلى الخدمة في الجيش الفرنسي، وتولى قيادة كتيبة مشاة وهو برتبة عقيد. ووفرت حرب الثلاثين عاماً فرصة طيبة بالنسبة إلى عسكري محترف، وهي فرصة اغتنمها تورين. فقد ظل يحارب الإسبان لمدة أربع سنوات، ونال الثناء على قيامه بالهجوم والاستيلاء على قلعة لاموت (La Motte) الحصينة. ومن ثم خاض قتالاً على امتداد نهر الراين وتقدم إلى داخل إيطاليا. واستمر تورين يقاتل خلال عقد كامل واكتسب سمعته كقائد حصيف، يقيم كل الخيارات الممكنة ويتصرف بحرص وترو وليس باندفاع. وكان لا يهاجم حتى تتوافر له معلومات كافية عن العدو والتضاريس؛ ولذلك استمر في تحقيق الانتصارات على القوات المتفوقة عدداً بأقل عدد من الخسائر من جانبه.

أصيب تورين عام 1642 بنكسة سياسية وصودرت أراضيه عندما تورط شقيقه الأكبر في مؤامرة ضد الملك. ولكنه خرج من تلك النكسة واستعاد مكانته على الفور، مثلما ظل يفعل خلال الفترة المتبقية من حياته والتي شهدت العديد من التغييرات والمكائد السياسية. وفي عام 1643 تم ترفيعه إلى رتبة مشير فرنسا وعين قائداً لجيش فيمار (Weimar) في فرنسا، بينما لم يكن يتجاوز الثانية والثلاثين من العمر.

وصل تورين إلى مقر قيادته الجديد في بريساخ (Breisach) ووجد القوات المكونة من عشرة آلاف فرد محبطة تماماً بسبب الهزيمة التي تعرضت لها أمام جيش فرانتس فون ميرسي (Franz von Mercy) البافاري في معركة توتلنجين (Tuttlingen). وبينما كان يعمل على إعادة تنظيم جيشه وتدريبه انضم إليه قائد آخر هو لويس الثاني دي بوربون،

أمير كونديه، وجلب معه تعزيزات قوامها سبعة آلاف جندي. قضى القائدان المرحلة المتبقية من حياتهما المهنية متوحدين وقاتلا معاً، ثم تبدل الحال ودخلا في قتال أحدهما ضد الآخر في مرحلة لاحقة بعد أن أصبح كل منهما من ضباط فرنسا العظام. وعلى الرغم من أن الأمير لويس الثاني قد جلب جيشاً أقل عدداً، فقد تولى القيادة الكلية بسبب مكانته الملكية الأعلى. ولم يتضجر تورين من ذلك الوضع، بل واصل الخدمة واكتسب سمعة طيبة بفضل قدرته على العمل والتعاون مع مختلف القادة.

قاد تورين جيشه خلال الهجوم التالي عبر ممرات جبلية ضيقة، وهاجم الدفاعات البافارية من الخلف وانتصر في معركة فرايبورخ (Freiburg) عام 1644. وفي العام التالي تمكن تورين، بعد تعزيز جيشه بقوات حليفه الأمير لويس الثاني، من تحقيق نصر حاسم على البافاريين وقتل قائدهم فرانتس فون ميرسي خلال تلك المعركة. وفي تصرف أظهر صفات تورين الشخصية واحترامه لرفيق سلاح محترف، قام بعمل نصب تذكاري للقائد ميرسي في الموقع الذي سقط فيه.

تحرك تورين بجيشه سراً عام 1646 بمحاذاة نهر الراين، ثم اتجه نحو الجنوب الشرقي لينضم إلى الجيش السويدي في جيسن (Giessen). وكسب تورين بتحالفه الجديد معركة زوسمارزهاوزن (Zusmarshausen) عام 1648؛ مما أجبر بافاريا على التماس التوصل إلى سلام.

لم ينعم الجميع ومن ضمنهم تورين بالهدوء بعد انتهاء حرب الثلاثين عاماً؛ فقد أدت التجاوزات الملكية وفرض المزيد من الضرائب، بالإضافة إلى الصراعات الإقليمية والعائلية التي يعود تاريخها إلى قرون ماضية إلى إشعال سلسلة من الثورات في فرنسا. وفقد تورين قوته في المرحلة الأولى بعد سلسلة من المعارك وفترات الهدنة والتحالفات الجديدة، واضطر إلى الهروب من البلاد، ثم عاد إلى موقعه القيادي عام 1651.

وفي خضم المزيد من التحولات التي طرأت بعد عام واحد، اختار تورين الوقوف مع الملك الشاب لويس الرابع عشر في مواجهة التمرد الذي قاده لويس الثاني أمير كونديه. وتواجه الصديقان والحليفان السابقان في سلسلة من المعارك خلال الفترة

1652 ـ 1653. وتمكن تورين وجيشه الموالي للملك من هزيمة أمير كونديه في كل تلك المعارك؛ مما حال دون انشقاق الفصائل المتمردة المختلفة، ومكن للملك تعزيز سلطانه الملكي وتحقيق استقرار حكمه.

لم يجلب ذلك الانتصار السلام لتورين؛ إذ استمر الإسبان في حالة الحرب ضد فرنسا. فقد تحالف مع جيش بريطاني واستغل انخفاض الأمواج ليناور بقواته على امتداد الساحل وقصف أجناب القوة الإسبانية في معركة دنكيرك عام 1658. وبعد معركة استمر فيها القتال أربع ساعات، تمكن تورين من قتل أو أسر 6500 جندي إسباني ولم تتجاوز خسائره أربعمئة جندي فقط. ومهد ذلك الانتصار الطريق أمام تورين للاستيلاء على إيبر وتهديد بروكسل وجنت، وهي المزايا التي مهدت للشروط المواتية لمصلحة فرنسا في معاهدة برانس عام 1659.

تم تعيين تورين عام 1660 مشيراً للجيوش والمعسكرات الخاضعة للملك. وعند اندلاع حرب التحالف الثلاثي عام 1672 قاد تورين الجيش الفرنسي على امتداد الضفة اليسرى لنهر الراين، وخاض خلال العامين التاليين سلسلة معارك ناجحة ضد الهولنديين والألمان. فقد قاد خلال شتاء عام 1674 ـ 1675 حملة فاجأ بها العدو ونتج عنها تحرير إقليم الألزاس من الاحتلال. وفي 27 تموز/ يوليو من السنة نفسها، أصابت قذيفة مدفعية تورين وقتلته أثناء قيامه بمهمة استطلاع روتينية بالقرب من ساسباك (Sasback). وهكذا توفي تورين وهو في الرابعة والستين من عمره قبل أن يحقق النصر الكامل.

حقق تورين خلال نصف قرن من القتال سلسلة من الانتصارات المميزة. وفي الفترة التي سادت خلالها هيمنة السياسة على العسكريين المحترفين، نجح تورين في الفصل بين المجالين وظل يخدم بإخلاص كل من وصل إلى سدة الحكم والسلطة حينها. كما تفوق بأسلوبه في المناورة والذي تعزز بفضل استفادته من التضاريس واستخدام المسير السريع والقيام بالهجمات المفاجئة، وكسب إعجاب قواته لحرصه على تقليل الخسائر والحفاظ على القوة البشرية.

حظي أمير كونديه باهتمام أكبر من المؤرخين مقارنة بتورين، لبروز شخصيته، ولكن تورين كان هو الأفضل في مجال الجندية والقتال. إذ عزز تورين درجة الاحتراف في

الجيش الفرنسي بحمايته من آثار الصراعات الداخلية، وكسب بقدراته المميزة ولاء مرؤوسيه من الجنود والضباط وحافظ على روحهم المعنوية العالية. واتسمت تحركاته التكتيكية في ميدان المعركة بالتخطيط السليم والدقة الكبيرة لدرجة مقارنتها في كثير من الأحيان بنقلات لعبة الشطرنج. وكان جون تشرشل دوق مارلبورو - الأكثر شهرة والذي خدم تحت إمرة تورين خلال الحملة على هولندا - قد عبر عن إعجابه بقيادته واعتزازه بما تعلمه منه. كما وضع نابليون قائمة بمن اعتبرهم أعظم سبعة قادة في التاريخ، وكان تورين هو الفرنسي الوحيد الذي شمله ذلك الاعتراف والتقدير.

38



ألفريد ثاير ماهان
Alfred Thayer Mahan
قائد أمريكي
(1914 - 1840)

لقب ألفريد ماهان "بكلاوسفيتس البحر" تيمناً بالمفكر والقائد العسكري الكبير كارل فون كلاوسفيتس، وهو الذي وضع الخطة الاستراتيجية للبحرية الأمريكية للقرن العشرين، وكان له تأثير كبير في تطوير القوة البحرية لكل من بريطانيا العظمى وألمانيا واليابان. وكان لكتابات ماهان - حول أهمية وضع خطة ناجحة لتشكيل قوة بحرية دولية ذات قدرات هجومية - دور مباشر في الانتصار الذي حققته الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية، ووصولها إلى مكانتها الحالية باعتبارها أكبر قوة عظمى على مستوى العالم.

ولد ماهان في 27 أيلول/ سبتمبر 1840 بمدينة ويست بوينت في ولاية نيويورك، حيث كان والده دينيس هارت ماهان (Dennis Hart Mahan)، معلماً بالأكاديمية العسكرية الأمريكية. وكان والده يدرِّس نظريات أنطوان هنري جوميني لطلبة الأكاديمية

الذين تولوا قيادة طرفي الحرب الأهلية الأمريكية فيما بعد. اختار ألفريد ماهان تخصصاً مخالفاً لحياة الجندي المقاتل التي احترفها والده، وتقدم بطلب إلى الأكاديمية البحرية الأمريكية وتم قبوله، وكان ترتيبه الثاني على دفعته التي تخرجت عام 1859.

تم ترفيع ماهان إلى رتبة ملازم أول بحري عام 1861 بعد فترة خدمة في سرية اسمها سرية البرازيل. وكانت أول تجربة قتالية له خلال الحرب الأهلية بمعركة بورت رويال ساوند (Port Royal Sound) بولاية كارولينا الجنوبية، كما شارك خلال مرحلة لاحقة في مهمة حصار مع سرايا جنوب الأطلسي والخليج الغربي (West Gulf). وكانت الفترة التي قضاها ماهان في الخدمة إبان الحرب عادية ولم يحقق خلالها إنجازات بارزة، مثلها في ذلك مثل المهام الرتيبة التي قام بها طيلة السنوات العشرين التالية. فقد تدرج في الرتب حتى رتبة عقيد بحري خلال فترة قل فيها الاهتمام والإنفاق على البحرية الأمريكية، وهي الفترة التي ركزت فيها الولايات المتحدة الأمريكية أغلب جهدها على التوسع في أجزائها الغربية، والسيطرة على القبائل الهندية التي تعيش في السهول والبراري.

عمل ماهان عام 1885 محاضراً في مادة التاريخ البحري والاستراتيجية البحرية بكلية الحرب البحرية التي كانت قد تأسست حديثاً بمدينة نيوبورت (NewPort) في رود آيلاند (Rhode Island). وبذل جهداً ناجحاً للحفاظ على الكلية كمركز أكاديمي يدرس فيه كبار الضباط الجوانب التاريخية والنظرية للحرب البحرية، وذلك بدلاً من أن تتحول إلى مجرد مؤسسة عادية من منشآت التدريب البحري.

لاقت محاضرات ماهان استحساناً وقبولاً كبيراً، وقام في عام 1890 بجمعها في كتاب بعنوان «**تأثير القوة البحرية في التاريخ: 1600 ـ 1738**» *The Influence of Sea Power Upon History, 1600-1738*، وحققت الأفكار الثاقبة التي تضمنها الكتاب عن القوة والاستراتيجية البحرية الشهرة الفورية لماهان داخل الولايات المتحدة الأمريكية وفي الخارج. كما أصدر بعده بعامين ملحقاً بعنوان «**تأثير القوة البحرية في الثورة الفرنسية**» *The Influence of Sea Power Upon the French Revolution* وحقق الملحق شهرة الكتاب.

عاد ماهان بعد فترة خدمة وجيزة في البحر ليعمل قائداً لكلية الحرب البحرية خلال الفترة 1892 ـ 1893. ومن ثم تولى قيادة السفينة "شيكاغو" في رحلة إلى أوربا لقي خلالها تكريماً عاماً في إنجلترا تقديراً لكتاباته القيمة، ثم عاد مرة أخرى للعمل في كلية الحرب البحرية قبل أن يتقاعد عن الخدمة عام 1896. وفي عام 1898 تم استدعاؤه للخدمة خلال الحرب الأمريكية ـ الإسبانية، وعمل كعضو لمجلس الحرب البحرية واختير في مرحلة لاحقة كمندوب ممثل للولايات المتحدة في مؤتمر السلام الذي عقد بمدينة لاهاي عام 1899. وترأس ماهان جمعية المؤرخين الأمريكيين عام 1902، وتم ترفيعه وهو على قائمة المتقاعدين إلى رتبة لواء بحري عام 1906.

استمر ماهان في تأليف الكتب حول الاستراتيجية البحرية وتوثيق السير الذاتية لكبار القادة البحريين، ومنهم القائد الشهير هوراشيو نيلسون والقائد ديفيد جلاسجو فاراجيت (David Glasgow Farragut). وتشمل أعماله البارزة كتباً منها **«اهتمام أمريكا بالقوة البحرية بين الحاضر والمستقبل»** *The Interest of America in Sea Power, Present and Future* والذي صدر عام 1897، وكتاب **«القوة البحرية وعلاقتها بحرب عام 1812»** *Sea Power in Its Relations to the War of 1812* والذي صدر في عام 1905. وكتاب **«الاستراتيجية البحرية»** *Naval Strategy* في عام 1911. وتوفي ماهان وهو في سن الرابعة والسبعين في 1 كانون الأول/ ديسمبر 1914 بمدينة واشنطن، ولاتزال مؤلفاته تطبع وتوزع حتى اليوم.

كان الرئيس تيودور روزفلت من المعجبين بماهان، وكان يستشيره كثيراً في الأمور المتعلقة بالبحرية. وساهمت نصائحه وكتاباته بصورة مباشرة في التوسع الذي أدخله روزفلت على البحرية الأمريكية وتطويره لأسطول السفن المقاتلة. وكان المسؤولون من القوات البحرية في دول أخرى مثل بريطانيا العظمى وألمانيا واليابان قد اطلعوا على أعمال ماهان، وطبقوا العديد من نظرياته في مجال التخطيط الاستراتيجي والكثير من نصائحه حول بناء السفن.

ركزت الأفكار الرئيسية التي قدمها ماهان على قاعدة أساسية هي "السيطرة على البحر"، وقلل من أهمية الدفاع لدرجة أنه قد أوصى بإسناد مهمة حماية السواحل

والمواني إلى الجيش (القوات البرية) بدلاً من البحرية. ويرى ماهان أن امتلاك القدرة على نشر قوة بحرية حول العالم هو الشرط الأساسي لتحويل أي بلد إلى قوة دولية عظمى. وبالإضافة إلى التأكيد على امتلاك القوة البحرية القادرة على الإبحار إلى أي مكان في أي وقت وإلحاق الهزيمة بأي عدو، ركز ماهان أيضاً على أهمية الحفاظ على تأمين سلامة الممرات البحرية التي تستخدمها السفن التجارية والحربية.

شدد ماهان على الحاجة إلى الاحتفاظ بقواعد في أعالي البحار مع ضرورة بناء الأساطيل الكبيرة، وأوصى بأن تقيم الولايات المتحدة الأمريكية قواعد بحرية لأساطيلها في كل من هاواي والفلبين وكوبا، كما طرح فكرة بناء قناة بنما.

على الرغم من أن ماهان هو أشهر منظر بحري تحظى مؤلفاته باطلاع واسع منذ الحقبة التي عاش فيها وحتى الآن، فمن الملاحظ صعوبة فهم واستيعاب كتاباته في أغلب الأحيان؛ فقد قدم أفكاراً سهلة، لكنه طرحها بلغة أكاديمية معقدة تتطلب جهداً في القراءة والفهم. ويعود شيء من هذا التعقيد في الكتابة إلى الفترة الطويلة التي قضاها ماهان باحثاً ومعلماً في كلية الحرب البحرية وتعامله مع دراسة العلوم الحربية بأسلوب الصفوة. ويأتي الغموض في كتاباته - وخاصة تلك التي كتبها في مجال التخطيط الاستراتيجي - نتيجة لكونها تجميعاً لنصوص محاضراته في كلية الحرب البحرية، ولم تكن نصاً واحداً متسلسلاً كما هي الحال في المؤلفات الشبيهة.

قوبلت مؤلفات ماهان في مجال الاستراتيجية البحرية بالثناء باعتبارها أكثر الكتابات تأثيراً على مر التاريخ، وذلك مع صعوبة اللغة الأكاديمية البحتة المستخدمة فيها. فقد استفاد قادة القوات البحرية التابعة للقوى العظمى خلال الحربين العالميتين من تلك المؤلفات في تجاربهم القتالية. وتقف القوة البحرية الأمريكية المؤلفة من حاملات الطائرات الموزعة على أنحاء العالم في الوقت الراهن، لتؤكد وتضمن مكانة الولايات المتحدة الأمريكية العسكرية. وبالرغم من أن ماهان قد ولد وعاش خلال القرن التاسع عشر، فإنه يعتبر قائداً بحرياً عظيماً في القرن العشرين وسوف تتجاوز شهرته هذا القرن. وليس هناك من القادة البحريين المؤثرين من يتفوق على ماهان، سوى هوراشيو نيلسون الذي كانت له خبرة قتالية أوسع.

39



هلموت كارل بيرنهارت فون مولتكه

Helmuth Karl Bernhard von Moltke

قائد بروسي

(1891 - 1800)

قاد هلموت فون مولتكه عملية توحيد الولايات الألمانية وحقق لألمانيا مكانتها كقوة أوربية مهيمنة، وذلك من خلال عمله الممتد طوال ثلاثين عاماً كرئيس لهيئة الأركان العامة البروسية. وينسب لمولتكه الفضل في كونه المجدد لنظام الأركان العسكري الحديث. كما قام بتجويد نظام التعبئة السريعة باستخدام خطوط القطارات وتحسين نظام القيادة والسيطرة على العمليات الميدانية من قبل مفارز القيادة وعناصر استخدام البرق (التلجراف).

ولد مولتكه في 26 تشرين الأول/ أكتوبر 1800 بمدينة بارشيم (Parchim) بمنطقة مكلنبرج (Mecklenburg) لعائلة بروسية فقيرة ومتواضعة ذات أصول أرستقراطية. تلقى تدريبه العسكري الأساسي بأكاديمية الضباط الملكية في كوبنهاجن. وخدم بعد تخرجه لفترة وجيزة في كتيبة مشاة دنماركية، ولكن عقب زيارته لبرلين في عام 1821

تبين له أن الجيش البروسي يتيح فرصاً أكبر للتقدم في الرتب. ونظراً لانتمائه إلى أسرة أرستقراطية ومولده في مدينة بروسية، تم تعيينه برتبة ملازم في كتيبة المشاة الثامنة.

ترك مولتكه انطباعاً طيباً لدى رؤسائه واشتهر بامتيازه في مجالي المفهومات والتكتيكات العسكرية. ومع استمرار ظروفه المالية الصعبة، فكر في زيادة دخله الشحيح المقتصر على راتبه العسكري، وبدأ بكتابة المقالات وترجمة الأعمال المنشورة سابقاً؛ فقد قام خلال سنة ونصف فقط في مطلع الثلاثينيات من القرن التاسع عشر بإعداد ترجمة ألمانية لتسعة مجلدات من كتاب جيبون (Gibbon) «**تدهور وسقوط الإمبراطورية الرومانية**» *Decline and Fall of the Roman Empire*. وذكر مولتكه في مرحلة لاحقة أنه لم يتسلم مستحقاته الكاملة نظير تلك الترجمة من الناشر، ولكنه أشار إلى أهمية المعرفة التي اكتسبها خلال العمل في ذلك المشروع والتي اعتبرها تستحق ما بذله من جهد.

درس مولتكه خلال العقد الأول من خدمته في الجيش البروسي بالأكاديمية الحربية التابعة للجيش، وخدم سنوات عديدة مع كتيبته، حيث استمر في تفوقه كضابط ركن على قدر كبير من الكفاءة. وفي عام 1835 انتقل مولتكه إلى تركيا ليعمل مستشاراً للسلطان محمود الثاني. واستوجبت التعليمات التي انتدب بموجبها أن يقتصر عمله على المساعدة لتحديث الجيش التركي، ولكنه التحق عام 1839 بحملة حافظ باشا التي توجهت لمواجهة القوات المصرية في سوريا. ورفض القائد التركي اتباع نصيحة مولتكه في معركة نزيب (Nezib) التي جرت في 24 حزيران/ يونيو 1839، وانسحب مهزوماً، وتولى مولتكه بنفسه قيادة المدفعية التركية ونجح في تغطية الانسحاب.

عاد مولتكه إلى بروسيا وألف أشهر كتبه حول تجربته في تركيا. كما واصل خلال العقدين التاليين عمله المثابر في تجويد الأداء بهيئة الأركان العامة. وكسب تقدير القادة في بروسيا وثقتهم بسبب الأعمال التي قام بها كمرافق عسكري للأمير فريدريك، وما بذله من مجهودات لمواجهة التمرد القصير عام 1848 وتفوقه المستمر في واجبات الأركان. كما استمر في ارتقاء سلم الرتب العسكرية، وجلبت له صداقته الممتدة منذ

أمد بعيد مع العائلة الملكية في بروسيا مكافأة عام 1857 بتعيينه رئيساً لهيئة الأركان العامة، وكان في السابعة والخمسين من عمره حينها.

امتد صعوده المطرد خلال وقت طويل وكان موازياً لتراجع قوة بروسيا نفسها. فقد كان مصمماً على استعادة صدارة بروسيا العسكرية واستخدام قوتها لتوحيد الإمبراطورية الألمانية. وتحقيقاً لذلك الهدف سعى إلى عقد شراكات سياسية وزيادة فاعلية القوة العسكرية، ونجح في تشكيل قيادة عسكرية ثلاثية مكونة منه والمستشار أوتو فون بسمارك (Otto von Bismarck) ووزير الحربية ألبريخت فون رون (Albrecht von Roon). وعقدت اللجنة اجتماعات، ثم تجاوزت فيما بعد الغرض الأساسي الذي حدده مولتكه حين باشرت إعادة رسم الخارطة الأوربية لتؤدي ألمانيا الموحدة دور القوة الرئيسية في المنطقة.

بنى مولتكه خطته لإعادة تنظيم الجيش على أساس تصوره الذي يرى أن الحروب المستقبلية ستشمل مشاركة قوات ضخمة منتشرة فوق منطقة جغرافية واسعة. وسعياً لتحقيق قدر أكبر من المرونة، قام مولتكه بتقسيم الجيش البروسي إلى ثلاث وحدات مقاتلة تساندها دائرة نقل بالقطارات. وتدعو خطته إلى تشكيل جيش نظامي ضخم من حوالي نصف مليون جندي وضعف ذلك العدد من القوات الاحتياطية التي يستطيع استدعاءها بالسرعة الممكنة. وتُنقل الوحدات النظامية العاملة والقوات الاحتياطية عن طريق شبكة خطوط القطارات الألمانية الواسعة عبر مسارات متعددة، لتلتقي في نقاط قريبة من مواقع القتال المتوقعة.

قام مولتكه بتدريب مرؤوسيه من القادة على تفادي أسلوب الهجوم بالمواجهة المباشرة، والاستعاضة عنه بتنسيق الهجوم على أجناب العدو وتطويقه، ثم دفع الهجوم إلى نقاطه الضعيفة التي تحددها وحدات الاستطلاع والهجمات الاستكشافية. ويعود الفضل في النجاح الذي حققته خطط مولتكه إلى عامل المرونة؛ فهو لم يتمسك باتباع خططه الأصلية، وكان يردد القول بأن الخطط لا تصمد خلال الدقائق الخمس الأولى من المواجهة مع العدو. ولكي تتحقق السيطرة على تلك الجيوش المنفصل بعضها عن

بعض، شكل مولتكه هيئة أركان وأسند رئاستها إلى أحد خريجي كلية الحرب العليا ليعمل تحت إمرته المباشرة فقط. كما كانت هناك إدارات أخرى لهيئة الأركان تتولى تصريف المهام الإدارية مثل النقل والتموين، وتعمل تحت إمرة رئيس الأركان مباشرة.

نبعت فكرة استخدام القطارات لنقل القوات بسرعة تتيح حشد القوة القتالية ومفاجأة العدو، من التجارب القتالية في فترة الحرب الأهلية الأمريكية. وكان مولتكه قد اطلع على كتابات حول تلك الحرب، وأوفد مراقبين إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليدونوا ما تحقق من تقدم في ذلك المجال، ثم عاد خبراء مولتكه بمعلومات لم تقتصر على استخدام القطارات، ولكنهم جلبوا المعلومات اللازمة حول كيفية استخدام البرقيات في تنسيق جهد القوات المنتشرة على جبهات عريضة، وفي سرعة إبلاغ الأوامر إلى القادة المنهمكين في قتال ضد العدو. ومع أن مولتكه لم يكن أول من استحدث الاستخدام العسكري لميزة التنقل بالقطارات والاستفادة الميدانية من المراسلة بالبرقيات، فقد عمل على تجويد استخدامها بصورة علمية؛ إذ قام بتشكيل وحدات للنقل والإشارة وأسند إليها مهمة السيطرة المتخصصة على مواردها وتنسيق كيفية استخدامها في الميدان.

خضع التنظيم والتعديل الجديد في وسائل نقل القوات الذي أدخله مولتكه إلى أول تجربة عملياتية له وهو في طور المهد؛ فقد ثبت نجاحه على الفور في عام 1864 حين غزت بروسيا الدنمارك وهزمتها في غضون بضعة أسابيع فقط. واستخدم مولتكه الدروس المستفادة في تلك الحرب الخاطفة وواصل تجويد خططه ليغزو النمسا عام 1866؛ ففي المرحلة الأولى من المعركة التي جرت من 27 - 29 حزيران/ يونيو 1866 بمنطقة لانجنسالزا (Langensalza) استخدم مولتكه رسائل البرق لتوجيه جيشه حيث أمر قادته بتطويق وتدمير جيش هانوفر المؤلف من أكثر من مئتي ألف رجل. وفي 3 تموز/ يوليو من العام نفسه، فشل مولتكه في تطويق القوة النمساوية بالكامل بمنطقة كونجرتس (Koniggrätz)، وفقد الجيش النمساوي المنسحب 45 ألف رجل مقابل عشرة آلاف من الجيش البروسي. وبعد سبعة أسابيع من اندلاع الحرب استسلمت النمسا، وفرضت بروسيا سيطرتها على ما أصبح يعرف بالاتحاد الكونفيدرالي الألماني الشمالي.

بدأت المخاوف تنتاب فرنسا المجاورة التي شعرت بالتهديد المحدق بها عقب سيطرة بروسيا على ألمانيا؛ وبعد فشل سلسلة من الجهود الدبلوماسية في التوصل إلى سلام، حشد مولتكه على الفور جيشاً من نصف مليون رجل وغزا به فرنسا. و قبل قيام الجيش الفرنسي بأي مناورة، تمكن الجيش البروسي من تطويق سيدان واستولى عليها في 1 أيلول/ سبتمبر 1870 وعلى ميتس (Metz) في 27 تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه، وأسر ربع مليون جندي فرنسي. وتقدم مولتكه ليحاصر باريس وأجبر القوات الفرنسية المدافعة عنها على الاستسلام.

وعقب ذلك الانتصار منح مولتكه لقب كونت وتم ترفيعه إلى رتبة مشير، وظل في منصبه كرئيس للأركان حتى تقاعد عن الخدمة عام 1888. وكان النصر الذي حققه على الفرنسيين كاملاً، كما بلغت قوة الجيش الألماني حداً أتاح لبروسيا وللقائد مولتكه التمتع بعقود طويلة من السلام؛ وذلك لتخوف البلدان الأخرى من محاولة التجرؤ على ذلك التفوق.

توفي مولتكه ببرلين في 24 نيسان/ إبريل 1891 وكان في التسعين من عمره. وعُين ابن أخيه هلموت يوهان فون مولتكه (Helmuth Johann von Moltke) رئيساً لهيئة الأركان العامة، وتم استبداله بعد هزيمة ألمانيا في معركة مارن أثناء الحرب العالمية الأولى. كما تم إعدام أحد أحفاده - واسمه هلموت أيضاً - خلال الحرب العالمية الثانية لتآمره لاغتيال الزعيم النازي أدولف هتلر.

نجح مولتكه في توحيد ألمانيا ووضع التنظيم والتقاليد العسكرية التي ضمنت السيطرة والتفوق الألماني خلال القرن العشرين. ولايزال نموذجه في تنظيم هيئة أركان متخصصة وتكليف الضباط الأكْفَاء بمسؤولية إدارة مجالات محددة كشؤون الأفراد والعمليات والإمداد والتجهيز مطبقاً على نطاق واسع إلى يومنا هذا.

40



فو نيجين جياب
Vo Nguyen Giap
قائد فيتنامي
(حوالي 1912 -   )

قاد فو نيجين جياب حرب عصابات حديثة وحقق استقلال جمهورية فيتنام الاشتراكية وتوحيدها، رغم أنه واجه اليابانيين والفرنسيين والأمريكيين وبعض أبناء وطنه الذين تعاونوا معهم. وظلت عملياته العسكرية مؤثرة في الدول النامية التي استخدمتها كوسيلة ونموذج يحتذيان في مواجهة الأعداء المتفوقين في القوة.

ويحتجب العديد من الحقائق عن حياة جياب وخاصة الفترة الأولى من حياته، بسبب الغموض الذي اكتنف سيرته ثم التلفيق المتعمد للكثير من جوانبها. وتحدد أغلب المصادر الموثوقة تاريخ ميلاده بأنه في وقت ما من عام 1912 بمحافظة كونج بنه (Quang Binh) الواقعة في منطقة الهند الصينية التابعة لفرنسا حينها والمعروفة باسم آنام (Annam). ومع أن جياب قد ادعى في مرحلة لاحقة بأنه من عائلة تنتمي إلى طبقة الفلاحين، فقد كان والده في الواقع باحثاً بسيطاً يدرس اللغة الصينية. وكان جياب قد تلقى تعليمه في

كل من هويه (Hue) وهانوي ليصبح مدرساً لمادة التاريخ. وهناك أدلة تثبت أن جياب قد درس لفترة وجيزة ليصبح محامياً، ولكن ليس هناك إثبات للدعاوى التي تقول بأنه قد حصل على شهادات دكتوراه في العلوم السياسية والقانون.

ظل جياب يعمل مدرساً خلال أغلب فترة الثلاثينيات، وكان ناشطاً في الحركات الثورية المختلفة. فقد انضم إلى الحزب الشيوعي عام 1934، وشارك في تأسيس "الجبهة الديمقراطية" بعد سنتين من انضمامه إلى الحزب، وكان حريصاً طوال تلك الفترة على قراءة كتب التاريخ العسكري والفلسفة، واطلع على مؤلفات نابليون الأول وسون تسو.

حظرت فرنسا الشيوعية عام 1939، ولجأ جياب إلى الصين التي تعلم فيها أساليب حرب العصابات مع زميله الفيتنامي هوشي منه (Ho Chi Minh) تحت قيادة الزعيم الصيني ماو تسي تونغ. وفي عام 1941 انضم جياب لهوشي منه ووطنيين آخرين وشكلوا "جبهة فايتمنه" (Vietminh Front)، ثم عاد إلى فيتنام عام 1944 ليقاوم الاحتلال الياباني والفرنسي. وعندما استسلمت اليابان للحلفاء عام 1945 عين جياب وزيراً للدفاع وقائداً عاماً للجيش تحت إمرة هوشي منه الذي استفاد من تلك الظروف واستولى على الحكم في هانوي. ولكن اضطر جياب وهوشي منه إلى مغادرة هانوي واللجوء إلى الأدغال لمواصلة حرب العصابات ضد المستعمرين الفرنسيين الذين عادوا مجدداً. ويبدو أن تحمس جياب لتحقيق استقلال بلاده قد نتج أيضاً من كراهيته للفرنسيين الذين سبق أن سجنوا - أو أعدموا - زوجته الأولى وطفله ووالده وشقيقتيه وعدداً آخر من أفراد عائلته.

عكف جياب خلال الأعوام الثمانية التالية على وضع الاستراتيجية التي أدت إلى هزيمة الفرنسيين ثم الأمريكيين وحكام فيتنام الجنوبية فيما بعد. وكان جياب قد صاغ بمساعدة هوشي منه خطة على ثلاث مراحل لتحقيق استقلال بلاده؛ ففي المرحلة الأولى تقوم قوات جياب بتنفيذ عمليات إرهابية وحرب عصابات تسيطر بها على أكبر قدر ممكن من السكان؛ وفي المرحلة الثانية تتوحد الفصائل التي تخوض حرب العصابات في وحدات نظامية تهاجم النقاط والمراكز الحكومية البعيدة عن المدن

الرئيسية؛ وفي المرحلة النهائية يتم تشكيل وحدات كبيرة من تلك القوات لتفرض سيطرة عسكرية على جزء من البلاد وتشجع السكان المدنيين على الانتفاضة دعماً للثورة.

نجح جياب خلال الفترة المتبقية من حياته العسكرية في تنفيذ المرحلتين الأولى والثانية من استراتيجيته، ولكنه لم ينجح في تنفيذ المرحلة الثالثة سوى مرة واحدة فقط، وانتصر على الفرنسيين في العمليات الصغيرة والمحدودة. واتبعت "جبهة فايتمنه" أسلوب عدم الاشتباك مع العدو في معركة مستمرة. طغى الحماس على جياب وحاول في عام 1950 تطبيق المرحلة الثالثة من خطته، فدخل في حرب تقليدية ضد الفرنسيين بمنطقة وادي النهر الأحمر بالقرب من العاصمة هانوي. وعندما أنزل به الفرنسيون هزيمة قاسية، انسحب جياب مرة أخرى إلى الأدغال والجبال ليلجأ مرة أخرى إلى عمليات المرحلتين الأولى والثانية من خطته.

تبنى جياب بعد الخسارة التي تعرض لها في وادي النهر الأحمر فلسفة ترى أن القوات الشيوعية تستطيع تحمل الخسارة لفترة أطول من الفرنسيين والأمريكيين والفيتناميين الجنوبيين. وتمكن من إقناع مقاتليه بأنهم قد يضطرون إلى القتال وتكبد خسائر ثقيلة لعقدين أو أكثر لتحقيق النصر.

حاول الفرنسيون طيلة ثلاث سنوات استدراج جياب للدخول في معركة رئيسية أخرى. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1953 قدَّم الفرنسيون طعماً مغرياً لم يقدر جياب على مقاومته، حين فتحوا سلسلة من النقاط الخارجية في وادي داين بنه بو (Dien Binh Phu) الذي يقع على بعد مئتي ميل غربي هانوي. اعتقد الفرنسيون أن الجبال المحيطة تحمي قواعدهم الدفاعية النائية والمعزولة، إلى درجة أن السبيل الوحيد لإيصال الإمدادات إليها كان عن طريق الجو، وبذلك يستطيعون استدراج جياب لحشد قواته في مواجهة حاسمة تجري في سفح الوادي.

وقعت المعركة الحاسمة التي تطلع لها الفرنسيون، ولكنها لم تكن بالأسلوب الذي أرادوه؛ فقد أظهر جياب براعته في التنقل بالعتاد حين أمر قواته بتفكيك قطع المدفعية والأسلحة المضادة للطيران، الواردة في الغالب من الصين والاتحاد السوفيتي، وقام

بتحميلها إلى أعالي الجبال ووضعها على الأراضي المرتفعة المطلة على القوات الفرنسية. وتولى آلاف من رجال جياب نقل أطنان من المؤن والذخائر اللازمة لإدامة حصار طويل، بوسائل نقل لم تتعد الدراجات العادية.

قام جياب بحشد نحو 70-80 ألف جندي مع مئتي مدفع ثقيل ليواجه بها القوات الفرنسية المؤلفة من 15 ألف رجل. وشكل سوء الطقس ومدفعية ثوار فايتمنه عائقاً حال دون وصول الإمدادات الكافية للقوات الفرنسية؛ مما اضطرها إلى الانسحاب نحو المراكز الداخلية. وفي تلك الأثناء تقدم مقاتلو جبهة فايتمنه عبر الممرات الأرضية والخنادق تحت إسناد المدفعية المتفوقة، واستسلم الفرنسيون في 7 أيار/ مايو 1954 . وقتل خمسة آلاف جندي فرنسي من القوة الأصلية، بينما جرح نصف العدد المتبقي ممن استسلموا في تلك المعركة والذين بلغ عددهم 10 آلاف فرد. وزاد العدد التقديري لخسائر القوات الشيوعية عن 25 ألف رجل، ولكن المهم في الأمر أن جياب قد انتصر في معركة المرحلة الثالثة من خطته. وتوصل الفرنسيون لدى مغادرتهم الهند الصينية إلى اتفاق تجزئة، فصلوا بموجبه الشطر الشمالي الشيوعي من فيتنام عن جزئها الجنوبي الديمقراطي.

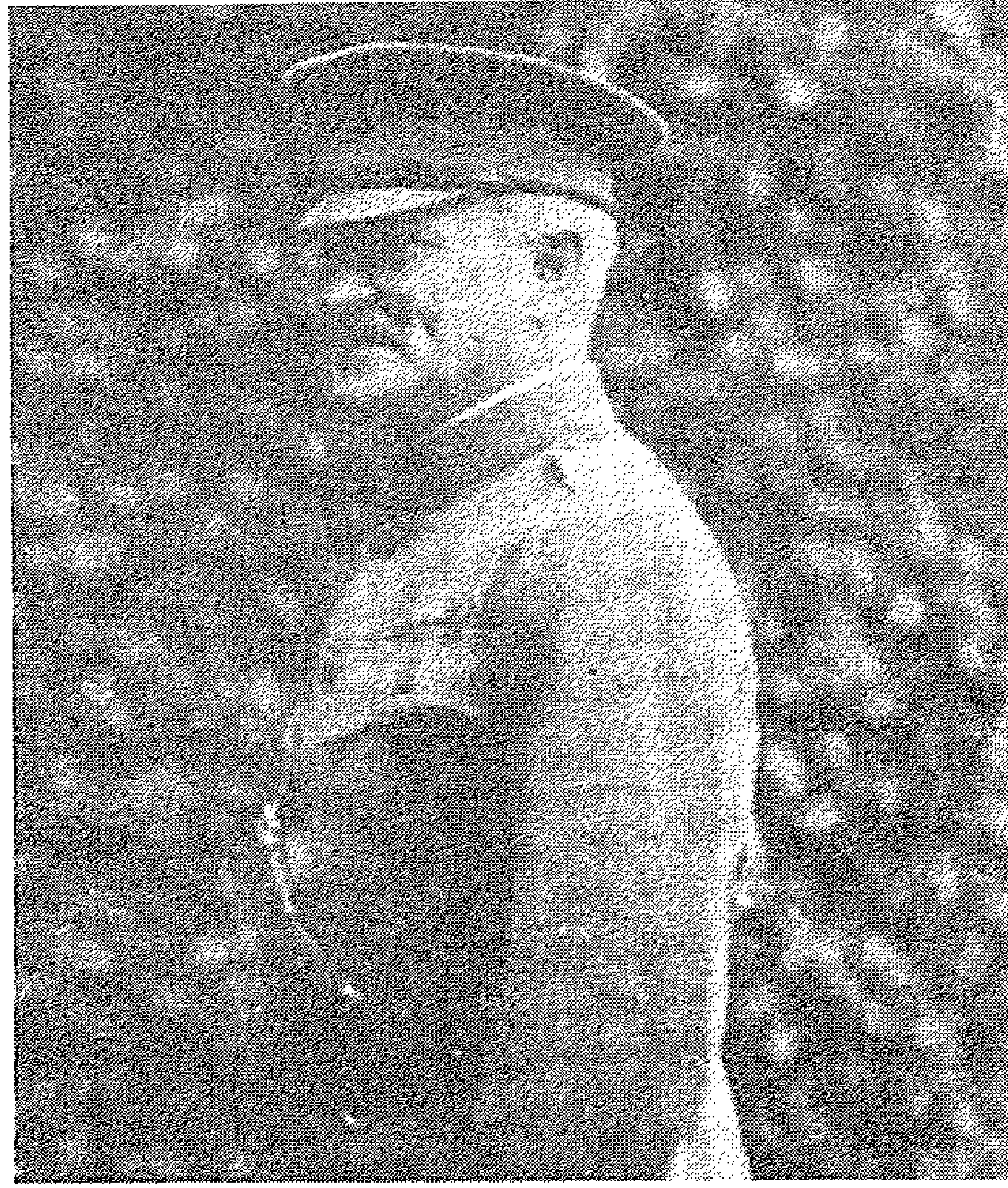
بدأ جياب والفيتناميون الشماليون في عام 1959 بدعم الثوار الشيوعيين في الشطر الجنوبي المعروفين "بالفايتكونغ" (Vietcong). وواصل جياب تطبيق خطته الحربية المكونة من ثلاث مراحل، محققاً قدراً معقولاً من النجاح باستخدام المرحلتين الأولى والثانية في القتال ضد الأعداد والأسلحة المتفوقة المتوافرة لدى الفيتناميين الجنوبيين وحلفائهم الأمريكيين. وكان جياب يصيب النجاح كلما التزم الصبر وعدم التعجل في تطبيق المرحلة الثالثة من خطته. وفي عام 1965 واجه جياب فرقاً أمريكية في وادي أيا درانج (Ia Drang) وهو يقود قوات فيتنامية شمالية، وبعد تعرضهم لخسائر كبيرة انسحب الشيوعيون وتراجعوا عبر الحدود ليدخلوا الأدغال المجاورة.

عاد جياب ليحاول تطبيق المرحلة الثالثة من خطته في هجوم تيت (Tet) الذي شنه عام 1968 وكذلك في حصار كيه سانه (Khe Sanh) الشبيه بحصار داين بيان بو (Dien Bien Phu). وكاد الأمريكيون والفيتناميون الجنوبيون أن يسحقوا قوات الفايتكونغ في أقل من ستة أسابيع، كما استنزفوا قدرات قوات الفيتناميين الشماليين

بصورة كبيرة. وعاد جياب للقتال وفقاً للمرحلتين الأولى والثانية من خطته، وتمكن من إضعاف التأييد الأمريكي العام للمشاركة في تلك الحرب حتى قامت الولايات المتحدة الأمريكية بسحب أغلب قواتها من تلك المنطقة. وفي عام 1972 عاد جياب لإحياء المرحلة الثالثة من خطته في عملية أطلق عليها اسم هجوم عيد الفصح (Easter Offensive). وتمكنت القوات الفيتنامية الجنوبية المدعومة بالقوة الجوية الأمريكية من سحق الهجوم الشيوعي مرة أخرى. وكانت الخسائر فادحة إلى درجة أن الشيوعيين قد نحوا جياب عن منصبه القيادي وأعادوه إلى هانوي ليعمل وزيراً للدفاع. وعندما تمكن الشيوعيون في النهاية من تحقيق النصر الحاسم على فيتنام الجنوبية وأعادوا توحيد الشطرين عام 1975 في جمهورية فيتنام الاشتراكية، كانت التكتيكات التي حققت ذلك النصر هي تكتيكات جياب ولكنه لم يكن في موقع القيادة حينها.

تمكن جياب - الذي لم يتلق أي تدريب عسكري يؤهله لتولي القيادة - من التفوق على أعدائه وتحقيق النصر في ظروف غير مواتية تماماً. فقد كانت تكتيكاته بسيطة مما جعل لمرؤوسيه من القادة قدراً كبيراً من حرية التصرف في الميدان. وفي نهاية المطاف حقق جياب النصر، وتمكن من توحيد بلاده بفضل استعداده لمواصلة القتال لأطول مدة وتحمل أكبر قدر من الخسائر طبقاً للظروف. ويعتبر جياب "بطلاً وطنياً" في فيتنام اليوم، بينما يعتبره العالم معلماً في مجال حرب العصابات. ولاتزال النجاحات التي حققها تؤثر بقدر كبير في القرارات السياسية والعسكرية في عدد من الدول، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية. كما لاتزال الجهات الأمريكية المختصة تقارن كل عملية نشر لقواتها خارج الحدود الأمريكية باحتمالات التحول إلى فيتنام أخرى.

41



جون جوزيف بيرشنج
John Joseph Pershing
قائد أمريكي
(1948 - 1860)

قاد جون بيرشنج الملقب "بجاك الأسود" القوات الأمريكية للتدخل السريع في أوربا خلال الحرب العالمية الأولى، كما أشرف على تطوير القوات الأمريكية من مجرد مجموعات وحدات فرسان صغيرة إلى جيش متطور يستخدم الأسلحة الحديثة كالآليات المدرعة والطائرات والمدافع الرشاشة، والتي يدعمها تنظيم أركان متقدم مايزال سائداً حتى اليوم. ووصل بيرشنج إلى قمة النجاح الذي حققه بعد أن خدم في الجيش الأمريكي ضد مناوشات الهنود الحمر في غرب البلاد، وبعد أن شارك في الحرب الإسبانية - الأمريكية في كوبا والفلبين، ثم قيادته للحملة التأديبية التي طاردت قوات الثوار المكسيكيين بقيادة بانشو فيلا (PanchoVilla).

بدأ بيرشنج حياته المهنية العسكرية في هدوء؛ فقد ولد في 13 أيلول/ سبتمبر 1860 بمنطقة لين كاونتي (Linn County) بولاية ميسوري، وكان والده تاجراً في تلك المدينة

الصغيرة. وعمل بيرشنج مدرساً لعدة سنوات قبل أن يلتحق بالأكاديمية العسكرية الأمريكية في ويست بوينت، وتخرج فيها عام 1886 برتبة نقيب رغم ترتيبه الأكاديمي العادي، حيث جاء في وسط قائمة المتخرجين من دفعته.

شارك بيرشنج بعد تعيينه ضابطاً في سلاح الفرسان في الحملة ضد "قبائل أباتشي" (Apache) الهندية في الجزء الجنوبي من الغرب الأمريكي، وساعد على مطاردة "هنود سوز" (Sioux) عقب معركة ونديد ني (Wounded Knee) بولاية داكوتا الجنوبية عام 1891. وعمل خلال الفترة من آخر عام 1891 وحتى 1895 أستاذاً للتاريخ العسكري بجامعة نبراسكا، كما درس أثناء أوقات فراغه وحصل على شهادة جامعية في القانون.

قاد النقيب بيرشنج عند اندلاع الحرب الإسبانية-الأمريكية سرية سلاح الفرسان العاشرة المؤلفة من الجنود ذوي البشرة السوداء. وأدى ذلك التعيين بالإضافة إلى صرامته وعدم ميله للمزاح إلى إطلاق لقب "جاك الأسود" عليه وهو اللقب الذي لازمه طوال حياته. وقاتل بيرشنج وجنوده بصورة مميزة في معركتي إيل كيه ني (El Caney) وكيتل هيل (Kettle Hill) بكوبا، وكانت تلك هي المرة الأولى التي حظي فيها باهتمام الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت.

قضى بيرشنج فترة راحة قصيرة ليتعافى من مرض الملاريا الذي أصيب به في كوبا، ونقل عام 1899 إلى الفلبين حيث أضاف نجاحاً آخر هناك بإدخاله أساليب قتالية وإدارية جديدة لتحييد ثوار جبهة مورو. وتناوبت فترات خدمته في الفلبين مع فترات تعيينه كملحق عسكري لدى اليابان ثم فترة عمله كمراقب أثناء الحرب الروسية-اليابانية خلال الفترة 1905-1906.

وتقديراً لنجاحه المميز في الفلبين وما أرسله من تقارير قيمة أثناء فترة مهمته في اليابان، فقد أصدر الرئيس روزفلت أمراً بترفيعه من رتبة نقيب إلى رتبة عميد مباشرة عام 1906. ورفعته تلك القفزة الاستثنائية ليتخطى تسعمئة من الضباط الذين سبقوه في أقدمية الرتبة.

وأظهر ذلك الترفيع الاستثنائي إلى رتبة عميد، الثقة الواضحة التي أولاها إياه الرئيس روزفلت. لكن بعض الكتاب الذين حاولوا الانتقاص من قيمة ذلك النجاح يشيرون إلى زواج بيرشنج من ابنة أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي الذي كان يتمتع بنفوذ سياسي.

وأياً كان السبب وراء قفزة بيرشنج الكبيرة، فقد أثبت صحة قرار الرئيس في مرحلة لاحقة من خدمته، وبعد المزيد من الخدمة في منطقة الشرق الأقصى تولى بيرشنج قيادة المنطقة العسكرية في سان فرانسيسكو. ففي أعقاب الغارة التي قامت بها قوات العصابات المكسيكية بقيادة زعيمها بانشو فيلا ضد مدينة كولمبس (Columbus) في نيومكسيكو، قاد بيرشنج في 9 آذار/ مارس 1916 الحملة التأديبية إلى المكسيك. وعلى الرغم من فشله في إلقاء القبض على فيلا أو قتله، فقد تمكن من تدمير الجزء الأكبر من قواته وتعطيل عملياته. واكتسب بيرشنج خبرة كبيرة في الاستخدام التكتيكي للمعدات الجديدة، ومنها الآليات ذات المحركات والطائرات، والتي شكلت بداية تطور الجيش الأمريكي من مرحلة القتال بالخيل إلى الحرب بالآليات الحديثة.

بينما كان بيرشنج مشغولاً بمطاردة فيلا، توفيت زوجته وابنتاه في حريق بمسكن الأسرة في سان فرانسيسكو، فأصبح أكثر صمتاً وانعزالاً، كما ركز على تحقيق المزيد من النجاح بعد أن انهمك في العمل.

في 12 أيار/ مايو 1917 تم تعيين بيرشنج قائداً للقوات الأمريكية للتدخل السريع ووصل إلى فرنسا في 23 حزيران/ يونيو من السنة نفسها. وواجه لدى وصوله ضغوطاً مباشرة لتخصيص قواته للانضمام إلى صفوف الحلفاء الإنجليز والفرنسيين. وبناء على تعليمات من الرئيس وودرو ويلسون، رفض بيرشنج تجزئة قواته وتوزيعها، وتمسك ببقاء القوات الأمريكية منفصلة ومميزة لتتولى منطقة مسؤوليتها، وكان يردد كلما حثه القادة على تغيير موقفه قائلاً: «لن أكره على شيء».

لم يتنازل بيرشنج عن موقفه إلا مرة واحدة؛ فبينما كان ينظم ويدرب جيشه المكون من مليون رجل، قام ولفترة قصيرة بإسناد الفرق الفرنسية المشاركة في القتال لصد

الهجوم الألماني في ربيع عام 1918، وبمجرد تمكن الحلفاء من تعزيز خطوطهم ومواقعهم، قام بيرشنج بسحب قواته ووضعها تحت سيطرته المباشرة.

قاد بيرشنج القوات الأمريكية للتدخل السريع لتشترك في صيف عام 1918 كقوة قتالية مستقلة في معارك إقليم لورين. ونظراً إلى عدم رغبته في التورط في حرب خنادق طويلة، فقد بدأ على الفور العمليات الهجومية ليحول العمليات الثابتة إلى حرب مناورات. وتمكنت القوات الأمريكية للتدخل السريع من صد الألمان أثناء الهجوم الذي شنته على أون ـ مارن (Aisne-Marne) خلال الفترة 25 تموز/ يوليو ـ 2 آب/ أغسطس 1918، كما صدتهم في منطقة سان ـ ميهيل (Saint-Mihiel) خلال الفترة 12 ـ 17 أيلول/ سبتمبر، وعلى جبهة ميوز ـ آرجون (Meuse-Argonne) خلال الفترة 26 أيلول/ سبتمبر حتى هدنة 11 تشرين الثاني/ نوفمبر من العام نفسه.

وبالرغم من مشاركة القوات الأمريكية التي قادها بيرشنج في مرحلة متأخرة من الحرب، فقد قامت بدور كبير، ومع أنها كانت تشكل نسبة 10٪ فقط من قوات الحلفاء المتقدمة على جبهة القتال الغربية، فقد اضطر الألمان إلى إشراك ربع جيشهم بالكامل لإبطاء التقدم الأمريكي خلال الهجوم النهائي.

تعتبر قدرة بيرشنج على تنظيم جيش مكون من أكثر من مليون رجل وصموده أمام الضغوط السياسية من الحلفاء عملاً مميزاً ويستحق التقدير. كما أنه أدخل تطويراً مهماً في إدارة الجيش باستخدام نظام أركان مكون من ركن إدارة (G-1) وركن استخبارات (G-2) وركن عمليات (G-3) وركن إمداد وتجهيز (G-4)، وهو النظام الذي مازال مستخدماً في الجيش الأمريكي حتى اليوم.

تم ترفيع بيرشنج أثناء قيادته للقوات الأمريكية للتدخل السريع في فرنسا إلى رتبة لواء عام 1917 ثم إلى رتبة فريق أول في وقت لاحق من العام نفسه. وعقب عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، تم ترفيعه إلى رتبة قائد الجيوش الأمريكية وهي الرتبة التي كان يحملها قبله جورج واشنطن فقط. وفي الفترة الممتدة من عام 1921 وحتى تركه الخدمة الفعلية عام 1924 تولى منصب رئيس أركان الجيش، ثم تولى رئاسة لجنة الآثار الحربية الأمريكية، وتفرغ لكتابة مذكراته.

يعتبر بيرشنج أهم العسكريين الأمريكيين في مطلع القرن العشرين، وكان له تأثير مباشر في التطورات والعمليات التي شاركت فيها القوات الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية. ورغم تدهور صحته ودخوله المستشفى من نهاية عام 1941 حتى وفاته في 15 تموز/ يوليو 1948 وهو في السابعة والثمانين من عمره، فقد عاش تلك الفترة سعيداً نظراً لكونها شهدت انتصار الحلفاء على ألمانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية. وكانت تلك الانتصارات قد تحققت بفضل ما أدخله بيرشنج من تطوير وتغيير شمل تنظيم الجيش الحديث والهيكل الجديد للقيادة والأركان.

42



موريس الناساوي
Maurice of Nassau
قائد هولندي
(1625 - 1567)

نفذ موريس الناساوي عدداً من الإصلاحات الشاملة التي وفرت للجيش الهولندي القوة التي انتزع بها استقلال هولندا من إسبانيا. واعتبرت التغييرات التي أدخلها على تنظيم المشاة النموذج الأولي للوحدات التي تماثل الكتيبة في الحجم، كما أكسبه دمجه للإسناد الذي توفره المدفعية وهندسة الميدان سمعة كبيرة كمعلم في مجال حرب الحصار. وأدرك موريس أيضاً أهمية احتراف الجيش فقام بتحسين الرواتب وظروف الخدمة للمجندين، وأسس أول أكاديمية عسكرية لتدريب الضباط.

كان موريس الذي ولد في 14 تشرين الثاني/ نوفمبر 1567 في ديلنبيرج (Dillenburg) في ألمانيا عسكرياً بحكم نشأته. فقد قاد والده وليم الملقب بـ "وليم الصامت" ثورات مبكرة لم يكتب لها النجاح لتحرير هولندا من السيطرة الإسبانية. ولم يهمل موريس تلقي العلوم المدنية أثناء تعلمه فن الحرب على يد والده؛ فقد التحق بالمدرسة في

هايدلبيرج (Heidelberg) ثم انضم مرة أخرى إلى والده بمدينة أنتويرب (Antwerp) ودرس الرياضيات اليونانية واللاتينية وآدابهما بجامعة ليدن (Leiden University).

دفع اغتيال وليم الأب عام 1584 بالفتى موريس ابن السابعة عشرة من العمر، إلى موقع القيادة بسرعة لم تكن في حسبانه ولم يتوقعها له والده. فبالرغم من صغر سن موريس أصبح رئيساً "لدولة المقاطعات المتحدة" (State of the United Provinces)، وأضاف إلى حكمه خلال السنوات القليلة التالية ولايته بصفة نائب للملك على الأقاليم المجاورة التي تشمل هولندا وزيلندا (Zeeland). كما تولى موريس بالإضافة إلى مسؤولياته الحكومية منصب وواجبات القائد العام ليصبح في الواقع قائداً لجميع القوات العسكرية الهولندية.

أدرك موريس ضرورة إعادة تنظيم جيشه ليتمكن من تحرير هولندا من السيطرة الإسبانية. وقادته دراسته لتاريخ الرومان وحبه لمادة الرياضيات إلى تخفيض حجم وحدته المقاتلة الأساسية إلى خمسمئة فرد، وتنظيمها على نسق مشابه للكتيبة التي أصبحت نواة التنظيم القتالي في الجيوش مستقبلاً. وأدخل موريس ضمن تشكيل الكتيبة حملة الرماح ليكونوا في المنتصف ووضع حملة البنادق ليكونوا على كل جنب من أجنابها. واستعاض عن التشكيلات المكونة من قوات متمركزة في العمق تتقدم لتعويض الفاقد الأمامي بتنظيم قواته على نسق يتيح للجميع المشاركة في القتال منذ استهلال المعركة. واعتمد على أسلوب المناورة في تعويض الخسائر؛ إذ قام بتدريب قواته مراراً خلال زمن السلم ليتمكن من نقلها بسرعة إلى المناطق المهددة أثناء المعركة.

عمل موريس أيضاً على ضمان توفير أحدث الأسلحة المتوافرة لجنوده، بما في ذلك البنادق الأخف وزناً والأطول مدى، وقام بتوحيد عيارات مدفعيته، كما دمج بطاريات المدافع وعناصر الإسناد بالهندسة الميدانية لتصبح جزءاً عضوياً من تشكيلات كتائب المشاة. ولم يدخل تغييراً يذكر على قوات سلاح الفرسان الهولندية، ولكنه نفذ تدريبات مكثفة ليزيد سرعة الفرسان في الاستجابة للأوامر أثناء المعركة.

حظي الضباط والجنود أيضاً باهتمام ورعاية موريس، فقد كان يجندهم من السكان الوطنيين وفرض عليهم نظاماً صارماً للتدريب والانضباط، ووفر لهم الرواتب الكافية التي عمل على دفعها على أساس منتظم، وهو ما لم يكن معتاداً بالنسبة إلى الجيوش في القرن السادس عشر. وشجع موريس ضباطه على الالتحاق بالجامعات المحلية، وأسس في مطلع العقد الأخير من القرن السادس عشر أول أكاديمية عسكرية نظامية في العالم لتدريب الضباط.

بحلول عام 1590 كان موريس قد فرغ من حشد جيش مدرب يعتمد عليه وله القدرة على الاستجابة للأوامر وسرعة الحركة، واستغل موريس فرصة إعادة انتشار الجيش الإسباني لمواجهة التزامات في مناطق أخرى من القارة الأوربية وقام بالاستيلاء على بريدا (Breda) وستانبيرجين (Steenbergen) عام 1590، كما تمكن خلال السنة التالية من الاستيلاء على ديفنتر (Deventer) وزوتفين (Zutphen) ونيامخن (Nijmegen) وجرونجين (Groningen). وبعد إخضاع الأقاليم الشمالية، بدأ موريس خلال الأعوام العشرة التالية بناء نظام دفاعي يربط المدن والأنهار بعدد من المتاريس التي تدعمها المدفعية والحواجز التي بنتها وحدات المهندسين.

واصل موريس أثناء بناء خطه الدفاعي، تنفيذ العمليات الهجومية ضد القوات الإسبانية في الأقاليم الجنوبية. فقد تقدم في 24 كانون الثاني/ يناير 1597 تحت ستار الطقس السيئ ليهاجم القوات الإسبانية المؤلفة من ستة آلاف رجل في منطقة تورنهوت (Tournhout) بقواته المكونة من سبعة آلاف رجل. ولم يخسر الهولنديون في هذه المعركة إلا مئة رجل، في مقابل 2500 قتيل من أعدائهم. وانتقل موريس بعد ثلاث سنوات إلى منطقة أبعد في اتجاه الجنوب وقام بغزو فلاندرز. وفي 2 تموز/ يوليو من العام نفسه هزم الإسبان في معركة حاسمة بنيوبورت (Nieuwpoort) وكبدهم خسارة بلغت 3500 جندي، بينما بلغت خسارته 2500 جندي. واضطر موريس إلى الانسحاب إلى الأراضي الهولندية بسبب تلك الخسائر وطول خطوط الإمداد المتاحة له.

دخل موريس في عدد من المعارك البرية والبحرية الصغيرة خلال السنوات القليلة التالية، كما كان يتعامل مع صراعات داخلية على السلطة. وتمكن من تحقيق هدنة

طويلة مع إسبانيا عام 1609 بفضل كبر حجم جيشه وتحصيناته القوية، ولكنه عاد ليرفض تجديد اتفاق الهدنة مع إسبانيا عام 1621 ليواصل القتال ضدها من جديد. لكنه لم يحقق أي انتصارات كبرى في حملته الأخيرة، وتوفي بمرض مزمن في الكبد بمدينة لاهاي في 23 نيسان/ إبريل 1625 وكان في السابعة والخمسين من عمره.

رغم أن موريس لم يواجه جيشاً غازياً ولم يسع إلى إخضاع أراضي بلدان أخرى على نحو ما جرى مع قادة آخرين، فإنه يستحق الإدراج ضمن قائمة أبرز القادة العسكريين؛ لكونه أول من رسخ مفهوم الكتيبة بوصفها القوة المناورة الأساسية، كما وضع الأسس الخاصة برعاية وتدريب الضباط والأفراد. وقد أصبح جوستاف أدولف واحداً من أعظم القادة العسكريين على مر التاريخ بفضل تبنيه للعديد من التغييرات التي قدمها موريس وإدخاله تحسينات على جزء منها. كما قامت جيوش أخرى في كل أنحاء أوربا بنقل وتطبيق الهيكل التنظيمي الذي ابتدعه موريس، واتباع طرق التدريب التي كان قد أدخلها.

43



جان دارك
Joan of Arc
بطلة فرنسية
(1431 - 1412)

قادت جان دارك - وهي مزارعة فرنسية شابة - جيشاً أنهت به حصار أورليان (Orleans) وتوجت شارل الابن البكر لملك فرنسا، باعتباره الملك والوريث الشرعي لعرش والده، كما طردت الجيش الإنجليزي من أراضي بلادها، وذلك "بوحي من السماء" حسبما قالت. ومع أنها عاشت الحياة العسكرية لفترة تقل عن السنة وماتت قبل بلوغ سن العشرين، فقد أثرت بصورة مباشرة في حصاد حرب المئة عام ولاتزال تعتبر حتى اليوم رمزاً إلى الوفاق والوحدة في فرنسا.

ولدت جان في 6 كانون الثاني/ يناير 1412 بقرية دونريميه (Domremy) الواقعة في شمال شرقي فرنسا لأبوين متدينين من الفلاحين في تلك المنطقة. وتقول الروايات بأن جان قد بدأت تسمع وهي في الثالثة عشرة من عمرها أصوات قديسين حددتهم فيما بعد بأسماء، وهم ميخائيل ومارجريت وكاثرين. ويبدو أن جان قد كتمت تلك

التوجيهات القدسية بتحرير بلادها حتى عام 1429 حين اتصلت بروبيرت دو بودريكورت (Robert de Baudricourt) الذي كان قائداً لقوات المليشيا في مدينة مجاورة، وأقنعته بتوفير قوة مرافقة إلى قصر وادي لوار (Loire Valley) الذي يقطنه شارل، الابن الوحيد الذي بقي على قيد الحياة حينها من أبناء الملك شارل السادس.

وكان شارل الابن قد حرم من تاج الملك في فرنسا بموجب معاهدة تروييه (Troyes) لعام 1420 بين إنجلترا وفرنسا، وحاول جاهداً دون أن يصيب نجاحاً اعتلاء العرش الملكي بطرد المحتلين الإنجليز حتى ظهرت جان. فوجه شارل رجال الكنيسة بمقابلة تلك الشابة والاستماع لدعاواها، وعندما أكدوا له صحة ما تدعيه، قام بتزويدها بقوة صغيرة لمرافقتها إلى أورليان.

ليس هناك أي أثر في الروايات التاريخية التي تناولت سيرة جان دارك بالكثير من الافتتان يدل على تفسير منطقي للأسباب التي دعت قادة الجيش الفرنسي إلى السماح لها بتولي القيادة. وبرغم ذلك فقد قادت في مطلع أيار/ مايو 1429 سلسلة من الهجمات الناجحة لإنهاء حصار أورليان وأجبرت القوات الإنجليزية على الانسحاب في 8 أيار/ مايو من السنة نفسها. وشاعت الأخبار التي تتحدث عن الانتصار الذي تحقق في أورليان، وعن القائدة الجديدة التي تستجيب "لأصوات قدسية" في أنحاء البلاد، وجددت الروح الوطنية بين الفرنسيين واستحثتهم على تحرير بلادهم من قبضة المستعمر الإنجليزي.

ومن ثم انتقلت جان دارك من أورليان إلى رانس (Rheims) وفتحت الطريق وطردت المستعمرين من المدينة، وتم تنصيب شارل السابع في كاتدرائيتها ليصبح ملكاً لفرنسا في 17 تموز/ يوليو من السنة نفسها. وبعد حضورها مراسم التنصيب، شجعت الملك شارل السابع على استغلال تلك الأفضلية والتقدم نحو باريس التي كان الإنجليز يحتلونها طيلة عشر سنوات. وفضل شارل تأجيل قراره بناء على نصائح مستشاريه الذين أشاروا عليه بالتفاوض لعقد معاهدة سلام، ولكنه وافق أخيراً على خطة جان دارك وقاد الجيش الذي حمى تنصيبه نحو باريس في شهر أيلول/ سبتمبر من السنة

نفسـها. وقـادت جـان دارك هـجوماً انتهى بالفشل، فأصـدر الملك شارل أمراً لقواته بالانسحاب والعودة إلى مقره بوادي لوار.

توقف نشاط جان دارك لفترة ستة أشهر، وعادت بعد ذلك إلى باريس وهي تقود قـوة صغيـرة. وفي 23 أيار/ مـايو هاجـمت جـيشـاً من البيـرجنديين (Burgundians) المتـحالفين مع الإنجليز في مدينـة كـونبيين (Compiegne)، ولكنهـا فشلت في تلك المحاولـة وتم أسرها. وسلمـها البيـرجنديون إلى الإنجليز مقـابل فدية، بينما سلمـها الأخيرون إلى دائرة محكمة جامعة باريس التي يسيطر عليها الإنجليز وحاكمها قـاضي محكمـة التفتيش في فرنسا.

بدأت محاكمة جان دارك في كانون الثاني/ يناير 1431، وشكلت المحاكمة انتهاكاً للعـديد من الإجـراءات والأصـول القـانونيـة المعـروفـة في ذلك الحين؛ فـقـد تم تغـييـر الاتهامات الأولى بـالسحر إلى تهمة الزندقة أثناء سير المحاكمة، وتبدلت الإجراءات تدريجياً وركـزت على رفض جـان دارك الموافقـة على الخضوع لتحقيـق الكنيسـة فـي موضـوع "الأصـوات القـدسية" وقـضيـة ارتدائها مـلابس الرجـال. وفي 24 أيار/ مـايو 1431 اصطحب مسؤولو المحكمة جان دارك إلى ميدان عام، وأبلغوها أنهم سيحكمون عليـهـا بالإعـدام إذا رفـضـت الاعـتـراف بالتـهـم المنسـوبة إلـيهـا؛ فـأقـرت جـان دارك "بجرائمهـا وأخطائها"، لكنها عـادت بعد أيام وارتدت ملابس الرجال لتسحب بذلك اعترافها السابق.

أعلن القضاة القـائمون على محاكمة جان دارك في 29 أيار/ مايو 1431 أنها "مرتدة عن دينها"، وقـام سجانوها بحرقها في اليوم التالي بعد شدها على وتد أمام حشد كبير من الناس بسـوق روان (Rouen) الكبيـرة. ولـم يبـذل شـارل السـابع أي جـهـد خـلال المحكمة أو بعدها لإنقاذ جان دارك.

لم ينته تأثير جان دارك في الجيش الفرنسي بموتها؛ فقد تشكلت جماعات من الثوار تخليـداً لذكراها وقامت بشن غارات على خطوط القوات الإنجليزية، كـما استـجمع الجيش الفرنسي المحبط قـواه واستلهم سيرتها ليجدد قتاله ضد المحتل الإنجليزي. وتمكن

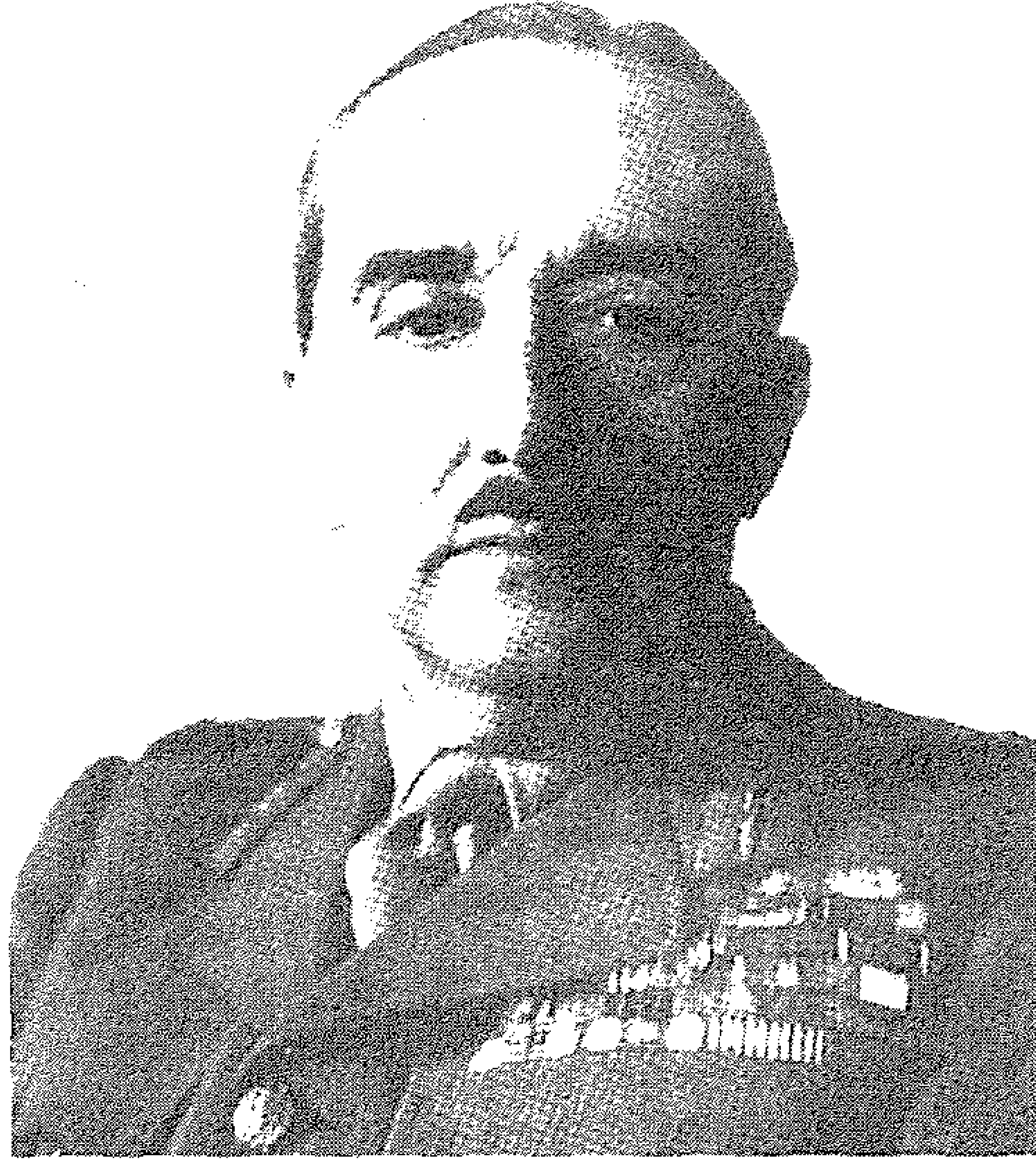
الفرنسيون خلال خمس سنوات فقط من طرد الإنجليز خارج باريس، وكسبوا هدنة معهم في نهاية المطاف.

كان لتأثير جان دارك، سواء في الواقع أو في الأسطورة، دور مباشر في حرب المئة عام. وليس ثمة دليل يثبت فهمها لأي قدر من التكتيك والاستراتيجية أو حتى الضروريات الأساسية للعمليات العسكرية، ولكنها امتلكت موهبة القيادة التي فهمتها وبرهنت على إجادتها بالفعل. فقد كانت تتقدم القوات في جميع المعارك التي شاركت فيها، وعلى الرغم من تعرضها للإصابة مرتين فقد ظلت باقية في أخطر المواقع في قلب المعركة. وتجدر الإشارة إلى أنها كانت تدرك قيمة شخصيتها كرمز وطني أكثر من كونها مجرد مقاتلة، وأنها قد أقرت على الفور أثناء محاكمتها بأنها لم تقتل أي فرد في المعارك التي خاضتها.

حققت جان دارك خلال ستة أشهر فقط من المشاركة في القتال التميز الذي جعلها المرأة الوحيدة ضمن قائمة أبرز القادة العسكريين التي يقدمها هذا الكتاب، ولكنها لم تكن مجرد رمز. وبغض النظر عن مشاعر المرء تجاه مسألة " الأصوات القدسية "، أو تجاه مشاركة المرأة في الأعمال القتالية، يمكن القول بأنها قد تركت سمة بارزة في ذلك الحين، وهي السمة التي استمرت إلى يومنا هذا.

عاد شارل السابع، الذي لم يفعل شيئاً لإنقاذ جان دارك حين أخضعت للمحاكمة، وأمر بإعادة محاكمتها رسمياً عام 1456، وردت تلك المحاكمة للشابة المناضلة اعتبارها. وفي 16 أيار/ مايو 1920 أعلن البابا بينديكت الخامس عشر (Pope Benedict XV) تطويبها كقديسة. ولاتزال فرنسا تعتبر يوم الأحد الثاني في شهر أيار/ مايو من كل عام عطلة وطنية في كل أنحائها، وذلك تكريماً لجان دارك التي كانت رمزاً خالداً إلى وحدة ذلك البلد وقوميته.

44



آلن فرانسيس بروك (آلانبروك)
Alan Francis Brooke (Alanbrooke)
قائد بريطاني
(1963 - 1883)

خدم بروك، رئيس هيئة أركان جيوش الإمبراطورية البريطانية، كقائد عام لجميع القوات البريطانية وكمستشار عسكري رئيسي لرئيس الوزراء السابق ونستون تشرشل خلال الحرب العالمية الثانية. وقد تعاون بصورة جيدة مع الحلفاء الأمريكيين والسوفييت وكان بمنزلة القوة المحركة في تحقيق الوحدة وتحديد الأهداف التي سعى التحالف المتعدد القوات لتحقيقها. وكان لجهوده، وخاصة خلال المرحلة المبكرة من الحرب، دور مهم في إيقاف تقدم قوات المحور وهزيمتها لاحقاً.

كان مولد بروك في 23 تموز/ يوليو 1883، بمنطقة بانجيريه-دو-بوجور (Bangeres-de -Bigorre) في فرنسا لعائلة أيرلندية من ملاك الأراضي. وعاش جزءاً من حياته في فرنسا وتلقى تعليمه فيها ثم في أيرلندا، ثم التحق بالأكاديمية العسكرية الملكية في ووليتش (Woolwich). وبعد تخرجه عام 1902 برتبة ضابط في قوات

المدفعية، خدم في أيرلندا والهند وعاد إلى فرنسا في أيلول/ سبتمبر 1914. وتولى خلال فترة الحرب العالمية الأولى قيادة قوات مدفعية من كندا والهند. وكان قد نال عدداً من الأوسمة تقديراً لما أبداه من شجاعة، كما حظي بالثناء لقيامه بتعديل نظام ستار النيران بالمدفعية الزاحفة المطبق في فرنسا ليقوم بإسناد القوات المهاجمة.

تولى بروك عقب الهدنة سلسلة من مناصب الأركان والقيادة المهمة، ومنها منصب قائد كلية المدفعية ومنصب مدير التدريب العسكري. وتولى عام 1939 قيادة الفيلق الثاني من قوات التدخل السريع البريطانية في فرنسا. وبالرغم من تفوق الألمان عليه، فقد أظهر مهارة فائقة خلال الانسحاب إلى دنكيرك وإخلائها. إذ أدى تنسيقه المميز للتحرك على الساحل - والذي تم عن طريق زياراته الشخصية للقادة العاملين تحت إمرته في جبهة القتال - إلى ضمان الانسحاب الناجح لأغلب قوات الحلفاء عبر القنال الإنجليزي.

كسب اثنان من قادة الفرق الذين عملوا تحت إمرة بروك في دنكيرك، وهما الجنرال بيرنارد لو مونتجمري والجنرال هارولد روبيرت ألكسندر (Harold Rupert Alexander) شهرة واسعة خلال الفترة المتبقية من الحرب. وبالرغم من أنه لم يصب القدر ذاته من النجاح الذي حققه مرؤوساه المذكوران، فإنه يعتبر أكثر تأثيراً ونفوذاً منهما لكونه قائدهما الذي عملا تحت قيادته، وهو الذي كان يوجه العمليات التي نفذاها تحت إمرته.

تولى بروك لدى عودته إلى إنجلترا قيادة القوات البريطانية المرابطة بالداخل (في إنجلترا) وقام بوضع خطة دفاعية ضد غزو ألماني محتمل. وأصدر تشرشل، رئيس الوزراء البريطاني حينها، قراراً في كانون الأول/ ديسمبر 1941 بتعيينه رئيساً لهيئة أركان قوات الإمبراطورية، وتولى بموجب ذلك التعيين منصب القائد العام للقوات البرية البريطانية بأكملها خلال الفترة المتبقية من الحرب.

سجل بروك بتواضع شديد في مذكراته الحربية أن دوره خلال فترة الحرب كان تحويل تطلعات تشرشل إلى واقع عسكري. وفي واقع الأمر تحول بروك إلى مهندس لسياسة الحلفاء التي أعطت الأولوية لأوربا والمعروفة باسم "أوربا أولاً" والتي ركزت على

هزيمة الألمان قبل التحول لمواجهة اليابان بكامل القوة. كما صاغ الخطة الاستراتيجية لتحرير منطقة شمال أفريقيا وجزيرة صقلية وإيطاليا بالتزامن مع قصف مركز على ألمانيا لإضعاف تصميم الألمان على مواصلة الحرب. وكانت هيئة أركانه قد وضعت الخطة الأولية لمعركة نورماندي، مما جعل تشرشل يشعر بالارتياح التام لدرجة أنه قد أوصى بتعيينه قائداً أعلى لتلك العملية. وعلى الرغم من حرصه الزائد على تولي القيادة الميدانية لعملية غزو نورماندي، فقد أذعن للرغبة الأمريكية التي طالبت بأن يتولى دوايت ديفيد أيزنهاور قيادة وتوجيه عملية الغزو، تقديراً لارتفاع حجم الوحدات الأمريكية المقاتلة والتي كانت تشكل غالبية القوة المنفذة للغزو.

كان بروك قد أثنى على تشرشل ووصفه بأنه «أروع رجل قابله في حياته»، إلا أنه عاد وسجل في مفكرته الحربية أيضاً بأن رئيسه قد كان «أصعب شخص عمل معه في حياته». وبالرغم من الاختلافات بينهما فقد عملا معاً وشكلا فريقاً متمكناً في وضع الخطط والإشراف على سير الحرب، حيث تولى تشرشل القيادة السياسية وقام بروك بواجبه في القيادة العسكرية. ولكن الأهم من ذلك هو أن بروك قد تمكن من خلق وإدامة علاقات عمل جيدة مع القادة السوفييت ومن ضمنهم ستالين، كما حظي باحترام وتقدير روزفلت والقادة العسكريين الأمريكيين. وكان نظيره الأمريكي في قيادة قوات الحلفاء، جورج كاتليت مارشال، قد وصفه على أفضل نحو، حيث قال عنه «لقد كان حازماً في التمسك بموقفه، ولكنه كان متقبلاً للحوار، وكان ذا أفق واسع في آرائه وأحكامه، وكانت صداقته مصدراً للغبطة والسرور».

تبادل أيزنهاور وبروك الإعجاب كعسكريين محترفين؛ فقد كتب أيزنهاور ضمن كتاباته في فترة ما بعد الحرب قائلاً: «لم يكن بروك ليتردد في الاختلاف معك بحدة... بيد أن ذلك لم يؤثر مطلقاً في صلاته وصداقاته الشخصية الحميمة، أو في طبيعة دعمه غير المحدود، يجب أن يصنف كقائد عسكري بارع».

وقد قدر تشرشل براعة بروك بترفيعه إلى رتبة مشير في كانون الثاني/ يناير 1944. كما اعترف الحلفاء في أنحاء العالم بمساهماته، إذ كرمته في حينها حكومات دول مثل بولندا وبلجيكا وفرنسا والدنمارك وتشيكوسلوفاكيا واليونان والبرتغال وأثيوبيا والاتحاد السوفيتي

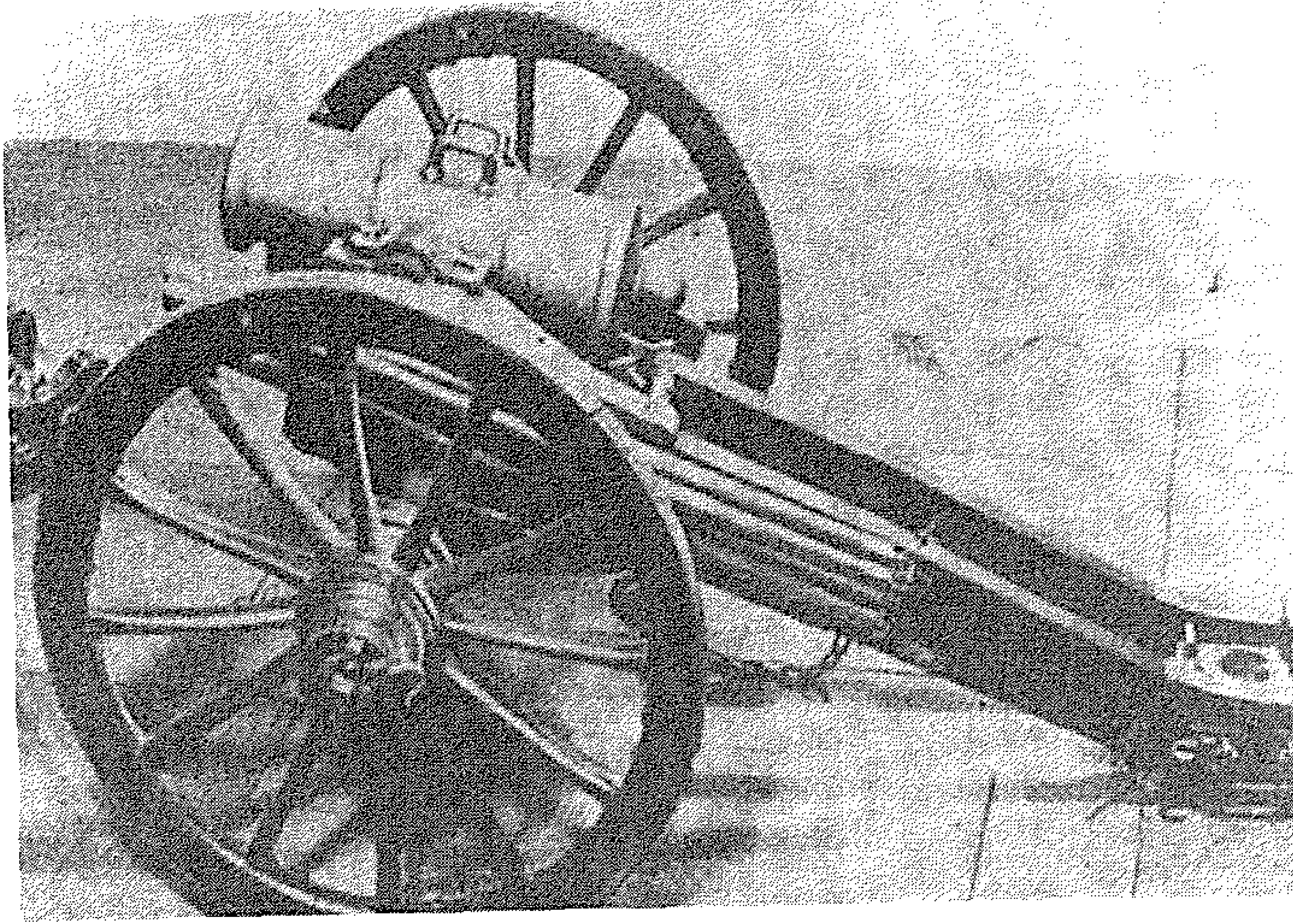
والسويد على ما قام به من مهام خلال فترة الحرب. وبعد تقاعده عن الخدمة الفعلية عام 1946 تم ترفيعه ليصبح نبيلاً برتبة فيكونت. وتوفي بروك بمرض في القلب في وتني (Wintney) بإنجلترا في 17 حزيران/ يونيو 1963 وكان في التاسعة والسبعين من العمر.

بالإضافة إلى قدرات بروك في المجال الاستراتيجي ومهاراته الدبلوماسية، كان يتصرف كمشير بريطاني؛ فقد كان ذا قامة رياضية نحيلة وكان له شارب قصير وطغت عليه هيئة العسكري الصارم. كما كان متحفظاً قوي العزيمة وكان مع ذلك صبوراً في التعامل مع مرؤوسيه أثناء العمل الرسمي، أما في غير أوقات العمل الرسمي فقد كان منفتحاً على الآخرين، وكان يتعامل بلطف وبلا حواجز مع ذوي الرتب جميعاً.

وفرت المفكرة العسكرية التي سجل فيها بروك تفاصيل يومياته خلال فترة الحرب، توصيفاً ثاقباً وتحليلاً دقيقاً لعمليات صنع القرارات الرئيسية والثانوية التي اتخذت خلال فترة الحرب. وبالرغم من الشهرة الواسعة التي حظي بها مرؤوسوه من القادة الميدانيين الذين عملوا تحت إمرته إبان فترة الحرب، ومنهم مونتجمري وهارولد ألكسندر، فإن بروك هو أبرز شخصية عسكرية بريطانية كان لها أثر على فترة الحرب العالمية الثانية؛ وذلك لقيامه بصياغة سياسات الحلفاء ومساهمته في تحقيق وحدتهم.

كان لبروك تأثير أكبر، مقارنة بنظرائه، في سياسات الحلفاء وعملياتهم في المرحلة الأولى من الحرب. ومع تطور الصراع وتزايد المشاركة الأمريكية فيه، تقلص دوره في وجود القائدين مارشال وأيزنهاور وذلك لتنامي قوة الولايات المتحدة الأمريكية وتراجع القوة البريطانية.

45



عـربة المدفع التي صممها جريبوفال

جان بابتيست فاكيت دو جريبوفال

Jean Baptiste Vaquette de Gribeauval

قائد فرنسي

(1789 - 1715)

قام جان دو جريبوفال بتحديث وإعادة تنظيم عناصر الإسناد بالنيران في الجيش الفرنسي، مما أدى إلى تفوق المدفعية الفرنسية طيلة قرن بأكمله. وكانت التطويرات التي أدخلها في توحيد عيارات المدافع والدمج ما بين عربات حمل المدافع وأجزاء المدفع نفسه، ثم ما أدخله من تطوير في قابلية المدفع للحركة السهلة هي الأسس التي استمر استخدامها إلى يومنا هذا. وبالإضافة إلى تحديث الأسلحة، قام جريبوفال أيضاً بتدريس تكتيكات المدفعية واستخداماتها لعدد من كبار القادة في تلك الفترة، ومنهم نابليون.

ولد جريبوفال بمدينة أميان (Amiens) في 17 أيلول/ سبتمبر 1715، وكان والده قاضياً. وفي عام 1732 التحق بقوات المدفعية الفرنسية ونال رتبة ضابط عقب ثلاثة أعوام من ذلك، وظل يخدم طيلة العشرين عاماً التالية في العديد من المناصب القيادية

والميدانية، كما درس فنون المدفعية. وتم إلحاق جريبوفال بالجيش النمساوي عند اندلاع حرب السنوات السبع، واشترك في العمليات القتالية أثناء حصار جلاتز (Glatz) خلال شهري حزيران/ يونيو - تموز/ يوليو 1760، كما شارك في مرحلة لاحقة في الدفاع عن مدينة شفايدنيتز (Schweidnitz). وتدرج جريبوفال في سلم الترقيات حتى وصل إلى رتبة مشير، ووصل إلى منصب القائد العام لجميع قوات المدفعية النمساوية بانتهاء الحرب.

تولى جريبوفال عقب عودته إلى فرنسا عام 1764 منصب مفتش بسلاح المدفعية. وتم ترفيعه إلى رتبة فريق في السنة التالية، ونظراً إلى ضعف نفوذه وصلاته لدى البلاط الملكي فقد مضت عشر سنوات أخرى قبل أن يحصل جريبوفال على منصب المفتش العام للمدفعية. وبعد أكثر من أربعين عاماً من الخدمة في قوات المدفعية، وصل جريبوفال أخيراً إلى الموقع الذي أتاح له مباشرة إدخال التغييرات وتنفيذ التطوير الذي ظل يخطط له منذ التحاقه كضابط حديث بقوات المدفعية.

تكمن الأسس التي قامت عليها إصلاحات جريبوفال في توحيد عيارات المدافع وتخصيص مدافع محددة للقيام بواجبات محددة. وكانت الجيوش قد اعتادت، قبل مجيء جريبوفال، حشد المدافع من كل الأصناف دون اعتبار للأحجام والأوزان ومدى قابلية الحركة للقيام بأي مهام قتالية تواجهها. وجاء جريبوفال ليصنف المدفعية إلى ثلاث فئات هي مدفعية الميدان ومدفعية الحصار والمدفعية المتمركزة. واقتصر إنتاج قذائف المدافع على زنة أربعة أرطال وثمانية أرطال واثني عشر رطلاً فقط، كما خفض الوزن العام للمدفع ليصل إلى 150 ضعفاً من وزن القذيفة الواحدة. وحصر استخدام المدافع ذات القذائف زنة ثمانية وزنة اثني عشر رطلاً، وهي المدافع الأكبر حجماً والأثقل وزناً والأقل قابلية للحركة، لتبقى في المواقع المتمركزة والدفاعات والتحصينات الساحلية، بالإضافة إلى استخدامها في حالات الحصار الطويل الأمد لمعاقل ونقاط العدو القوية. وركز جريبوفال على المدافع ذات القذائف زنة أربعة أرطال، كما أدخل في مرحلة لاحقة مدافع ذات قذائف زنة ستة أرطال لتكون مدافع الهجوم المدفعي الأساسية.

أدرك جريبوفال أن أكبر عقبة تقيد المدفعية، وخاصة في حالة الهجوم، هي افتقادها لقابلية الحركة. لذا قام بتنفيذ تغييرات لتمكين قطع المدفعية من التنقل بسهولة، ليس مع قوات المشاة فقط ولكن مع قوات سلاح الفرسان أيضاً. واستخدم لهذا الغرض مجموعات من الخيول التي وزعها في شكل أزواج لتقوم بجر عربات حمل المدافع الأخف وزناً والمصممة على نحو أفضل والمجهزة بمقصورة تخزين للقذائف والبارود. وقام بمعايرة وتوحيد تجهيزات تحميل المدافع وأجزاء المدفع نفسه لتصبح قابلة لتعويض بعضها ببعض. كما أضاف جريبوفال أيضاً عربات أخرى لتحميل الذخيرة وقطع الغيار والمؤن والإمدادات اللازمة لأفراد سدنة المدافع.

شدد جريبوفال على فرض المزيد من الجودة النوعية في توحيد وزن القذائف وأحجام قوالبها وفي إنتاج بارود المدافع. كما ابتكر مقاييس متدرجة لدرجات انحراف المدفع، وقام بتركيب مسامير لولبية لتسهيل عملية تصويب المدفع على الهدف وتعديل وضعيته بدقة تامة.

وقام مفتش المدفعية الفرنسية أيضاً بإعادة تنظيمها على أساس بطاريات تحتوي كل واحدة منها على ثمانية مدافع، ليبقى السدنة مع الخيول والمدافع العاملة نفسها ليشكلوا فريقاً واحداً. وتقوم تلك البطاريات المكتفية ذاتياً بالمناورة كوحدات مستقلة وتتدرب على الرماية المنسقة التي تطلق فيها دفعة واحدة من القذائف.

أدرك جريبوفال أن الاهتمام بجودة سدنة المدافع لا يقل أهمية عن المدافع نفسها؛ ولذا قام باستبدال السائقين المدنيين ومدربي الخيول التقليديين المدنيين واستعاض عنهم بجنود نظاميين، وساعد التدريب الصارم المكون من التدريبات المتكررة وتمارين الرماية بالذخيرة الحية على تحويل السدنة إلى فرق ذات كفاءة عالية، كما بذل جهداً لزيادة رواتب وتحسين مستوى معيشة أفراده العاملين ضمن سدنة المدافع بالإضافة إلى جنود الجيش الآخرين.

كان جريبوفال يعتقد أن السبيل لتحقيق أقصى أفضلية ممكنة من استخدام المدفعية في المعركة هو استيعاب القادة الفرنسيين لقدراتها وقيودها. ولهذا الغرض بدأ بإعطاء

الضباط تدريباً متخصصاً على المدفعية وتدرب على يديه العديد من كبار القادة الفرنسيين، ومنهم نابليون بونابرت. وواصل جريبوفال تقديم خدماته لفرنسا وتطوير مدفعيتها حتى وفاته بباريس في 9 أيار/ مايو 1789.

رفع جريبوفال من مكانة المدفعية لتصبح صنواً مكملاً لقوات المشاة والفرسان ضمن الثالوث المكون لعناصر الحرب البرية. وإذا كان الجنرال السويدي جوستاف أدولف ومرؤوسه لينارت تورستنسون هما اللذين وضعا اللبنات الأولى لأهمية المدفعية، فإن جريبوفال هو الذي قام بتطوير أفكارهما ودمج المدفعية لتصبح عنصراً عضوياً من عناصر الحرب الحديثة. وحققت فرنسا التفوق في مجال المدفعية خلال القرن التاسع عشر بفضل التحديثات التي أدخلها جريبوفال على معداتها واهتمامه برعاية سدنتها وتوفير ظروف خدمة جيدة لهم، فضلاً عن حرصه على تدريب كبار القادة في بلاده لاستيعاب فنون المدفعية المختلفة.

46



أومار نيلسون برادلي
Omar Nelson Bradley
قائد أمريكي
(1981 - 1893)

قاد أومار برادلي، القائد الأول للقوات الأمريكية البرية العاملة بمسرح العمليات الأوربي خلال فترة الحرب العالمية الثانية، فيلقاً بشمال أفريقيا وصقلية كما قاد جيشاً في معركة نورماندي. وبعد وقت قصير من اندلاع الحرب على السواحل الفرنسية، تولى برادلي قيادة مجموعة القتال الثانية عشرة من قوات الجيش الأمريكي المكونة من مليون وثلاثمئة ألف رجل - وهو أكبر تشكيل عسكري من حيث القوى البشرية في تاريخ القوات الأمريكية - ودخل بها ألمانيا وهزم النازيين. وحاز برادلي لقب "الجنرال المجند" نظراً لتواضعه وارتباطه الدائم بالجنود.

ولد برادلي في 12 شباط/ فبراير 1893 لأب يعمل كاتباً إدارياً، في عائلة ذات إمكانات مادية متواضعة في ولاية ميسوري. وبذل برادلي جهداً كبيراً في الدراسة والنشاط الرياضي، وتم قبوله بالأكاديمية العسكرية الأمريكية في ويست بوينت. وزامل

برادلي الجنرال دوايت أيزنهاور في دفعة عام 1915 بالأكاديمية العسكرية، وهي الدفعة التي لقبت "بالدفعة التي سقطت عليها النجوم" بسبب عدد القادة الذين كانوا من المنتسبين إليها.

لم يكن برادلي قد حصل على أي خبرة قتالية عندما تم تعيينه ليصبح واحداً من كبار القادة الأمريكيين خلال مرحلة الحرب العالمية الثانية. فعلى الرغم من محاولاته العديدة للانضمام إلى القوات الأمريكية التي تم نشرها في فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، فقد ظل يعمل في المهام التي أسندت إليه داخل الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت حياته المهنية خلال مرحلة ما بعد الحرب قد سارت بوتيرة نمطية مشابهة لزملائه من الضباط الأمريكيين، حيث تناوبت ما بين واجب قيادة القوات والالتحاق بالكليات ومعاهد التدريب في وقت ندرت فيه الترفيعات وانخفضت خلاله الرواتب. ولم يحصل برادلي على رتبة رائد إلا بعد تسع سنوات من تخرجه في الكلية العسكرية في ويست بوينت، وظل على تلك الرتبة طوال اثنتي عشرة سنة.

وبغض النظر عن الرتبة، بدأ برادلي يترك بصماته الخاصة على مسيرة الجيش الأمريكي في وقت مبكر من حياته المهنية. ففي عام 1929، وعقب ثلاثة أعوام من الخدمة مع كتيبة المشاة السابعة والعشرين في هاواي وقضاء عام بكلية القيادة والأركان بقاعدة فورت ليفنورث (Fort Leavenworth) بولاية كنساس، عاد برادلي إلى قاعدة فورت بيننج بولاية جورجيا ليخدم فترة ثانية بوصفه معلماً بمدرسة المشاة. واستطاع خلال هذه الفترة نيل اهتمام الجنرال جورج كاتليت مارشال، رئيس هيئة أركان الجيش فيما بعد، والذي تعرف عن قرب على المهارات التنظيمية والقدرات القيادية للضابط الشاب.

خدم برادلي ومارشال معاً فترات متقطعة خلال العشرين عاماً التالية. وعمل مارشال الذي تعهد مرؤوسه الموهوب بالرعاية، على إسناد مهام أفادت الجيش وحققت لبرادلي المزيد من التقدم المهني. فقد رتب مارشال في شباط/ فبراير 1941 لبرادلي أن يتولى قيادة مدرسة المشاة، ومن ثم يتم ترفيعه إلى رتبة عميد. وأسندت إلى برادلي

عقب إعلان الحرب قيادة فرقة المشاة الثانية والثمانين، ثم قيادة فرقتي المشاة الثامنة والعشرين والثانية والثمانين لفترة وجيزة أثناء استعدادهما للمشاركة في الحرب.

أسندت أول مهمة قتالية إلى برادلي ليعمل بصفة مساعد قائد لزميل دفعته السابق أيزنهاور الذي تولى قيادة القوات الأمريكية في شمال أفريقيا. وكان أول واجب ميداني له هو العمل مساعداً لقائد قوات الفيلق الثاني تحت إمرة جورج باتون. وعندما تم ترفيع باتون ليقود الجيش السابع، تولى برادلي من بعده قيادة قوات الفيلق الثاني وهو برتبة فريق طيلة الفترة المتبقية من حملة شمال أفريقيا. وفي 7 أيار/ مايو 1943 تمكنت قوات برادلي من احتلال مدينة بنزرت، كما أسرت أربعين ألفاً من قوات المحور.

ظل برادلي قائداً لقوات الفيلق الثاني، وخدم في الجيش السابع بقيادة جورج باتون خلال الهجوم على صقلية في 10 تموز/ يوليو 1943، وكان برادلي في مقدمة هجوم الحلفاء، وتمكن من احتلال ميسينا (Messina) عقب خمسة أسابيع فقط من تنفيذ مراحل الإنزال.

وقع اختيار أيزنهاور على برادلي في تشرين الأول/ أكتوبر 1943 ليتولى قيادة الجيش الأول الأمريكي المشكل من القوات البرية التي كانت تستعد لتنفيذ عملية أوفرلورد في نورماندي. ولم يتم اختيار باتون لقيادة تلك العملية بسبب حادثة صفعه لعدد من الجنود وما نالته من تغطية عامة في وسائل الإعلام، وأصبح يعمل تحت إمرة برادلي.

ازدادت مسؤوليات برادلي بعد اختراق الحلفاء لدفاعات نورماندي وتحركهم إلى داخل الأراضي الفرنسية. استغل برادلي – الذي كان يقود مجموعة القتال الثانية عشرة المؤلفة من 1.3 مليون رجل – مزية الأفضلية الناتجة عن التقدم الهجومي للحلفاء، وحرم الألمان من تجهيز أي تحصينات قوية بعد أن حرر باريس واندفع نحو الأراضي الألمانية. وعلى الرغم من الانتكاسة التي حدثت بسبب الهجوم المعاكس النهائي الذي شنه هتلر في غابة الآردن (Ardennes) في نهاية عام 1944، فقد تمكن برادلي من فتح ثغرة في خط سيجفريد (Siegfried Line)، وهو خط الدفاع الألماني المكون من سلسلة من التحصينات، وعبر نهر الراين عند رأس جسر ريماجين (Remagen) في مطلع عام

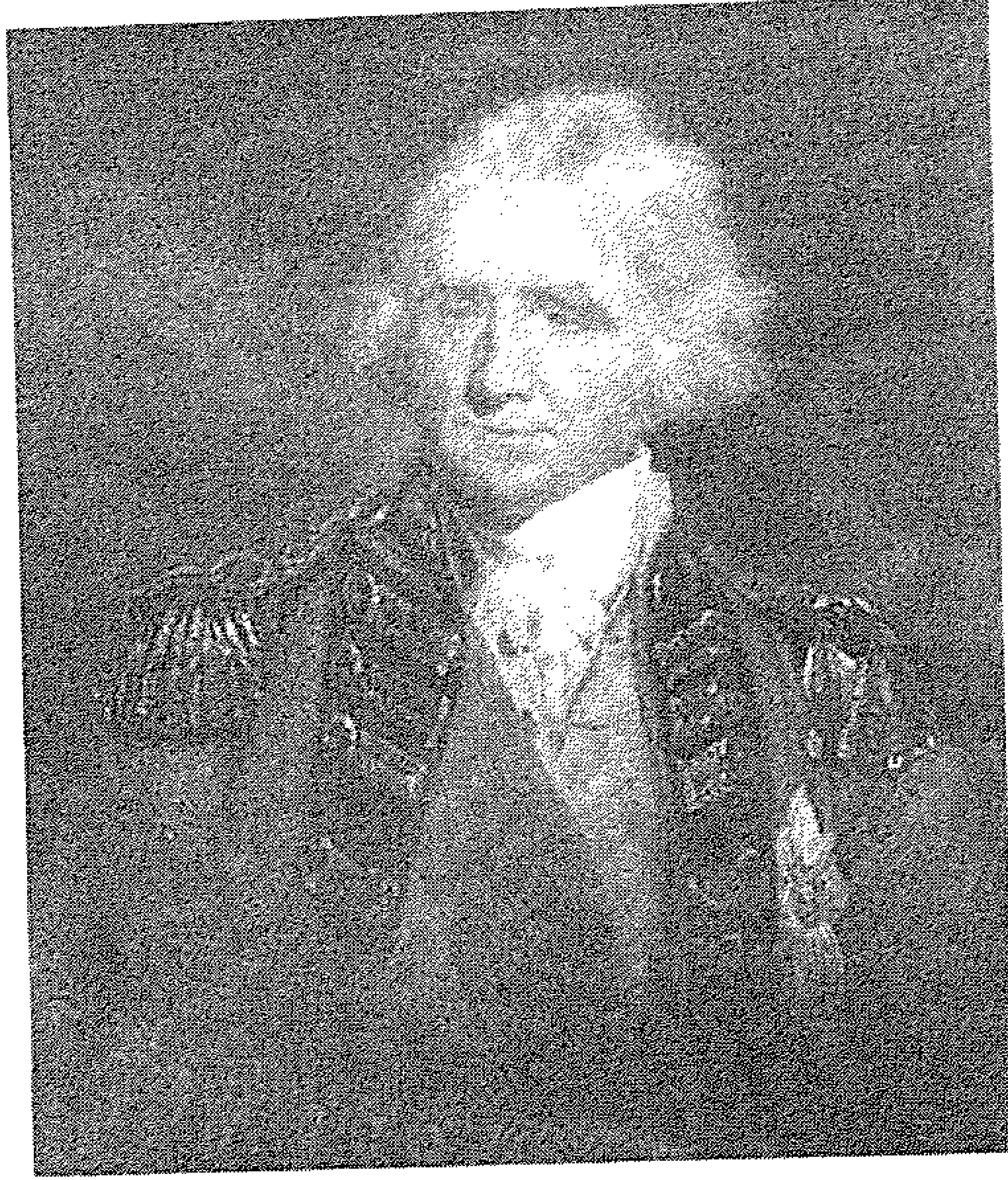
1945. وأجبر التقدم السريع لقوات برادلي أكثر من 335 ألف جندي ألماني على الاستسلام بعد أن حوصروا في جيب الرور (Ruhr Pocket).

تلقى برادلي ترفيعاً آخر وأصبح جنرالاً بأربعة نجوم في 12 آذار/ مارس 1945. وفي الشهر التالي انضمت قواته إلى القوات السوفيتية على امتداد نهر إلب (Elbe)، مما أجبر ألمانيا على الاستسلام.

عين برادلي رئيساً لإدارة قدامى المحاربين وظل على رئاستها لمدة سنتين بعد انتهاء الحرب. وفي عام 1948 حل محل أيزنهاور كرئيس لهيئة أركان الجيش. وفي 16 كانون الثاني/ يناير 1949 تم تعيينه كأول رئيس لهيئة الأركان المشتركة التي كانت قد تشكلت للتو، وخدم في ذلك المنصب خلال المرحلة الأولى من الحرب الباردة والصراع الكوري. وفي أيلول/ سبتمبر 1950 انضم برادلي إلى نخبة محدودة للغاية من الضباط الأمريكيين الذين نالوا شرف الترفيع إلى رتبة جنرال بخمسة نجوم. وفي خطوة نادرة بالنسبة إلى هذه الرتبة تقاعد عن الخدمة الفعلية في 15 آب/ أغسطس 1953، وظل يعمل مستشاراً لمؤسسات عسكرية وشركات صناعية خاصة، حتى أدركته المنية بمدينة نيويورك في 8 نيسان/ إبريل 1981 وهو في الثامنة والثمانين من عمره.

ساهم برادلي بجهد رئيسي في انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية؛ فقد استطاع قيادة قوات ضخمة باقتدار تام، وحافظ على التوازن الدقيق الذي فرضته ظروف القتال ضمن التحالف مع البريطانيين والحلفاء الآخرين مع الاستفادة القصوى من جهود قادة ممتازين - ومزاجيين في ذات الوقت - مثل باتون. وأخيراً، فقد امتد تأثير برادلي ليشمل الجنود الذين خدموا تحت إمرته، وكان محبوباً لديهم بكل تأكيد. ولاشك في أن تلك الخصائص لا يحظى بها إلا قلة من القادة العسكريين في أي عصر من العصور.

47



رالف آبركرومبي

Ralph Abercromby

قائد بريطاني

(1801 - 1734)

مهد رالف آبركرومبي السبيل لاستعادة الاحتراف في الجيش البريطاني خلال السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر، وبرز في تدريب الضباط والأفراد الذين حققوا النصر في الحروب ضد نابليون. واجتمعت لديه صفات مثل الشجاعة ورباطة الجأش والاهتمام الفائق بالجندي العادي لتكسبه محبة العسكريين والمدنيين على السواء. ولولا قيادة آبركرومبي لما تمكن الجيش البريطاني - على الأرجح - من هزيمة الفرنسيين وتحقيق مكانة بريطانيا العظمى كقوة عسكرية مهيمنة خلال ذلك القرن.

ولد آبركرومبي بمدينة منستري (Menstry) في إسكتلندا في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 1734 لعائلة بارزة تنتمي إلى طبقة ملاك الأراضي. ودرس بمدرسة رجبي (Rugby) قبل الالتحاق بدراسة القانون في إدنبرة وليبتسخ. لكنه سرعان ما مل مهنة القانون وأقنع والده عام 1756 أن يشتري له رتبة ضابط ضمن وحدة الحرس الثالثة. وخاض

آبركرومبي بعد سنتين من ذلك أول تجربة قتالية له في ألمانيا خلال حرب السنوات السبع. وظل يخدم هناك حتى انتهاء تلك الحرب عام 1763 حيث تعلم الكثير من قادته ومن البروسيين الذين أعجب بانضباط وحداتهم.

عاد آبركرومبي إلى وطنه بعد توقيع معاهدة هوبيرتسبورخ (Hubertusburg) ليخدم في أيرلندا. لكنه اقتنع تحت ضغوط من عائلته بترك الخدمة العسكرية عام 1773 ليترشح لعضوية البرلمان، وفاز بمقعد برلماني، ولكنه خسر النفوذ السياسي بانحيازه إلى حركة الاستقلال في المستعمرات الأمريكية. ورغم تعرض أحد أشقاء آبركرومبي للإصابة وحصول آخر على نوط الشجاعة تقديراً لبسالته في الحرب الثورية الأمريكية، فقد واصل معارضة الاحتلال البريطاني والقمع لتلك المستعمرات.

كره آبركرومبي ممارسة السياسة فاستقال من عضوية البرلمان عام 1780، وعاد إلى الخدمة في الجيش في الوقت المناسب لينضم إلى حملة دوق يورك المتجهة نحو هولندا. وفي عام 1793 وصل آبركرومبي إلى رتبة لواء وقاد قوة بحجم لواء إلى داخل إقليم فلاندرز لمواجهة الفرنسيين. وحقق هناك سمعة مميزة بفضل شجاعته القيادية في المعارك التي جرت في فيرن (Furnes) وفالنسيين. وكان آبركرومبي واحداً من قلة من القادة البريطانيين الذين خرجوا بسمعة طيبة من تلك الحملة؛ وذلك بفضل قيادته الماهرة للقوات التي تولت حراسة مؤخرة الجيش عند انسحابه من هولندا في شتاء عام 1794 ـ 1795.

أثرت الهزيمة التي تعرض لها الجيش البريطاني في أمريكا وانسحابه الاضطراري من أوربا في معنويات أفراده وكفاءة ضباطه بصورة سلبية للغاية، وجعلت المراقبين يصفون ضباطه الذين كانوا في السابق معتدين بأنفسهم بأنهم مجموعة من "العجائز"، وأن جنوده "صبية معتوهون". وكرس آبركرومبي جهده خلال الفترة المتبقية من حياته المهنية لمهمة استعادة الانضباط بين صفوف الجيش واستعادة الاحتراف الذي كان معروفاً بين ضباطه.

تولى آبركرومبي عام 1795 قيادة حملة جزر الهند الغربية وأبحر إلى منطقة الكاريبي للاستيلاء على الجزر التي تحتلها فرنسا. وتمكن خلال حملة دامت سنتين من فك

الحصار المفروض على القوة الإنجليزية في سان فنسنت (St. Vincent)، واستولى على جزر سان لوتشيا (St. Lucia) وديميرارا (Demerara) وترينداد، كما أعاد تنظيم الدفاعات البريطانية الموجودة على أرض جرينادا. وإلى جانب تلك الانتصارات العسكرية تمكن آبركرومبي من استعادة الانضباط في صفوف قواته، وتخلص من الضباط المعروفين بالفساد وعدم الكفاءة. وقام بحفز القوات العاملة تحت إمرته باعتماده الزي العسكري القطني الخفيف الملائم للمناخ الاستوائي، والذي استخدمه كبديل للزي التقليدي المصنوع من الصوف، كما شجع الاهتمام بالصرف الصحي وصحة الأفراد في الميدان.

تولى آبركرومبي عام 1797 قيادة كافة القوات البريطانية في أيرلندا قبل أن يغادر في عام 1799 للمشاركة في الحملة الإنجليزية ـ الروسية في هولندا. وفي عام 1800 تولى قيادة القوات البريطانية بمنطقة البحر الأبيض المتوسط واستولى على مينوركا (Minorca). وبعد تدريب مكثف على العمليات البرمائية، قام آبركرومبي في 8 آذار/ مارس 1801 بإنزال 14 ألف جندي مشاة وألف من قوات الفرسان وستمئة قطعة مدفعية بمنطقة أبوقير بمصر. واعتبرت تلك العملية من أنجح وأكفأ عمليات الإبرار البحري التي نفذت حتى ذلك الحين.

واجه آبركرومبي قوات فرنسية قوية ومصممة على النصر خارج مدينة الإسكندرية في 21 آذار/ مارس 1801، وتفوق البريطانيون المنضبطون لينتصروا في تلك المعركة. وظل آبركرومبي في مقدمة قواته خلال تلك المعركة رغم تقدمه في العمر وضعف بصره، وعرض نفسه لنيران العدو وهو يواصل مؤازرة جنوده. وأصابته طلقة بندقية في فخذه مع نهاية المعركة وسببت له مضاعفات لم يتعاف منها مطلقاً، وتوفي عن عمر يناهز السادسة والستين على متن السفينة الحربية "فودريانت" (Foudroyant) في 28 آذار/ مارس 1801، ودفن في مالطا.

لربما كان أفضل مثال يدل على شخصية آبركرومبي هو ما حدث أثناء تلقيه العلاج الميداني من الإصابة القاتلة التي تعرض لها؛ فقد سأل أحد معاونيه قائلاً: «ما هذا الذي

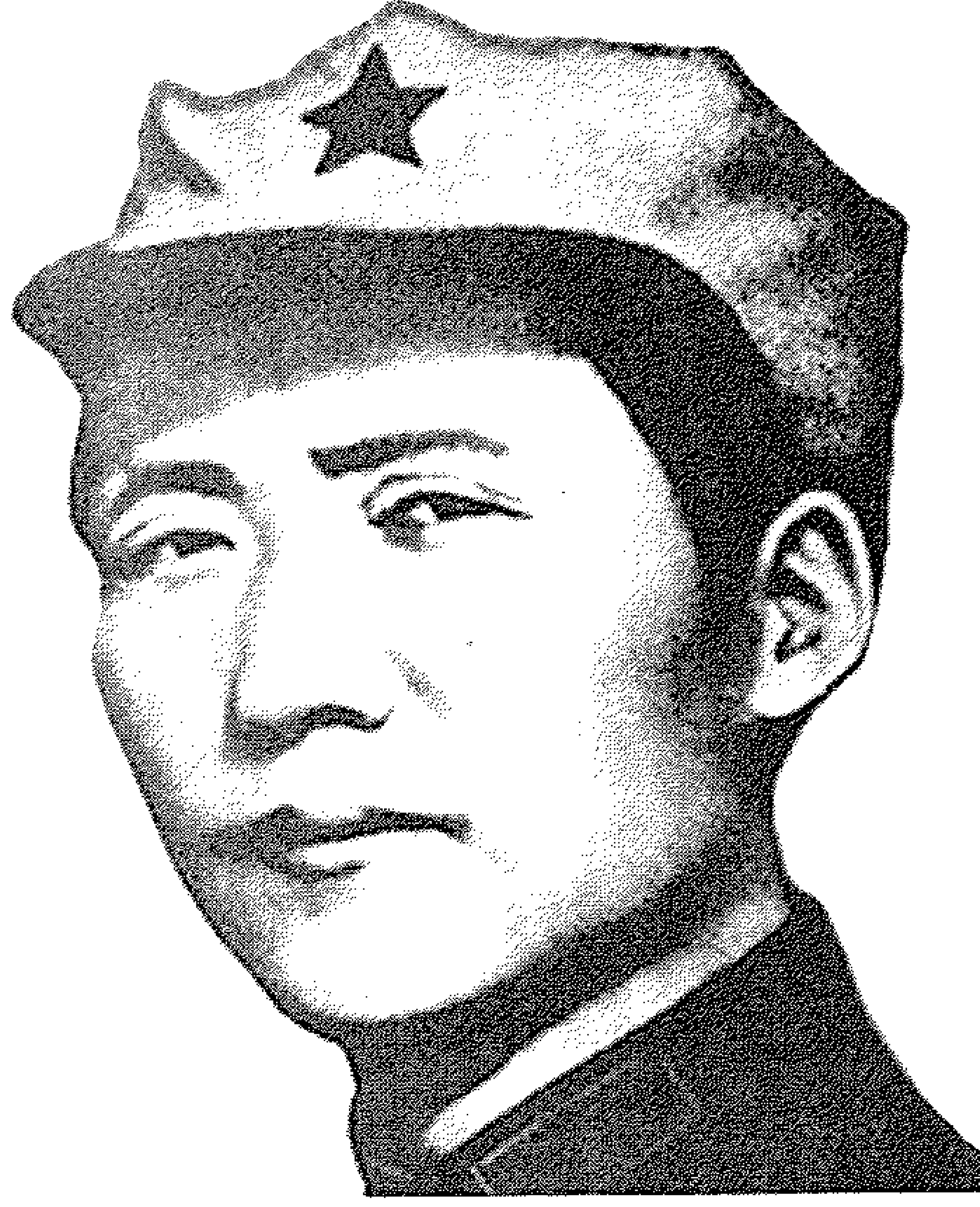
وضعتموه تحت رأسي؟»، وعندما أبلغوه أن الوسادة التي يتوسدها «ليست سوى غطاء لأحد الجنود»، رد الجنرال الهرم متذمراً «أعيدوا الغطاء إلى صاحبه فوراً».

اقتضى الأمر مرور أكثر من عقد بأكمله بعد موت آبركرومبي قبل أن يدرك الجيش البريطاني إنجازاته الفعلية في تحويل الجيش من قوة ينخرها الفساد وعدم الكفاءة وضعف التدريب إلى جيش تمكن من هزيمة نابليون في معركة ووترلو. وكان العديد من الضباط البريطانيين الذين خدموا خلال فترة الحرب ضد نابليون من الذين تربوا تحت رعاية آبركرومبي، وهم الذين دربوا جنودهم على مواجهة الفرنسيين طبقاً للأصول التي وضعها معلمهم الأكبر. فقد انتصر دوق ويلنجتون في معركة ووترلو بالجيش الذي انتقاه آبركرومبي من الضباط والجنود الذين وصفوا بالعجائز وعدم الكفاءة ذات يوم، وهو الجيش الذي تحول ليصبح أفضل قوة عسكرية على مستوى العالم.

استخدم آبركرومبي طيلة حياته العسكرية ذكاءه ورؤيته الثاقبة في تقويم الأمور على نحو لم يكن مألوفاً بين الضباط الذين عاصروا فترته؛ فقد كسب احترام رؤسائه بفضل تقويمه الصائب للأمور، ونال محبة جنوده بفضل حسن معاملته لمرؤوسيه.

خدم آبركرومبي فترة طويلة وخاض بشرف الجندي الملتزم معارك ونزاعات ثانوية، لذا فإنه لم يحقق الشهرة التي نالها الضباط الذين خدموا خلال أحداث وفترات تاريخية أكثر أهمية. ورغم ذلك فقد كان التزامه الصارم بالانضباط وما غرسه من احتراف في الجيش البريطاني، هو الذي مهد الطريق لدوق ويلنجتون والقادة الآخرين ليحققوا المكانة التاريخية التي بلغوها فيما بعد.

48



ماو تسي تونج
Mao Zedong
زعيم ثوري صيني
(1976 - 1893)

أسس مــاو زي دونج (Mao Zedong) المعــروف بماو تسي تونج (Mao Tse-tung) أيضاً، الحزب الشيوعي الصيني، واستولى على السلطة بالقوة العسكرية في أكبر بلد مأهول بالسكان على مستوى العالم، وألهمت إنجازاته الحركات الشيوعية في عدد من البلدان الأخرى. فقد استطاع من خلال أفعاله المباشرة ومن خلال التوزيع الواسع لأفكاره عبر كتاباته، أن يحقق لنفسه مكانة مميزة كقائد شيوعي بارز وكواحد من أكثر القادة السياسيين ـ العسكريين نفوذاً في القرن العشرين.

ومع أن ماو قد صنع سيرته كقائد فذ يمثل الفقراء، فقد جاء إلى الحياة عام 1893 منتمياً إلى عائلة غنية تملك أراضي زراعية وأعمالاً تجارية في قرية شاوشان (Shaoshan) بمحافظة هونان (Hunan)، ونتيجة لتلك الخلفية تمتع ماو بطفولة مرفهة ونال فرص التعليم المتقدم، ودرس تاريخ العالم العسكري والسياسي شاملاً إنجازات جورج واشنطن ونابليون وبطرس الأكبر ومواطنه سون تسو.

خدم ماو لفترة قصيرة في عامي 1911 ـ 1912 مع القوات الثورية التي هزمت سلالة تشنج (Ching) الحاكمة، ولم يشهد قتالاً؛ إذ عمل مراسلاً بوحدة مليشيا محلية، مع أنه تعلم الكثير عن الحياة العسكرية. وعقب انتهاء الثورة عاد ماو إلى الدراسة حيث عمل مساعد أمين مكتبة بجامعة بكين في عامي 1918 ـ 1919، وعكف على دراسة أفكار كارل ماركس وفريدريك إنجلز وغيرهما من المفكرين المؤيدين للاشتراكية والشيوعية. وبعد انتهاء فترة عمله بالجامعة، بدأ ماو نشر أفكاره وكتاباته الخاصة حول الكيفية التي يمكن للماركسية أن تحيي بها مجد الصين.

عاد ماو إلى محافظة هونان عام 1921 ليعمل في التدريس، وتبنى تأييد فكرة الثقافة الجماهيرية. وعندما قوبلت أفكاره بمعارضة من الزعماء المحليين، زاد اهتمامه بالسياسة. وفي 1 تموز/ يوليو 1921 انضم إلى أحد عشر من رفاقه الماركسيين بمدينة شنجهاي وكونوا "الحزب الشيوعي الصيني"، وفي 1923 اندمج "الحزب الشيوعي الصيني" مع "حزب الكومنتانج الوطني" (Kuomintang)، والذي كان يشاركه أفكاره حول تعزيز سلطة الشعب. ومع أنه لم يكن الشيوعيون يحترمون كثيراً حزب الكومنتانج وزعيمه تشيانج كاي ـ شيك (Chiang Kai-Shek)، فما كان ماو ليتردد في تشكيل أي تحالفات ذات أمد محدود مع أي جهة قد تساعده على تحقيق أهدافه القصوى على المدى البعيد.

تفككت أوصال علاقة الاندماج بين الحزب الشيوعي الصيني وحزب الكومنتانج الوطني عام 1927، عندما ظهر الخلاف الواضح بين أفكار كل من ماو وتشيانج عن المصالح السوفيتية في الصين؛ فبينما شجع ماو دعم الاتحاد السوفيتي وتأييده، تمسك تشيانج بمعارضته لها، وبدأ الزعيمان تنافسهما المحموم على الهيمنة على مجريات الأحداث في الصين، فركز ماو ورفاقه الشيوعيون على العمل في الأرياف وقرى الفلاحين وهي المناطق التي تكمن فيها القوة الحقيقية للصين، واختار حزب الكومنتانج بقيادة تشيانج تكثيف نشاطه في المراكز الحضرية وسيطر على المناطق الصناعية.

شكل ماو الجيش الأحمر، وانتخبه مؤيدوه رئيساً للجمهورية الصينية السوفيتية التي أنشئت عام 1931، وحدد أولويته الأولى بتشكيل جيش ميداني، وبنى تلك الفكرة

على دراسته لكبار القادة العسكريين في العصور السالفة متخذاً من أفكار مواطنه سون تسو نموذجاً للسير على هديه. وكان ينظر إلى الحرب الثورية ضد الدولة الراسخة والأكثر قوة، على أنها صراع طويل قد يحتاج سنوات لتحقيق النصر فيه. ووفقاً للخطة التي وضعها ماو، سيحتاج الجيش الأحمر إلى كسب التأييد السياسي من الفلاحين وفرض السيطرة العسكرية على الأرياف قبل الزحف على المراكز الحضرية. وطبّق الجيش الأحمر الأمرين البديهيين اللذين أشار إليهما سون تسو، وهما الهجوم عند القوة، والانسحاب في حال الضعف.

التزم ماو بتنفيذ استراتيجيته عندما قام تشيانغ بتحريك جيشه الأقوى لمواجهة الجيش الأحمر في أربع حملات هجومية مختلفة. وفي كل واحدة من تلك المواجهات كان ماو يتراجع بقواته ويتجنب الدخول في معركة حاسمة. وفي عام 1934 فرضت قوات تشيانغ حصاراً على قوات ماو، ولم يتمكن من فكه إلا بعد القيام بجهد بطولي نتج عنه فتح ثغرة انسحاب حالت دون تدمير جيشه بالكامل.

ظل الجيش الأحمر يقاتل طيلة سنة بأكملها ويتراجع في اتجاه الغرب نحو محافظة شيكيانغ (Siikiang) ثم ينسحب نحو الشمال ويتجه إلى معقل الشيوعيين القوي بمنطقة شينسي (Shensi) النائية. وفي نهاية مسيرة الستة آلاف ميل التي سميت "بالمسيرة الطويلة"، لم يبق على قيد الحياة من العدد الأصلي من أتباع ماو المئة ألف، سوى عشرين ألفاً فقط. وبرغم الظروف الصعبة التي تعرضوا لها، تمكن الذين بقوا على قيد الحياة من اكتساب الخبرة وأصبحوا أكثر صلابة والتزاماً لأفكار ماو والحزب الشيوعي الصيني. وعلى امتداد طريق المسيرة قام ماو بتشكيل "خلايا" هي مجموعات من الرفاق الملتزمين واستفاد منها لاحقاً في حشد التأييد السياسي والعسكري.

وضع ماو وتشيانغ في عام 1937 خلافاتهما جانباً ووحدا جهودهما ضد الغزو القادم من اليابان. وبقي ماو في المحافظات الريفية الشمالية وبدأ بحرب عصابات في الغالب ضد اليابانيين وعزز سمعته في حماية الفلاحين بالأرياف، كما واصل تكديس الأسلحة التي كان يحصل عليها من السوفييت وحلفائهم، وهكذا ازداد حجم جيشه وتحسن

تسليحه. وفي تلك الأثناء كان تشيانج يواجه القوات اليابانية الأكبر حجماً بمناطق الجنوب الحضرية مما أضعف قوة جيشه.

واصل الوطنيون والشيوعيون صراعهم الداخلي للسيطرة على الصين عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة. وبدأ ماو الذي كان يملك قوات أفضل بهجوم ضد الوطنيين، وتمكن عبر سلسلة من المعارك من دفعهم نحو مناطق أصغر مساحة. وفي عام 1949 انسحب تشيانج مع قلة من مؤيديه إلى فرموزا وأسسوا الصين الوطنية.

أعلن ماو في 20 تشرين الأول/ أكتوبر 1949 جمهورية الصين الشعبية وقبل نتيجة انتخابه كرئيس لها. وبعد أن فرض سيطرته الكاملة على أكبر بلد مأهول بالسكان في العالم، تحرك بوحشية ضد ملاك الأراضي وكل من عارض حكمه، وكان ماو استبدادياً إلى درجة أنه قد أعدم أو عرض للموت جوعاً أكثر من عشرين مليوناً من مواطنيه خلال العقدين التاليين، حتى يحقق لهم ما أسماه "متع" و "مزايا" الشيوعية.

وباستثناء تقديم الدعم المكثف من الأسلحة وفرق "المتطوعين" لكوريا الشمالية في مطلع الخمسينيات، اقتصر الدور المباشر لماو في العمليات العسكرية بعد ذلك على القليل. وعلى الرغم من أنه قد استمر في فرض هيمنته على الجانب العسكري، مثلما سيطر تماماً على كل نواحي الحياة الصينية الأخرى، فقد وجَّه تركيزه الأساسي بعد ذلك نحو الحقل السياسي. ونفذ ماو في داخل الصين نفسها عدداً من "الثورات" التي مكنت له طرح أفكاره ونشرها، كما أرسل عناصره وعملاءه العسكريين والمدنيين إلى خارج الصين ليروجو نموذجه الشيوعي في أنحاء العالم؛ فقد كان كل من هوشي منه وفو نيجين جياب في الهند الصينية، وكيم إيل سونج في كوريا وفيدل كاسترو في كوبا، وبول بوت في كمبوديا، بالإضافة إلى بعض طلاب الجامعات الأمريكية في حقبة الستينيات والثوريين في أنحاء العالم، قد درسوا جميعاً أفكار وتعاليم ماو. وأصبح كتابه الأحمر الصغير الذي يحمل عنوان **«أقوال الزعيم ماو»** *Quotations of Chairman Mao* بمنزلة الكتاب المقدس في بلاده، كما أصبح المرجع الأساسي لكل الثوار في أنحاء العالم.

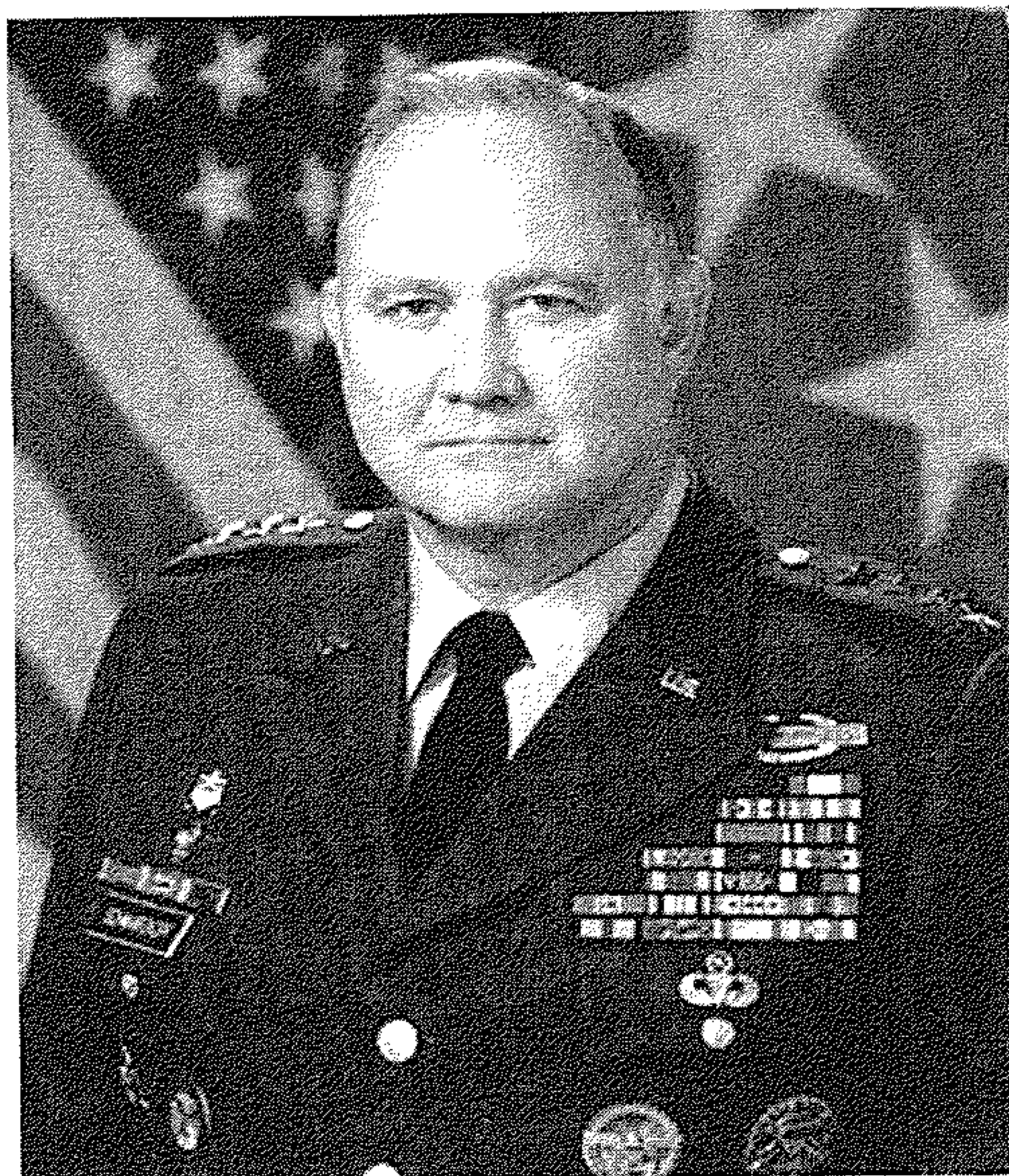
لم يتردد ماو مطلقاً في استخدام الجيش لقمع أي معارضة ضده داخل الصين، وقد قامت قواته خلال فترة حكمه بقتل عدد أكبر من الصينيين يفوق ما قتلته من الأعداء الخارجيين. وظل حكمه الممتد من عام 1949 وحتى موته بالعاصمة بكين في 9 أيلول/ سبتمبر 1976 وهو في الثالثة والثمانين من عمره، قوياً ومتماسكاً وفاسداً في غالبه بالمقارنة مع أي حكومة في العالم.

قد يبدو ظاهراً على السطح أن ماو تسي تونغ قد ترك أثراً لا يمحى بسيطرته على أكبر بلد مأهول بالسكان في العالم. ولكن، على الرغم من كل تأكيدات ماو على استراتيجية المدى البعيد، فقد طبق فلسفة سياسية لم تسلم من تأثير الأحداث العالمية المتغيرة. ومع أن الصين قد استمرت في العمل تحت قبضة نظام شيوعي، فقد أضحت لا تطبق النموذج الشيوعي الذي طرحه ماو، بل إن من خلفوه في حكم الصين قد حاولوا بالفعل التخلص من إرثه. كما أن العديد من البلدان الشيوعية الأخرى التي دعمها ماو قد تدهورت أحوالها أو انهارت تماماً، ولم يبق أحد من تلاميذه الذين درسوا تعاليم كتابه الأحمر الصغير على سدة الحكم في أي مكان من العالم.

ولو كانت هذه القائمة تركز على التأثير السياسي أكثر من النفوذ العسكري، لأمكن لنا وضع ماو في مرتبة أعلى ضمن التصنيف الذي اعتمده هذا الكتاب. وتعود مكانة ماو في القدر الأكبر منها إلى قوته السياسية أكثر من كونها نتيجة لبسالته كقائد عسكري. وفي الواقع، كان أكبر إنجاز له هو قدرته على البقاء واجتياز الظروف الصعبة والطويلة، وهو الأمر الذي ساعده في نهاية المطاف على الاستيلاء على السلطة في الصين. ويدور أغلب النفوذ السياسي لماو عقب وصوله إلى الحكم حول قمعه وقتله لأبناء شعبه. وباستثناء مساعدته لكوريا الشمالية بقوات في مطلع الخمسينيات ولفيتنام الشمالية بالأسلحة والإمدادات في الستينيات ومطلع السبعينيات، ومناوشاته مع بعض جيرانه الضعفاء، لم يكن للصين تحت حكمه إلا قدر محدود من القوة العسكرية التقليدية خارج حدودها.

ظلت المكانة الكلية لماو تسي تونج - كشخصية مؤثرة في التاريخ الحديث - في تراجع دائم خلال ما يزيد على العشرين عاماً التي مرت منذ موته. كما تراجعت سمعته العسكرية ليصبح مجرد رئيس سابق، ووصم حكمه بالاستبداد والوحشية. وقد لا يحتل ماو كقائد عسكري سوى مكانة هامشية خلال القرن القادم مع استمرار تراجع نفوذه وتأثيره.

49



نورمـــان شـوارزكـــوف
H. Norman Schwarzkopf
قائد أمريكـي
(1934 -)

قاد نورمان شوارزكوف بصفته قائداً للقيادة المركزية للقوات الأمريكية، قوات التحالف التي هزمت العراق وحررت دولة الكويت في عملية درع وعاصفة الصحراء (1990 - 1991). فقد أدى دوره القيادي في إحراز الانتصار الحاسم لقوات التحالف وتعامله الماهر مع وسائل الإعلام العالمية، إلى تحقيق شهرته كأبرز جنرال أمريكي منذ الحرب العالمية الثانية. كما يمثل شوارزكوف جيل قادة الجيش الأمريكي الملتزمين الذين خاضوا حرب فيتنام الطويلة، وظلوا في الخدمة ليستعيدوا القدرة القتالية لوحداتهم وتماسكها.

ولد شوارزكوف بمدينة ترنتون (Trenton)، بولاية نيوجيرسي في 22 آب/ أغسطس 1934، وكان والده قد تخرج في الكلية العسكرية في ويست بوينت وخدم في شرطة الولاية وفي قوات احتياطي الجيش الأمريكي. وتم استدعاء والده لأداء الخدمة الفعلية

خلال الحرب العالمية الثانية. وكانت المرة الأولى التي يشاهد فيها شوارزكوف الصغير منطقة الشرق الأوسط عندما زار والده الذي كان يعمل كمستشار عسكري لشاه إيران عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية.

دخل شوارزكوف كلية فالي فورج العسكرية قبل أن يتم قبوله في دفعة عام 1956 بالكلية العسكرية في ويست بوينت. وبعد تخرجه برتبة ضابط في قوات المشاة، قضى فترات خدمة ميدانية في وحدات داخل الولايات المتحدة الأمريكية وفي ألمانيا. ثم التحق بجامعة كاليفورنيا الجنوبية (Southern California) لمدة سنتين وحصل على درجة الماجستير في هندسة الصواريخ الموجهة، وعاد إلى الكلية العسكرية في ويست بوينت للعمل كمدرس ضمن هيئة التدريب فيها.

وبعد مرور عام على خدمته في الكلية، طلب العودة إلى الخدمة في فيتنام، وتحققت رغبته حيث خدم هناك كمستشار لفرقة فيتنامية تابعة لجيش فيتنام الجنوبية آنذاك محمولة جواً. ونال أثناء فترة خدمته هناك عدداً من أنواط الشجاعة، كما نال وسام القلب الأرجواني (Purble Heart) وهو وسام عسكري أمريكي.

خدم شوارزكوف بالكلية العسكرية في ويست بوينت لمدة سنتين، وحضر دورة بكلية القيادة والأركان التابعة للجيش، وحصل على ترقية مبكرة إلى رتبة مقدم ثم عاد إلى فيتنام. وتولى خلال الفترة 1969 ـ 1970 قيادة الكتيبة الأولى ووحدة المشاة السادسة، وعين قائداً للواء المشاة 198 التابع لفرقة المشاة (الأمريكية) الثالثة والعشرين، ونال خلال تلك الفترات عدداً من أوسمة الشجاعة.

لم يكن شوارزكوف راضياً عن التدهور الذي أصاب الجيش من جراء حرب فيتنام الطويلة، كما كان مستاء من تنامي الشعور العدائي العام من قبل الشعب الأمريكي تجاه المؤسسة العسكرية. ولذا فكر في الاستقالة عن الخدمة في الجيش، لكنه عدل عن فكرته وقرر البقاء في الخدمة الفعلية مع العديد من رفقائه الضباط ليتولوا إعادة بناء الجيش الأمريكي. وخدم شوارزكوف خلال الاثنتي عشرة سنة التالية في مهام أركان وقيادة ميدانية بكل من ألاسكا وهاواي وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وتقدم في سلم الرتب خلال تلك الفترة.

تولى شوارزكوف في حزيران/ يونيو 1983، قيادة فرقة المشاة الميكانيكية الرابعة والعشرين بقاعدة فورت ستيوارت (Fort Stewart) في ولاية جورجيا. وخدم خلال الغزو الأمريكي لجزيرة جرينادا في تشرين الأول/ أكتوبر 1983 بمنصب نائب القائد والقائد الأقدم لقوات الجيش المشاركة في العملية والتي أطلق عليها اسم "الغضب العاجل". وقام شوارزكوف في تلك العملية الناجحة نوعاً ما بتنفيذ القدر الأكبر من واجبات التنسيق بين القوات المشاركة، وخطط بنفسه عملية إجلاء طلاب الطب الأمريكيين من الجزيرة.

نال شوارزكوف ترفيعاً آخر وأصبح جنرالاً بثلاثة نجوم. وتولى في عام 1986 قيادة قوات الفيلق الأمريكي الأول في فورت لويس (Fort Lewis) بواشنطن. وبعد عام من ذلك غادر إلى وزارة الدفاع الأمريكية ليتولى منصب نائب رئيس أركان الجيش للعمليات. وفي عام 1988 ترقى شوارزكوف إلى رتبة فريق أول، وتم تعيينه قائداً للقيادة المركزية للجيش الأمريكي بقاعدة ماكديل (McDill) الجوية في ولاية فلوريدا، وهو مقر القيادة العسكرية المسؤولة عن القوات المخصصة للحالات الطارئة بمنطقة الشرق الأوسط.

وبعد وقت قصير من قيام القوات العراقية بغزو دولة الكويت واحتلالها في 2 آب/ أغسطس 1990، تم نقل شوارزكوف وقيادته إلى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية، وتولى قيادة القوات الأمريكية وقوات التحالف التي توالى وصولها بعد ذلك. واعتمد شوارزكوف على الدروس التي تعلمها من تجربة فيتنام وبخاصة الصعوبات التي تفرضها الحرب المحدودة في عدم إمكانية تخصيص جميع الموارد للقتال، وطلب - وتلقى بالفعل - عدداً ضخماً من قوات التحالف الجوية والبحرية والبرية. وبعد تسلم جميع الوحدات لمواقعها، أعلن شوارزكوف في 17 كانون الثاني/ يناير 1991، بدء الحرب الجوية التي استمرت لمدة 42 يوماً، وأتبعها بهجوم بري لمدة مئة ساعة. وتمكنت قوات التحالف من طرد القوات العراقية وحررت دولة الكويت، وتغلغلت في داخل الأراضي العراقية، قبل أن تعلن وقف إطلاق النار. وبينما كان عدد القتلى من القوات الأمريكية أقل من أربعمئة فرد، بلغ عدد القتلى من القوات العراقية 8ـ15 ألفاً، وتم أسر أكثر من 85 ألف جندي عراقي.

كان من بين ما تعلمه شوارزكوف في فيتنام أهمية جانب العلاقات العامة؛ وقد استطاع المحافظة على دعم وسائل الإعلام وتأييد الجمهور له، بفضل المؤتمرات الصحفية المنتظمة التي درج على عقدها وجاذبية شخصيته العسكرية. وبانتهاء تلك الحرب القصيرة، كان الأمريكيون يهتفون لشوارزكوف ويعتبرونه بطلاً قومياً.

أثبت شوارزكوف صواب قرار اختياره، وبرهن على أنه قد كان القائد المناسب في الوقت المناسب وللمهمة الحربية المناسبة. وأطلق على شوارزكوف لقب "الدب"، ولقب "نورمان العاصف"؛ وذلك بسبب ضيق صدره وعدوانيته وسلوكه المتحدي المجابه للعدو. وبعيداً عن تلك الصفات، أظهر شوارزكوف مهارات مميزة في دمج المجهود الجوي والبحري والبري لقوات التحالف المتعددة الجنسيات وحقق النصر النهائي.

تقاعد شوارزكوف بعد عودته من عملية عاصفة الصحراء. واختار البعد عن الأضواء ولم يمارس أي نشاط عام سوى إلقاء بعض المحاضرات والظهور النادر في محطات التلفزة، ثم إصداره لسيرته الذاتية في كتاب اختار له عنوان «**حرب لا تقتضي بطلاً**» *It Doesn't Take a Hero*.

يكفي أداء شوارزكوف المتفرد في هزيمة القوات العراقية وتحرير دولة الكويت لاحتلاله موقعاً في هذه القائمة. ولكن ينبع تأثيره ونفوذه الحقيقي من كونه نموذجاً يقاس عليه كقائد عسكري أمريكي فضل البقاء في خدمة المؤسسة العسكرية عقب حرب فيتنام، وساهم بجهده في إعادة بنائها واستعادة سمعتها في الداخل وفي أنحاء العالم، لتصبح الولايات المتحدة الأمريكية بعد فوزها في الحرب الباردة أكبر قوة عسكرية عالمية.

50



ألكسندر فسيلفيتش سوفروف

Alexander Vasilevich Suvorov

قائد روسي

(حوالي 1729ـ1800)

قاد ألكسندر سوفروف خلال حياته المهنية الطويلة القوات الروسية للنصر على بولندا وتركيا وفرنسا وعلى متمردين من بلده. ورغم مواجهته عدواً أكبر في أغلب الأحيان، فإن سوفروف المعروف بذكائه وشجاعته وإصراره على بلوغ الهدف، لم يخسر معركة قط. وكان قد واجه العديد من القيود المترتبة على مكائد بعض أفراد البلاط الملكي وغيرتهم في روسيا، ولكنه كسب إعجاب الشعب الروسي بفضل ما أدخله من تجديد على العمليات الهجومية باستخدام المسير العاجل لمسافات طويلة والهجمات المفاجئة المدعومة بالتدريب التفصيلي للجيش. وكان الاتحاد السوفيتي قد اعتمد عام 1942 وسام سوفروف تكريماً لما تركه من إرث عسكري.

ليست هناك أي تفاصيل محددة عن فترة شباب سوفروف، وتقول بعض الروايات إنه قد ولد في موسكو أو في شرق فنلندا، فيما بين 1725ـ1730، مع ترجيح ميلاده في

عام 1729. وعلى الرغم من أنه كان طفلاً هزيلاً، فقد التحق كمجند بالجيش الروسي وهو في حوالي الثالثة عشرة من عمره. وفي عام 1754 حصل على رتبة ضابط وكان ذلك إنجازاً في حد ذاته خلال الحقبة التي عرفت قيام الأغنياء وأهل النفوذ بشراء رتب الضباط لأبنائهم عند ميلادهم.

خدم سوفروف كضابط حديث ضد البروسيين في حرب السنوات السبع، وخاض معركة كونرسدورف (Kunersdorf) في 12 آب/ أغسطس 1759. وعندما شارك في احتلال برلين في 9 تشرين الأول/ أكتوبر 1760، كان قد ترفع إلى رتبة عقيد بفضل شجاعته وتفوقه القيادي.

أدخل سوفروف بوصفه قائد كتيبة عام 1762 تكتيكات وأساليب تدريب جديدة اقترنت بالفترة المتبقية من حياته المهنية؛ فقد قام بتبسيط التدريبات المعقدة وركز على إكساب قواته اللياقة البدنية اللازمة للتحرك العاجل والمسير الطويل، ومنح مرؤوسيه من القادة صلاحيات واستقلالية للمناورة بوحداتهم واستغلال الأفضلية، كما نأى بنفسه عن عقلية أسلوب الحصار النمطية السائدة في ذلك الوقت، وتبنى نظرية ترى أن الجيش سيتكلف خسائر أقل خلال الهجوم الفوري، مقارنة بما سيتعرض له من خسائر نتيجة الأمراض التي تحدث خلال فترات الحصار الطويل. وطرح سوفروف أسلوب الالتحام المباشر والعنيف وكان يقول: «الحربة خير رفيق والطلقة أسلوب غبي».

أخضع سوفروف أساليبه الجديدة للتجربة العملية في نيسان/ إبريل 1773، خلال الهجوم على قلعة تورتوكاي (Turtukai) في المراحل المبكرة من الحرب الروسية-التركية الأولى وتم منحه وسام الشجاعة وترفيعه إلى رتبة فريق. وفي السنة التالية اجتاح سوفروف معقل كوزلودجي (Kozludjii) التركي القوي، على الرغم من التفوق العددي لقوات العدو عليه بنسبة خمسة إلى واحد.

حققت تكتيكات سوفروف النتائج المرجوة على الرغم من المواجهات الدامية، وأظهر جنوده روحاً معنوية مرتفعة وحفظوا لقائدهم مكانة سامية. وبالمقابل، عمل سوفروف على ضمان رواتب عادلة لجنوده ووفر لهم المؤن والتسليح، وأصبح

سوفروف محبوباً بين جنوده بسبب حرصه على قيادة قواته من الأمام ومشاركته جنوده في أخطار المعركة وتعامله الإنساني معهم، على عكس ما كان معروفاً حينها عن شخصية الضابط المترفع.

عاد سوفروف من تركيا إلى روسيا وباشر إنشاء سلسلة من المنشآت العسكرية. وعرفت تلك المنشآت باسم خط كوبان (Kuban Line) وهو عبارة عن تحصينات لأغراض الدفاع عن الجزء الجنوبي من الأراضي الروسية. وفي عام 1783 أخمد ثورة في شبه جزيرة القرم في حملة دموية لم تبق قواته خلالها على حياة أي من المتمردين.

انتصر سوفروف في معركة كنبيرن (Kinburn) التي وقعت في المرحلة الأولى من اندلاع الحرب الروسية ـ التركية الثانية في عام 1787. وأتبع ذلك بانتصارات أخرى في فوسوني (Focsoni) في تموز/ يوليو 1789، كما هزم بعد شهرين جيشاً تابعاً للدولة العثمانية في معركة ريمنك (Rymnik)، وكان يفوق قواته عدداً بنسبة أربعة إلى واحد. ونال سوفروف مرة أخرى نوط الشجاعة كما منح لقب "كونت"، وارتدى شعار الانتماء إلى طبقة النبلاء الذي يحمل نقشاً لصاعقة من برق تتجه نحو هلال تركي.

أثبت الكونت الذي منح اللقب حديثاً جدارته به عندما تحرك في كانون الأول/ ديسمبر 1790 ضد الدفاعات التركية في أزميل (Izmail). ونسق سوفروف هجوماً برياً بستة أرتال ودعمه بنيران المدفعية البحرية، وكبد العدو خسائر بلغت أكثر من 26 ألف جندي. ومهد سقوط أزميل الطريق إلى الدانوب والقسطنطينية [الاسم القديم لإسطنبول]. وعلى الرغم من مرور ثلاث سنوات قبل التوصل إلى معاهدة سلام، فقد شكل سقوط أزميل النهاية الفعلية للصراع.

قاد سوفروف في عام 1793 جيشاً إلى داخل بولندا الواقعة تحت الاحتلال الروسي وذلك لإخماد تمرد للفلاحين. وتمكن جيشه من هزيمة المتمردين في 10 تشرين الأول/ أكتوبر 1794 بمعركة ماسيوفيتس (Maciejowice)، واستولى على وارسو بعد أسبوعين، وكافأته الملكة كاثرين الكبرى بترفيعه إلى رتبة مشير ومنحته ضيعة واسعة كما أسندت إليه قيادة جيش أكبر حجماً.

خلد سوفروف إلى فترة راحة عام 1795، وأصدر خلالها كتاباً قدم فيه أفكاره الحربية واختار له عنواناً ملائماً تماماً هو «فن الانتصار» *The Art of Victory*. وبعد سنتين فقط توفيت كاثرين الكبرى، وقام خلفها القيصر بول الأول بالاستغناء عن سوفروف ونفيه من روسيا. وكان القيصر بول قد استبدل جميع القادة العسكريين لعدم ثقته في المقربين من كاثرين، وعندما انضم القيصر في عام 1798 إلى إنجلترا والنمسا لمواجهة نابليون، أدرك حاجته إلى القادة المقتدرين واستدعى سوفروف للخدمة معيداً إليه رتبته وامتيازاته.

على الرغم من أن سوفروف قد قارب السبعين من عمره، فقد قام بتدريب جيش مشترك من الروس والنمساويين لإخراج الفرنسيين من شمال إيطاليا. وتمكن في ربيع وصيف عام 1799 من هزيمة الفرنسيين في كاسانو (Cassano)، وتريبيه (Trebbia)، ونوفي (Novi)، وانتصر بذلك في آخر معاركه الكبرى. وبعد سلسلة من المعارك التي ضعف فيها الدعم المقدم من الحلفاء النمساويين، أصدر القيصر بول أوامره لسوفروف بالعودة إلى روسيا وقام بحل ذلك التحالف. وكافح سوفروف في غياب أي دعم ليشق طريقه عائداً في اتجاه الشمال عبر جبال الألب تحت وطأة ظروف صعبة.

على الرغم من انسحاب سوفروف الناجح وعودته إلى روسيا محافظاً على غالبية جيشه، فلم يستقبل كبطل؛ إذ لم يعد القيصر بول في حاجة إلى المحارب العجوز، وقام بإعفائه من منصبه القيادي وتجريده من رتبته خوفاً من تزايد شعبيته. وبعد أشهر قليلة توفي سوفروف بمدينة سانت بطرسبرج في 18 أيار/ مايو 1800 وهو في السبعين من عمره بسبب تدهور حالته الصحية عقب حملة الانسحاب الطويلة. وطبقاً لتوجيهات من القيصر بول، تم دفن سوفروف بلا أي مراسم رسمية، ولم يحضر دفنه أي عناصر من القيادات التي عمل فيها.

لم يغب سوفروف عن المجد طويلاً، فقد كشف الشعب الروسي بعد وفاة القيصر بول عن إعجابه الشديد بالمشير القدير وتبجيله إلى حد التقديس تقريباً. ويحتل سوفروف مكانة مميزة كأبرز قائد عسكري في بلاده خلال الفترة الواقعة بين بطرس

الأكبر واندلاع الحرب العالمية الثانية، وذلك لروحه الهجومية وشعبيته الكبيرة. وقد ظلت استراتيجيته نموذجاً يحتذى للجيش الروسي خلال تلك الحرب وفي حقبة الحرب الباردة. لقد وضع سوفروف أسس المناورات التكتيكية التي اهتدت بها الجيوش الروسية فيما بعد، وخلق لنفسه مكانة مرموقة كقائد عسكري يقتدى به.

51



لويس ألكسندر بيرتييه

Louis Alexandre Berthier

قائد فرنسي

(1815 - 1753)

لويس ألكسندر بيرتييه هو وزير الحرب ورئيس الأركان في حكومة نابليون الأول، كان يتولى تحويل خطط الإمبراطور إلى أوامر ومن ثم نقلها إلى القادة الميدانيين. أثبت قدرة غير عادية في تنسيق الإمدادات والمؤن إلى عدد كبير من القوات الضخمة السريعة التنقل، إلى حد أن الأمر بدا كما لو كان بيرتييه على علم برغبات نابليون قبل أن يعبر عنها الإمبراطور نفسه. وقد وصف نابليون رئيس أركانه بأنه «الرجل الذي خدمني أطول فترة ولم يخذلني قط». وزعم نابليون أنه ما كان ليخسر معركة ووترلو لو كان بيرتييه حاضراً. ولا يدخل اسم بيرتييه في قائمة القادة العسكريين المؤثرين باعتباره قائداً في ميدان القتال، بل بوصفه أول ضابط أركان محترف يترك بصمته من خلال براعته الفائقة في تنسيق ودعم هيئة أركانه.

ولد بيرتييه في فرساي بفرنسا في 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1753، والتحق بالجيش الملكي وهو في الثالثة عشرة من عمره؛ إذ خدم مع والده الذي كان مديراً لهيئة المساحة العسكرية. وفي عام 1780 أبحر بيرتييه إلى أمريكا بوصفه ضابط أركان في جيش جان دي روشامبو (Jean de Rochambeau)، والذي كان يدعم سكان المستعمرات المتمردين. ولدى عودته إلى فرنسا وقت اندلاع الثورة فيها، وجد بيرتييه نفسه مفصولاً من الجيش عام 1793 بسبب خدمته الملكية السابقة.

وإثر صدور عفو عام في آذار/ مارس 1795 عن الضباط الذين خدموا التاج الملكي، أعيد بيرتييه إلى الجيش الفرنسي برتبة قائد لواء ليتولى مهام رئيس أركان الجيش في الألب وإيطاليا. وبعد ثلاثة أشهر ترقى إلى رتبة قائد فرقة عسكرية وانضم إلى جيش نابليون كرئيس للأركان. ومنذ ذلك الحين لم يفترق الضابطان حتى تنازل نابليون عن السلطة للمرة الأولى عام 1814، فكانا متلازمين يعتمد أحدهما على الآخر، حتى إن الضباط غالباً ما كانوا يطلقون على بيرتييه لقب "زوجة الإمبراطور".

كان بيرتييه يقوم، بوصفه رئيس أركان الجيش الكبير، بتوجيه ستة قادة برتبة فريق وثمانية آخرين برتبة عقيد، وهم مسؤولون عن التخطيط والإدارة والإمداد والتموين. وقد منحه نابليون ألقاباً عديدة وثروة، والمسؤولية الإضافية لوزير الحرب من عام 1799 إلى عام 1807. وفي عام 1804 قام نابليون بترقية رئيس أركانه إلى رتبة مشير.

أدى بيرتييه دوراً مهماً في الحملات الفرنسية في مصر وفي أرجاء أوربا. وفي المناسبات القليلة التي كان عرضة فيها للمشاركة الفعلية في القتال، أثبت شجاعة فائقة، إلا أن إسهاماته الرئيسية كانت تتجاوز كثيراً خطوط القتال؛ إذ كانت قدرته غير مسبوقة على تحويل خطط رؤسائه العسكرية المعقدة إلى أوامر بسيطة للقادة الميدانيين، والإبلاغ بالتغيرات التي تحدث في خضم القتال. ويماثلها بهذه الدرجة من الأهمية قدرته على تأمين الإمداد والتسليح للجيش الضخم.

إبان حملة أوسترليتز، على سبيل المثال، كان بيرتييه يدعم الزحف السريع الذي استغرق خمسة أسابيع، لمئتي ألف رجل من شمال فرنسا عبر آلم وفيينا إلى أوسترليتز.

وبينما كان الجنود لايزالون يطالبون سكان القرى التي يمرون عبرها بتوفير الطعام والمأوى لهم، كما كان معتاداً في ذلك الوقت، أسس بيرتييه سلسلة مستودعات على طول الطريق لتوفير الطعام للجنود، مما هيأ لهم الإسراع في الزحف. فعندما كان الجنود يصلون إلى مقصدهم حاملين المؤن التي تكفيهم عدة أيام وذخيرتهم الاحتياطية، كانوا على استعداد للقتال على الفور.

وقد تجلت مهارات بيرتييه كذلك في تمكنه من الحفاظ على النظام والسيطرة على مرؤوسيه من القادة أثناء الانسحاب الشاق من روسيا عام 1812. وقد تمكن نابليون بفضل المهارات التنظيمية لبيرتييه من حشد جيشه إلى النصر عام 1813 في ليتسين، وباوتزين، وليبتسخ، إلا أن الجيش الكبير، الذي أنهكته الحروب كان مايزال يواجه قوة متنامية في صفوف الأعداء. وقد قرر بيرتييه بعد وقت قصير من إصابته في بريين (Brienne) في 29 كانون الثاني/ يناير 1814 أن من الخير لفرنسا ومواطنيها أن تكف عن الحرب الطويلة، وقد انضم إلى مجموعة القادة برتبة مشير الداعين إلى السلم. وفي 11 نيسان/ إبريل أجبروا نابليون على التنازل عن عرش الإمبراطورية والعيش في المنفى في جزيرة إلبا.

ومع عودة الملكية لأسرة بوربون (Bourbon)، استعاد بيرتييه رتبته وأوسمته. وعندما هرب نابليون من منفاه في جزيرة إلبا وعاد إلى فرنسا، انضم إلى جانبه كثير من قادته السابقين برتبة مشير ومعظم أفراد جيشه، إلا أن بيرتييه لم يقدم على ذلك، بل إنه شخصياً أمن سلامة الملك لويس الثامن عشر ثم تقاعد في ضيعته البافارية.

ولم يشعر نابليون فحسب بخيبة أمل كبيرة إثر نكوص بيرتييه قبل تنازل (الإمبراطور) عن العرش في المرة الأولى، بل إن ما أزعجه أكثر هو أن صديقه وموضع سره رفض الانضمام إليه أثناء صراع المئة يوم، فقد ثبت أن غياب بيرتييه كان أكثر من مجرد خسارة شخصية؛ إذ لم يتمكن جيش نابليون الجديد على الإطلاق من تحقيق النظام والعظمة التي اتسم بها الجيش الأصلي. حقاً، كان يمكن أن تنقلب النتائج في ووترلو لو كان بيرتييه حاضراً يصدر الأوامر الصحيحة ويمد الجيش باحتياجاته على النحو الصحيح.

وفي الأول من حزيران/ يونيو 1815 توفي بيرتييه في الحادية والستين من عمره إثر سقوطه من نافذة مرتفعة في ضيعته في بامبيرج (Bamberg) . وأشارت الدلائل إلى أن وفاته كانت قضاء وقدراً، إلا أن بعض التقارير رجحت تعرضه إلى الإسقاط على يد مغتالين، بينما يعزو آخرون وفاته إلى الانتحار للتكفير عن إحساسه بخيانة إمبراطوره. ويقال إن الحزن غلب على نابليون لرحيل بيرتييه كما لو أن شيئاً بينهما لم يقع.

لقد كان تنظيم بيرتييه لهيئة أركان ضباطه المرؤوسين المسؤولين عن التخطيط للعمليات وتنسيق الإمدادات التموينية ومهام النقل المختلفة، أبعد ما يكون عن الإتقان، إلا أن نجاحه أصبح نموذجاً يحتذى للجيوش منذ ذلك الحين، بما في ذلك ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرهما من القوى في القرن العشرين؛ ذلك أن قدراً كبيراً من النجاحات الضخمة لنابليون تعزى إلى رئيس أركانه.

52



خوسيه دي سان مارتين
José de San Martin
ثائر من أمريكا اللاتينية
(1850 - 1778)

خوسيه دي سان مارتين هو محرر وطنه الأرجنتين، وكذلك النصف الجنوبي من أمريكا اللاتينية من الحكم الإسباني في أوائل القرن التاسع عشر؛ إذ قام - وتحت إمرته جيش لا يكاد يزيد عدده على عشرة آلاف رجل - بشن هجمات مباغتة عبر مناطق كانت تعتبر مستعصية على من يسلكها، وجمع المتحالفين مع رفاقهم من ثوار التحرير إضافة إلى المرتزقة لتحرير نصف قارة من السيطرة الأوربية. وبوصف سان مارتين واحداً من القادة العسكريين القلائل في عصره ممن لا يتطلعون إلى طموحات سياسية، فقد أثبت أنه جندي محترف مجرد من الأنانية، وغير مهتم بأمر سوى حرية قارته.

انتقل سان مارتين إلى إسبانيا بعد ثماني سنوات من مولده في 25 شباط/ فبراير 1778، ليصبح ضابطاً أرستقراطياً في الجيش الإسباني في مدينة يابيو (Yapeyu) الواقعة شمال شرقي الأرجنتين. ورغم انضمامه إلى الجيش الإسباني، وهو مازال مراهقاً، وتدرجه

حتى وصل إلى رتبة مقدم أثناء فترة خدمته ضد قوات بونابرت في حرب شبه الجزيرة (Peninsular War)، فقد ظل ولاؤه وتعاطفه مع مسقط رأسه في أمريكا الجنوبية.

وفي عام 1811 استقال سان مارتين من منصبه، وأبحر إلى بيونس آيريس بعد أن تكشفت له حقيقة الملكية المستبدة في إسبانيا. والتحق مباشرة بحركة الاستقلال الأرجنتينية وساعد على تشكيل مجموعة مناصرة للثورة عرفت باسم لوجيا لوتارو (Logia Lautaro). وفي عامي 1813 ـ 1814 أسس قاعدة تدريب في غرب الأرجنتين بالقرب من مندوسا (Mendoza)، وأدار عمليات محدودة ضد المحتل الإسباني، وكان الوجود الإسباني في الأرجنتين محدوداً فواجه المتمردون معارضة ضئيلة عندما أعلنوا استقلالهم في 9 تموز/ يوليو 1816.

أدرك سان مارتين أنه بينما تحقق إعلان الاستقلال بسهولة نسبية، فإن الحفاظ عليه كان شبه مستحيل إذا ما أبقى الإسبان على جيش قوي في الجارتين، تشيلي وبيرو. ولذلك شرع سان مارتين، ضماناً لحرية وطنه، في تحرير دول أمريكا اللاتينية الأخرى. وفي أوائل عام 1817 قاد جيشاً قوامه 3 آلاف من رجال المشاة و7 آلاف فارس و21 قطعة مدفعية في عبور مذهل لجبال الأنديز البالغ ارتفاعها 13700 قدم، والتي كان يظن من قبل أنها تستعصي على العبور، وذلك توغلاً داخل تشيلي. وقد فاجأ في 12 شباط/ فبراير المدافعين الإسبان عن تشاكابكو (Chacabuco) مفاجأة تامة وهزمهم هزيمة منكرة، واحتل العاصمة سانتياجو في 15 شباط/ فبراير. وقام الإسبان بهجوم مضاد من بيرو على مدى العام التالي، إلا أن القوات الأرجنتينية ـ التشيلية المشتركة هزمتهم في النهاية في معركة مايبو (Maipu) في 5 نيسان/ إبريل 1818.

رفض سان مارتين تزعم الحكومة التشيلية الجديدة مزكياً بدلاً منه رفيقه العسكري الثائر بيرناردو أوهيجنز (Bernardo O'Higgins) لهذا المنصب. وعلى الرغم من سيطرة الثوار على الأرجنتين وتشيلي، فقد ظلت مواقعهم ضعيفة نتيجة لتواصل الاحتلال الإسباني لبيرو والسيطرة الإسبانية على البحار المحيطة بأمريكا الجنوبية.

قام سان مارتين بعون من البحار الإنجليزي السابق توماس كوكرين (Thomas Cochrane) ببناء البحرية التشيلية في عامين. وسرعان ما حقق كوكرين نصراً ساحقاً على السفن الإسبانية في مياه تشيلي، وبدأ حملة لقصف الدفاعات المقامة على ساحل بيرو. وفي أوائل عام 1820 حاصر كوكرين ما تبقى من الأسطول الإسباني في ميناء كاياو (Callao) في بيرو، وهو ما سمح لأسطول سان مارتين الغازي أن يبدأ رحلته.

وبعد سلسلة من المعارك الناجحة، دخل سان مارتين ليما وأعلن استقلال بيرو في 28 تموز/ يوليو 1821. وفي غضون بضعة أشهر تمكن من هزيمة الحاميات المعزولة، إلا أن معظم الجيش الإسباني انسحب إلى هضاب بيرو، وقام بتحصين مواقعه الدفاعية. وحين أدرك أن جيشه أضعف من أن ينجح في مهاجمة الإسبان، اقترح عقد تحالف مع رفيقه الثائر سيمون بوليفار الذي نجح في تحرير كولومبيا من السيطرة الإسبانية، وكان آنذاك يقوم بعملياته في الإكوادور.

التقى محررا أمريكا الجنوبية العظيمان، سان مارتين وبوليفار، في جواياكيل (Guayaquil) بالإكوادور في 26-27 تموز/ يوليو 1822. ولم يحضر لقاءاتهما الخاصة أي شهود، ولم يتم تسجيل أي محاضر للاجتماعات. ومع ذلك، يبدو أن القائدين لم يتفقا على كيفية طرد الإسبان من بيرو أو كيفية توجيه المستقبل السياسي لأمريكا الجنوبية. وسواء شعر سان مارتين بعدم الرضى أو أدرك حقيقة أن الثورة الناجحة لا يتأتى لها أكثر من قائد واحد، فقد تنحى عن مسؤولياته الرسمية وغير الرسمية وعهد بقواته إلى بوليفار وعاد إلى بيونس آيريس.

أبحر سان مارتين وابنته إلى فرنسا بعد وفاة زوجته عام 1824، حيث عاش هناك طيلة السنوات الثماني والعشرين اللاحقة، باستثناء زيارة قصيرة إلى أمريكا الجنوبية عام 1829. ورحل في صمت في مدينة بولون سيرمير (Boulogne-sur-Mer) بفرنسا في 17 آب/ أغسطس 1850، وهو في الثانية والسبعين من عمره.

كان سان مارتين، الذي كان يتسم برباطة الجأش والتجهم، يمتلك قدرات هائلة في التكتيك والاستراتيجية والإدارة والقيادة؛ مما هيأ له إحراز انتصارات عظيمة بأدنى حد

من الخسائر في صفوفه. أما أسلوبه في القتال فكان يعتمد على تحاشي الهجمات المباشرة المكلفة، وعادة ما كان يبدأ بهجوم مضلل على قوات العدو ثم يتبعه بتحرك مطوق للقوات المعادية.

إن سجل خدمته المنكر للذات بلا طموح شخصي أو مادي أو مكاسب سياسية، سيظل فريداً بين القادة المؤثرين؛ فقد كان هدفه الأوحد المعلن هو تحرير أمريكا اللاتينية من الإسبان. ورغم عدم رغبته في شغل أي منصب في الحكومة الجديدة، فقد اقترح قيام ملكية مستنيرة ذات سلطة محدودة يتزعمها أحد أبناء أسرة إنكا الملكية التي حكمت في حقبة ما قبل-كولومبيا بوصفه حاكماً لعرش رمزي.

وقد تنحى سان مارتين برغبته وأسلم زمام جيشه لبوليفار عندما بدا أن ذلك هو أفضل السبل لنجاح الثورة، ويظل بوليفار الذي كان نفوذه العسكري الشامل أعظم، يكرم اليوم على أنه " المحرر "، إلا أن سان مارتين هو بالتأكيد أعظم وأنبل وطني في أمريكا اللاتينية؛ لأنه عهد بقيادته لبوليفار لما في ذلك من الخير الأعظم لوطنه.

53



جوزيبي جاريبلدي
Giuseppe Garibaldi
قائد إيطالي
(1882 - 1807)

جوزيبي جاريبلدي كان قائداً لأنجح قوة عسكرية في تاريخ إيطاليا الحديث. تزعم جهوداً لتوحيد بلاده، وفرض - بوصفه مهندس حرب العصابات - نفسه قائداً ثورياً مشهوراً خلال أكثر من أربعين عاماً من القيام بالحملات العسكرية في شبه الجزيرة الإيطالية وأمريكا الجنوبية. وقد أعلت بريطانيا العظمى من قدر جاريبلدي، فأطلقت عليه لقب " بطل العالمَين "، كما عرض الرئيس إبراهام لنكولن على الوطني الإيطالي مهمة قيادية في الجيش الاتحادي إبان الحرب الأهلية الأمريكية.

ولد جاريبلدي في أسرة صناعتها البحر في نيس بفرنسا في 4 تموز/ يوليو 1807. انضم إلى والده على متن سفينة وهو في الخامسة عشرة، ثم تقدم في عمله حتى أصبح قبطاناً لمركبه الخاص في عام 1832، إلا أن اهتمامه الحقيقي تحول إلى الحركة الثورية الإيطالية بقيادة جوزيبي ماتسيني (Giuseppe Mazzini) في بيدمونت (Piedmont)

بجزيرة سردينيا والمعروفة "بإيطاليا الشابة". آنذاك لم تكن إيطاليا بلداً موحداً بل كانت تتكون من مجموعة من الولايات المحتلة والخاضعة للحكم الأجنبي. وفي عام 1834 قاد جاريبلدي سفينة حربية إلى جنوة لدعم الثورة الوليدة، وأخفق العصيان ففر إلى أمريكا الجنوبية بعد صدور حكم بالإعدام عليه.

لم تفتر حماسة جاريبلدي للثورة في وطنه الجديد؛ فخلال الفترة 1836 ـ 1843 كان يقود سفينة حربية دفاعاً عن ولاية ريو جراندي دي سول (Rio Grande de Sul) ضد البرازيل، ثم انتقل إلى أورجواي ليساهم في النضال ضد الأرجنتين. وفي أثناء تلك الفترة أصبح قائداً برياً، وأتقن التكتيكات التي كان يطمح إلى تطبيقها في المستقبل. كما قام بتجنيد مغتربين إيطاليين من أمثاله، وشكلهم في وحدات يسهل حشدها للقيام بهجوم ثم تعود إلى الاندماج سريعاً في المجتمع المدني. وبما أنه اعتاد دوماً أن يواجه قوات تفوقه عدداً، فقد استغل أسلوب حرب العصابات القائم على الضربات السريعة والغارات الخاطفة رافضاً أن يشترك على نحو حاسم في حروب المواقع الثابتة. وقد اتخذ جاريبلدي أيضاً "زياً" من قمصان حمراء بسيطة والتي سرعان ما أصبحت الاسم المتعارف عليه لجيشه في أمريكا الجنوبية ثم لاحقاً في إيطاليا.

وبعد أن أمضى جاريبلدي اثنتي عشرة سنة في أمريكا الجنوبية، علم باستئناف حركة الاستقلال ريسورجمنتو (Risorgimento) (الإحياء) لنشاطها في إيطاليا، فعاد إلى وطنه كي ينظم فرق "القمصان الحمر" من ثلاثة آلاف متطوع. وفي أعقاب حملة حرب عصابات قصيرة وغير ناجحة ضد المحتلين النمساويين في شمال إيطاليا وجنوب سويسرا، قاد جاريبلدي متطوعيه إلى روما في عام 1849 لدعم صديقه القديم ماتسيني في الدفاع عن المدينة ضد القوات الفرنسية في محاولة لاستعادة السلطة البابوية. ونجح جاريبلدي في قيادة التحصينات الدفاعية بمدينة روما طيلة ثلاثة أشهر ضد القوات الفرنسية المتفوقة عدداً، ثم وجد نفسه مضطراً إلى التفاوض معها، وفي 3 تموز/ يوليو زحفت القوات الفرنسية على روما بينما انسحب منها جاريبلدي وخمسة آلاف من القوات المدافعة عنها. ولم يدم وقف إطلاق النار سوى فترة خروج جاريبلدي من روما، فلم يلبث أن تعرض رجاله للهجوم عقب خروجهم من المدينة من جانب قوات من النمسا وفرنسا ونابولي، فراح معظم رجال جيش القمصان الحمر بين قتيل وأسير.

أما جاريبلدي نفسه فقد فر ليستقر به المقام أخيراً في منفاه في الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد أن أمضى فترة وجيزة في مدينة نيويورك، حيث عمل في صناعة الشموع، أبحر إلى بيرو ليعمل من جديد قبطاناً على سفينة تجارية. وفي عام 1854 عاد إلى إيطاليا ليقيم فيها، فاشترى مسكناً في جزيرة كابريرا (Caprera) المقابلة لجزيرة ساردينيا، و ليعمل قبطاناً لأول سفينة رفَّاس إيطالية [سفينة بخارية ذات محرك على شكل دولاب].

وفي عام 1859 اندلعت الحرب مع النمسا فكون جاريبلدي من جديد قوة من متطوعي القمصان الحمر. وبعد قتال لم يدم طويلاً ضد النمساويين في الألب، وضع جاريبلدي جيشه المؤلف من ألف رجل على متن سفينتين بخاريتين، وأبحر جنوباً لدعم التمرد الصقلي ضد الملك فرانسيس الثاني ملك نابولي. وفي أيار/ مايو 1860 قام رجال القمصان الحمر بتأمين صقلية، ثم عبروا إلى البر الرئيسي حيث احتلوا نابولي وجنوب شبه الجزيرة الإيطالية في شباط/ فبراير 1861. آنذاك اعتبرت إيطاليا كلها جاريبلدي بطلاً عظيماً بعد أن عهد بفتوحاته إلى فيكتور إمانويل الثاني (Victor Emmanuel II)، الذي أعلن في 18 شباط/ فبراير 1861 قيام مملكة إيطاليا على تلك الأراضي.

لقد كان جاريبلدي بطلاً، لا في وطنه فحسب بل وخارجه. ففي تموز/ يوليو 1861، عرض إبراهام لنكولن عليه منصباً قيادياً في جيش الاتحاد المتنامي، والذي كان يقاتل الولايات الأمريكية الاتحادية المشكلة حديثاً. رفض جاريبلدي هذا العرض؛ إذ خاب أمله لأن لنكولن لم يكن قد أعلن بعد نهاية العبودية كما أن العرض لم يجعل منه قائداً "أعلى". وبعد ذلك ببضع سنوات اعترفت بريطانيا العظمى أيضاً بالمحرر الإيطالي أثناء زيارته لندن في نيسان/ إبريل 1864، وذلك عندما هتف تجمع تلقائي ضخم له على أنه "بطل العالَمين".

وعلى الرغم مما حصل عليه جاريبلدي من أوسمة من خارج إيطاليا، فلم يكن راضياً عن التطورات داخل وطنه. فكانت روما ماتزال تحت الحكم البابوي في حين رغب هو في أن تمد إيطاليا سيطرتها الكاملة على كل بقعة داخل حدودها. وفي عام 1862، ثم في

عام 1866 قاد جاريبلدي هجمات ضد الولايات البابوية، إلا أن الجيش الأقوى كان في كل مرة يهزمه ويأسره. ولكن نظراً إلى صيته الوطني والعالمي، كان آسروه يطلقون سراحه إثر كل قتال، ويسمحون له بالعودة إلى كابريرا.

وقد ساعد جاريبلدي - ومعه ولداه - فرنسا على حربها مع بروسيا عام 1870؛ ولذا لم يكن حاضراً عندما احتلت القوات الإيطالية روما في تشرين الأول/ أكتوبر من ذلك العام. وفي عام 1874 اختاره جمهور محبيه عضواً في البرلمان الإيطالي، حيث قضى عامين قبل أن يعتزل الحياة العامة عام 1876. وفي أخريات أيامه عبر جاريبلدي عن تأييده للاشتراكية، وأيد الدعوة إلى حقوق العمال وتحرير المرأة، كما أيد المساواة بين الأجناس، وأعرب عن معارضته لعقوبة الإعدام قبل أن يتوفى في منزله في كابريرا في 2 حزيران/ يونيو 1882، وهو في الخامسة والسبعين من عمره.

لقد أبهر جاريبلدي أتباعه وأعداءه بأمانته واستقامته. وقد أظهر على مدى حملاته التي بدأها في أمريكا الجنوبية ثم واصلها في إيطاليا براعة قصوى في حرب العصابات، إلا أن افتقاره إلى التدريب العسكري النظامي كان واضحاً في محاولاته القيام بعمليات تقليدية، وكان عادة ما يعاني الهزيمة إذا ما لجأ إلى تكتيكات تتجاوز فنون حرب العصابات.

لقد أورث جاريبلدي مواطنيه ما هو أكثر من إجراءات أو استراتيجيات عسكرية محدودة؛ إذ ترك لهم روح وطنيته ودعمه الذي لا يفنى لاستقلال بلاده. ويظل اسمه اليوم رمزاً إلى الرجل الوطني العظيم والقوة الدافعة وراء توحيد إيطاليا. ولقد أكسبه تكريسه المنكر للذات من أجل تحرير شعبه مكانة دائمة في التاريخ المشرف لبلده، وأبقى عليه رمزاً إلى ثورات المستقبل في شتى أرجاء العالم بغض النظر عن اختلاف القضية أو المعتقد.

54



إيفان ستيبانوفيتش كونياف

Ivan Stepanovich Konev

قائد سوفيتي

(1973 - 1897)

إيفان كونياف هو الذي تولى قيادة القوات البرية السوفيتية في أعقاب الحرب العالمية الثانية. كان عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وهو الذي عزز الذراع العسكرية لحلف وارسو. إبان الحرب العالمية الثانية كان له دور فاعل في صد الغزو الألماني لروسيا، وحال دون وقوع احتلال ألماني، ثم قاد أول قوات تحالف إلى داخل برلين ساحقاً آخر معاقل المقاومة النازية في أشد حروب العالم دماراً.

ولد كونياف في 16 كانون الأول/ ديسمبر 1897 لأبوين من الفلاحين في لودينو (Lodeino) بالقرب من آرخنجل (Archangel) في أقصى شمال روسيا. التحق بالجيش القيصري وهو في الخامسة عشرة من عمره. وفي عام 1916 خدم في الجبهة الجنوبية الغربية كرقيب مدفعية، وفي أعقاب الثورة انضم إلى الحزب البلشفي ثم الجيش الأحمر عام 1918. ثم انخرط في سلك الضباط وتدرج في الرتب على مدى عقدين، فقاد

فوجاً خلال الفترة 1926 ـ 1930، ثم فرقة خلال الفترة 1934 ـ 1937، ثم فيلقاً عامي 1937 ـ 1938. وقد أفلت من حركة التطهير التي قام بها جوزيف ستالين والتي قامت بإعدام أو نفي كثير من قيادات الجيش.

وفي أوائل الحرب العالمية الثانية قاد كونياف مجموعة تشكيلات عسكرية عانت انتكاسات على يد الألمان في سمولنسك (Smolensk) وخارج موسكو. وقد حل محله الجنرال جورجي قونسطنطينوفيتش جيكوف (Georgi Konstantinovich Zhukov)، الأمر الذي أشعل فتيل المنافسة بينهما طيلة حياتيهما العملية. وعلى الرغم من أن كونياف ظل أدنى في الرتبة من جيكوف، فقد تولى قيادة مجموعة تشكيلات كالينين (Kalinin) وشن الهجوم السوفيتي المضاد من موسكو في 5 كانون الأول/ ديسمبر 1941. وفي غضون عام من المعارك المريرة التي سقط فيها من الجانبين حصيلة ضخمة من القتلى، نجح كونياف في دحر الألمان للخلف مسافة مئة ميل.

وفي أواخر عام 1943 تولى كونياف قيادة الجبهة الأوكرانية الثانية، وهو موقع ووحدة تابعان فنياً للجبهة الأوكرانية الأولى بقيادة جيكوف. ولقد سمح ستالين عمداً بقيام المنافسة بين كونياف وجيكوف حفزاً لهما، ولم يخص أياً منهما بتحقيق الهدف النهائي منفرداً، وهو الاستيلاء على برلين. وقد قام كونياف وجيكوف بمحاصرة فيلقين ألمانيين في كورسن (Korsun) في أوائل عام 1944، فقتلا وأسرا أكثر من مئة ألف من جنود العدو. ثم اتجها صوب الغرب بمحاذاة جبهة طولها 350 ميلاً، أثناء دحرهما الألمان خارج الأراضي السوفيتية، أوقعا في صفوفهم أكثر من 380 ألف قتيل وأسرا 158 ألفاً من خيرة قوات هتلر. وفي 20 شباط/ فبراير 1944 قام ستالين بترقية كونياف إلى رتبة مشير في قوات الاتحاد السوفيتي.

وفي خريف عام 1944 أبطأ كونياف والسوفييت من تقدمهم بغية السماح بوصول التعزيزات عبر خطوط الإمداد الهائلة الاتساع، وذلك قبل مواصلة الهجوم في 12 كانون الثاني/ يناير 1945. وقد وصل كونياف إلى خط أودر ـ نيس (Oder-Neisse) في 15 شباط/ فبراير، وتوقف ثانية للتموين ثم تحرك صوب برلين في 16 نيسان/ إبريل.

وبعد تسعة أيام، انضمت وحدات المقدمة في جيش كونياف عند نهر إلب إلى القوات الأمريكية المهاجمة من جهة الشرق. وسرعان ما كانت قوات كونياف هي أول قوات للحلفاء تدخل برلين؛ ففي 2 أيار/ مايو قبل كونياف وجيكوف استسلام المدينة.

وبعد انتهاء الحرب بفترة وجيزة لم يعد جيكوف يروق لستالين، وفي عام 1946 حل كونياف محل منافسه في منصب القائد العام للقوات البرية السوفيتية. وفي عام 1955 تولى كونياف منصب نائب وزير الدفاع السوفيتي وكان أحد مهندسي التحالف العسكري لدول الكتلة الشرقية الشيوعية. وعند قيام حلف وارسو تم تعيينه القائد العسكري الأعلى للحلف.

احتفظ كونياف بمنصبه وسلطاته بعد وفاة ستالين، واستمر يقدم المشورة إلى المفتش العام للجيش بعد تقاعده تقاعداً شبه تام عام 1960. وباستثناء استدعاء وجيز للخدمة العاملة إبان أزمة برلين عام 1961، ظل كونياف على ذلك الوضع حتى وفاته في 21 أيار/ مايو 1973، وهو في الخامسة والسبعين من عمره. وقد دفن في الكرملين بما تقلده من أوسمة من الاتحاد السوفيتي ودول حلف وارسو والدول الشيوعية في أنحاء العالم.

لقد ذاع صيت كونياف في ميادين القتال على أنه قائد كفء إلى أقصى حد. وأثبت قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها وبعدها أنه خبير في التعامل مع ستالين، والحفاظ على سمعة الشيوعي المخلص المتفاني. وقد هيأت له شجاعته الذاتية وخدمته الجديرة بالتقدير أن يحصل مرتين على وسام البطل من الاتحاد السوفيتي وخمس مرات على وسام لينين، ووسام النصر الماسي، وهذا الوسام الأخير لم يمنح إلا لأحد عشر ضابطاً سوفيتياً فقط.

لقد ارتقى كونياف من بداياته الريفية المتواضعة إلى قمة الرتب العسكرية السوفيتية. وكان له قدرة متفردة على فهم الحرب الشاملة المكثفة مع استخدام المدرعات والدعم الجوي، وقد ضحى عن طيب خاطر بالرجال والموارد المطلوبة لتحقيق النصر. فلولا جهود كونياف والقادة السوفييت الآخرين على الجبهة الشرقية، كان من المشكوك فيه أن يكتب النجاح لجهود التحالف على الجبهة الغربية.

ورغم أن جيكوف، منافس كونياف في مجال عمله الطويل، كان يعلوه رتبة أثناء الحرب العالمية الثانية، وأثبت بعدها أن لديه موهبة مماثلة في البقاء على وضعه في سنوات ما بعد الحرب، فإن كونياف أثبت في النهاية أنه الأكثر فاعلية وتأثيراً؛ إذ إن تنظيمه وقيادته للقوات العسكرية لحلف وارسو كانا يمثلان المجابهة الرئيسية للولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي (الناتو) لأكثر من ربع قرن.

وبينما كان دور كونياف في وقف التهديد النازي وتأثيره اللاحق في حلف وارسو لهما أهميتهما، فإن أفول الاتحاد السوفيتي محا تأثيره البارز؛ إذ فقد الحزب الشيوعي، الذي انضم إليه كونياف شاباً، كثيراً من سلطته وانهارت طريقة الحياة السوفيتية التي دافع عنها ولم يعد لها وجود الآن.

55



سليمان الأول
Suleiman I
سلطان تركي
(1566 - 1494)

سليمان الأول يعرفه رعاياه من الأتراك بلقب "القانوني" ويلقبه أهل الغرب بـ"المهيب" (Magnificent). حاز سمعة على أنه واحد من أكثر القادة العسكريين تأثيراً وفعالية في القرن السادس عشر. ففي ثلاث عشرة حملة كبرى على مدى أكثر من أربعين عاماً، قام سليمان بتوسيع الإمبراطورية العثمانية حتى أصبحت أقوى أمة في العالم في منتصف القرن السادس عشر.

ولد سليمان، الذي جاء ترتيبه العاشر في سلسلة طويلة من السلاطين الأتراك، في طرابزون (Trabzon) في 6 تشرين الثاني/ نوفمبر 1494. انضم في شبابه إلى جيش جده أولاً ثم إلى جيش والده وقت دفاعهما عن الإمبراطورية العثمانية وأحرز مكاسب متواضعة في ضم أراض جديدة. وبوفاة والده، سليم الأول عام 1520، ارتقى سليمان إلى العرش، وبدأ من فوره خططاً لتوسيع حدود إمبراطوريته ونفوذه. ومن حسن حظ

السلطان الجديد أن كان لديه وزير كفء هو إبراهيم باشا للإشراف على الأوضاع الداخلية والإدارية، مما أراحه من مسؤوليات القصر، وجعله يتفرغ لقيادة جيشه في الميدان.

وقد ورث سليمان عن أبيه أكبر جيش في العالم وأفضله تدريباً، حاوياً عناصر رفيعة من المشاة، وسلاح الفرسان، والمدفعية، والمهندسين. وقد قام بتوجيه أولى مهماته القتالية ضد المجر بحجة الانتقام من المعاملة السيئة التي لقيها مبعوثوه في ذلك البلد. أما الحقيقة وراء دوافعه فكانت، مثلما هي الحال في معظم حملاته، تأمين حدوده وإضافة مزيد من الأراضي.

وفي عام 1521 استولى جيش سليمان على بلجراد، وفي العام الذي يليه تحول إلى جزيرة رودس لمواجهة فرسان القديس يوحنا المدافعين عن الجزيرة والذين كانوا يمثلون العقبة الرئيسية أمام سيطرة الأتراك على الخطوط البحرية للاتصالات، وللغزو من جهة البحر الأبيض المتوسط. ورغم الحصار الذي دام ستة أشهر، فشل الأتراك في اختراق حصون الجزيرة المنيعة. وأثناء هذا المأزق الحرج عرض سليمان استسلام رودس مقابل السماح للفرسان وجيشهم بالانسحاب بأمان. وقد تمكن بمهارته التفاوضية وبدعم جيشه الجرار من تحقيق هدفه دون أي خسارة جديدة في الأرواح، وهو أسلوب عمد إليه السلطان ثانية فيما بعد.

كذلك أظهر سليمان براعة في التعامل مع الطوائف الداخلية التي كانت تهدد حياته؛ إذ أبقى على المجموعات المعارضة، ولاسيما الإنكشارية المرتزقة، في حملات لاتكاد تتوقف. ورغم أن هذا لم يغير موقفهم تجاه سلطانهم، فقد استنزف الكثير من طاقاتهم الموظفة للتمرد.

وقد مثلت المجر أيضاً تهديداً لحدود الإمبراطورية عام 1526؛ فدخل سليمان أولاً في مفاوضات حول معاهدة مع جيرانه البولنديين لضمان حيادهم، ثم تحرك ضد المجر في جيش قوامه ثمانون ألف رجل. وفي 29 آب/ أغسطس هاجم سليمان ركيزة القوات المجرية في سهل موهاكس (Mohacs). وقد أجهز الأتراك في سلسلة هجمات أمامية وتحركات عن طريق الجناحين، مدعومين بالمدفعية، على أكثر من خمسة عشر ألف

مجري بمن فيهم ملكهم لويس ومعظم حاشية قصره. ثم احتل سليمان بودا (Buda)، ونصَّب ممثله الخاص على عرش المجر.

بعد ثلاث سنوات قاد سليمان جيشه ليحمل على إمبراطورية هابسبورج (Hapsburg) النمساوية، ولكنه لم يحقق نصراً كاملاً وإنما نجح في التفاوض على معاهدة سلم تمكن بفضلها من دعم سيطرته على المجر.

وبعد تأمين سليمان لحدوده الغربية، اتجه لمحاربة أعدائه في الشرق؛ فقام في عامي 1534 ـ 1535 بغزو بلاد فارس، واحتل مدينتي تبريز وبغداد. وفي ذات الوقت أقام تحالفاً مع فرنسا ضد الإمبراطورية الرومانية "المقدسة"، وشيد علاقات مع الفرنسيين دامت عدة قرون.

وبينما كان سليمان يقاتل في بلاد فارس، ويتفاوض مع الفرنسيين، أرسل بأسطول سفنه الحربية بقيادة القرصان السابق باربروسا (Barbarossa)، وأحكم سيطرته على البحر المتوسط. وقد هيأ انتصار باربروسا على مدينة البندقية والإمبراطورية الرومانية المقدسة في معركة بريفيزا (Preveza) في 27 أيلول/ سبتمبر 1538 للأتراك إحكام سيطرتهم على البحر المتوسط على مدى السنوات الثلاثين التي تلت. وبعد معركة بريفيزا، بدأ الأسطول التركي سلسلة من الغارات ضد جنوب أوربا وساحل شمال أفريقيا، والتي استمرت لما يقرب من عقدين. وفي الوقت الذي كان فيه باربروسا يحكم سيطرته على البحر لصالح السلطان، واصل سليمان حربه ضد فارس، منهياً العدوان بينهما بمعاهدة أماسيا (Amasia) عام 1555، والتي تم بموجبها ضم أرضروم ويريفان (Erivan) وفان (Van) و تبريز وجورجيا إلى الإمبراطورية العثمانية.

وقام سليمان، في سنواته الأواخر، بحملات متقطعة لضمان سلامة إمبراطوريته. وفي الثانية والسبعين توجه على رأس جيش من مئة ألف رجل في حملة جديدة على النمسا حيث توفي في 5 أيلول/ سبتمبر 1566 في معسكره. وبعد ذلك بثلاثة أيام أخضع جيشه آخر مقاومة له وأنهى الحملة بنجاح.

لقد كان سليمان يختار بحكمة معاونيه من ذوي الكفاءة والثقة لإدارة شؤون الحكم في الوقت الذي كان يقوم هو بحملات في ميدان القتال لتوسيع حدوده. ولقد أدت قيادته، التي عملت على تكامل قدرات سلاح الفرسان مع المشاة والمدفعية والمهندسين، إلى انتصارات متواصلة، وأنتجت واحدة من أقوى الإمبراطوريات في القرن السادس عشر.

لقد أطلق حلفاء سليمان وأعداؤه عليه "المهيب" لإنجازاته العسكرية والدبلوماسية. كذلك حقق في الداخل نجاحاً مماثلاً؛ فقد كان حكيماً في اختيار معاونيه في إدارة شؤون الإمبراطورية في غيابه، واتسم حكمه باللين والعدل حتى لقبه شعبه بالقانوني، وزاد على ذلك تشجيعه للفنون والتعليم بين أبناء بلده.

لقد كان سليمان أنجح سلالة سلاطين الأتراك المديدة وأكثرهم تأثيراً، وكان أيضاً آخرهم؛ إذ كان أبناؤه يفتقرون إلى القدرات الضرورية إلى الحكم، فتناحروا فيما بينهم على أحقية خلافة الحكم، مما اضطره إلى إعدام اثنين منهم. ونتيجة لذلك تعدد القادة بعد وفاته، ممن غلب عليهم الضعف والحمق وإدمان المسكرات دون أن يتميزوا بأي سمة من سمات القيادة الحقيقية. فأخذت الإمبراطورية العثمانية التي سيطرت على معظم البلقان وشمال أفريقيا والشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط إبان حكم سليمان الأول تنهار على نحو متواصل على مدى الأجيال اللاحقة.

56



كولـــن كامبـــل
Colin Campbell
قائد بريطاني
(1863 - 1792)

يعد كولن كامبل واحداً من أطول القادة العسكريين البريطانيين خدمة في القرن التاسع عشر. أحرز انتصارات متواصلة في الصراعات الصغرى والكبرى. وإبان حقبة عظمة جيش بريطانيا العظمى، تجلت قيادة كامبل في حرفيته المحنكة، وفي تأمينه لانتصاراته على أعدائه في أقاصي الإمبراطورية الشاسعة الأطراف. ولقد ذاعت شهرته بين مواطنيه وبين الجنود الذين تحت إمرته لمنحاه المنهجي الحذر، والذي أدى إلى وقوع أقل الخسائر في صفوف جيشه.

ولد كامبل، في أسرة متواضعة في 20 تشرين الأول/ أكتوبر 1792 لأب يعمل نجاراً في جلاسكو [إسكتلندا]، يدعى جون ماكليفر (John Macliver)، وكان من الممكن أن تحد نشأته المتواضعة من فرصته في أن يحترف الجندية التي كانت تسيطر عليها الأرستقراطية، لولا مكانة والدته وأسرتها، فقد نجح خاله في إلحاقه بفوج المشاة

التاسع، وسجل الصبي باسم كامبل وهو اسم أسرة عريقة، ولم يبذل كولن أدنى جهد لتصحيح هذا الخطأ.

في عام 1808 أبحر كامبل إلى البرتغال حيث شهد القتال على مدى السنوات الخمس التالية في شبه الجزيرة، مشاركاً في الحملات على روليكا (Rolica)، وكيرانا (Corunna)، ووالخيرن (Walcheren)، وباروسا (Barossa)، وطريف (Tarifa)، وفيتوريا (Vitoria). وقد تجلت شجاعته تحت القصف، ونجا من حمى أشبه بالملاريا، رغم أنها أثرت في صحته طيلة حياته. ولم يعد كامبل إلى إنجلترا حتى اضطر إلى ذلك، ليتعافى من ثلاث إصابات متفرقة أصيب بها في سان سباستيان (San Sebastian) عام 1813.

وبمجرد التئام جروح كامبل، انضم إلى الجيش البريطاني في أمريكا الشمالية، وقد حصل على رتبة نقيب فشهد الأيام الأخيرة من الحرب في عام 1812، ونجا من الهجوم المشؤوم على الأمريكيين في نيوأورليانز في عام 1814. ولأن انتهاء الحرب في الولايات المتحدة الأمريكية والهزيمة النهائية لنابليون الأول في أوربا عام 1815 وضعا نهاية للترقيات السريعة، فقد عاش كامبل الحياة النمطية لجندي المستعمرات على مدى الخمس والعشرين السنة التالية؛ إذ قام بعدة مهام يجوب العالم بحاميته، مع اشتراكه بعض الأحيان في حروب صغيرة، أو مناوشات متباينة الفترات الزمنية.

وفي عام 1823 ساعد كامبل على إخماد انتفاضة ديميرارا في غينيا البريطانية. إلا أنه لم يحدث قبل عام 1835 أن وصل إلى رتبة مقدم وقيادة المشاة التاسعة، وذلك بعد نحو ثلاثة عقود من الخدمة. وبعد ذلك بعامين نقل كامبل إلى المشاة الثامنة والتسعين حيث خدم في حرب الأفيون خلال الفترة 1841 ـ 1843. ولقد كان لتلك الخدمة في الصين، وورود "اسمه في قائمة الشرف العسكرية"، لشجاعته وحنكة قيادته، أثرهما في ذيوع صيته بين الشعب الإنجليزي.

وخلال الفترة 1848 ـ 1852 شارك كامبل في الحملات الاستعمارية في الهند. وفي فترة اندلاع حرب القرم، كان قد وصل إلى قيادة لواء الهايلاند (High Land)، مع حصوله على رتبة لواء. وسرعان ما نال كامبل، الذي كان صيته ملء الأسماع في أرجاء

الإمبراطورية البريطانية، مكانة أسطورية لقيادته المتسمة بحسن الاستعداد والتماسك. وفي بلاكلافا (Balaklava) واجه جنوده الهايلاندرز 93 (Nighty-third Highlanders)، في 25 تشرين الأول/ أكتوبر 1854، هجوماً مباغتاً شنه تشكيل ضخم من سلاح الفرسان الروس. وأصدر كامبل أوامره إلى رجاله: «لا تراجع من هنا، يا رجال! عليكم أن تموتوا حيث تقفون!». تماسك جنوده ودحروا الهجوم الروسي فيما أصبح يعرف بالوقفة البطولية لـ "الخط الأحمر الرفيع".

وفي عام 1857 عاد كامبل إلى الهند لقمع عصيان. ومع أن البعض انتقده، مطلقاً عليه لقب "السيد الجمل الزاحف" (Sir Crawling Camel)، أو "العجوز الحذر"، لدقته في التخطيط وحرصه على التقدم في الهجوم، فقد استرد كامبل النظام بأقل الخسائر البشرية البريطانية. وقام بتأمين لكناو (Lucknow) في آذار/ مارس 1858، واستعاد السيطرة على شمال الهند كلها في أيار/ مايو التالي وهو برتبة فريق أول.

لقد كانت إنجازات كامبل بالقطع نتاج ما هو أكثر من مجرد الحرص؛ إذ كان واحداً من أوائل الضباط على مستوى أي دولة، مما يؤكد على أهمية القوة البدنية عن طريق إجرائه تدريبات تكييفية وفاحصة لسلامة القوى العقلية، من خلال إحاطة جنوده على الدوام بالمعلومات في الوقت الذي كان يبذل كل جهد يجنبهم المشاق والمخاطر التي لا ضرورة إليها. وكان يحدث باستمرار تشكيلاته القتالية، وفي الوقت ذاته يدمج ما بين آخر المستجدات في الأسلحة النارية وبين دعم سلاحي المدفعية والمهندسين المتطورين. وكان كامبل يجري تدريبات ميدانية مكثفة وقت السلم لاختبار تلك التطويرات وتنقيحها، فكان يدرب وحداته على تكتيكات الحركة وتشكيلات القتال وسبل التعزيزات.

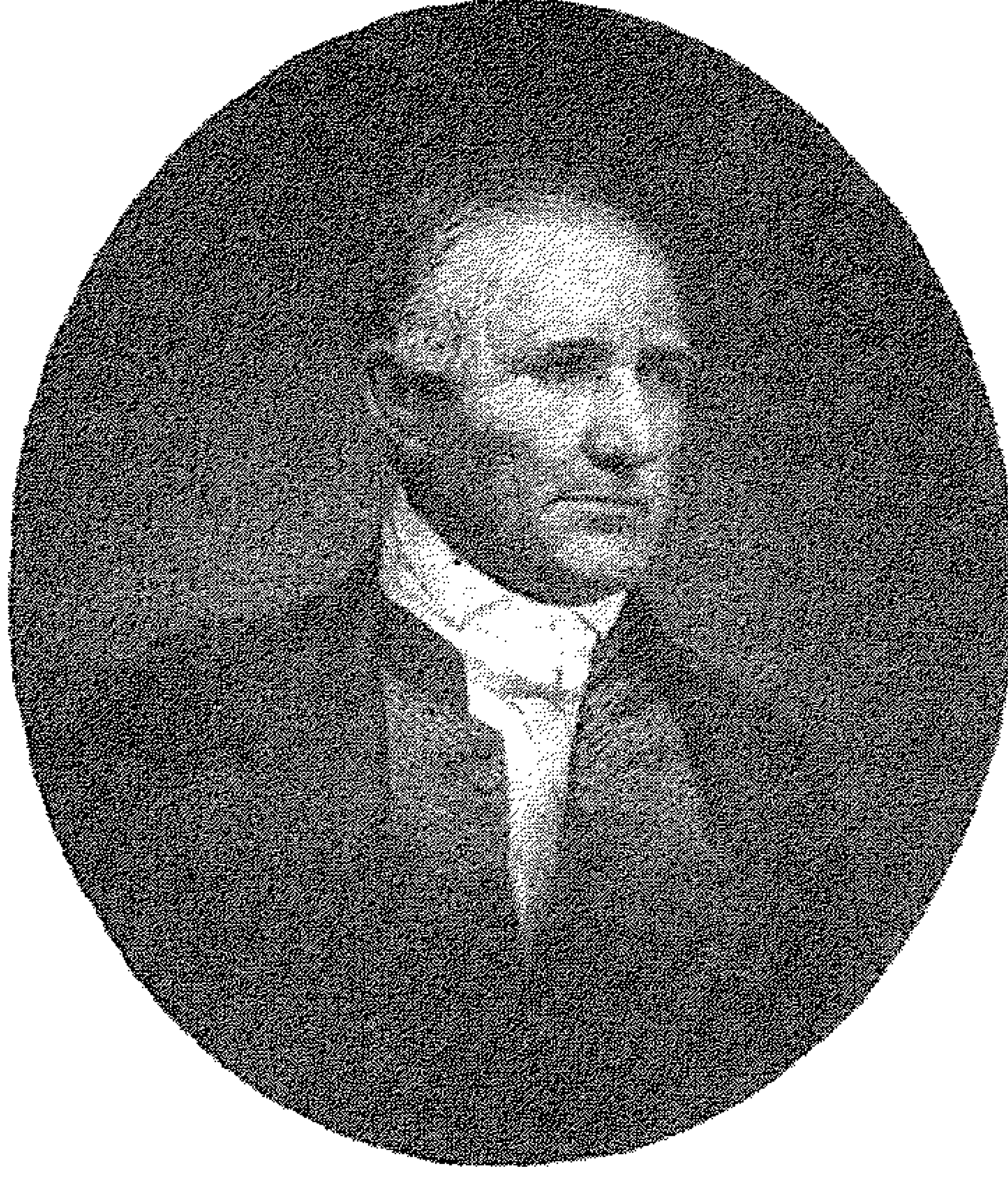
وفي الوقت الذي كان فيه القادة الآخرون يركزون على القتال الدموي المتلاحم بالسلاح الأبيض، ركز كامبل على الرماية بالبنادق وفضل القتل من مدى بعيد كإجراء يوفر الأمان. وقبيل تحقيق انتصاره العظيم على الروس في بلاكلافا عام 1854، أراد جنوده الهايلاندرز استغلال الفرصة بالهجوم على صفوف الروس؛ فصاح فيهم كامبل غاضباً: «اللعنة على كل هذا الحماس»، وهو لم يبرح موقعه واستمر يمطر الفرسان الروس بوابل من طلقات البنادق والمدفعية.

عاد كامبل إلى وطنه عام 1860، فاستقبل استقبال الأبطال ورقي إلى رتبة مشير بعدها بعامين. وقد توفي في تشاتيم (Chatham) في 14 آب/ أغسطس 1863، ودفن في وستمنستر آبي في جنازة عسكرية مهيبة، وذلك بعد خدمة تربو على نصف قرن.

لقد صعد كامبل "كعصامي" و"جندي بالمصادفة" من أصول اجتماعية متواضعة إلى رتبة مشير في وقت كانت فيه الثروة والوضع الاجتماعي أهم من القدرات. ونجح - رغم حرمانه من تلك المزايا - من خلال المثابرة والعزم الذي لا يلين. وبينما كان بعض المراقبين يرونه أحرص مما ينبغي، فلا ينكر أحد قدرته على إحراز النصر. فجنوده - الذين توقفت حياتهم على خططه وقيادته - كانوا شديدي الإعجاب به، وأشاد به شعبه البريطاني بوصفه واحداً من أحب قادته العسكريين إلى قلبه.

إن كولن كامبل ينهض بمفرده كأهم القادة العسكريين المؤثرين في الجيش البريطاني على مدى قرن فيما بين عصر ويلنجتون عام 1815 والحرب العالمية الأولى عام 1914. وإن حرصه المخلص على رعاية رجاله ودقة خططه وتنفيذها في العمليات كان لها أثرها في بناء جيش ذي قدرة تدريبية عالية وحافز معنوي قوي. وكانت سياساته في الترقي التي اعتمدت على القدرة لا على الأصل أو الأقدمية سبباً في خلق قادة المستقبل الذين سيكتب لهم قيادة الجيش البريطاني مع دخول القرن العشرين.

57



صامويل (سام) هيوستن
Samuel (Sam) Houston
قائد من تكساس
(1863 - 1793)

كان صامويل هيوستن قائد جيش صغير من المتطوعين الذين هزموا جيشاً مكسيكياً أكبر عدداً وأفضل تدريباً بقيادة سانتا آنا، فأحرز الاستقلال لجمهورية تكساس عام 1836. ومع أن الانتصار الذي حققه جيش تكساس في سان جسنتو (San Jacinto) كان محدود الصدى، فقد كان يعد واحداً من أكثر الانتصارات حسماً في تاريخ الحروب. وقد كرس هيوستن معظم نشاطه قبل وبعد المعركة للسياسة، غير أن الفترة القصيرة التي أمضاها قائداً عسكرياً كان لها تأثيرها في نظام تكساس ومستقبلها بل وفي الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد.

ولد هيوستن في 2 آذار/ مارس 1793 بالقرب من ليكسنجتون بولاية فرجينيا الأمريكية لأب كان ضابطاً في الجيش ممن شاركوا في الثورة الأمريكية، ثم انتقل هيوستن مع والدته إلى حدود تنسي عندما توفي والده عام 1807. تلقى تعليماً محدوداً،

وبدا أميل إلى زيارة قرى شيروكي الهندية القريبة من متابعته الدراسة. وعندما كان في السادسة عشرة هيأ له أخوه وظيفة في متجر محلي كبير. ولم يعبأ هيوستن بالعمل موظفاً كما كانت حاله في الدراسة، وبدلاً من المداومة على الذهاب إلى المتجر، كان يتنقل مع رفاقه الهنود.

ظل هيوستن مع الشيروكيين لمدة ثلاث سنوات، يتعلم لغتهم وعاداتهم قبل أن يلتحق كجندي بجيش أندرو جاكسون في أوائل عام 1813. وتدرج في المناصب حتى وصل إلى رتبة ضابط. وفي 28 آذار/ مارس 1814 شارك في معركة منعطف هورس شوو (Horseshoe Bend) في آلاباما ضد الهنود الكريك (Creek) الذين تحالفوا مع البريطانيين. وقد قاتل هيوستن ببسالة وأصيب بعدة جروح في القتال.

وفي أعقاب الحرب ظل هيوستن في الجيش وخدم بصفته ضابط اتصال لأصدقائه الشيروكين، فأسهم في نقلهم إلى مقاطعة أوكلاهوما. وفي عام 1818 رقي إلى رتبة ملازم أول، إلا أنه استقال بعد توبيخه من رؤسائه لارتدائه ملابس السكان الأصليين ولشدة قربه من الهنود.

عاد هيوستن إلى تنسي حيث درس ومارس القانون، وظل نشطاً في المليشيا المحلية. وفي عام 1821 عين لواء في التنظيم العسكري للولاية. وفي عام 1823 انتخبه جيرانه عضواً في الكونجرس الأمريكي، وبعدها بسنوات أربع اختاروه حاكماً للولاية. وقد توقف تقدم هيوستن فجأة في نيسان/ إبريل 1829 عندما هجرته عروسه بعد ثلاثة أشهر فقط دون الكشف عن الأسباب؛ فاستقال من منصب الحاكم وانتقل إلى الغرب ليعيش ثانية مع الشيروكيين.

وأثناء الفترة التي قضاها مع الهنود قام هيوستن بعدة رحلات إلى واشنطن لحث رفاقه القدامى في السلطة التشريعية على معاملة الشيروكيين والقبائل الأخرى معاملة أفضل. وفي عام 1832 طلب أندرو جاكسون، الذي أصبح في ذلك الوقت رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، من هيوستن التوجه إلى تكساس من أجل التفاوض مع الهنود هناك لتأمين عبور آمن للتجار الأمريكيين إلى أراضي المكسيك.

وفي نيسان/ إبريل 1833 حضر هيوستن مؤتمر سان فيليب (San Felipe) والذي صوت على إرسال مندوب إلى مكسيكو سيتي بغية الحصول على وضع الدولة لتكساس. ومع ذلك فليس هناك من دليل على مشاركته في المباحثات التمهيدية لاستقلال تكساس، ويبدو أن هيوستن استمر في العمل مع قبائل هندية مختلفة في الوقت ذاته الذي كان فيه ممثلاً غير متفرغ للعديد من المصالح التجارية في نيويورك.

وأياً كانت نشاطات هيوستن، فإنه ترك انطباعاً قوياً لدى أهل تكساس. وعندما بلغت حركة الاستقلال أوجها، طلبوا منه أن يتولى قيادة جيشهم الصغير الحديث التكوين. ورغم ما وجه إلى هيوستن من انتقادات لعيشه مع الهنود ولإفراطه في الشراب، فإن طوله الذي يزيد على ستة أقدام وما يتمتع به من طريقة أخاذة في الحديث جعلته الاختيار الأمثل لأهل تكساس. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1835 تولى هيوستن رسمياً قيادة القوة الصغيرة، وشارك في المؤتمر الذي أعلن استقلال تكساس عن المكسيك في 2 آذار/ مارس 1836.

جاء رد المكسيك عاجلاً على المستعمرة المتمردة؛ فقام الجنرال سانتا آنا بسحق مقاومة تكساس في أليمو (Alamo) بسان أنطونيو، وفي جول - آياد (Gol-iad) الحامية عن بكرة أبيها في نيسان/ إبريل. استغل هيوستن الوقت الذي أتاحه قتال المدافعين "الشهداء" ليدرب ويستحث بقية جيشه المهلهل الذي يقل عن ثمانمئة رجل، متحاشياً قتالاً مباشراً مع قوات سانتا آنا المتمرسة.

أتاح هيوستن لسانتا آنا أن يطارده حتى وثق القائد المكسيكي من أن جيش تكساس لا يمثل تهديداً ذا أهمية، فَحَانَ أَنْ أُوقِع به هيوستن الخطأ في الظن. وفي صباح 21 نيسان/ إبريل هاجم هيوستن ومعه 783 من مقاتلي تكساس قوات سانتا آنا التي تبلغ نحو ضعف عدد قواته. كان سانتا آنا قد أقام القليل من الأسوار المصنوعة من الأوتاد، كما كان معظم جنوده نائمين حينما تدافعت قوات هيوستن على معسكرهم الواقع عند ملتقى بافلو بايو (Buffalo Bayou) مع نهر سان جستو. أما القلة من المكسيكيين الذين حاولوا الهرب فقد وجدوا طريقهم مسدوداً عند مستنقع عميق. وفي معركة استغرقت

خمس عشرة دقيقة قتل أفراد جيش تكساس أو أسر الجيش المكسيكي كله ولم يخسروا سوى ستة من رجالهم، وكان من بين الأسرى سانتا آنا.

ورغم أن هيوستن أصيب في المعركة بجرح موجع في كاحله فقد التقى بسانتا آنا وأقنعه بتوقيع أمر انسحاب لكل القوات المكسيكية من تكساس. وفي 22 تشرين الأول/ أكتوبر 1836 أدى هيوستن يمين القسم كأول رئيس لجمهورية تكساس. وقد اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الأوربية بهذه الأمة الجديدة فوراً. ورغم أن المكسيك استمرت في عدم اعترافها باستقلال الجمهورية، فإنها لم تبذل جهداً يذكر لاستردادها.

أدى هيوستن دوراً مهماً في انضمام تكساس إلى الاتحاد في عام 1845، وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ الأمريكي خلال الفترة 1846 ـ 1859. وفي عام 1860 فاز بانتخابات الولاية لمنصب الحاكم، إلا أنه سرعان ما وقع في خلاف مع معظم جمهور تكساس لأنه عارض الانفصال عن الاتحاد. فلم يكن هيوستن - الذي كان مالكاً للعبيد، وكان ابنه يقاتل في صفوف المتمردين في الحرب - معارضاً كبيراً للكونفيدرالية قدر ما كان نصيراً لتكساس، داعياً إلى حياد الجمهورية أو إلى إعادة تأسيسها. لم يقبل المجلس التشريعي في تكساس أياً من توصياته. وعندما رفض هيوستن أن يقسم يمين الولاء للكونفيدرالية عند اندلاع الحرب الأهلية، قام أهالي تكساس بخلعه. فتقاعد في مزرعته في هانتسفيل (Huntsville) بتكساس، حيث توفي في 23 تموز/ يوليو 1863 وقد أتم السبعين من عمره.

وعلى الرغم من عزل هيوستن من منصبه أثناء الحرب الأهلية، فقد ظل اليوم بطلاً كبيراً من أبطال تكساس. وأطلق اسمه على أكبر مدنها وعلى جامعة وكليات ومنشآت كثيرة تكريماً له. وإذا كانت معركة سان جستتو معركة هامشية في التاريخ الطويل للصراعات الكبرى، فإن تأثيرها يتجاوز سمعتها المحدودة. فعندما حقق هيوستن النصر فيها، وهي المعركة الكبرى الوحيدة التي خاضها، تمكن من تحرير مساحة من الأرض تبلغ 260 ألف ميل مربع، وأصبحت تكساس فيما بعد، تمهد الطريق لضم مساحة أخرى تبلغ نصف مساحة تكساس تقريباً إلى القسم الغربي من الولايات المتحدة

الأمريكية. وبعد فترة وجيزة من ضم تكساس عام 1845 دخلت الولايات المتحدة الأمريكية في حرب مع المكسيك لخلاف على الحدود بينهما، إلا أن هيوستن كان قد حدد مستقبل تكساس والمنطقة الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة الأمريكية في معركة شرسة لم تستغرق أكثر من ربع الساعة والمعروفة بمعركة سان جسنتو.

58



ريتشارد الأول (قلب الأسد)
Richard I (the Lion-Hearted)
ملك إنجليزي
(1199 - 1157)

ريتشارد الأول هو من أكسبته شجاعته الذاتية الكبيرة في أرض المعركة لقب "قلب الأسد"، وهو من قاد الحملة الصليبية الثالثة وأصبح واحداً من أعظم قادة أوربا العسكريين في القرون الوسطى. ورغم أن سمعته هي نتاج الأساطير الرومانسية مثلما هي نتاج الأعمال البطولية، فإن إنجازات ريتشارد في أرض المعركة مشهودة في حد ذاتها.

ولد ريتشارد في أكسفورد في 8 أيلول/ سبتمبر 1157، وهو الابن الثالث للملك هنري الثاني ملك إنجلترا، وإلينور الأكويتية (Eleanor of Aquitaine). كان يفضل منذ صباه الباكر المغامرة في العمليات العسكرية على مسؤوليات القصر. وقد انضم ريتشارد الذي نصب دوقاً على أكويتيه (Aquitaine) (جنوب غربي فرنسا) عام 1172 إلى إخوته في تمرد على والدهم. ورغم أن التمرد فشل، فقد سمح له والده بالبقاء في هذا المنصب.

وخلال الفترة 1175 ـ 1185 تمكن ريتشارد لصيته المتنامي، كمقاتل شجاع ومنظم بارع، من قمع عدة محاولات تمرد داخلية. ويمثل استيلاؤه على قلعة تالبيرج (Taillebourg) في سانتون (Saintonge) عام 1179، وهي التي كان يُظن أنها قوية التحصين ومستعصية، واحدة من أشهر مآثره في تلك الفترة. وبعد وفاة أخيه الأكبر في عام 1183 واندلاع القتال داخل الأسرة، أصبح ريتشارد وريثاً لعرش أبيه.

وعندما توفي هنري الثاني عام 1189، ورث ريتشارد عرشي نورماندي وإنجلترا، وأظهر قليلاً من الاهتمام في حكم كل من المملكتين؛ إذ أمضى فقط ستة أشهر في إنجلترا خلال السنوات العشر التي تلت. ومع ذلك كان يقدر الثروات التي أتاحها له التاج لتكوين جيش ينضم به إلى الحملة الصليبية الثالثة لاستعادة الأرض المقدسة من المسلمين. وقد تسبب ريتشارد - تقريباً - في إفلاس إنجلترا ببيعه الممتلكات وفرضه الضرائب لتمويل حملته.

أبحر ريتشارد وجيشه إلى فلسطين في عام 1190، وكان في خطته أن يمضي الشتاء في صقلية. ولما وجد أن الصقليين لم يكرموا وفادته، اقتحم ميسينا (Messina) وأخذ بالقوة مالم يعرض عليه بالمعروف. وفي الربيع أبحر إلى قبرص وأسس قاعدة إمداد، ووصل إلى فلسطين في 8 حزيران/ يونيو 1191.

واستطاع ريتشارد عن طريق القوة وتأثير الشخصية أن يوحد جيشه الإنجليزي مع الجيشين الفرنسي والألماني، وأن يتولى القيادة في حصار عكا الذي دام عامين. وفي غضون ستة أسابيع استطاع ريتشارد أن يهزم المسلمين بقواته الموحدة الأقوى، وأن يدخل المدينة، ودون رحمة أجهز على 2700 من الأسرى.

وبعد تأمين عكا اتجه ريتشارد صوب القدس كي يستعيدها من السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي سيطر على المدينة المقدسة عام 1187. وأثناء المسير أظهر ريتشارد قدراته كاستراتيجي وخبير إمداد؛ فحرك جيشه المتحالف المؤلف من خمسين ألف جندي، بمحاذاة الساحل، وذلك حتى يتمكن أسطوله من مواكبة التقدم ويقدم الإمداد من جديد. وفرض ريتشارد نظاماً صارماً، فلم يسمح لجنوده أن ينقسموا لمطاردة

مجموعات المسلمين الصغيرة التي كانت تقلق مضجعهم في محاولة لإغوائهم وإيقاعهم في الكمائن. تجاهل ريتشارد استفزازات المسلمين القتالية حتى 7 أيلول/ سبتمبر، عندما أدار جيشه كاملاً وفق إشارة مرتبة سلفاً ضد أرسوف فقتل سبعة آلاف ولم يخسر سوى سبعمئة من جنوده.

وفي حين لم يواجه الصليبيون آنذاك سوى مقاومة مسلحة ضعيفة في طريقهم نحو القدس، فقد كان عليهم أن يناضلوا عبر "الأراضي المحروقة" فيما بين أرسوف والقدس؛ لأن صلاح الدين أمر جيشه المنسحب بتدمير كل مصادر الطعام والمياه.

وعلى مدى العام التالي وقعت مناوشات بين صلاح الدين وريتشارد، إلا أن الأخير لم يستطع أن يجمع التموين والماء الكافيين لمحاصرة القدس. رفض صلاح الدين أن يدخل في معركة حاسمة، وفي أيلول/ سبتمبر 1192 تبادل القائدان - على ما بينهما من اختلاف كبير - الاحترام، واتفقا على هدنة لمدة ثلاث سنوات في الوقت الذي كان الصليبيون يحتفظون بعكا وشريط من الأرض بمحاذاة الساحل. ورغم استمرار سيطرة المسلمين على القدس، فلم ينقطع الزوار المسيحيون عن زيارة أماكنهم المقدسة في المدينة.

وفي أواخر عام 1192 عندما كان ريتشارد مبحراً صوب بلاده، تحطمت سفينته قرب البندقية ووقع أسيراً في يد ليوبولد (Leopold) ملك النمسا الذي احتجزه في العديد من القلاع تباعاً، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن دفع الشعب الإنجليزي في شباط/ فبراير 1194 فدية ضخمة مقدارها 150 ألف مارك.

وعند عودته إلى بلاده توج ريتشارد ملكاً مرة أخرى، تثبيتاً للقبه في 17 نيسان/ إبريل، إلا أنه لم يمكث في إنجلترا طويلاً. فأبحر في أيار/ مايو إلى نورماندي، حيث دخل على مدى السنوات الخمس التالية في مناوشات قتالية مع أعداء مختلفين كانوا ينازعونه على تاجه وأراضيه. أما أهم إنجازات ريتشارد العسكرية خلال تلك الفترة، فكانت إظهاره لقدرته على فهم أهمية التحصينات والهندسة، وذلك ببنائه قلعة شاتو ـ جيلار (Chateau-Gaillard) على جزيرة في نهر السين.

وفي ربيع عام 1199 حاصر ريتشارد قلعة أسقف ليموج (Limoges)؛ لأن الأخير رفض أن يسلمه كنزاً من الذهب عثر عليه أحد الفلاحين. وأثناء إحدى المناوشات الصغيرة حيث كان ريتشارد يقود جنوده كالعادة، أصيب بجرح في الكتف من سهم مارق فتسبب في حدوث الغنغرة (الغرغرينا)، وتوفي ريتشارد في 6 نيسان/ إبريل وهو في الثانية والأربعين من عمره.

ورغم أن ريتشارد تزوج في قبرص من بيرينجاريا (Berengaria) ابنة سانتشو السادس (Sancho VI) ملك نيفار (Navarre)، أثناء رحلته إلى فلسطين عام 1191، فقد كان زواج منفعة بكل معنى الكلمة، ولم يخلف ريتشارد وريثاً.

وعلى الرغم من أن مغامرات ريتشارد "قلب الأسد" تقص فيما لا يحصى من الكتب والقصائد والأفلام صورة تعوزها الدقة، فإن شجاعته وقيادته العسكرية تتسم بالأصالة. إذ أثبت أنه واحد من القادة القلائل الذين كان بوسعهم تنظيم القوات الصليبية المختلفة وتنسيقها، كما أن أداءه يضعه في مصاف القادة البارزين في القرون الوسطى.

59



شـاكـــا
Shaka
ملك الزولو
(حوالي 1787 ـ 1828)

يعد شاكا ملك الزولو صاحب تكتيكات وأسلحة مبتكرة لترسيخ هيمنة الزولو على أفريقيا في القرن التاسع عشر، ودعم سيطرته على السكان الذين كان عددهم في البداية 1500 ثم زاد إلى أكثر من 250 ألفاً. وحيث إن شاكا معروف للعدو والصديق على السواء بأنه فظ ومتعطش للدماء، فقد كان لايزال بمستطاعه أن يطور نظاماً عسكرياً أثبت تفوقه لأكثر من خمسين عاماً بعد وفاته.

ولأن شاكا، الذي ولد حوالي عام 1787، كان ابناً غير شرعي لأحد زعماء الزولو ولامرأة متواضعة الأصل، فقد عومل معاملة قاسية كمنبوذ، وربما كان ذلك سبباً لفظاظته مستقبلاً، فاسم شاكا نفسه يعني "الطفيل المعوي".

وما إن بلغ شاكا سن البلوغ حتى كان قد أظهر طموحاً فائقاً وذكاء حاداً وعدم اكتراث بحياة البشر إجمالاً. وفي نحو السادسة عشرة من عمره انضم إلى القوة المحاربة

للزعيم دينجزويو (Dingiswayo)، زعيم ميثيثوا (Mthethwa) الذي كان يحكم الزولو، فتعلم شاكا من دينجزويو التنظيم العسكري والتكتيكات في الوقت الذي كان يشحذ شجاعته الذاتية في الاشتباكات العديدة.

وعندما توفي والد شاكا في عام 1816 أرسل دينجزويو - على وجه السرعة - شاكا إلى الزولو وعهد إليه بقيادتهم عسكرياً. بدأ شاكا على الفور تحسين الجيش والانتقام من أولئك الذين أساؤوا معاملته ومعاملة والدته خلال فترة طفولته.

أقام الزعيم الجديد للزولو نظاماً عسكرياً مماثلاً لنظام دينجزويو، فاستبدل بالرماح الخفيفة في الرمي المسماة آسيجيس (assegais) السهام الحادة الثقيلة المارقة المعروفة بـ" إي - كلاواس " (i-klwas). وأدخل شاكا كذلك ضمن أسلحته درعاً أثقل وأكبر حجماً مصنوعة من جلد البقر، وعلم كل محارب كيفية استخدام الرمح من جانبه الأيسر كي يعقف رمح العدو من جانبه الأيمن، مما يعرض أضلع العدو إلى طعنة رمح قاتلة.

كان النظام والقتال المتلاحم سمتين تميزان جيش شاكا. وبغية تعويد رجاله على الخشونة، فقد منعهم من ارتداء الخف المصنوع من الجلد، فكانوا يتدربون ويقاتلون حفاة الأقدام. وكانت قواته تتدرب قاطعة ما يربو على خمسين ميلاً هرولة في اليوم الواحد في تضاريس حارة صخرية، وذلك حتى يتمكنوا من مفاجأة العدو. وكان الفتية ينضمون إلى جيش شاكا كمحاربين متدربين وكحملة التموين والأسلحة الإضافية إلى أن ينضموا إلى القوات الرئيسية.

فيما سبق ظهور شاكا كان معظم قتال الأفارقة منصباً على الهجوم الجماعي مع استخدام قذائف الرماح وقليل من المناورة؛ فقام شاكا بتغيير ذلك وأدخل تكتيكاً مبتكراً أطلق عليه تشكيل "الجاموس"؛ وهو يتألف من أربعة أقسام: "قرنان" و"صدر" و"خاصرة"، وهو ما يشكل هيئة الجاموس. وفي أثناء الهجوم يقوم الصدر بمهاجمة مقدمة العدو، بينما يضرب القرنان الجناحين لتطويق الخصم. وتبقى الخاصرة احتياطياً، وعادة ما كانت تطارد الفارين من القتال أو تكون منتظرة خلف موانع لا تمكنهم من رؤية

القتال، حتى لا يأخذهم الحماس فيندفعوا مبكراً عما ينبغي. وكان شاكا يوجه تشكيل "الجاموس" عن قرب من مكان أعلى، وكان يسيطر على الأقسام الأربعة عن طريق الرسل الراجلين.

كانت استراتيجية شاكا في تنفيذ تكتيك "الجاموس" بسيطة؛ إذ كانت هجماته الأولية تأتي ضد مجموعات وعشائر صغيرة، مما كان يتيح له نصراً سهلاً، ثم كان يخير الناجين بين الموت والانضمام إلى قواته. أما الذين كانوا يختارون الانضمام إليه - ومعظمهم كان يفعل - فكانوا يتخلون عن ولائهم القبلي لاعتبارات الخيار، بل إنهم لم يكونوا يكتفون بانضمامهم إلى الزولو، وإنما كانوا يتحولون إلى زوليين أيضاً. وكان المحاربون الجدد يتلقون تدريباً على طريقة الزولو في الحرب، ومن ثم يلحقون بالفصائل.

بدأ شاكا بنحو 350 محارباً فقط، وبنهاية العام الأول من قيادته بلغ تعداد قوات الزولو ألفي محارب. وفي عام 1818، وبينما كان شاكا - البالغ حينها الحادية والثلاثين - يحاول الانتقال لدعم معلمه دينجزويو في المعركة ضد الندواندوي (Ndwandwe)، تورط في معركة جوكلي هل (Gqokli Hill)، مما دفع به إلى أن يخوض واحدة من المعارك الدفاعية القليلة في حياته. مات دينجزويو في القتال وانسحب شاكا مفلتاً بصعوبة من الهزيمة، وفي العام التالي ظل يحارب أعداء أضعف منه لزيادة عدد قواته. وبعد أقل من مرور عام على جوكلي انتقم شاكا لمقتل دينجزويو بتدمير الندواندوي في معركة استغرقت يومين عند مخاضة نهر ميهلوتزي (Mhlatuzi). وفي قتاله ضد الندواندوي استخدم شاكا تكتيكاً جديداً على الحروب الأفريقية؛ فبينما كان يدمر أعداءه، كان يطبق سياسة الأرض المحروقة فلا يترك شيئاً حياً أو قادراً على الحياة في أعقابه.

استمر شاكا لعشر سنوات في الإغارة والتدمير وضم العشائر والقبائل عبر أرجاء جنوب أفريقيا. فنمت دولة الزولو حتى بلغت 250 ألف نسمة، بجيش قوامه ما يزيد على 40 ألف محارب يحتلون أرضاً مساحتها مليونا ميل مربع، تمتد من مستعمرة الكيب (Cape Colony) في الجنوب إلى تنزانيا الحديثة في الشمال. وقد لقي نحو مليوني فرد مصرعهم من أعداء شاكا في فترة سلطته التي دامت عقداً.

ظل مجال اهتمام شاكا محصوراً في جنوب أفريقيا حتى عام 1824 إلى أن قام رجل إنجليزي زائر يدعى فين (H. F. Fynn) بمعالجة ملك الزولو من جرحه. وتقديراً من شاكا للتجار الإنجليز سمح ببدء معاملاتهم في مملكته، بل وحاول تبادل السفراء الملكيين مع الملك جورج.

وفي خاتمة المطاف جاءت نهاية شاكا، لا على يد أعدائه الخارجيين بل من الداخل؛ فقد ساء سلوكه الخاطئ بوفاة والدته عام 1827؛ إذ إن المعاملة الفظة التي غالباً ما كان يلقاها رعاياه على يديه، بما في ذلك إعدام البعض بدعوى «رائحة مثل رائحة الساحرة» تنبعث منهم، وعمليات الإعدام الجماعية التعسفية لقرى بأكملها، قد خلقت جواً من الفزع بين رعاياه المدنيين. وزاد الضجر في صفوف جيشه من العمليات التي لا تتوقف، والتي كانت تتوغل بعيداً عن الوطن حيناً بعد حين مع سعيه لغزو قبائل أخرى وضم أراض جديدة. كما أن شروط وضوابط شاكا التي فرضها على محاربيه أضعفت روحهم المعنوية.

وفي الفترة التي توفيت فيها والدته لم يعد شاكا يقود جيشه في الميدان، مما زاد درجة فقدان الثقة به بين قومه. وفي 23 أيلول/ سبتمبر 1828 اغتاله أخواه غير الشقيقين دنجين (Dingane) وماهلنجانا (Mhlangana). ويقال إن ميتة شاكا، وهو في الحادية والأربعين، لم تكن ميتة كريمة إذ استرحم ماجميه أن لا يفعلانها. ودفنه قاتلاه في قبر غير معلوم في موضع ما قرب قرية ستانجر (Stanger) في إقليم ناتال (Natal) الحالي.

غير أن موت شاكا لم يكن يعني زوال نفوذ الزولو. فسرعان ما قتل دنجين شريكه في المؤامرة، وأصبح الزعيم الأوحد لقبائل الزولو، فأتاحت زعامة جديدة متمرسة على تنظيمات وتكتيكات شاكا هيمنة متواصلة للزولو. وبعد نصف قرن من وفاة شاكا كانت دولة الزولو لاتزال تستخدم تشكيلات "الجاموس" لقهر أعدائهم ولدحر الغزاة، مما يعزز سمعة شاكا باعتباره أكثر قادة أفريقيا العسكريين تأثيراً في العصر الحديث.

60



روبـــرت إدوارد لـــي
Robert Edward Lee
قائد كونفيدرالي
(1870 - 1807)

تمكن روبرت إدوارد لي بفضل ألمعيته الاستراتيجية وزعامته الملهمة من تحويل الولايات الكونفيدرالية الأمريكية من الفخر الأجوف إلى مصدر تهديد ملموس للاتحاد. فابتكارات لي في المناورة واستخدام التحصينات الميدانية – وكانت دائماً ضد وحدات أكبر وأفضل تسليحاً – أتاحت له تحقيق النصر باستمرار ضد القوات التي تفوقه. وقد ظل الولاء والود من جانب جنوده ومواطنيه الجنوبيين قائماً حتى بعد الحرب والقضية الخاسرة. و يعد لي حتى اليوم واحداً من أكثر القادة العسكريين الذين يحظون بالاحترام في الولايات المتحدة الأمريكية، شمالها وجنوبها على السواء.

ولد لي في 19 كانون الثاني/ يناير 1807 في ستراتفورد بولاية فرجينيا، وهو ابن بطل ثوري في الحرب وينتمي إلى واحدة من أعرق الأسر في بلده. وجاء ترتيبه الثاني عند تخرجه في الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت عام 1829، ولم يحدث أن نال علامة

سيئة. كان ضابطاً ذا حضور عظيم، طوله يقرب من ست أقدام، لم يكن يدخن أو يتعاطى المشروبات الروحية أو يلجأ إلى السباب، وكان يضع دينه وشرفه فوق كل اعتبار.

وأثناء التكليفات الأولى له كمهندس لتطوير الحصون والموانى، كان أداؤه طيباً لكنه لم يظهر مواهب متميزة. ولم يكن قبل اندلاع الحرب مع المكسيك قد تمرس على القتال، بل كانت أول تجربة له، وأثبت تفرده كمقاتل تحت ألسنة النيران. وباعتبار لي عضواً في هيئة أركان الجنرال وينفيلد سكوت، فقد قام بنفسه بعمليات الاستطلاع التي اكتشفت طريقاً يحيط بالعدو في سيرو جوردو عام 1847، وهو ما قاد إلى النصر. وفي العمليات ضد مكسيكو سيتي، وضع لي خطة تنظيم المدفعية الأمريكية، وأصيب بجرح طفيف في معركة تشابولتيك في 13 أيلول/ سبتمبر 1847. وقد كتب سكوت فيما بعد أن لي «كان أفضل جندي رأيته في الميدان».

وفي أعقاب الحرب المكسيكية خدم لي في عدة أفواج في سلاح الفرسان قبل أن يصبح مديراً للأكاديمية العسكرية في ويست بوينت عام 1852. ورغم أنه أدخل تحسينات على منهج الأكاديمية وطرق التعليم، فإن أفضل ما قام به أثناء سنواته الثلاث هناك هو فصله جيمس ماكنيل ويسلر (James McNeill Whistler) والذي أصبح فيما بعد فناناً، وذلك لعجزه الأكاديمي.

وفي عام 1859 قاد لي قوة صغيرة إلى هاربرز فيري (Harpers Ferry) لإخضاع "التمرد" الذي حرض عليه جون براون (John Brown). وبعد ذلك بعام تولى قيادة منطقة تكساس وظل هناك حتى اندلاع الحرب الأهلية عام 1861. وفي نيسان/ إبريل من العام نفسه، استدعى سكوت - الذي كان يشغل وقتها منصب القائد العام للجيش - لي إلى واشنطن حيث عرض عليه الرئيس إبراهام لنكولن قيادة قوات الاتحاد الميدانية. ورغم قضائه ما يزيد على ثلاثين سنة خدمة في الجيش الأمريكي ومعارضته للعبودية والانفصال، رفض لي العرض مبيناً أنه لا يستطيع أن يقود جيوشاً ضد موطنه ولاية فرجينيا.

استقال لي من الجيش الأمريكي في 25 نيسان/ إبريل 1861، وقبل وظيفة قائد قوات ولاية فرجينيا، إلا أنه لم يشترك على الفور في العمليات القتالية، وكان يشرف لعدة

أشهر على تعبئة المليشيات وتحصين المواقع الرئيسية. وفي آب/ أغسطس انضم إلى هيئة أركان جيفرسون ديفيس (Jefferson Davis) رئيس الولايات الكونفيدرالية كمستشار شخصي له. ولم يتول لي ما أعاد تسميته بجيش شمال فرجينيا إلا بعد إصابة جوزيف جونستون (Joseph E. Johnston) في أيار/ مايو 1862.

وقد أظهر لي مواهب غير عادية في فترة الحرب بالمراوغة بقواته وفي حسن تقديره لنوايا العدو ونقاط ضعفه. وكان خبيراً في نشر قواته الأمامية والتزامه باحتياطاته المحدودة واستغلاله خطوط الاتصال الداخلية وتوزيعه الإمدادات بمهارة، حتى إن الطلاب العسكريين مايزالون يدرسون تقنياته في المراوغة والإمداد والتموين إلى اليوم. ومع خبرته الهندسية قام لي أيضاً بتطوير واستغلال التحصينات الميدانية لكسب مزايا دفاعية وإجبار العدو على التحرك ضد القوات الكونفيدرالية.

إن أعظم خصائص لي سلوك الرجل الهادئ الذي نادراً ما كان يرفع صوته أو يعبر عن غضب، وكان ذلك أيضاً عيبه الأكبر. فبأسلوبه الهادئ استطاع أن يحوز الولاء والثقة بين جنوده الذين كانوا يكنون له غالباً تقدير الأب الروحي. إلا أن هذا الأسلوب نفسه قد حد من سيطرته على ضباطه المرؤوسين من أمثال جيمس لونجستريت (James Longstreet) وجي. إي. بي. ستيورات، والذين تسببت عدم طاعتهم واستقلاليتهم في بعض الحالات في عدم التنفيذ السليم لخطط لي أو في إفشالها.

في الانتصار المبدئي الذي حققه لي تمكن من صد جورج ماكليلان وجيشه الاتحادي الفائق العدد عندما هددوا ريتشموند. وبعد التحرك صوب الشمال وهزيمتهم القوات الاتحادية شر هزيمة في المعركة الثانية في بول رن (Bull Run) في 29-30 آب/ أغسطس 1862، قرر لي ألا يناور ضد واشنطن دي. سي، بل أن يحول مسار الحرب إلى الولايات الشمالية، معتقداً أن السبيل الوحيد الذي تستطيع الكونفيدرالية أن تحافظ على استقلالها من خلاله هو أن تهاجم مباشرة وتهزم الجيش الاتحادي.

كانت أول مغامرة قام بها لي في أراضي الشمال فاشلة فشلاً ذريعاً؛ ففي آنتيتم كريك (Antietam Creek) بولاية ميريلاند في 17 أيلول/ سبتمبر 1862 التقى الشمال والجنوب

في أشد أيام الحرب دموية. ورغم أن الخسائر في الأرواح لدى الاتحاديين كانت تفوق خسائر الكونفيدراليين، إذ وصلت إلى سبعة عشر ألفاً في مقابل اثني عشر ألفاً، فقد أجبرت الخسائر لي على الانسحاب عائداً إلى فرجينيا.

لقد أتاحت براعة لي في التحصينات أن يحقق نصراً دفاعياً في فردريكسبيرج (Fredericksburg) في نيسان/ إبريل 1863، وبهجومه المضاد البارع، والذي قاده ستونوول جاكسون (Stonewall Jackson) عن طريق تطويق الجناحين، تمكن من هزيمة الجيش الاتحادي عند تشانسلرسيفل (Chancellorsville) في الشهر التالي. وقد شجعت هذه الانتصارات لي على أن يأمر قواته بغزو ثان للشمال رغم إصابة جاكسون بجرح مميت في تشانسلرسيفل. وفي جيتزبورج (Gettysburg) بولاية بنسلفانيا وجه لي الأمر لجيشه بالهجوم على قوات الجيش الاتحادي في ميدان مكشوف يبلغ عرضه ميلاً مربعاً، وذلك على الرغم من انقطاع الاتصال بينه وبين سلاح فرسانه، ودون تأييد تام من القادة الذين يرأسهم والذين كانوا ممتعضين من شن الهجوم. ومع نهاية المعركة في 2 تموز/ يوليو كان ما يربو على 25 ألف جندي كونفيدرالي قد لقوا حتفهم أو جرحوا أو فقدوا. عاد لي بمن بقي من جنوده إلى فرجينيا حيث قدم استقالته إلى الرئيس ديفيس الذي رفضها.

كانت الكونفيدرالية قد بلغت أوجها قبل جيتزبورج، إلا أن لي والجنوب كانا مايزالان بعيدين عن الهزيمة. وفي سلسلة بارعة من الدفاعات عام 1864 في وايلدرنس وسبوتسيلفانيا وكولد هاربر، تمكن لي من تحقيق وقفات ناجحة ضد هجمات القائد الاتحادي الجديد يوليسيس سيمبسون جرانت. وقد أدت مهارة لي في توقع تحركات جرانت ونشر احتياطي القوات الكونفيدرالية الواهنة إلى إطالة أمد الحرب وعمر الكونفيدرالية.

في نيسان/ إبريل 1865 سيطر الاتحاد على نهر المسيسبي واحتل أتلانتا وحاصر جيش لي في بطرسبيرج، إلا أن لي نجح في اختراق الحصار وتقهقر غرباً، فلحق جرانت بالجيش الكونفيدرالي في تراجعه وأوقفه عند أبوماتوكس كورت هاوس في ولاية

فرجينيا. واستسلم لي في 9 نيسان/ إبريل 1865، كما استسلمت بقية القوات الكونفيدرالية في غضون شهر من ذلك التاريخ.

وعاد لي إلى موطنه بفضل الشروط الكريمة في اتفاقية الاستسلام، وفي خريف 1865 عين مديراً لكلية واشنطن (Washington College)، التي أصبحت تعرف فيما بعد بجامعة واشنطن ولي (Washington and Lee University) في ليكسنجتون بولاية فرجينيا، حيث توفي بنوبة قلبية وهو في الثالثة والستين في 12 تشرين الأول/ أكتوبر 1870. وفي 1975 صوت الكونجرس الأمريكي أخيراً على رد الجنسية إلى لي الراحل.

ومازال لي يعد بطلاً عسكرياً اليوم تلقى سيرته الاحترام، وتدرس مهاراته الاستراتيجية في القتال ضد جيوش أكبر عدداً وعدة، إلى جانب قدراته القيادية في اكتساب احترام مرؤوسيه ومحبتهم، كما يعد رمزاً إلى الكرامة العسكرية الأمريكية. وعلى الرغم من أن الجنوب الأمريكي يخلد ذكرى هذا القائد بطريقة رومانسية، فإنه يأتي في مرتبة أدنى من جرانت الذي انتصر عليه وكان له تأثير فعلي أطول أمداً. لقد خلف لي إرثاً جعله رمزاً إلى كبرياء الجنوب الأمريكي، ولكن القضية التي كان يناضل لها كانت قضية خاسرة.

وعلى الرغم من وقار لي وحرفيته ومهاراته العسكرية، فقد كان يمثل بلداً استعبد شعباً بأكمله، وتاجر في البشر وباعهم كأنهم ماشية، فكان القادة الكونفيدراليون يصرون على أنهم يقاتلون من أجل "حقوق الولايات"، ومن هذه الحقوق استمرار العبودية. وتوخياً للإنصاف يمكن القول بأن شاكا ملك الزولو الأفريقي يحتل مرتبة أعلى من لي، فكلاهما يتمتع تقريباً بالمهارات الميدانية نفسها.

61



تشستر وليم نيمتس

Chester William Nimitz

قائد أمريكي

(1966 - 1885)

أكثر ضباط البحرية الأمريكيين تأثيراً في الحرب العالمية الثانية، هو تشستر وليم نيمتس الذي خطط ونسق ونفذ العمليات التي أدت إلى هزيمة الأسطول الإمبراطوري الياباني في المحيط الهادي. وقد أظهر نيمتس دبلوماسيته في التعاون مع قائد الجيش الأمريكي دوجلاس مكارثر، ثم كشف عن مهارته في التكتيكات لتحقيق الانتصارات الجريئة بموارد محدودة. وقد مكنته خبرته في عمليات الإبرار وتأمين السواحل وخدمته السابقة في مجال الغواصات من قيادة أسطول المحيط الهادي المتعدد المهام نحو النصر التام.

ولأن نيمتس ولد بعيداً عن البحر في 24 شباط/ فبراير 1885 في فريدريكسبيرج بولاية تكساس، فقد فضل مبدئياً الالتحاق بالأكاديمية العسكرية الأمريكية، إلا أنه قبل وظيفة في الأكاديمية البحرية الأمريكية عندما علم بأن أكاديمية ويست بوينت لم يبق فيها فرصة للقبول. وعند تخرجه التحق نيمتس بالأسطول الأمريكي في آسيا، متقدماً في

الرتب ومتولياً قيادة المدمرة ديكاتير (Decatur)، وكاد منصبه يؤول إلى نهايته في 7 تموز/ يوليو 1908 عندما جنح بالمدمرة. ورغم أنه حوكم عسكرياً لإهماله في الخدمة، فلم تزد عقوبته على التوبيخ.

وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية كلف نيمتس بعدة مهام تتعلق بالغواصات قبل أن يبحر إلى أوربا عام 1913 ليدرس نظم تطوير محركات الديزل الألمانية والبلجيكية. وعندما عاد إلى وطنه، استغل هذه المعلومات في الإشراف على تشييد الغواصة الأمريكية مومي (Maumee) التي تعمل بوقود الديزل، وظل يعمل على متنها ضابط تنفيذ ومهندساً أول بعد تدشينها عام 1916.

وعندما دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى في نيسان/ إبريل 1917، انضم نيمتس بالغواصة مومي إلى أسطول الأطلسي. وفي آب/ أغسطس عين نيمتس مساعداً لقائد قوة الغواصات الأميرال صامويل روبنسون (Samuel S. Robinson) وذلك بعد ترقيته إلى رتبة رائد بحري، وظل الأميرال معلمه فترة امتدت إلى العقد التالي.

وفي أعقاب الحرب خدم نيمتس في أركان وزارة البحرية في واشنطن، وفي عام 1920 نقل إلى بيرل هاربر للإشراف على تشييد قاعدة غواصات جديدة. وعلى مدى السنوات العشرين التالية خدم في العديد من مهام ومجالات الغواصات وكذلك على متن السفن الحربية والمدمرات. كما قام بمهام عديدة في واشنطن وشارك في مسؤولية إعداد برامج تدريب ضباط البحرية الاحتياط في الجامعات الأمريكية.

وعند ترقيته إلى رتبة لواء بحري عام 1938 تولى نيمتس قيادة فرقة طرادات في سان دييجو وفرقة بوارج فى هاواي، والتي شملت الغواصة الأمريكية أريزونا، وذلك قبل العودة إلى واشنطن كرئيس لمكتب الملاحة في حزيران/ يونيو 1939. وفي الوقت الذي قصف فيه اليابانيون بيرل هاربر عام 1941، كان نيمتس رئيس شؤون أفراد البحرية هو المسؤول عن العملية الضخمة لبناء القوى البشرية في وقت الحرب.

وفي 31 كانون الأول/ ديسمبر 1941 - وبناء على توصية من وزير البحرية فرانك نوكس (Frank Knox) - عين الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت نيمتس رئيساً

للأركان في أسطول الهادي، ورقاه إلى رتبة الأميرال. ورغم أن قيادة أمريكية واحدة في الهادي كانت ستصبح أكبر قيمة فإن كلاً من الجنرال مكارثر وأفراد الجيش رفضوا العمل تحت قيادة ضابط بحري. ونتيجة لهذا، أصبح هناك قائدان حيث اشترك نيمتس ومكارثر في المسؤولية في الهادي، ولحسن الحظ فإن الضابطين تفاهما نتيجة دبلوماسية نيمتس، واتفقا على ما يبدو على أن هناك ما يكفي من اليابانيين ويزيد حتى يقاتلهم كل منهما.

رغم أن الحلفاء اعتبروا الحرب ضد اليابان أمراً ثانوياً حسب خطتهم "أوربا أولاً"، فإن نيمتس لم يؤجل استراتيجيته بوقف التوسع الياباني والاستيلاء على ما حققوا من مكاسب، ودفع الحرب إلى أراضي اليابان. فاستغل نيمتس معلومات حصل عليها من محللي الشفرة حول خطط اليابانيين، واشتبك معهم في أول معركة حرجة في بحر الكورال في أيار/ مايو 1942.

كذلك اعتمد نيمتس على معلومات الاستخبارات في تحديد مواقع العدو بقيادة الأميرال الياباني إسوروكو ياماموتو (Isoroku Yamamoto) الذي هاجم بيرل هاربر، في المياه المحيطة بجزيرة ميدواي (Midway) في حزيران/ يونيو التالي. ولقيام نيمتس بالهجوم في الوقت الذي كانت فيه معظم الطائرات اليابانية على سطح الحاملة للتزود بالوقود وإعادة التسلح، فقد حقق أول نصر بحري أمريكي في الحرب وأول هزيمة للبحرية اليابانية على مدى 350 عاماً. وشملت خسائر اليابانيين أربعاً من الحاملات التسع في أسطولهم وأكثر من ثلاثمئة طائرة والعديد من خيرة الطيارين اليابانيين.

لقد أسهمت معركة ميدواي البالغة الأهمية في أن تصبح المبادأة في يد الأمريكيين. وتعاون نيمتس ومكارثر في سلسلة حملات انقضاض على الجزر التي كانت تقرب شيئاً فشيئاً من قلب الأراضي اليابانية. واستولى نيمتس على جزر جلبيرت (Gilbert) في تشرين الثاني/ نوفمبر 1943، وجزر المارشال (Marshall) في شباط/ فبراير 1944، وجزر الماريانا (Mariana) في آب/ أغسطس 1944. وفي تشرين الأول/ أكتوبر انضم نيمتس إلى قوات مكارثر لاسترداد الفلبين. وقد اعترفت قيادة الولايات المتحدة

الأمريكية بإنجازات نيمتس وذلك بترقيته إلى الرتبة المنشأة الجديدة، قائد القوات البحرية، والذي يحمل صاحبها خمسة نجوم.

وفي أوائل عام 1945 شن نيمتس عدة هجمات على جويام (Guam) وإيواو جيما (Iwo Jima) وأوكيناوا (Okinawa) . وكان يتأهب لغزو اليابان عندما استسلم اليابانيون عقب إلقاء القنبلتين الذريتين. وفي 29 آب/ أغسطس 1945، أبحر نيمتس إلى خليج طوكيو على متن بارجته الأمريكية ساوث داكوتا (South Dakota) . وفي الاحتفال بالاستسلام الذي أقيم على ظهر الميسوري (Misouri) في 2 أيلول/ سبتمبر، وقع نيمتس الاتفاقية بوصفه ممثل الولايات المتحدة الأمريكية.

عاد الأميرال إلى واشنطن فاستقبل بالترحاب في 5 تشرين الأول/ أكتوبر الذي عرف بـ "يوم نيمتس" . ثم مالبث بعد الاحتفالات أن تولى منصب رئيس عمليات البحرية وأشرف على مدى العامين التاليين على تسريح الأفراد والسفن في ذات الوقت الذي كان يقوم فيه أيضاً بتوفير مدخلات تطوير الغواصات التي تعمل بالطاقة النووية. وقد تقاعد نيمتس في 15 كانون الأول/ ديسمبر 1947. وفي الأعوام التالية عمل لفترة قصيرة مستشاراً لوزير البحرية، كما عمل لمدة عامين مفوضاً للأمم المتحدة بشأن كشمير. وتوفي نيمتس قبل عيد ميلاده الحادي والثمانين من جراء مضاعفات عملية جراحية في 20 شباط/ فبراير 1966، ودفن في مقبرة جولدن جيت الوطنية (Golden Gate) في سان فرانسيسكو.

لقد كان نيمتس خبيراً في الحفاظ على الروح المعنوية وتحقيق التعاون بين الرتب والوحدات كافة، وكان أكثر قادة البحرية الأمريكية تأثيراً في الحرب العالمية الثانية؛ فخبرته الواسعة المتنوعة هيأت له تنفيذ المهام الجريئة التي قادت إلى النصر تلو الآخر. كما أثبت نيمتس تفوقه على ياماموتو أفضل أميرال ياباني في معركتهما البالغة الأهمية في ميدواي.

62



جيبهارد ليبرخت فون بلوخر

Gebhard Leberecht von Blücher

قائد بروسي

(1819 - 1742)

هو من أعاد بناء العسكرية البروسية لتصبح قوة لا يستهان بها وكان له أثره في إقصاء نابليون الأول عام 1814، ذلك هو جيبهارد فون بلوخر. فقد أسهم دعمه لآرثر ويلزلي دوق ويلنجتون في معركة ووترلو بعدها بعام بدرجة قوية في الهزيمة النهائية التي لحقت بنابليون، وقد هيأت له شجاعته الذاتية وإصراره وفطنته أن يصبح واحداً من أكثر قادة جيله العسكريين تأثيراً ونجاحاً. لقد كان بلوخر، المعروف بـ "مارشال إلى الأمام" (Marshal Forward)، وذلك لأسلوب قيادته الجريء من المقدمة، هو أبا الوطن البروسي.

انضم بلوخر، الذي ولد في روستوك (Rostock) بميكلينبيرج (Mecklenburg) في 16 كانون الأول/ ديسمبر 1742، إلى الجيش السويدي وعمره أربعة عشر عاماً، واشترك في المراحل الأولى من حرب السنوات السبع. وعند وقوعه في الأسر على

أيدي البروسيين في عام 1760، بهر به آسروه حتى إنهم عرضوا عليه الالتحاق بفوج الفرسان الثامن. أحسن بلوخر الخدمة في الفوج الجديد، مما أكسبه صيتاً لجرأته وجسارته. وعلاوة على كونه قائداً متعصباً لمهمات الفروسية، فقد كان معروفاً بإسرافه في معاقرة الخمر وعلاقاته مع النساء وبإدمانه المقامرة، وهي صفات غير مقبولة في جيش فريدريك الأكبر الذي كان ضباطه من الطبقات الراقية.

ولما تم تخطي بلوخر في الترقية عام 1773 استقال من الجيش البروسي وعاش حياة المزارعين. ورغم أنه لم يغير من عاداته الشخصية، فقد عاد إلى الجيش البروسي برتبة رائد بعد وفاة فريدريك عام 1786. وكانت خدمته متميزة في فترات المعارك ضد الجمهورية الفرنسية الجديدة في الفترة 1793 ـ 1795، ورقي إلى رتبة لواء وهو في الحادية والخمسين لانتصاره في معركة لاندو (Landau) في 28 أيار/ مايو 1794.

وعقب إيقاف بروسيا هجماتها ضد فرنسا عام 1795، شغل بلوخر منصب حاكم مينستر (Munster) العسكري، حيث عاون على تطوير الجيش البروسي. وفي عام 1805 كتب ورقة عنوانها **«أفكار حول تنظيم جيش وطني»** *Thoughts on the Organization of a National Army*، والتي ناقش فيها نظام الخدمة العسكرية البروسية الجامع.

عاد بلوخر إلى ميدان القتال عام 1806 لوقف تقدم نابليون، إلا أن الفرنسيين أثبتوا أنهم الأكثر تفوقاً فهزموا البروسيين في سلسلة من المعارك. أحسن بلوخر التصرف أثناء انسحاب البروسيين، ورغم وقوعه في الأسر لاحقاً فقد خرج من تلك المواجهة واحداً من القادة البروسيين القلائل الذين مازالوا يحظون بالاحترام.

كان يبدو أن وظيفة بلوخر العسكرية قد آلت إلى نهايتها حين كان يناهز عامه السبعين، في وقت كانت بروسيا لاتزال تئن فيه تحت سيطرة فرنسا. ومع هذا فإن أعظم انتصارات بلوخر لم تكن قد تحققت بعد؛ فعندما تخلت بروسيا عن تحالفها مع الفرنسيين إثر هزيمة نابليون في روسيا عام 1813، عدل بلوخر عن تقاعده وتولى قيادة القوات البروسية في الميدان. وتمكن بعد قتاله الفاشل ضد الفرنسيين في ليتسين وباوتزن

في أيار/ مايو 1813، من اغتنام الفرصة في كاتزباخ (Katzbach) في 26 آب/ أغسطس وحقق نصراً حاسماً في ليبتسخ في 18 تشرين الأول/ أكتوبر.

وبعد ترقية بلوخر إلى رتبة مشير واصل هجومه ضد نابليون بعبوره نهر الراين إلى داخل فرنسا في الأول من كانون الثاني/ يناير 1814. ومع تقدم قوة روسية عبر وادي مارن (Marne)، والهجوم الذي شنته القوات النمساوية من جهة الجنوب، أطبق الحليفان على باريس. أوقف نابليون تقدم بلوخر في عدة معارك، إلا أن بلوخر كان دائماً يعيد تنظيم قواته ويستأنف تقدمه. وفي نيسان/ إبريل سار بلوخر باتجاه باريس مجبراً نابليون على التنازل عن الحكم.

وعقب الاستيلاء على باريس، عاد بلوخر إلى ضياعه في سيليزيا (Silesia) ليتقاعد عن جدارة. ولم يدم الأمر طويلاً، فعندما فر نابليون من جزيرة إلبا وعاد إلى فرنسا، امتطى بلوخر مرة أخرى جواده، وهو في الثانية والسبعين من عمره وتولى قيادة الجيش البروسي في الميدان. وعقب نكسة لم تطل في ليجني (Ligny) في 16 حزيران/ يونيو 1815 حشد بلوخر قواته - رغم ما أصابه من جروح إثر سقوطه من فوق جواده في منتصف المعركة - وتحرك صوب ووترلو لدعم ويلنجتون ضد قوات نابليون الرئيسية.

وفي 18 حزيران/ يونيو انقض البروسيون - وفي مقدمتهم بلوخر - على الجناح الأيمن لجيش نابليون في الوقت الذي كان الفرنسيون يهاجمون فيه مقدمة جيش ويلنجتون، فأجبرت الضربة القاصمة نابليون على التقهقر، وسرعان ما استسلم بعد ملاحقة الفرسان البروسيين له. وفي أعقاب الهزيمة النهائية لنابليون، عاد بلوخر إلى وطنه بطلاً معززاً مكرماً في بروسيا وفي أرجاء الأمم المتحالفة. وواصل "الحياة الوادعة"، يبطئ من إيقاعها بعض الشيء وهن الشيخوخة إلى أن توفي في السادسة والسبعين من عمره في بيته في كريبلوفيتس (Krieblowitz) في سيليزيا في 12 أيلول/ سبتمبر 1819.

إن بلوخر الذي لم يكن يوماً خبيراً بالتكتيكات أو الاستراتيجية فاق الجميع بجسارته. وما كان يعوزه في جانب الدهاء ودقة التفكير كان يعوضه بقدرته على حث

جنوده، الذين كانوا يندهشون لانغماسه في شرب الكحوليات والتبغ والمساوئ الأخرى. وفي بعض الأحيان كان حلفاؤه - مثلهم في ذلك مثل أعدائه - يرتابون في قدرته العقلية نظراً إلى تصرفاته المريبة، بما في ذلك زعمه ذات مرة بأنه حامل بفيل. ويغض النظر عما إذا كان سلوكه المعيب بالفعل نتاج خلل في قدرته العقلية أوإغراقه في تناول المسكرات أو روح دعابته المضللة، فإن سمعته كمقاتل كان من شأنها بث الخوف في نفوس خصومه للوهلة الأولى عند ظهوره في ميدان القتال.

لم يكن لبلوخر - باعتباره قائداً مقاتلاً - مثيل في عصره، وقلة من القادة تضاهيه حتى يومنا هذا؛ فتأثيره في الروح القتالية البروسية ثم من بعد الألمانية يظل اليوم مضرباً للمثل، فوصول بلوخر في الوقت المناسب إلى ووترلو عكس اتجاه المعركة، وساعد على إنهاء عصر نابليون وتغيير تاريخ أوربا والعالم بأكمله.

63



بيرنـــارد لو مونتجمـــري

Bernard Law Montgomery

قائد بريطاني

(1976 - 1887)

أكثر قادة بريطانيا العظمى الميدانيين في الحرب العالمية الثانية تأثيراً، إنه بيرنارد مونتجمري الذي أدى دوراً مهماً في نصر الحلفاء في شمال أفريقيا وأوربا؛ إذ حقق أول الانتصارات على الألمان، وكان له دوره المشهود في عمليات الحلفاء التي انتهت بسحق النازيين، وأنهت الحرب العالمية الثانية في أوربا. ورغم أن مونتجمري كان متغطرساً ووقحاً ومتخايلاً وفي العادة مفتقراً إلى الخيال، فإنه مع ذلك كان يتمتع بقدرة كبيرة على حث جنوده لتحقيق النصر بإصرار.

بعد عامين من مولده في لندن في 17 تشرين الثاني/ نوفمبر 1887، انتقل مونتجمري إلى تسمانيا (Tasmania) بصحبة أبيه الذي كان أسقفاً مكرساً لهذه الجزيرة. وصف مونتجمري فيما بعد طفولته على أنها طفولة غير سعيدة، ولعله وجد في العسكرية مخرجاً. وبعد قضائه أربع سنوات في كاتدرائية القديس بولس، دخل أكاديمية

ساندهيرست عام 1907. وفي صيف عام 1908 حصل على رتبته العسكرية رغم أنه كاد يفصل لاعتدائه بالضرب على طلاب آخرين.

ورغم أن مونتجمري لم يكن يدخن أو يحتسي الخمر، فإن مزاجه الحاد قد أكسبه ما قصر عنه غيرهما من الشرور. فعند توليه أول وظيفة له وكانت في الهند قام ورفاقه من الضباط بتحطيم نادي اليخوت في بومباي في شجار صاخب. وعلى نقيض الضباط الآخرين الذين كانوا سكارى سكراً بيناً، فإن مونتجمري الممتنع عن تناول المسكرات قطعياً، انضم إليهم على ما يبدو في عنفهم لمجرد الاستمتاع بالشجار.

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى بدأ مونتجمري يكتسب سمعة لجسارته في القتال، والأداء الممتاز فيما يتعلق بمهام الأركان؛ فقد تعلم في حرب الخنادق الدموية في فرنسا دروساً ألهمته اتخاذ القرارت السديدة، فبعد ثلاثة أيام فقط من وصول وحدته إلى فرنسا في 23 آب/ أغسطس 1914 قاد مونتجمري دون تخطيط أو استعداد فصيلته ضد الألمان في لو كاتو (Le Cateau)، وخسر مونتجمري كثيراً من رجاله في تلك المعركة المربكة، وكان هو نفسه معدوداً من بين المفقودين لعدة أيام.

وفي 13 تشرين الأول/ أكتوبر 1914 أصيب مونتجمري الذي كان في السابعة والعشرين إصابات بالغة أثناء قيادته هجوماً في أولى معارك إيبر، فحصل لبسالته على وسام الخدمة المتميزة ورقي إلى رتبة نقيب. وبعد تعافيه في إنجلترا مما أصيب به من جروح، عاد إلى فرنسا كضابط ركن في اللواء 104، وشارك في معركة سوم (Somme) التي كانت مجزرة دموية، وذلك في الفترة من 24 حزيران/ يونيو إلى 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 1915. أما في الفترة المتبقية من الحرب العالمية الأولى، فقد خدم مونتجمري في مواقع ذات مسؤوليات أركان متزايدة. وباقتراب الصراع من نهايته وصل إلى رتبة مقدم وحاز سمعة جديرة بقائد مقاتل وضابط أركان متميز.

أثناء فترة ما بعد الحرب سعى مونتجمري إلى الحصول على وظيفة ثابتة في التدريس وسافر إلى أيرلندا وفلسطين. وحين اندلعت الحرب العالمية الثانية وصل مونتجمري - وكان حينئذ برتبة لواء ويقود فرقة - إلى فرنسا في 30 أيلول/ سبتمبر 1939، فقامت

فرقته بالدفاع عن لوفان (Louvain) وبلجيكا ضد القوات الألمانية المتقدمة قبل أن يتقهقر ضمن انسحاب الحلفاء الشامل. وفي دنكيرك، حال مونتجمري دون تطويق الألمان لرأس الشاطئ، وقاد حرس المؤخرة أثناء الإجلاء.

عاد مونتجمري إلى إنجلترا وتدرج في الرتب حتى وصل إلى رتبة فريق. وقد حانت اللحظة التي حقق فيها إنجاز عظمته في آب/ أغسطس 1942 عندما قُتل الضابط المكلف بقيادة القوات البريطانية في شمال أفريقيا من جراء حادث طائرة، فاختير مونتجمري ليحل محله. وقد تولى في مصر قيادة الجيش الثامن الذي كان يعاني مشكلات مستفحلة لتدني الروح المعنوية، نتيجة هزائمه المتكررة في المعارك أمام فيلق أفريقيا بقيادة إيرفين روميل.

شرع مونتجمري من فوره في زيادة مشاعر الثقة بين أفراد جيشه وتعزيزه بالرجال والدبابات و قطع المدفعية. وفي معركة "علم حلفا" خلال الفترة من 31 آب/ أغسطس إلى 2 أيلول/ سبتمبر 1942، أوقفت القوات البريطانية تقدم روميل. وبعد شهر بدأ مونتجمري - بعد حشده كماً فائقاً من الرجال والسلاح - هجوماً مضاداً مدروساً. وقد انتهز تفوقه في العدد ووقوع الألمان في مشكلات إمدادية وتموينية، فأحرز النصر على روميل في العلمين يوم 23 تشرين الأول/ أكتوبر، موقعاً 59 ألف ألماني ما بين قتيل وأسير ومدمراً أكثر من خمسمئة دبابة ألمانية، وأتبع مونتجمري النصر بهجوم حذر عاد عليه بانتقاد من أرادوا اللجوء إلى مزيد من الجرأة. ومع ذلك انضم مونتجمري إلى القوات الأمريكية المتقدمة من جهة الغرب في 12 أيار/ مايو 1943، فأنهوا كل مقاومة لدول المحور في شمال أفريقيا.

لقد كانت معارك شمال أفريقيا هي قمة نجاح مونتجمري في تاريخه العملي، إلا أن مزيداً من النجاح كان لايزال ينتظره. و مع ذلك كانت قيادته اللاحقة تحت إمرة الأمريكيين الذين كان ينظر إليهم على أنهم أدنى، بل إنه لم يحاول جهداً في إخفاء احتقاره لهم. ورغم احتقاره لرؤسائه الأمريكيين فقد كان حسن البلاء عند غزو الحلفاء لصقلية في 19 تموز/ يوليو 1943. وعندما قام بتأمين أمن المنطقة الواقعة تحت سيطرته

في الجزيرة، عاد إلى إنجلترا ليساعد على التخطيط لغزو نورماندي والتي كان قد تولى فيها بداية قيادة القوات البرية المؤلفة من خمس وأربعين فرقة جماعها مليون رجل.

ونظراً إلى بطء مونتجمري في الهجوم على رأس الشاطئ في نورماندي والاستيلاء على مدينة كايين (Caen) إضافة إلى خلافاته المستمرة مع قائد قوات التدخل السريع للحلفاء دوايت ديفيد أيزنهاور، فقد نجم عن ذلك تولي القائد الأمريكي القيادة المباشرة للقوات البرية، وعهد إلى مونتجمري بدور معاون على قدم المساواة مع أومار نيلسون برادلي. ظل مونتجمري وقحاً ومزاجياً كعادته إلا أنه أسهم في تحرير الحلفاء لباريس إسهاماً كبيراً.

كان مونتجمري لايزال على رأيه بشن هجوم حاشد واحد على الألمان بينما كان أيزنهاور يؤيد هجوماً واسع الجبهات. وقد اقترح مونتجمري الذي وصل آنذاك إلى رتبة مشير القيام بهجوم محمول جواً ضد هولندا لتأمين جسر عبر نهر الراين لنقل الوحدات المدرعة، حتى يتسنى لها الاندفاع إلى قلب الأراضي الألمانية. وكانت هذه الخطة التي تنطوي على المخاطرة مختلفة اختلافاً كبيراً عن عمليات مونتجمري التي تتسم عادة بالحذر، مما أثار التكهنات بشأن دوافعه.

وسواء أراد مونتجمري أن يقود أول هجوم بري إلى داخل ألمانيا أو أنه أراد ببساطة أن يتلذذ بانضمام فرقتين أمريكيتين أخريين تحت قيادته، فإن عملية "بستان السوق" باءت في نهاية المطاف بالفشل؛ إذ أخفق جهاز الاستخبارات الضعيف في كشف الكم الكبير من المدافعين الألمان الذين قتلوا وأسروا كثيراً من قوات مونتجمري.

عوض مونتجمري، نحواً ما، عن أدائه السيئ في هولندا بصده للهجوم الذي وقع على الجزء الشمالي من إقليم الآردن الألماني في كانون الأول/ ديسمبر 1944. ومع ذلك لم تؤد تعليقاته حول ضعف الأداء القتالي الأمريكي في معركة النتوء (Battle of the Bulge) إلى قيام علاقة ودية بينه وبين القادة الأمريكيين.

وفي الأيام الأواخر من الحرب قاد مونتجمري القوات البريطانية في سلسلة حملات ناجحة و محكمة الخطط، فتم له الاستيلاء على هولندا والدنمارك وشمال ألمانيا. وقبل

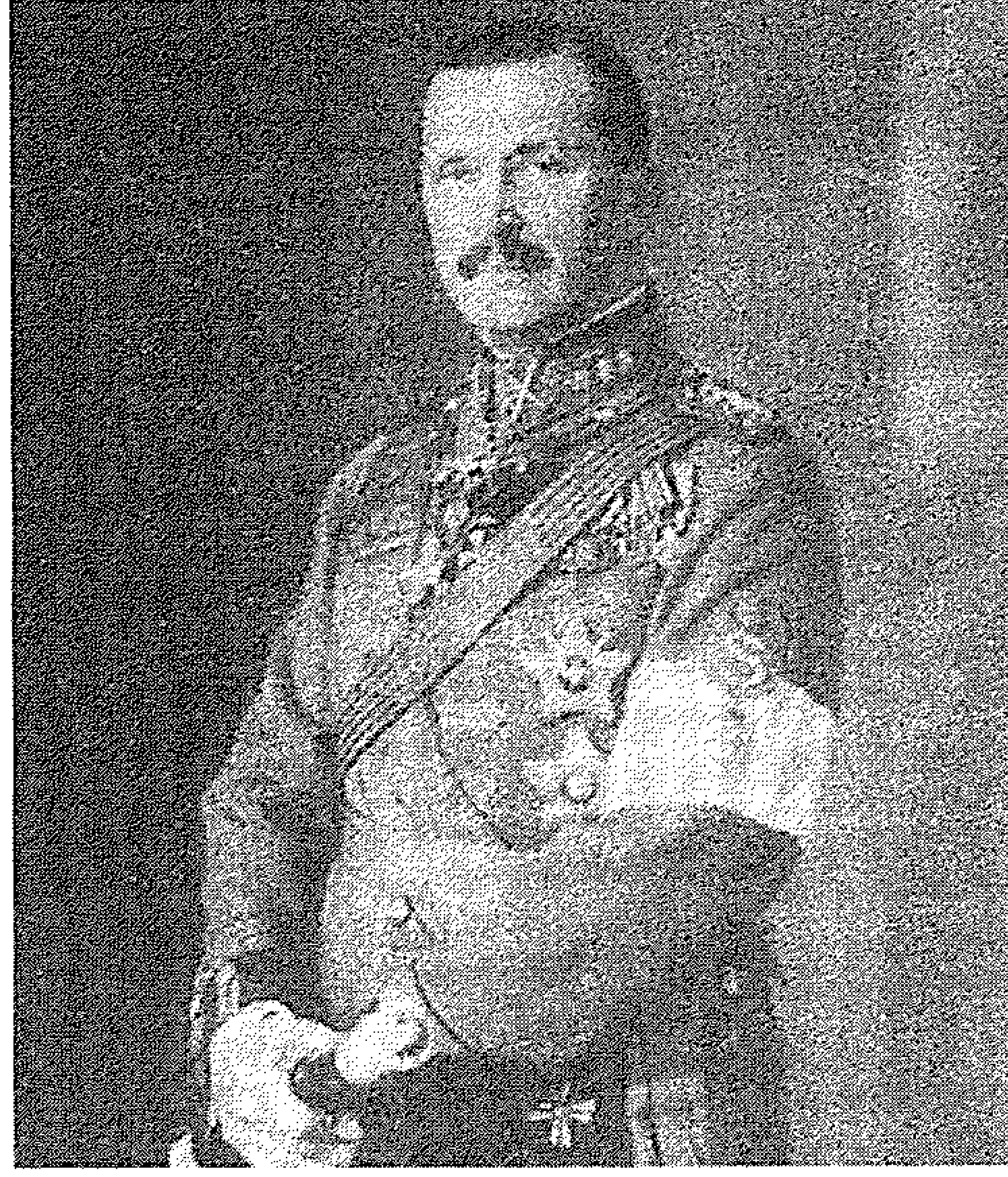
بالاستسلام الشامل للقوات الألمانية بالمنطقة في 4 أيار/ مايو 1945 في لونبيرج هيث (Lüneburg Heath) بالقرب من بحر البلطيق.

ظل مونتجومري في ألمانيا بعد الحرب قائداً لوحدات الاحتلال البريطاني. ثم تولى قيادة قوات حلف شمال الأطلسي في الفترة من عام 1951 وحتى تقاعده عام 1958. وقد توفي في منزله بالقرب من آلتون (Alton) في 25 آذار/ مارس 1976 وعمره تسعة وثمانون عاماً.

إن كثيراً من حرص مونتجمري وامتعاضه المعلن بشأن التقدم دون استكمال كافة الاستعدادت إنما يعزى إلى خبراته في الحرب العالمية الأولى. وقد كان لحدبه على جنوده واهتمامه براحتهم أثره في ذيوع صيته بينهم، بينما تسببت مطالبه من مرؤوسيه من الضباط وإقصاؤه المتلاحق لهم في عزلته عنهم، كما أن الأمريكيين وغيرهم من الحلفاء امتعضوا من موقفه المتعالي ووقاحته، ومع ذلك فربما كان خير حكم على تأثيره هو مقولة ونستون تشرشل: «قبل العلمين لم نحقق نصراً إطلاقاً، بعد العلمين لم نصب بخسارة إطلاقاً».

يأتي مونتجمري الخبير البريطاني في المدرعات والمناورة، إلى حد ما، تالياً في الأهمية لجورج كاتليت مارشال وأيزنهاور وآلن فرانسيس بروك وبرادلي نظراً إلى قيادتهم الأوسع والأكثر أهمية. إلا أنه يأتي متقدماً على جورج باتون، الذي غطى مسلكه المزاجي الخاطئ على قدراته القتالية. وبينما كان العديد من نظائره الألمان، مثل روميل وهاينز جودريان، يساوونه أو يفوقونه في أرض المعركة، فإن النصر النهائي للحلفاء أكسبه مكانة تعلو على مكانتهم في هذه القائمة.

64



كارل جوستاف إميل فون مانرهايم

Carl Gustav Emil von Mannerheim

قائد فنلندي

(1951 - 1867)

قائد حركة الاستقلال الفنلندية عن روسيا إبان الحرب العالمية الأولى التي أبقت على بلاده أمة مستقلة خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها. إنه كارل فون مانرهايم، من أتاحت له ألمعيته الاستفادة من مزايا التضاريس والطقس أن يحقق النصر على قوات تفوقه كثيراً في العدد. وهو لايزال أجلّ قادة بلاده العسكريين وغالباً ما يطلق عليه جورج واشنطن فنلندا.

وقت ولادة مانرهايم في 4 حزيران/ يونيو 1867 لعائلة أرستقراطية في فيلناس (Villnäs)، بالقرب من توركو (Turku)، كانت بلاده فنلندا جزءاً من روسيا. وبعد تعيينه ملازماً في سلاح الفرسان الروسي عام 1889، شارك ضمن حرس الشرف في مناسبة تتويج القيصر نيكولاس الثاني وزوجته ألكسندرا في 26 أيار/ مايو 1895. وأثناء الحرب الروسية ـ اليابانية عامي 1904 ـ 1905، شهد مانرهايم

القتال وكان برتبة رائد. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى، كان مانرهايم برتبة فريق وقائد فيلق ضد الألمان.

وفي أعقاب انهيار الجيش الروسي إبان ثورة تشرين الثاني/ نوفمبر 1917، عاد مانرهايم إلى الوطن لينضم إلى الحركة التي أعلنت استقلال فنلندا في 6 كانون الأول/ ديسمبر 1917، وفي 16 كانون الثاني/ يناير 1918 تولى قيادة القوات البيضاء المعادية للشيوعية في غربي فنلندا، وتحرك باتجاه الجنوب لطرد الحرس الأحمر المناصر للشيوعية. وعند فاسا (Vasa) استولى مانرهايم على حامية روسية وعلى أسلحتها وذخيرتها التي كان في احتياج شديد إليها. وتمكن بعون من المعدات التي استولى عليها من أن يواصل عملياته ضد الحرس الأحمر إلى أن واجه قوة تفوقه خارج تامبيري (Tampere) في 16 آذار/ مارس.

توقف هجوم مانرهايم، إلا أن الجيش الألماني دخل المعركة واستولى على هلسنكي في 18 نيسان/ إبريل، فانقسمت القوات البلشفية إلى قسمين. انتهز مانرهايم فرصة انتصار الألمان وتحول تجاه الشرق وقطع الطريق بين برزخ كيرلين (Karelian Isthmus) وروسيا. وبهزيمة الروس وإجبار الألمان على الانسحاب فوراً بموجب الهدنة التي أنهت الحرب العالمية الأولى تأكد استقلال فنلندا. و رغم إعلان مانرهايم وصياً على عرش فنلندا في 12 كانون الأول/ ديسمبر 1918، استمر في قيادة الجيش، وتمكن من هزيمة آخر جيوب الحرس الأحمر. ومع توقف العمليات الحربية وإعلان استقلال جمهورية فنلندا في 17 حزيران/ يونيو 1919، تقاعد مانرهايم.

وفي عام 1931 وقت أن كان في العقد السابع من عمره، استدعت حكومة فنلندا مانرهايم للخدمة كرئيس لمجلس الدفاع لتجهيز الدفاعات ضد تهديد سوفيتي جديد؛ فأشرف مانرهايم طوال الأعوام الثمانية التالية على إنشاء خط تحصين مكون من نقاط قوية متصلة عبر التضاريس الوعرة لبرزخ كيرلين.

كان ذلك الخط الذي عرف بخط مانرهايم على وشك الانتهاء عندما بدأ السوفييت هجوماً في 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1939 مؤلفاً من نحو مليون جندي. وواجه مانرهايم

- الذي كان قد عين آنذاك قائداً عاماً - القوات الروسية بجيش لا يزيد على 300 ألف جندي، لم يكن من بينهم سوى خمسين ألف جندي نظامي. ورغم أن القوات الفنلندية كانت أقل حجماً بكثير، فقد أعد مانرهايم جنوده وكذلك تحصيناته الدفاعية إعداداً جيداً؛ فكل جندي فنلندي كان لديه اللباس الشتوي المناسب، بما في ذلك زي خارجي أبيض يضاهي الطبيعة المكسوة جليداً، وزوج من الزلاجات لسهولة الحركة.

وفي المقابل كان السوفييت يفتقرون إلى المعدات والتدريب العالي. ولم يكن الغزاة - ومعظمهم من أوكرانيا - قد زودوا بوسائل البقاء، فكان قتالهم متدنياً في درجات حرارة بلغت أربعين تحت الصفر. وفي معركة سوموسالمي (Suomussalmi) استغل مانرهايم حالة الطقس، ما بين كانون الأول/ ديسمبر 1939 وكانون الثاني/ يناير 1940، وطبيعة التضاريس في إبطاء تحركات السوفييت، وقام بقطع خطوط إمداداتهم عن طريق نصب الكمائن، ثم دمر الوحدات المعزولة من خلال القناصة والمدفعية. ففقد السوفييت أثناء الغزو 27500 جندي ما بين قتيل في المعركة أو متجمد من الجليد حتى الموت في مقابل تسعمئة قتيل فنلندي، كما خَلَّف السوفييت وراءهم أسلحة ومعدات فرقتين كاملتين.

ورغم النصر الفنلندي العظيم، كانت هناك الكثرة الفائقة من السوفييت التي لم يكن بوسع جنود مانرهايم أو الطقس أن يحيدها. وفي الأول من شباط/ فبراير أعد الاتحاد السوفيتي أربعاً وخمسين فرقة مؤلفة من ثلاثة أرباع المليون رجل لاختراق خط مانرهايم. قاتل الفنلنديون ببسالة إلا أن الكم الهائل تمكن في نهاية المطاف من التغلب على دفاعاتهم في سوما (Summa)، وفي 12 آذار/ مارس 1940 استسلم الفنلنديون، ولكن السوفييت سمحوا لهذا البلد بأن يتمتع بنوع من الحكم الذاتي شريطة ألا يشن مواطنوه حرب عصابات على المحتلين. وقد بلغت خسارة الفنلنديين خمسة وعشرين ألف قتيل في حين سقط من بين السوفييت ما يقدر بعشرة أضعاف هذا العدد إضافة إلى 400 ألف جريح.

لم يدم السلام طويلاً بين الاتحاد السوفيتي والفنلنديين؛ فعندما غزت ألمانيا أراضي روسيا في 22 حزيران/ يونيو 1941، تحالفت فنلندا مع الألمان واستأنفت جهودها بعد أن

استدعت مانرهايم لقيادة الجيش لطرد الروس من أراضيها. نجح مانرهايم في هجومه المبدئي في إجبار الروس على الانسحاب، ورغم طلب الألمان من مانرهايم مواصلة مطاردة الروس صوب لينينجراد، فقد رفض دخول قواته الاتحاد السوفيتي. وفي فترة السلم القصيرة التي تلت، قامت حكومة فنلندا بترقية مانرهايم إلى رتبة مشير.

وفي عام 1944 بمجرد أن أصبح للروس أخيراً اليد العليا على الألمان، جدد الروس هجومهم على فنلندا، فأبلى جيش مانرهايم بلاء حسناً، لكنهم تعرضوا لأعداد تفوقهم بصورة كبيرة، مما اضطر فنلندا مرة أخرى إلى توقيع اتفاقية سلام مع السوفييت في 4 أيلول/ سبتمبر 1944. وقد قام مانرهايم - كجزء من الاتفاق - بحملة أخيرة لطرد حلفائه الألمان السابقين من منطقة لابلاند (Lapland) المحتلة.

وبمقتضى الاتفاق الجديد تولى مانرهايم أيضاً منصب رئيس جمهورية فنلندا. وفي خطوة سياسية بارعة تضاهي مناوراته العسكرية البارزة، تمكن من الحفاظ على استقلال فنلندا في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك بالتوازن ما بين الشرق والغرب. وقد ظل مانرهايم على رأس حكومته حتى دخل مرحلة الشيخوخة واضطره اعتلال صحته إلى التقاعد عام 1946. وتوفي وهو في الثالثة والثمانين في لوزان بسويسرا في 27 كانون الثاني/ يناير 1951.

لولا مانرهايم، ربما ما كنا نعرف بلداً باسم فنلندا؛ فما من شك في أن قيادته العسكرية والسياسية قد أنقذت البلد الذي ما كان ليكتب له البقاء بعد حربين عالميتين وسياسات ما بعد الحرب العالمية الثانية. فخبرته في بناء الدفاعات الضخمة، علاوة على توظيفه المحترف للحرب المتحركة ضد قوات أكبر عدداً مع صعوبة التضاريس والطقس، قد أكسباه التميز بوصفه أجدر عسكري فنلندي.

كذلك فإن أداء مانرهايم يضعه في مصاف السوفييت باعتباره أكثر خصومهم احتراماً وهيبة؛ فلقد أثبت لبقية العالم على مدار العقود الأربعة التي تلت أنه في الإمكان التصدي للجيش السوفيتي المزهو بل وهزيمته. وإن مكانة مانرهايم الضئيلة نسبياً في هذه القائمة لا تمثل انعكاساً لقيادته الذاتية وتأثيره قدر ما هي نتيجة لافتقار فنلندا إلى التأثير في بقية أرجاء العالم.

65



أرنولــــد

H. H. Arnold

قائد أمريكي

(1950 - 1886)

الجنرال "هاب" أرنولد هو الذي قام بتطوير سلاح الجو في الجيش الأمريكي من بداياته الأولى وحتى ما بعد الحرب العالمية الثانية كجهاز مستقل. أرسى أرنولد مبادئ سلاح الجو من حيث العقيدة والتنظيم والإجراءات التي أسهمت في تحقيق النصر للحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وماتزال مبادئه ذات تأثير حتى اليوم في قوات الولايات المتحدة الأمريكية الجوية وقوات دول أخرى.

ولد أرنولد في 25 حزيران/ يونيو 1886 في جلادين (Gladwyne) بولاية بنسلفانيا، وهو ابن طبيب وحفيد محارب قديم شارك في الحرب الأهلية. تخرج أرنولد عام 1907 في أكاديمية ويست بوينت وكلف بالعمل في سلاح المشاة. وفي أعقاب دورة عمل في الفلبين نقل أرنولد إلى سلاح الإشارة وتعلم الطيران في دايتون (Dayton) بولاية أوهايو على يد الأخوين رايت في عام 1911. وكانت رخصة طيران أرنولد هي التاسعة

والعشرين فقط التي تصدر في الولايات المتحدة آنذاك. وفي أيلول/ سبتمبر من ذلك العام قام بأول مهمة توصيل بريدية، وفي عام 1912 سجل رقماً قياسياً في التحليق على ارتفاع وصل إلى 6540 قدماً.

وفي الوقت الذي أنجز فيه أرنولد هذه المهام التي لفتت الانتباه إلى تقدم علم الطيران، قام بجمع ثلة صغيرة من الطيارين وفنيي الطائرات في مطار كوليج بارك (College Park) بولاية ميريلاند. وعلاوة على تدريب الملاحين الجدد، فإن المجموعة وضعت المصطلحات والرموز العسكرية لأجزاء الطائرات وإجراءات الطيران، كما كان لها تجاربها في القصف الجوي ومصوبات القذائف والاتصالات الجو-أرضية.

وفي عام 1913 عاد أرنولد إلى سلاح المشاة ومهمة أخرى في الفلبين. وأثناء المناورات الميدانية في باتانجا (Batanga)، التقى وزميله الملازم جورج كاتليت مارشال، وتوطدت بينهما صداقة وعلاقة عمل استمرت طوال فترة عملهما.

وعند عودة أرنولد إلى قسم الطيران بسلاح الإشارة عام 1916، أشرف - وكان أصغر عقيد في الجيش - على تدريب الطيارين أثناء الحرب العالمية الأولى. وعند استقلال قسم الطيران عن سلاح الإشارة في الجيش الأمريكي، تولى أرنولد منصب مساعد المدير. ولأن الحرب انتهت قبل أن يتمكن من الوصول إلى فرنسا لاكتساب خبرة ذاتية في القتال، فقد فكر في ترك الجيش بعد انقضاء الهدنة. ولكنه قرر أخيراً البقاء في الخدمة، وأمضى فترة العقد التالي في الساحل الغربي للولايات المتحدة في سلسلة مهام، حيث واصل تطويره للطيران المدني والعسكري.

لجأ أرنولد إلى العديد من العروض ومحاولات تسجيل أرقام قياسية لجذب الانتباه إلى سلاح الطيران الناشئ ولزيادة تمويله. وفي عام 1924 سجل رقماً قياسياً في الطيران بلغ 113 ميلاً في الساعة، وفي عام 1934 قاد طلعة من عشر قاذفات بي-10، روج لها بصورة كبيرة، بين واشنطن. دي. سي وفيربانكس (Fairbanks) بآلاسكا. وفي أثناء تلك الفترة وما بعدها، كتب ونشر مقالات في المجلات لتطوير الطيران، كما كتب سلسلة من كتب الأطفال تصور الطيار بطلاً.

وقد أصبح أرنولد - بوصفه أحد الطيارين الرواد وقائداً عسكرياً كبيراً - متحدثاً باسم جهاز الطيران المدني والعسكري؛ فأسهم في تشكيل شركة خطوط "بان أمريكان" التجارية، وشجع الصناعة على تكييف مصانع السيارات لتدخل في مجال الإنتاج الواسع النطاق للطائرات. في أثناء تلك الفترة دعا أرنولد لتكوين قوات جوية مستقلة داخل الجيش الأمريكي وكذلك تطوير القاذفات الطويلة المدى. وقد ثبت أن لدعمه فعالية في إنشاء وتمويل الطائرة بي-17 المعروفة بـ"القلعة الطائرة"، والتي سرعان ما أثبتت أنها في غاية الأهمية.

وفي عام 1939 انضم أرنولد إلى أركان صديقه القديم جورج مارشال الذي كان يشغل آنذاك منصب رئيس أركان الجيش، ليصبح أرنولد قائداً لسلاح الطيران في الجيش. ورغم محدودية الميزانية وسياسة الانعزالية التي كان يفضلها كثير من الأمريكيين، فقد قدم أرنولد دعماً للحرب الجوية البريطانية ضد الألمان بينما كان يقوم ببناء مرافق الطيران الأمريكية. وفي فترة تتجاوز العام بقليل، زاد أرنولد معدل إنتاج الطائرات الأمريكية وتدريب الطيارين إلى ستة أمثال ما كان عليه.

وعندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب عام 1941، استمر أرنولد على علاقته الوثيقة بصناع الطائرات المدنية ومعاهد تدريب الطيارين للإعداد لتعبئة الأفراد والمعدات على نطاق واسع. وكان يدعم على نحو خاص القاذفات البعيدة المدى، باعتبارها مفتاح سلاح الطيران على مدار فترة الحرب.

وبحلول عام 1942 انتزع أرنولد الاعتراف بالسلاح الذي أطلق عليه سلاح القوات الجوية الأمريكية، ليقف على قدم المساواة مع القوات البرية. ورقي في عام 1943 إلى رتبة فريق اعترافاً بإنجازاته التي شملت هيمنة الحلفاء على الأجواء في كافة أرجاء أوربا.

وفي عام 1944 قام أرنولد بتنظيم الوحدة 20 للقوات الجوية في المحيط الهادي، والمؤلفة من طائرات بي-29. وقد كان لتلك القاذفات الجديدة القدرة على الوصول إلى الجزر اليابانية انطلاقاً من قواعدها في المحيط الهادي، وأخيراً ألقت القنبلتين الذريتين اللتين أنهيتا الحرب. ولم يكن القصف البعيد المدى هدف أرنولد الوحيد في تنظيم

الوحدة 20؛ إذ كان يرى أيضاً أن تلك الوحدة تمثل قوة قذف استراتيجية عالمية يمكن لها أن تبقى قائمة بعد انتهاء النزاع وتتحول إلى قوة جوية لها استقلالها التام. وقد كوفئت جهود أرنولد بترقيته إلى رتبة جنرال ذي النجوم الخمسة قبيل انتهاء الحرب.

وخلال الشهور الأخيرة من الحرب العالمية الثانية عانى أرنولد من أزمات قلبية عديدة، فتنحى رسمياً عن الخدمة في حزيران/ يونيو 1946. وبعد ذلك بعام حصل سلاح الجو الأمريكي على الاستقلالية التي كان أرنولد يسعى إليها، فأصبح بذلك نداً للجيش والبحرية. وفي أيار/ مايو 1949 وصل أرنولد - وهو لايزال على قائمة الخدمة؛ إذ إن القادة من ذوي النجوم الخمسة لا تقاعد لهم إطلاقاً - إلى رتبة قائد عام سلاح الجو، فكان أول امتياز يتم على هذا النحو في القوات المسلحة الأمريكية، وآخره. وفي 15 كانون الثاني/ يناير 1950، توفي قائد القوات الجوية "هاب" أرنولد البالغ من العمر أربعة وستين عاماً، في منزله في سينوما (Sonoma) بولاية كاليفورنيا.

لقد تعهد أرنولد سلاح الجو الأمريكي وليداً إلى أن استقام عوده. ومثله مثل مارشال، جاء تأثير أرنولد من موقعه في البنتاجون لا من دوره في خطوط القتال الأمامية. ومع ذلك كان صاحب الأثر الرئيسي في تطوير سلاح الجو الأمريكي.

66



مصطفى كمال (أتاتورك)

Mustafa Kemal (Atatürk)

قائد تركي

(1938 - 1881)

شرفوه فأطلقوا عليه لقب أتاتورك (أبو الأتراك)، ذلك أن مصطفى كمال قد نجح في محاربة أعدائه داخلياً وخارجياً من أجل تحرير تركيا من الإمبراطورية العثمانية والحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الأولى. وعلى مدى خدمته العسكرية والمدنية نجح أتاتورك الذي أظهر شجاعة ذاتية وعزماً لا يلين ودهاء، في تأسيس تركيا كقوة إقليمية، وشكل حكومة ونظاماً دفاعياً لصون استقلالها. فلولا أتاتورك لكان من المشكوك فيه أن تحصل تركيا على استقلالها، أو أن تستمر في وجودها حتى اليوم على النحو الذي هي عليه الآن.

ولد مصطفى رضا لأب كان يعمل موظفاً بالجمارك في سالونيك (Salonika) باليونان في 12 آذار/ مارس 1881. أدرك " أتاتورك المستقبل" أن شغل وظيفة في الجيش هو أفضل طريق في ظل الإمبراطورية العثمانية للترقي بالنسبة إلى شاب في مثل

وضعه الاجتماعي. فبدأ تعليمه العسكري وهو في الثانية عشرة من عمره، وفي عام 1904 التحق بكلية الأركان الحربية في إسطنبول. وعلاوة على مهاراته العسكرية أثبت براعته في الرياضيات حتى أطلق عليه "كمال". أعجب اللقب الضابط الصغير فاتخذه بعض اسمه، مفضلاً أن يطلق عليه مصطفى كمال، ثم كمال أتاتورك لاحقاً.

إضافة إلى تلقي أتاتورك العلم في إسطنبول، تحمس للانضمام إلى حركة تركيا الفتاة التي طالبت بانفصال تركيا عن حكم الإمبراطورية العثمانية المطلق. وبسبب نشاطاته هذه عين في وظيفة أبعدته إلى سوريا بعد تخرجه في كلية الأركان برتبة نقيب عام 1905، وهناك كانت مهمته غطية إلى حد كبير؛ فقد اشترك عامي 1911 ـ 1912 في القتال ضد الغزو الإيطالي لليبيا وهو برتبة رائد، وساهم في الدفاع عن الداردنيل أثناء حروب البلقان عامي 1912 ـ 1913.

وفي أثناء تلك الفترة أظهر أتاتورك شجاعة وكفاءة، إلا أن تميزه لم يظهر واضحاً إلا بعد وقوف الإمبراطورية العثمانية إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى. ورغم معارضته لنفوذ الألمان على الجيش العثماني إلى حد اتخاذه وزير الحربية أنور باشا عدواً لدوداً، فإن أتاتورك كان قائداً ألمعياً في تنفيذه أهداف الحرب كما وضعتها ألمانيا.

وفي عام 1915 تولى أتاتورك قيادة الفرقة التاسعة عشرة في رودستو (Rodosto) بشبه جزيرة غاليبولي (Gallipoli)، وكان برتبة عقيد. ورغم اقتصار مسؤوليته على احتياطي المنطقة ووضعه كمرؤوس لقائد ألماني، فإنه أقدم على المبادأة التي جعلت منه عسكرياً عظيماً، وذلك عندما حاولت قوة بريطانية مؤلفة أساساً من قوات أسترالية ونيوزلندية، القيام بعملية إبرار في 25 نيسان/ إبريل 1915. وقد تولى أتاتورك بنفسه عملية استطلاع رأس الشاطئ والمرتفعات المطلة على مواقع الإنزال. وبدلاً من انتظار الأوامر أو التعزيزات الألمانية، أمر تشكيلاته بالهجوم تدريجياً على كل من قوتي الإنزال. ثم ركز دفاعاته على تلال تشنوك بير (Chunuk Bair) وساري بير (Sari Bair)، وقاد شخصياً هجوماً مضاداً للحيلولة بين قوات الحلفاء والتحرك فيما وراء الخط الضيق المطوق للشاطئ.

وبعد أشهر من القتال المرير انتهى دفاع أتاتورك عن غاليبولي باستسلام قوات التحالف وانسحابها. وفيما تبقى من تلك الحرب وحتى الأيام الأولى من الحرب العالمية الثانية، أدى نجاح أتاتورك في ردع قوات الغزو إلى شك قادة الحلفاء وسواهم في جدوى الجانب العملي لعمليات الإبرار. ذلك أن كمال أتاتورك لم يهزم فقط أعداءه بل هزم أيضاً على نحو مؤقت مفهوماً هجومياً مهماً.

وترتب على دفاع أتاتورك عن غاليبولي ترقيته إلى رتبة جنرال وتوليه قيادة الفيلق السادس عشر، حيث واصل نجاحاته ضد الحلفاء في الدفاع عن الأناضول عام 1916. ومع هذا، فقد مثلت إنجازات أتاتورك – علاوة على عدم رضاه عن كونه مرؤوساً للألمان – تهديداً وإغضاباً للوزير أنور باشا الذي نحى أتاتورك عن القيادة عام 1917 وأوقفه في إجازة مرضية. وبعد عام واجه التحالف الألماني-العثماني الهزيمة من جانب الحلفاء، فاستجاب أتاتورك لاستدعاء أنور باشا له ليتولى قيادة الجيش السابع في فلسطين. ولأنه واجه قوات تفوقه عدداً وذات قدرة تسليحية أعلى بقيادة إدموند آلنبي (Edmund H. Allenby)، فكان أفضل ما هو متاح لأتاتورك أن أمر بانسحاب منظم إلى مواقع دفاعية متتالية.

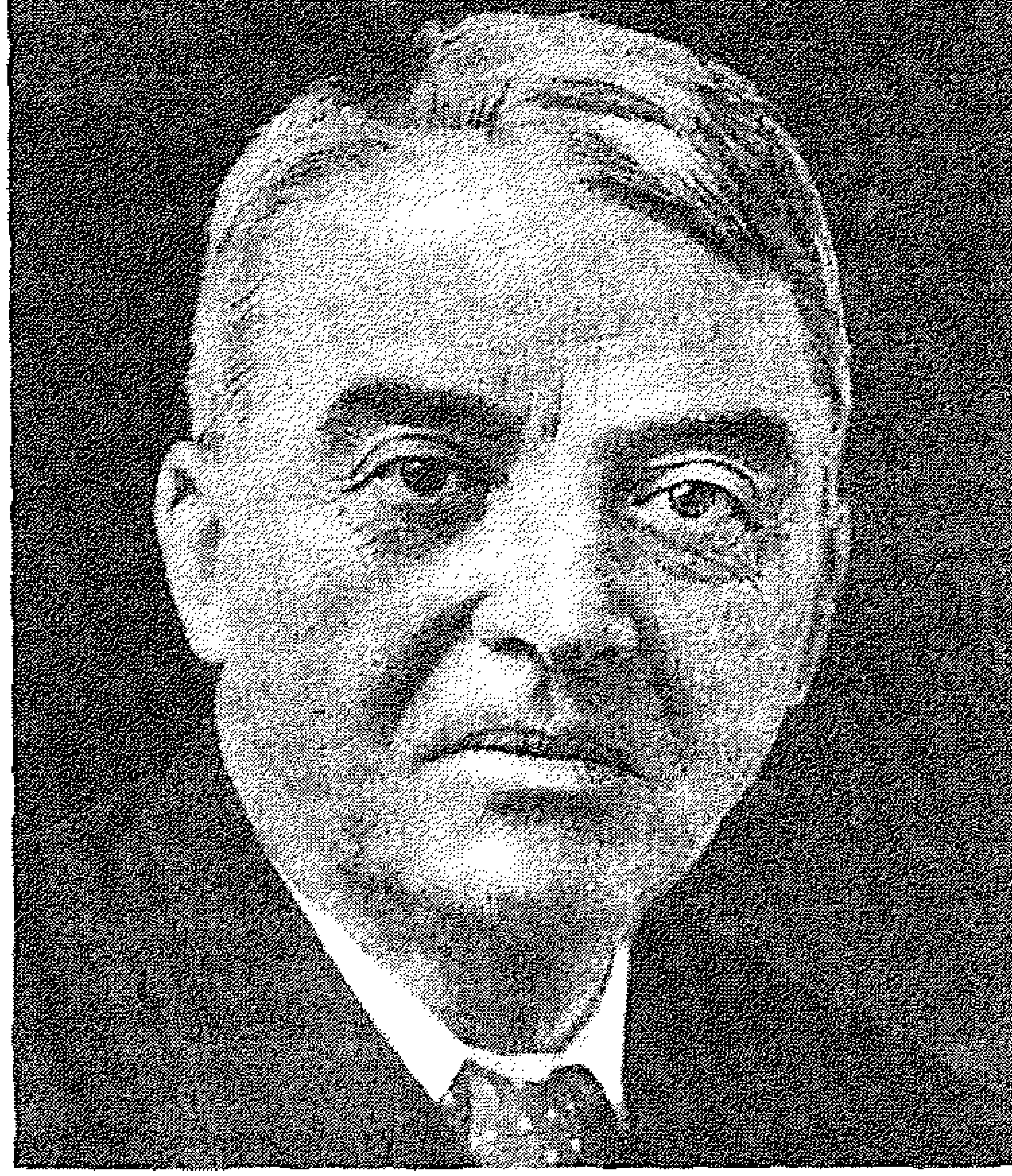
وبانتصار قوات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى انهارت الإمبراطورية العثمانية، فكانت فرصة سنحت لأتاتورك ليتوهج حلمه في الاستقلال التركي من جديد. ولتفهم أتاتورك للمشكلات الكامنة في أمة ذات تعددية عرقية وقومية ودينية كحال الإمبراطورية العثمانية، أدرك أن الشعب التركي لن يؤيد أمة تتأسس على عقيدة الإسلام وحدها؛ فكانت النتيجة أن وحد أتاتورك الأتراك في أمتهم المستندة إلى تراثهم المشترك.

وبينما كان الحلفاء يتشاورون في كيفية تقسيم الإمبراطورية فيما بينهم، كان لدى السلطان العثماني في إسطنبول القوة الكافية لتكوين جيش محدود. وعندما تحركت قوات الحلفاء إلى داخل إسطنبول واحتل الجنود اليونانيون أزمير في شباط/ فبراير 1919، عين السلطان أتاتورك المفتش العام على قواته المسلحة القليلة العدد لتهدئة الاحتجاجات على الاحتلال. وبدلاً من ذلك قام أتاتورك بتشجيع مواطنيه الأتراك على التمرد ضد خصوم الاستقلال التركي في الداخل والخارج.

وفي 19 أيار/ مايو 1919 تجاهل أتاتورك محاولة السلطان إبعاده، وأصدر أوامر لجموع الأتراك، العسكريين منهم والمدنيين، بالقتال من أجل الاستقلال. وفي نيسان/ إبريل 1920 أقام أتاتورك حكومة انتقالية في أنقرة، وتولى قيادة العمليات العسكرية على مدار العامين التاليين، فكان أن تم طرد اليونانيين المحتلين. وبانتهاء التهديد الخارجي، تحول أتاتورك صوب إسطنبول، وأجبر السلطان على التخلي عن العرش في الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر 1922. وقد أعلن أتاتورك قيام الجمهورية التركية في 29 تشرين الأول/ أكتوبر 1923، ونصب نفسه رئيساً. وقام على الفور بإجراء إصلاحات هدفت إلى الحد من نفوذ الدين الإسلامي على الدولة الجديدة وعمد إلى تغريب القوانين والملبس والوظائف الإدارية. ورغم حكمه المطلق، فقد كان يشجع التعاون بين الفروع المدنية والعسكرية، وأقام حكمه على مفهوم أن كل المواطنين سواسية تحت ظل القانون. وفي عام 1934 منحت الجمعية الوطنية التركية مصطفى كمال لقب " أتاتورك ". وفي 10 تشرين الثاني/ نوفمبر 1938 قهر الموت أبا الأتراك، وهو في السابعة والخمسين من عمره، لتنتهي أخيراً السنوات التي كرسها للخدمة المضنية.

لقد صان أتاتورك شرف شعبه وأسس ديمقراطية قومية حديثة لاتزال قوة إقليمية حتى اليوم، فعلى مدار عمله الطويل أثبت أنه قائد ذكي وداهية حظي بولاء جنوده وبحب واحترام مواطنيه الأتراك. ولقد كان لعزمه الذي لا يلين وحيويته في ميدان القتال، علاوة على قدرته على تعزيز روح القومية بين شعبه، أثره في قيام دولة قوية ظلت قوة إقليمية لما يزيد على أكثر من نصف قرن بعد رحيله.

67



جون آربثنوت فيشر
John Arbuthnot Fisher
قائد بريطاني
(1920 - 1841)

هو أكثر القادة العسكريين تأثيراً وغلبة في البحرية البريطانية في العقود السابقة على الحرب العالمية الأولى. إنه جون آربثنوت (جاكي) فيشر الذي أدخل إصلاحات في مجالات التسليح والتدريب والإدارة جعلت البحرية الملكية البريطانية تتبوأ مكانتها عالمياً من جديد. إذ كان لرؤية فيشر وتشكيله أسطولاً مسلحاً بأسلحة ضخمة، مؤلفاً من بوارج محملة بمدافع ذات عيار موحد، أثرهما في الأمم ذات القوى البحرية في أرجاء العالم.

ولد فيشر في سيلان في 25 كانون الثاني/ يناير 1841 لأب إنجليزي كان يعمل مزارعاً. سافر إلى إنجلترا وهو في السادسة ليتلقى العلم. وعندما بلغ الثالثة عشرة التحق بالبحرية الملكية البريطانية وخدم في بحر البلطيق إبان حرب القرم، ثم في الصين عام 1857. تخصص فيشر في المدفعية والمعدات الحربية، وحصل على رتبة ملازم أول

بحري وعمره عشرون عاماً. ثم رقي إلى رتبة عقيد بحري عام 1874، فتولى قيادة السفينة إنفلكسبل (Inflexible) أثناء قصف مدينة الإسكندرية في 11 تموز/ يوليو 1882.

وخلال الفترة 1883 ـ 1891 تقلب فيشر في المناصب القيادية ما بين قيادة السفينة إكسلينت (Excellent)، ومدرسة المدفعية البحرية الملكية، ومكتب المعدات البحرية، فقاد حركة تبني المدافع الكبيرة السريعة الطلقات الخلفية التحميل، والتلسكوبات البحرية الآلية البعيدة المدى. وبعد ترقيته إلى رتبة لواء بحري عام 1890، عمل فيشر مراقباً لنفقات مجلس رئاسة القوات البحرية لمدة خمس سنوات. وفي أثناء تلك الفترة عمل على الإسراع بتدبير مراجل أنابيب المياه.

وفي عام 1900 تولى فيشر قيادة مركز أمريكا الشمالية وجزر الهند الغربية نائباً للأميرال، ثم نقل بعد عام لتولي قيادة أسطول البحر المتوسط. وفي 21 تشرين الأول/ أكتوبر 1904، تولى فيشر أعلى منصب في البحرية الملكية وهو القائد الأول للبحرية. وبوصفه قائد القوات البحرية، فقد واجه مشكلتين رئيستين متعارضتين، وهما كيفية خفض النفقات بصورة كبيرة في الوقت الذي كان ينبغي فيه الإعداد لمواجهة الاعتداءات المستقبلية من جانب ألمانيا.

وقد عالج فيشر هاتين المشكلتين بوضعه خطة لإنشاء أسطول يكون أصغر حجماً وأقوى تجهيزاً. فقد أمر في البداية بالتخلص من السفن المتهالكة الأقدم عمراً، وأعاد كثيراً من الوحدات إلى المياه الوطنية. وبتوفيره المال، بدأ برنامجاً لبناء بارجة كبيرة سميكة البدن حملت كثيراً من المدافع الكبيرة من العيار ذاته، وذلك بغية إطلاق مقذوفات أثقل بأسلوب أكثر إحكاماً. ورغم أن العديد من قادة البحرية الآخرين قد اقترحوا فكرة السفينة ذات "المدافع الكبيرة" نفسها، فإن فيشر هو أول من جعل منها حقيقة واقعة. وفي عام 1906 دشنت البحرية الملكية السفينة دريدنووت (Dreadnought) المسلحة بمدافع عيار 12 بوصة، والتي يعتمد نظام تسييرها على محركات توربينية عالية السرعة، وهذه أيضاً من ابتكارات فيشر. وبحلول عام 1909 كان قد أحل سفنه محل معظم السفن الحربية التابعة للبحرية الملكية، فجعل من الأسطول البريطاني أقوى

أساطيل المعمورة. وقد انتبهت دول أخرى لمفهوم المدفعية الكبيرة وبدأت تحذو حذو البريطانيين.

ولم تقتصر مهارات فيشر وابتكاراته على النواحي الميكانيكية والتسليحية بل امتدت إلى العنصر البشري؛ فمن منطلق تعاطفه الكبير مع البحار العادي، أدخل برامج تدريب لرفع كفاءته في الوقت الذي حظر فيه عقوبة الجلد.

وقد ترتب على إعادة فيشر تنظيم وتسليح البحرية البريطانية أن ناصبه الكثيرون العداء؛ إذ كان فظاً لا يعرف الهوادة في معاملته لمرؤوسيه من الضباط، وكانت فلسفته أنه ما من أسلوب يتبع سوى أسلوبه الخاص. وحدث أن أدت قيادة فيشر المطلقة والمسيطرة بحلول عام 1910 إلى انقسام القيادة البحرية، مما أثار جدلاً عاماً اضطره إلى التقاعد.

إلا أن نفوذ فيشر حتى في تقاعده لم ينقطع؛ فواحد من أصدقائه السياسيين كان ونستون تشرشل الذي أصبح القائد الأول برئاسة القوات البحرية عام 1911، وكان لا يني يستمد المشورة من فيشر، وهو ما كان له دوره المباشر في إحلال النفط محل الفحم كوقود رئيسي للسفن الحربية عام 1912. كذلك واصل فيشر توصياته بإجراء تعديلات على نظم التزويد وتطوير المعدات.

وحين اندلع القتال ضد ألمانيا، استدعى تشرشل فيشر إلى الخدمة بوصفه القائد الأول للبحرية. وقد كان لإعادة فيشر تنظيم الأسطول أثره في تحقيق النصر الكبير لبريطانيا بالقرب من جزر فوكلاند في كانون الأول/ ديسمبر 1914، بعد الهزيمة التي منيت بها في كورونيل (Coronel). كما قام فيشر بتصميم برامج بناء السفن والأنشطة المعاونة لها، وكذلك وضع سياسات الحصار البحري وعمليات التلغيم التي اتبعها البريطانيون في فترة ما تبقى من الحرب.

ثم بدأت علاقة فيشر الطيبة مع تشرشل في التدهور حين دب بينهما الخلاف حول الهجوم الذي كان مخططاً له في الداردنيل، مما اضطر فيشر إلى الاستقالة مرة أخرى في أيار/ مايو 1915. وبعد ذلك بسنوات خمس مات فيشر في 10 تموز/ يوليو 1920 في

لندن، وهو في التاسعة والسبعين من عمره، وقد ماتت معه آماله السياسية في أن يتم استدعاؤه مرة أخرى.

يعد فيشر - باستثناء هوراشيو نيلسون - الشخصية المهيمنة على امتداد تاريخ البحرية البريطانية. فإذا ما أردنا وصفه، فهو الذكي المبتكر المتشبث برأيه والمتفاني في عمله. وقد أسهمت وجهة نظره بتقديم الكيف على الكم، وقدرته على وضع أفكاره الثورية موضع الواقع العملي، في تقوية الأسطول البريطاني على نحو كبير، والذي أصبح مثلاً تحتذيه بحريات العالم لعقود تلت.

68



هيهاتشيرو توجو
Heihachiro Togo
قائد ياباني
(1934 - 1848)

الأميرال هيهاتشيرو توجو هو الذي قاد بلاده إلى النصر في الحرب الروسية ـ اليابانية عـامي 1904 ـ 1905 ؛ فـهزيمته للأسطول الروسي في تسـوشيـما (Tsushima) تنافس حرب الطرف الأغر باعتبارها أكثر معارك التاريخ البحري تأثيراً. ولم تحقق قيادة توجو كسب الحرب فقط، بل إنه رفع اليابان أيضاً إلى مصاف القوى العالمية.

ولد توجـو في عائلة عسكرية في 27 كانون الثاني/ يناير 1848 في كايّايا (Kajiya) بساتسوما (Satsuma). وفي سن الثامنة عشرة انضم إلى أسطول ساتسوما. وفي عام 1871 التحق بالبحرية الملكية اليابانية الحديثة التكوين كطالب، وفي أواخر ذلك العام بدأ تدريبه مع البحرية البريطانية. وقد خدم توجو خلال السنوات السبع التالية في البحر على متن السفينة وستر (Worcester)، فأبحر بوصفه بحاراً عادياً في السفينة هامبشير

(Hampshire)، في جولة حول العالم، ودرس الرياضيات في كامبردج، وراقب بناء السفن في شيرنيس (Sheerness) عند مصب نهر التايمز.

وبعد عودته إلى اليابان عام 1878، أمضى توجو أغلب السنوات الست عشرة التالية في البحر، وهو يترقى في الرتب مكتسباً سمعة الضابط الملتزم بالنظام بلا هوادة والذي أعد أطقماً عالية التدريب قوية الحافز. وفي عام 1894 حين تجمعت نذر الحرب بين اليابان والصين، تولى توجو قيادة السفينة نانيوا (Naniwa). وعندما اكتشف الناقلة البريطانية كاوتشنج (Kowching)، وهي تقل جنوداً صينيين متوجهة صوب كوريا التي كانت تحتلها اليابان، لم يتردد في الاشتباك مع السفينة، وبعد إغراقه إياها قام بإنقاذ الطاقم البريطاني، لكنه رفض التقاط الأحياء من الصينيين ودمر قوارب نجاتهم.

حالف توجو النجاح تلو النجاح فيما تبقى من زمن الحرب، بما في ذلك الاستيلاء على فورموزا، في الوقت الذي رقي فيه إلى رتبة لواء بحري. وبحلول تشرين الأول/ أكتوبر 1903 تولى توجو قيادة الأسطول الياباني بأكمله حين كان يواجه تهديداً من جانب الجارة روسيا. كان الأسطول الروسي المنقسم ما بين المحيط الهادي والبلطيق يفوق قوات توجو عدداً بنسبة سفينتين مقابل سفينة وزورقين مقابل زورق. وحيث أدرك توجو أن أسطول البلطيق في حاجة إلى عدة أشهر كي يبحر إلى مياه المحيط الهادي، قرر الشروع فوراً في الاشتباك مع أسطول الشرق الأقصى قبل أن يتمكن العدو من جمع قوتيه معاً.

ولم ينتظر توجو إعلاناً رسمياً بالحرب، فشن هجوماً مباغتاً ضد الأسطول الروسي في الشرق الأقصى في قاعدة بورت آرثر (Port Arthur) في 7 شباط/ فبراير 1904. ولأن الهجوم لم يكن حاسماً، فقد واصل توجو عملياته على مدى أشهر عديدة تالية، إلى أن أغرق معظم الأسطول الروسي في الشرق الأقصى في المعارك التي دارت في البحر الأصفر في 23 حزيران/ يونيو و10 آب/ أغسطس، ودفع ببقية الأسطول إلى داخل بورت آرثر. ثم قام بحصار الميناء في الوقت الذي كانت القوات اليابانية البرية تستولي فيه على المدينة.

وبعد أن أجهز توجو على أسطول الشرق الأقصى، تحول صوب أسطول البلطيق، والذي كان متوجهاً نحو اليابان، إذ كانت السفن الروسية قد تلقت الأوامر من القيصر نيكولاس الثاني بالثأر للهزيمة المذلة التي وقعت في البحر الأصفر. كان أسطول البلطيق وقوات توجو متكافئين حجماً، إلا أن الروس كانوا في البحر لسبعة أشهر، فكانت أطقم توجو أنشط وأفضل تدريباً، وسرعان ما ثبت أن قيادتها هي الأفضل.

التقى توجو الروس في منطقة مضايق تسوشيما، ما بين كوريا واليابان، في 28 أيار/ مايو 1905. فأمر - مستغلاً سرعته - باللجوء إلى العديد من المناورات التي أكسبته مزايا الموقع ومدى الإطلاق المدفعي. ورغم إصابته بجرح غائر في فخذه في بدايات المعركة من تناثر شظية، فقد رفض النزول عن منصة سفينة القيادة ميكاسا (Mikasa)، وواصل إدارة القتال، وظلت أطقمه المدربة تقذف السفن الروسية بوابل لا ينقطع من النيران.

وفي تتابع متلاحق غاصت اثنتا عشرة سفينة من سفن أسطول البلطيق، وبلغ عدد القتلى الروس 4830 فرداً، وتم أسر قائدهم الأميرال زينوفي روجديستفينشي (Zinovy Rozhdestvenshy)، في حين بلغت خسائر توجو إعطاب سفينة ومصرع 110 من البحارة. هذه النتيجة التي تميل بشدة إلى صالح جانب واحد في القتال بين بحريتين كبيرتين متكافئتي القوة لم يشهدها أحد من قبل.

لقد أنهت معركة تسوشيما الحرب الروسية ـ اليابانية، وأظهرت اليابان ليس فحسب على أنها المنتصر بل أيضاً كقوة مهيمنة في المحيط الهادي والعالم أجمع. وكرمت اليابان توجو بطلاً قومياً، واحتفظت بسفينة القيادة ميكاسا تذكاراً، ورقته البحرية إلى منصب رئيس الأركان العامة، وخلع القصر الياباني عليه لقب الكونت.

وفي عام 1913 عين القصر الإمبراطوري توجو قائداً للقوات البحرية، وعهد إليه بصفة شخصية بالإشراف على تعليم ولي العهد هيروهيتو (Hirohito). وأخيراً استقال توجو من الخدمة في عام 1921، إلا أنه ظل عضواً في مجلس أصحاب رتبة مشير في

كل من القوات البرية والبحرية. وفي عام 1930 أوصى بزيادة حجم وقدرات البحرية اليابانية، وقد كانت هذه التوصيات موضوعة موضع التنفيذ حين وافته المنية وهو في السادسة والثمانين من عمره في 30 أيار/ مايو 1934 من سرطان في الحلق.

وقد أقيمت لتوجو جنازة رسمية، ولكن نفوذه لم ينته بوفاته؛ إذ إن رأيه بضرورة تكوين بحرية كبيرة، وكذلك هجومه المباغت الذي شنه في صراع غير معلن - على ما يبدو - كانا المبدأين الاستراتيجيين اللذين أخذت بهما اليابان في الحرب العالمية الثانية. لقد أخرج توجو اليابان من حالة العزلة والنفوذ الضئيل إلى مرتبة القوى الكبرى. ويظل توجو باعتباره منتصراً في واحدة من أهم المعارك البحرية في التاريخ بطلاً يابانياً وواحداً من أعظم قادة القوات البحرية في العالم، لا يعلو عليه إلا هوراشيو نيلسون، وتشستر وليم نيمتس، وألفريد ثاير ماهان، وجون آربثنوت فيشر.

69



موشي ديان
Moshe Dayan
قائد إسرائيلي
(1981 - 1915)

موشي ديان هو أكثر العسكريين الإسرائيليين شهرة وتأثيراً. كان بشخصيته القوية، وبما له من هالة الزعامة، وعصابته السوداء فوق عينه، والتي جعلت التعرف عليه يسيراً، يمثل الجيش الذي تدين له إسرائيل بوجودها. وقد بدأ ديان خدمته كرجل عصابات ثم قائداً ميدانياً في حرب عام 1948، ليصبح في حرب عام 1956 رئيساً للأركان العامة، ثم وزيراً للدفاع في حرب الأيام الستة عام 1967.

لقد كانت حياة ديان وتأسيس دولة إسرائيل متداخلين منذ ولادته في 20 أيار/ مايو 1915. وكان أول طفل يولد في مزرعة ديجانيا التعاونية بفلسطين، بالقرب من بحيرة طبرية، وهي منطقة كانت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية آنذاك. وقد واجه ديان في طفولته مشاق حياة الفلاحة. وفي سن الرابعة عشرة انضم ديان إلى المليشيات اليهودية "الهجاناه". وفي الهجاناه تلقى ديان تدريبات على حرب العصابات ومارس

أولى مراحل القتال. وباستثناء زيارة قصيرة استغرقت ستة أشهر للندن عام 1935، بقي ديان وسط القتال المتكرر.

وفي عام 1936 خدم ديان، الذي كان آنذاك رقيباً، في العديد من الفصائل عندما كان البريطانيون المسؤولون عن حماية فلسطين يسمحون لأفراد الهجاناه بالعمل كمرشدين وفي الحراسة والاستطلاع. ورغم أن ديان لم ينبهر بنظام وإجراءات عمليات تلك الوحدات، فإنه أكمل تعليمه العسكري.

وقد طبق ديان ما تعلمه من دروس على يد البريطانيين عند توليه قيادة إحدى مجموعات الحرس المتنقل لشرطة المستوطنات اليهودية عام 1937. وكانت الأساليب العسكرية التي قام بتطبيقها وهو برتبة رقيب هي نفسها التي كان لها مردودها بينما كان يترقى في المناصب. كان ديان يمقت النمطية وكل ما لا يتصل مباشرة بالاستعداد القتالي، وكان يركز على التميز في استخدام السلاح واستغلال طبيعة المواقع والهجوم الشامل. وفي أثناء تلك الفترة كان ديان يطور أيضاً معلوماته العسكرية في الوقت الذي كان يعمل فيه تحت إمرة القائد البريطاني غير التقليدي تشارلز وينجيت (Charles O. Wingate).

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939 توقف الدعم البريطاني للهجاناه، وأخيراً حظر نشاط المنظمة. واعتقل البريطانيون وسجنوا العديد من قادتها بمن فيهم ديان الذي حكم عليه بالسجن مدة خمس سنوات. ومع ذلك فقد أطلق الإنجليز سراحه عام 1941 حتى يعاونهم على محاربة خصومهم الألمان والفيشيين*.

وقد أثبت ديان تميزه في عدة معارك قبل أن يصاب بجرح بالغ في حزيران/ يونيو 1941، عندما أصابت رصاصة المنظار الذي كان يراقب به العدو، فدفعت بالزجاج والمعدن إلى داخل جمجمته وترتب على ذلك تلف عينه اليسرى ومحجرها.

---

* نسبة إلى حكومة فيشي الفرنسية (1940 ـ 1944) المتعاونة مع الاحتلال الألماني، والتي ترأسها المشير هنري فيليب بيتان (Henry Philippe Pétain). وقد اكتسبت اسمها من منتجع فيشي الواقع في جنوب فرنسا، الذي اتخذته عاصمة لها. (المحرر)

وقرب نهاية الحرب نمت الهاجاناه فبلغت قوتها ثلاثين ألف فرد، وجددت نشاطاتها في محاولة للحصول على دولة خاصة باليهود. وعندما انسحب البريطانيون من المنطقة، زادت حدة المواجهات بين الهجاناه والدول العربية المجاورة التي أقسمت على إحراز النصر على اليهود.

وبعد اندلاع حرب عام 1948، تولى ديان وكان وقتئذ برتبة رائد، قيادة قطاع وادي الأردن في 18 أيار/ مايو، ونجح في إبقاء سيطرته على ديجانيا أمام القوة السورية التي كانت تفوقه عدداً. وبعد تعيينه قائداً للكتيبة التاسعة والثمانين بعد ما حقق من انتصار، لم يتبع ديان قواعد سوى ما كان يعن له من تجنيد الأفراد والمركبات من الوحدات الأخرى. وفي غضون أسابيع حاز سمعة القائد، حين شن غارات على المواقع العربية الأكثر تقدماً.

وفي آب/ أغسطس بدأت مهارات ديان الذي كان قد رقي إلى رتبة مقدم، تظهر كسياسي علاوة على كونه جندياً، وذلك عندما اشترك في المفاوضات التي أدت إلى وقف الحرب. وبانتهاء النزاع عام 1949 كان ديان برتبة لواء ومسؤولاً عن قيادة القطاع الجنوبي في بئر السبع. وقد سعى ديان أثناء فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى تنظيم قوات دفاع إسرائيلية محترفة. وفي عام 1953 تولى ديان منصب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي وبدأت العسكرية الإسرائيلية تتسم بسماته.

كان ديان يكافئ على الأداء الجيد، وقد أبدل بكثير من القادة الكبار قادة يصغرونهم سناً ويفوقونهم جرأة. وبينما حد من عدد الوحدات المعاونة، فقد زاد من قوة المشاة وسلاح المدرعات. وقد بنى ديان وحدة محمولة جواً منتقاة، وطالب في الوقت نفسه بأن تعم الانتقائية جميع الوحدات الأخرى. وقد طلب من القادة المرؤوسين مواصلة القيام بالمهام الموكولة إليهم إلى أن تبلغ نسبة خسائرهم ما لا يقل عن 50٪. وقد وعد ديان رجاله الذين كان يتمتع بشعبية كبيرة بينهم، بأن الإسرائيليين لن يتركوا وراءهم أي جرحى يتعرضون لأذى العدو.

وبعد تدهور العلاقات عبر أنحاء الشرق الأوسط في عام 1956، وجد ديان الفرصة سانحة لوضع جيشه موضع الاختبار. ودون انتظار لإعلان الحرب رسمياً، أمر ديان

قوات المظلات التابعة له بتأمين الممرات الجبلية الفائقة الأهمية ودفع بسلاحي المشاة الميكانيكية والمدرعات لشن هجمات خاطفة صوب مصر. وبتفادي ديان النقاط الحصينة ورفضه الاشتباك في معركة حاسمة مع المصريين، تمكن من إحراز النصر لجيشه. وقد أصبح الجنرال ذو عصابة العين السوداء رمزاً إلى الكفاءة العسكرية اليهودية داخل إسرائيل وخارجها.

ترك ديان الجيش عام 1958 ليدخل مجال السياسة، غير أنه في عام 1967 وقبيل اندلاع حرب الأيام الستة، استدعته الحكومة الإسرائيلية إلى الخدمة وزيراً للدفاع. ورغم أن مرؤوسيه كانوا قد وضعوا أغلب خطط المعركة، فقد كان ديان هو المنفذ للهجوم الذي شمل ضربة جوية وقائية دمرت سلاح الجو المصري على الأرض في الخامس من حزيران/ يونيو. ولم تهزم قيادة ديان القوات البرية المصرية في أقل من أسبوع فقط، بل وانتزعت مرتفعات الجولان ذات الحيوية الاستراتيجية من أيدي السوريين أيضاً.

وقد سمت شهرة ديان بعد حرب الأيام الستة لتذوي فقط مع الهزائم الأولى نتيجة الهجمات المصرية المفاجئة في تشرين الأول/ أكتوبر 1973، والتي أسفرت عن خسائر إسرائيلية غير مسبوقة. ورغم أنه حشد قواته في النهاية للنصر، فقد تعرض لانتقادات لعدم استعداد جيشه، فاستقال من منصب وزير الدفاع في أعقاب الحرب. وعاد للعمل في مجال السياسة، فعمل في عدة مناصب سواء عن طريق التعيين أو الانتخاب حتى وفاته في 16 تشرين الأول/ أكتوبر 1981 في تل أبيب وعمره ستة وستون عاماً.

إن إنجازات ديان شاملة وإن كانت بسيطة؛ فقد مكنت إسرائيل، رغم الكثير من العقبات، من البقاء. وتميز ديان لا يرجع فقط إلى أعماله، وإنما أيضاً إلى قدراته الكامنة على تدريب الرجال وقيادتهم، إذ لم يأت تعليمه العسكري من الأكاديميات، بل جاء من "الكيبوتز" [نظام المزارع الجماعية الإسرائيلية] وأرض المعركة. وقد جعل ديان، بمهاراته الاحترافية في تدريب جيشه - علاوة على جرأته ومرونته في ميدان القتال - من القوات العسكرية الإسرائيلية واحدة من أكفأ وأكثر القوات المقاتلة فاعلية.

70



جورجي قونسطنطينوفيتش جيكوف

Georgi Konstantinovich Zhukov

قائد سوفيتي

(1974 - 1896)

يعد من أكثر قادة الاتحاد السوفيتي تميزاً في الحرب العالمية الثانية، وهو الذي دافع بنجاح عن موسكو ضد الهجوم الألماني، فأحاط بالجيش النازي وهزمه شر هزيمة في ستالينجراد، وأحرز نصراً حيوياً في معركة كيرسوك (Kursk)، وقاد بنفسه قواته إلى داخل برلين لإنهاء الحرب. ولأنه ماهر في السياسة مهارته في العسكرية، فقد تمكن من تفادي حملات التطهير التي كان يقوم بها ستالين، ومن تلاه من القادة السوفييت الآخرين، وحافظ على نفوذه في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

ولد جيكوف في 2 كانون الأول/ ديسمبر 1896 في قرية ستريلكوفكا (Strelkovka)، على بعد نحو ستين ميلاً شرقي موسكو، لأبوين مزارعين. عمل صبياً في حرفة الفراء وعمره خمسة عشر عاماً. وفي عام 1915 كان من بين من وقعت عليهم القرعة للخدمة العسكرية في سلاح الفرسان الإمبراطوري، ورقي إلى رتبة رقيب، وحصل على عدة

أوسمة لبسالته في محاربة الألمان في المراحل الأولى من الحرب العالمية الأولى. ثم خدم جيكوف إبان الثورة البلشفية عام 1917 في الجيش الأحمر كضابط في سلاح الفرسان، وفي آذار/ مارس 1919 انضم إلى الحزب الشيوعي.

كان جيكوف يتقدم تقدماً حثيثاً في جيش الاتحاد السوفيتي الجديد في العشرينيات والثلاثينات من القرن العشرين. وقد قاد بنجاح عام 1939 - بوصفه قائد فيلق - القوات السوفيتية والمنغولية التي كانت تدافع ضد القوات اليابانية الغازية في خالكين جول (Khalkin Gol). وقد أوقع جيكوف في معارك على الحدود بين منغوليا ومنشوريا، ما يربو على ستين ألف قتيل في صفوف اليابانيين. فكان أن كوفئ بترقيته إلى منصب قائد الجيش وقائد منطقة كييف العسكرية.

التقى جيكوف للمرة الأولى ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتي جوزيف ستالين في كانون الثاني/ يناير 1941، بعد إحرازه نصراً عسكرياً لافتاً في مناورة تدريب عسكرية لم يكن من المنتظر أن يكسبها. وقد ظلت العلاقة علاقة توتر؛ إذ كان ستالين غيوراً من نجاحات جيكوف العسكرية وخشي من شعبيته بين الجماهير والعسكر. ومع ذلك فإن ستالين - الذي لم يكن يتردد في الإجهاز على مناوئيه السياسيين المحتملين أو من كان يبغضهم - أبقى عليه في القيادة.

وقد أصبح جيكوف أخيراً واحداً من القلة التي كانت ترفع صوتها في وجه ستالين، وعاش ليُكتب له عمر جديد؛ فعندما صاح ستالين بأن خطة وضعها جيكوف ما هي إلا "هراء"، رد غاضباً «إن كنت تعتقد أن رئيس أركانك لا يمكنه الحديث إلا هراءً، إذن فجردني إلى رتبة جندي ودعني أدافع عن بلدي ببندقية وحربة في يدي».

لم يجرد ستالين رئيس أركانه من رتبته، مدركاً الحاجة إليه لهزيمة الألمان الذين هاجموا الاتحاد السوفيتي في 22 حزيران/ يونيو 1941. في البداية تولى جيكوف الدفاع عن كييف، ولكن عندما هدد الألمان موسكو، انتقل إلى الدفاع عنها، فأوقع وهو خارج المدينة، وبفضل برد الشتاء الروسي المهلك، أول هزيمة لرايخ هتلر ذي الألف عام، وجذب إليه انتباه العالم.

وفي موسكو ظهرت سمات جيكوف التي كان لها دورها في كسبه المعارك اللاحقة. فقد أثبت أستاذية في الاستفادة من طبيعة التضاريس ومن الاستخبارات في توقع أي تحركات للعدو، وطالب قادته المرؤوسين بالطاعة الفورية ولم يتردد في نقل أو إعدام من يتنكر لذلك. وكان يشرف عن قرب على الخطط ووضع أدق التفاصيل لها، فما إن كانت المعركة تبدأ، حتى كان يسمح لقادة الجبهة الأمامية بمرونة التصرف باستقلالية في حدود القطاعات الموكولة إليهم. وقد تقبل جيكوف الصريح القاسي المحب للانتقام الخسائر الجمة في صفوف قواته ومواليه، إذا اقتضت الضرورة ذلك لتحقيق أهدافه العسكرية.

أراد جيكوف المضي قدماً في الهجوم بعد دفاعه الناجح عن موسكو، إلا أن ستالين حال بينه وبين ذلك، مطالباً بدلاً من ذلك بتقوية الدفاعات الموجودة. ونتيجة لهذا، أعاد الألمان تجميع أنفسهم وهددوا ستالينجراد. ومرة أخرى يتولى جيكوف الدفاع عنها، ويوقف الهجوم عليها خلال الفترة تشرين الثاني/ نوفمبر 1942 - شباط/ فبراير 1943. ثم نظم هجوماً مضاداً مكنه من الإحاطة بالجيش الألماني السادس مسفراً عن أسره، وعن أول استسلام لمشير ألماني في التاريخ.

ورغم تمكن جيكوف من إيقاف الغزاة في ستالينجراد، فقد واجه مزيداً من الهجمات الألمانية. وفي صيف عام 1943، هزم الألمان في معركة دبابات كبيرة في كيرسوك، وأتبع ما حقق من نصر بمطاردة حثيثة لفلول الجيش المنسحب. فلم يخطر للنازيين من حينها أن يشنوا هجوماً على الاتحاد السوفيتي.

وفي أعقاب معركة كيرسوك، تولى جيكوف الجبهة البيلوروسية [روسيا البيضاء] الأولى، وبدأ العمليات ضد الأراضي الألمانية. ولتحقيقه النصر تلو النصر، فقد دفع بجيشه صوب برلين، منافساً الحلفاء الآخرين في الوصول إلى العاصمة الألمانية. وقد قبل جيكوف مع زميله السوفيتي المشير إيفان ستيبانوفيتش كونياف، استسلام الألمان في 9 أيار/ مايو 1945.

ظل جيكوف في برلين بعدما حقق من انتصارات بوصفه القائد السوفيتي في ألمانيا المحتلة قبل العودة إلى وطنه ليستمتع بالشهرة التي تحققت له داخل بلاده وفي الدول الغربية. ومع ذلك فمع تصاعد شهرة جيكوف، استدعاه ستالين الذي بات في وقت السلم غير محتاج إلى من اعتبرهم جنرالات متغطرسين، وأقصاه إلى قطاع عسكري غير ذي أهمية.

وعندما مات ستالين عام 1953، استعاد جيكوف سلطته وأسهم في صعود نيكيتا خروشوف لتولي القيادة عام 1957. ومكافأة له على ذلك، أصبح جيكوف أول عسكري محترف يعين عضواً في مجلس الرئاسة في الحزب الشيوعي. إلا أن خروشوف، مثله مثل سلفه، سرعان ما خشي من شهرة جيكوف واحتمال قيامه بانقلاب عسكري، فاتهمه بعدم الولاء وجرده من سلطاته المدنية والعسكرية، وحدد إقامته في شقة في موسكو.

ومع خروج خروشوف من السلطة عام 1964، خفف عن جيكوف بعض القيود، ولكنه لم يسمح له مرة أخرى بالمشاركة في النشاطات الحزبية أو العسكرية. فأمضى سنواته الأخيرة يكتب مذكراته عن الحرب العالمية الثانية وفترة ما بعد الحرب لدور النشر في الاتحاد السوفيتي. وقد توفي في 18 حزيران/ يونيو 1974.

رغم أنه كان متغطرساً وقاسياً وأحياناً جلفاً، فقد حاز جيكوف لقب أعظم قادة الاتحاد السوفيتي. وكونه على هذه الدرجة، فقد بلغ في المرتبة ما يناهز القمة التي بلغها كل قادة الحرب العالمية الثانية، وذلك بفضل هجومه العنيد الجيد التنسيق الذي دحر الألمان من داخل روسيا إلى برلين. ويكفيه دليلاً وحيداً على قدراته أنه تفادى الكثير من حملات التطهير التي قام بها ستالين ومن خلفه، وأنه مات ميتة هادئة في الثامنة والسبعين. وفي الوقت الذي تجاوزت فيه إنجازاته في الحرب العالمية الثانية إنجازات منافسه كونياف، فإن كونياف قد احتفظ بمنصبه ونفوذه فترات أطول في حقبة ما بعد الحرب، مما أدى إلى أن يحتل جيكوف مكانة متأخرة بعض الشيء في هذه القائمة.

71



فردينـــان فـوش
Ferdinand Foch
قائــد فرنسي
(1929 - 1851)

هو من قـاد الجيش الذي أوقف هجوم الألمان عند نهر مـارن عام 1914 وفيـما بعد خطَّط لهجوم الحلفاء النهائي وتولى قيادته، وهو الهجوم الذي حقق النصر على الجبهة الغربية أثناء الحرب العالمية الأولى. وكان أسلوب الجنرال الفرنسي الجريء، والذي نجم عنه انتصارات على حساب خسائر جمة في صفوف القوات التي كانت تحت إمرته، قد قوبل بالمديح تارة وبالانتقاد تارة أخرى. كما أن الجنرال الفرنسي حاز شهرة واسعة؛ لقدرته على حفز قواته والحفاظ على الروح المعنوية للجبهة الداخلية.

لم يتمرس فوش بالقتال عملياً إلا في مرحلة متقدمة من حياته العملية وبعد أن وصل إلى رتبـة الضـابط العـام. ولد في 2 تشـرين الأول/ أكـتـوبر 1851 في تارب (Tarbes) وكان والده موظفاً. التحق بسلاح المشاة الفرنسي عام 1870 غير أنه لم يشهد

القتال في الحرب الفرنسية ـ البروسية. وفي العام التالي التحق بالأكاديمية العسكرية في نانسي (Nancy) وكلف بالعمل ضابطاً في سلاح المدفعية عام 1873.

وفي الوقت الذي كان رفاق عصره يقيمون شهرتهم ومكانتهم من خلال النزاعات المتعددة عبر أنحاء المستعمرات الفرنسية، ظل فوش في فرنسا طالباً ومعلماً للنظرية العسكرية والتكتيكات. وفي عام 1885 انضم إلى هيئة تدريس الأكاديمية العسكرية الفرنسية "إيكول دي جير" (Ecole de Guerre) فكان عضواً محاضراً في التاريخ العسكري، وفي عام 1908 أصبح مديراً للأكاديمية. وكان فوش الذي أبدى إعجاباً وتأييداً كبيرين بكارل فون كلاوسفيتس، قد ثبت أقدامه أكثر كطالب لفنون الحرب بإصداره عام 1903 كتابه «**مبادئ الحرب**» *Principes de la Guerre*.

ركز كتاب فوش على التكتيكات والاستراتيجية التي ستكون سائدة لاحقاً فيما سوف يتولاه من قيادات ميدانية. وكان يقول بأن مفتاح النصر يكمن في "إرادة انتزاع الغلبة" من جانب الجنود وقادتهم. وعلاوة على حماسة الجنود المقاتلين، ركز فوش على التخطيط المفصل والاستغلال الأقصى لقوة النيران وطبيعة التضاريس. ولم يمثل الدفاع في منظوره سوى خطوة استعداد للهجوم. وكان مبدؤه القائم على "الهجوم حتى آخر نفس" يشدد على ضرورة الهجوم مهما كانت التضحيات دون اعتبار للبدائل أو الخسائر في الأرواح. فوفق ما يرى فإن "الهجوم هو قانون الحروب"، والقائد العظيم هو الذي يمكنه إيصال هذه الفكرة إلى رجاله.

وباندلاع الحرب العالمية الأولى، شهد فوش أول قتال فعلي وهو في الحادية والستين من عمره، وذلك عندما قاد الفيلق العشرين الفرنسي. وفي 8 آب/ أغسطس 1914، هاجم الألمان الفيلق في محاولة للاستيلاء على نانسي، فاضطر فوش في البداية إلى التقهقر، ثم حشد رجاله وشن هجوماً مضاداً. ومارس فلسفته في شن الحرب بقوله: «ميسرتي تذعن، ميمنتي تخترق، قلبي يتفكك؛ وضع ممتاز؛ إنني أهاجم».

وقد حقق الهجوم المضاد لفوش الانتصار وحماية نانسي رغم ما تكبده من خسائر فادحة في الأرواح. وبعد شهرين رقي ليتولى قيادة الجيش التاسع، فأوقف تقدم الألمان

ضد باريس عند نهر مارن. وقد أثمر نجاحه في تعيينه منسقاً لقوات الحلفاء في الشمال المؤلفة من فرق فرنسية وبريطانية وبلجيكية. ورغم أنه لم يكن مخولاً أي سلطة مباشرة على القوات غير الفرنسية، فإنه كان يهيمن على كل قوات الاحتياط المكونة من الوحدات الفرنسية. وقد هيأت له قيادته المحدودة لتلك القوات الاحتياطية نوعاً من السيطرة الشاملة.

ورغم أن قيادة فوش لجيش الحلفاء أثبتت نجاحها، فإن مواصلته تطبيق استراتيجيته، نجم عنها خسائر جمة مما أغضب قادة الحلفاء والقادة الفرنسيين. وإثر الخسائر الضخمة إبان معركة سوم عام 1916 والتي مني فيها الحلفاء بخسائر بلغت ما يزيد على 600 ألف رجل، نقل فوش إلى منصب أقل نفوذاً، وشغل على مدى العامين التاليين منصباً استشارياً ثانوياً.

وفي آذار/ مارس 1918 بدأ الألمان هجوماً آخر دحر قوات الحلفاء من مواقعهم في الخنادق وهدد باريس. وفي 3 نيسان/ إبريل تولى فوش قيادة الحلفاء، بدعم من البريطانيين والأمريكيين الذين وصلوا آنذاك. فقام على الفور بإعادة تنظيم الوحدات في الجبهة، وأعد الخطط لإعادة شن الهجوم.

وقد استفاد فوش في الحرب من المعارك المريرة والخسائر الفادحة التي مني بها مسبقاً، فأعد خططه للهجوم على نحو ملائم. وبدلاً من مهاجمة القوة الألمانية، وجه فوش - الذي كان قد رقي إلى رتبة مشير في آب/ أغسطس - ضرباته إلى خطوط السكك الحديدية التي كانت تُنقل عبرها إمدادات القوات الألمانية في الجبهة. وبعد أن قطع تلك الخطوط التموينية وأجبر الألمان على التقهقر، أمر بشن هجوم مطاردة. وبحلول تشرين الثاني/ نوفمبر، كانت قوات الحلفاء قد أجبرت الألمان على طلب الهدنة.

وفي أعقاب الحرب كرم كل من البولنديين والبريطانيين فوش بمنحه رتبة مشير داخل قواتهم المسلحة. وقد مات في باريس وعمره ثمانية وسبعون عاماً في 20 آذار/ مارس 1929، ودفن مع نابليون الأول، وهنري دو لاتور دو آفرون دو تورين.

ورغم الخسائر التي وقعت في صفوف وحدات فوش، فليس بوسع أحد أن ينكر تأثيره في محصلة الحرب العالمية الأولى؛ فقد حقق النصر بأسلوب حرب بالغ التكلفة. وقد وعى قادة المستقبل دروس الحرب العالمية الأولى ولم يلقوا بقواتهم في خضم حمامات الدم، كما عرفتها حروب الخنادق الثابتة. ولكن فوش كان رجلاً وقائداً يمثل عصره، وحتى مناوئو تكتيكاته أدركوا قدراته في إحباط هجوم الألمان المبدئي، وفي هزيمتهم الكاملة في النهاية.

لقد أقام البريطانيون لاحقاً تمثالاً لفوش خارج محطة فكتوريا في لندن التي انطلق منها كثير من جنودهم إلى الجبهة. وعند قاعدة التمثال كتبت فقرة مقتبسة عن فوش تقول: «إنني مدرك أني أخدم بريطانيا قدر خدمتي لبلدي فرنسا».

72



إدوارد الأول
Edward I
ملك إنجليزي
(1307 - 1239)

الملك إدوارد الأول ملك إنجلترا، هو الذي أجرى تعديلات إدارية وقانونية وإجرائية، فأطلق عليه لقب "القانوني" (Lawgiver). وقد أهلته شجاعته وقيادته المبتكرة للجيش لأن يكون أكفأ قائد عسكري في العصور الوسطى؛ إذ مكّن للعرش والبرلمان في وجه النبلاء الإنجليز الإقطاعيين، وهزم الويلزيين، وشارك في الحروب الصليبية، وقاد حملة طويلة الأمد ضد إسكتلندا.

وكان إدوارد منذ مولده في ويستمنستر في 17 حزيران/ يونيو 1239 وريث العرش باعتباره الابن الأكبر للملك هنري الثالث. منح إدوارد العديد من الأراضي والألقاب، التي كان لها إسهامها في أول تجربة قتال له عام 1255 حين ثار ملاك الأراضي الزراعية متمردين على طول الحدود مع ويلز المستقلة. وقد أخفقت جهود إدوارد في قمع التمرد دون عون من هنري أو النبلاء.

وحين خاب أمل إدوارد لأنه لـم يلق عوناً، انضـم لفـترة قصيرة من الوقت إلى التمرد الذي كـان يتزعمه عـمـه سايمون دي مونتفورت (Simon de Montfort) ضد العرش، ولكنه مـا لبث أن عـدل عن رأيه عـام 1259 وسـعى إلى عفـو من أبيـه، فناله. وقـد ظل إدوارد في فرنسا أشبه بالمنفي لسنوات طوال قبل أن يعود إلى إنجلترا عـام 1263 ليعضد أباه في حرب أهلية أخرى ضد عـمه مونتفورت ومؤيديه من البارونات. وفي معركـة لويس (Lewes) في 14 أيار/ مايو 1264 قاد إدوارد حملة أنزلت هزيمة مـاحقة ببعض من قـوات التمرد، وعندما طارد بحمق فلول الناجين، هاجمـته قـوات العدو الرئيسـية فأوقعته والملك هنري في الأسر.

وبعد مضي عام من الأسر، فر إدوارد، وبدأ حملة عسكرية وصفها الكثيرون لاحقاً بأنها أبرع ما شهدته الأراضي الإنجليزية من قتال، بل ذهب البعض إلى حد القول بأنها أبرع قتال تنظيماً في التاريخ. ذلك أن إدوارد قام بجمع القوات الملكية المبعثرة، وأقام تسلسلاً قيادياً واضحاً، وجمع بين خفة الحركة ومباغتة الهجمة فهزم مونتفورت في سلسلة من المعارك خلال الفترة تموز/ يوليو - آب/ أغسطس 1265. وفي أعقاب المعركة الأخيرة في إيفيشم (Evesham) في 4 آب/ أغسطس، أنقذ إدوارد أباه وأعاده إلى الحكم.

ومع أن إدوارد أفلح في إنجاز أهدافه العسكرية، فقد كان قليل الجهد في تودده إلى جنده، كثيره في بث الرعب في نفوس أعدائه. فإبان الحملة سيّر عساكره دون هوادة لتحقيق ما كـان يصبو إليه. وفي أعقاب نصره أعدم قـادة المعارضة وعامل الأسرى معاملة فظة، إلى درجة أنه أطال أمد الحرب إلى ما يقرب من العام لأن جيوباً صغيرة استمرت تقاوم ولم تخضع.

ولتعطش إدوارد إلى مزيد من القتـال، انضم إلى لويس التـاسع ملك فـرنسـا، في حملة لاستعادة الأراضي المقدسة من المسلمين. مات لويس في الطريق ولم تصل الحملة إلى مقصدها، إلا أن إدوارد نزل في عكا وقاد عدة عمليات فيما بين أيار/ مايو 1271 وأيلول/ سبتمبر 1272. وإن لم يكن قد زاد على سجله أي انتصارات كبيرة تذكر، فقد أضاف ذلك إلى شهرته كبطل جسور في ساحة الوغى.

وفي خريف عام 1272، علم إدوارد بتدهور صحة أبيه، فأبحر عائداً إلى إنجلترا. مات هنري في 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 1272، وخلفه إدوارد على العرش في 19 آب/ أغسطس 1274.

أولى إدوارد على مدى السنوات الخمس عشرة التالية النواحي الإدارية عناية تفوق ما أولاه للعمليات العسكرية، متبنياً قيام حكومة مركزية قوية ذات سلطة يتقاسمها العرش وبرلمان منتخب. ومع أن البرلمان الذي أسسه إدوارد لم يكن الأول من نوعه في إنجلترا، فقد كان هو البرلمان الذي أصبح جزءاً دائماً من الحكومة. وسرعان ما لقب إدوارد بالقانوني للتشريعات الكثيرة التي أدخلها بغية وضع حد لتعارض اللوائح، ووضع معايير لقوانين الملكية، وإقامة تنظيمات شرطة مدنية، وتطوير التجارة الخارجية.

وعلى الرغم من أن شؤون الحكومة قد حظيت بمعظم وقت إدوارد، فإنه لم يغفل عن المسائل العسكرية؛ إذ قاد في ربيع عام 1277، جيشاً مؤلفاً من ستة آلاف رجل إلى ويلز لإخماد تمرد قاده الأمير الويلزي ليويلن (Llywelyn). وقد أمد إدوارد قواته بتموين إضافي، عوناً لهم، مؤلف من أسطول بحري ووظف حطابين وبناة طرق لتجهيز ممرات تسهل سرعة الحركة.

وبحلول تشرين الثاني/ نوفمبر كان قد تمكن من سحق المتمردين، مرغماً إياهم على طلب السلم، غير أن الهدنة لم تدم أكثر من أربع سنوات، وما لبث ليويلن أن شهر السلاح ضد إنجلترا. وفي هذه المرة لم يسمح إدوارد بحل سلمي، فقضى على المتمردين الويلزيين، واستولى على آخر معاقلهم في قلعة بير (Bere) في نيسان/ إبريل 1283. وقد شيد قلاعاً في كونويه (Conway)، ورودلان (Rhuddlan)، وهارليتش (Harlech)، وبومارس (Beaumaris)، والتي أسهمت إسهاماً جلياً في الهزيمة العاجلة التي حلت بحركات التمرد الويلزية عامي 1287 و1294 تباعاً.

وفي عام 1290 فصل إدوارد في النزاع على العرش الخالي في إسكتلندا، بناءً على طلب الإسكتلنديين، فاختار جون دي بيليل (John de Baliol) ملكاً، وحاول أن يطوي إسكتلندا تحت لواء النفوذ التام لإنجلترا، غير أن بيليل ومعه الإسكتلنديون قاوموا

ذلك وشكلوا تحالفاً مع فرنسا التي دخلت عام 1295 في حرب مع إدوارد، فلجأ إلى ما استخدمه من تكتيكات برية وبحرية في هزيمته للويلزيين، وغزا إسكتلندا في آذار/ مارس 1296 وأجبر بيليل على التنحي.

وحين وجه إدوارد جيشه ضد فرنسا ليشتبك في حملة فاشلة على القارة الأوربية، كان وليم والاس (William Wallace) قد انتهز القيام بتمرد آخر في إسكتلندا عام 1298، فعاد إدوارد لمحاربة والاس، حتى لقب بـ" مطرقة إسكتلندا" لحربه المتمردين بضراوة، إذ أدخل القوس الطويلة في القتال ذي المدى البعيد حتى يتيح الغلبة لرماة السهام. وأسر والاس وأعدمه عام 1305، ولكنه أخفق في إخماد التمرد الإسكتلندي تماماً. وقد توفي إدوارد عن عمر يناهز الثامنة والستين في بير (Burgh) قرب كارلييل (Carlisle) في السابع من تموز/ يوليو 1307 بينما كان يعد حملة أخرى ضد الإسكتلنديين.

لقد كان إدوارد الطويل القامة الأشقر ذا شخصية مهيمنة، كما كان قائداً عملاقاً، وإن كان متهوراً في عنفه وحاد المزاج في صباه، فقد نضج وأصبح ملكاً جسوراً، ملهماً يصغي لمرؤوسيه ومستشاريه عند اتخاذ القرارات العسكرية والإدارية. وقد كان لتحسيناته التي أدخلها على العسكرية الإنجليزية - ولاسيما تقويته للتسلسل القيادي وإدخاله للقوس الكبيرة - وعمله على تكامل العمليات البرية والبحرية الأثر المتواصل في نجاح الحملات التي ميزته، وجعلت منه أكثر قادة عصره العسكريين تأثيراً، بل وواحداً من أعظم القادة في تاريخ بلده.

73



مقام السلطان سليم الأول
في القسطنطينية

سليم الأول
Selim I
سلطان تركي
(حوالي 1470 ـ 1520)

وسع سليم الأول رقعة الإمبراطورية العثمانية في فترة حكمه القصيرة سلطاناً لتركيا مدة ثمانية أعوام توسيعاً عظيماً، ودمر قوة جيرانه الفرس. وقد هيأ له غزوه سوريا ومصر ومناطق آسيا الصغرى كافة، أن يقود العالم الإسلامي. وقد لقب سليم - الذي لم يظهر رحمة في معاملته سواء لأعدائه أو أبناء وطنه - "الجهم"؛ نظراً إلى حكمه الطاغي.

هو ابن السلطان التركي بايزيد الثاني، ولد حوالي عام 1470. شغل في منطقة البلقان منصباً ولاه إياه أبوه كجزء من تعليمه. وعندما خص بايزيد المسن، الذي اتسم حكمه بالهدوء وقلة العداء صوب جيرانه، ابنه الثاني أحمد بحدبه وأثرته، خشي سليم أن يخلف أخوه - وليس هو - أباهما. فتمرد وجمع جيشاً صغيراً ضد بايزيد كان هيناً على الوالد أن يوقع به الهزيمة، فاضطر سليم إلى الفرار إلى القرم.

وخشي بايزيد أن يتحالف ابنه مع العدوة اللدودة فارس، فراجع نفسه وتخلى عن العرش لصالح سليم عام 1512. وقد كافأ السلطان الجديد الذي سرعان ما كني بـ"الجهم"، كرم أبيه بأن أعدم جميع أقاربه على الفور ممن يمتون بأي صلة كانت للسلطنة. ثم انقلب سليم "السني" على سكان إمبراطوريته من الشيعة، وذبح منهم أربعين ألفاً.

وبعد أن أمن على نفوذه داخل حدود بلده، بدأ خططاً لتوسيع مملكته. في البداية عقد معاهدات سلام مع جيرانه على الجبهة الغربية، ومن ثم وجه قواته صوب الشرق. كان هدفه الأول هم الفرس أنفسهم الذين خشي والده انضمام ابنه إليهم. وقد اعتبرهم سليم أعداءً لوقوفهم إلى جانب أخيه ولقوة نفوذ الشيعة داخل حدودهم.

وفي حزيران/ يونيو 1515، تحرك سليم صوب فارس على رأس جيش قوامه ستون ألف رجل. وكان عماد جيشه من الإنكشارية؛ أي الأسرى المسيحيين الذين كانوا في مرتبة وسطى بين المرتزقة والجنود الأرقاء. قسّم سليم جيشه إلى سلاح فرسان خفيف وآخر ثقيل العتاد تدعمهما مدفعية متحركة وجنود مشاة بحوزتهم أسلحة نارية بدائية. كان النظام في جيش سليم صارماً، أساسه إعدام كل من يشكو أو يحتج.

وفي 23 آب/ أغسطس 1515، هاجم سليم الجيش الفارسي الرئيسي وقوامه خمسون ألف رجل، بقيادة الشاه إسماعيل على الجانب الشرقي من نهر الفرات. كسب سليم معركة شالدران (Chaldiran) واحتل العاصمة الفارسية تبريز في أيلول/ سبتمبر. ورغم انتصاره انسحب عائداً إلى بلاده لعدم قدرته على تحمل مؤونة احتلال طويل الأمد لبلاد فارس، وذلك بغية تحسين نظمه التموينية.

وفي عام 1516، كان سليم مستعداً مرة أخرى للتحرك صوب فارس حين بلغه أن مصر وسوريا قد تحالفتا مع الشاه على غزو إمبراطوريته. لم ينتظر سليم حتى يهاجَم، بل تقدم صوب سوريا وأنزل بالجيش المتحالف هزيمة قاصمة في معركة مرج دابق في 24 آب/ أغسطس 1516. وبعد احتلال قصير لسوريا توجه مرة أخرى شرقاً للاستيلاء على غزة في تشرين الأول/ أكتوبر، ووصل إلى أطراف القاهرة في كانون الثاني/ يناير 1517.

وعند منطقة الخانكة كان المصريون ومن نجا من السوريين بعد مرج دابق يجهزون دفاعاتهم بتجريدهم الحصون الساحلية والسفن الراسية في المرفأ من المدافع بغية تعزيز قوة نيرانهم. تقدم سليم ليلاً موجهاً معظم قواته الهجومية من الزاوية اليمنى على طول الدفاعات لا من المقدمة. ووضع مدفعيته في موضع مرتفع ليتيسر له إطلاق النار على سلاح فرسان الخصم. وبانتهاء المعركة كان ما يزيد على سبعة آلاف من أعدائه ممددين صرعى في أرض المعركة. ولم تعد هناك مقاومة تذكر في الطريق بينه وبين القاهرة حيث أعدم من تبقى من المقاومين.

وحين حلت الهزيمة بكل حلفاء فارس، لم تجد بداً من الاستسلام للسيطرة العثمانية. أما وقد فرض سليم نفوذه على آسيا الصغرى كافة، فقد أعلن نفسه سلطاناً على مصر وخليفة للمسلمين، وحج إلى البيت الحرام في مكة وزار المدينة. وقد لقي هناك الحفاوة والتكريم وكذا في أرجاء العالم العربي بوصفه قائد العالم الإسلامي وحاميه.

وفي فترة لا تزيد على ثماني سنوات، أحل سليم الأول إمبراطوريته العثمانية محل الفارسية بوصفها القوة الإقليمية المهيمنة. وباستثناء حركتي التمرد الدينيتين القصيرتين في سوريا والأناضول عامي 1518 و1519، واللتين سرعان ما سحقهما سليم، ظلت الإمبراطورية العثمانية دون منازع في آسيا الصغرى. فتطلع سليم إلى التوسع في منطقة البحر الأبيض المتوسط. في عام 1520 تحالف مع القرصان الجزائري الكبير باربروسا لجمع أسطول استعداداً لغزو إسبانيا. إلا أن المنية وافت سليماً قبل أن ينفذ خططه وهو في الخمسين من عمره في أيلول/ سبتمبر 1520 بالقرب من كورلو (Corlu).

لم يوقف موت سليم الأول توسع الإمبراطورية العثمانية؛ إذ كان قد درب ابنه سليمان الأول تدريباً جيداً، وهو الذي بتحالفه مع باربروسا سيقوم لاحقاً بتوسيع الإمبراطورية. كان المسرح قد أعد لغزوات ابن سليم، وهي التي أضفت عليه لقب "المهيب".

لقد قلب سليم موازين القوى في آسيا الصغرى؛ فحلت الإمبراطورية العثمانية محل الفارسية لتكون هي القوة المهيمنة. وعلاوة على ما أضافه إلى الإمبراطورية بما يزيد على ضعف حجمها، أسس تنظيماً عسكرياً دام ليحقق الانتصارات على يدي ابنه. ورغم أنه مستحق لما يطلق عليه من أوصاف الطاغية والمتعصب دينياً، كان سليم الأول أيضاً قائداً عسكرياً في غاية التأثير؛ إذ أدخل استخدام المدفعية لدعم عمليات المشاة والفرسان، وأحكم سيطرته على جيش كبير مختلط من المرتزقة والعبيد والقوات النظامية والمليشيات ليهزم الفرس وحلفاءهم، ولم يتجاوز أحد إنجازاته وتأثيره في عصره سوى ابنه.

74



جوليو دوهي
Giulio Douhet
قائد إيطالي
(1930 - 1869)

ضابط الجيش الإيطالي جوليو دوهي هو من بلور بعضاً من المفهومات الأولى لاستخدام الطيران العسكري، فأثبت أنه بحق أول منظر عظيم في مجال الطيران العسكري. كان دوهي يرى أن الطائرات هي سلاح الهجوم الجوهري، القادر على كسب الحروب عن طريق تدمير المناطق السكنية للعدو، والمجمعات الصناعية، ومراكز النقل. وقد تضمن كتابه «**سيادة الجو**» *Il Dominio dell'Aria* الذي صدر عام 1921 أول نظرية مترابطة الأفكار حول الحرب الجوية.

ولد دوهي في كاسارتا (Caserta) في 30 أيار/ مايو 1869، وسار على نهج عائلته، فالتحق بالأكاديمية العسكرية الإيطالية التي تخرج فيها على رأس أقرانه، وكلف بالخدمة في سلاح المدفعية عام 1892. وفي مطلع حياته ركز دوهي على إدخال العناصر الميكانيكية في الجيش الإيطالي، فتولى قيادة كتيبة دراجات نارية تحت التجريب. وفي

عام 1909 التقى رائد الطيران الأمريكي ولبر رايت (Wilbur Wright) أثناء زيارته لإيطاليا، وانبرى من فوره يتحمس لقوة الجو العسكرية.

قاد دوهي، إبان الحرب الإيطالية ـ التركية عامي 1911 ـ 1912، أول كتيبة طيران إيطالية وأول وحدة قاذفات جوية في العالم. وقد نشر ما استقاه من خبرة في أول كتيب لمبادئ القتال الجوي بعنوان «**قواعد استخدام الطائرات في الحروب**» *Rules of the Use of Airplanes in War* عام 1913.

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى، كان دوهي رئيس أركان إحدى فرق المشاة، إلا أنه سرعان ما عين رئيساً لفرقة طيران الجيش. وقد حث على تكثيف القصف الجوي، إلا أنه لم يحرز تقدماً كبيراً قبل إحالته إلى المحكمة العسكرية وسجنه بتهمة انتقاد أسلوب رؤسائه في أسلوب إدارة الحرب.

استغل دوهي وقته في السجن لتنقيح نظرياته حول قوة الطيران، واستمر في الكتابة. ولم تمض إلا بضعة أشهر على الهزيمة التي مثلت كارثة للقوات الإيطالية في كابوريتو (Caporetto) في تشرين الثاني/ نوفمبر 1917، والتي أثبتت صحة انتقاداته للقيادة العسكرية، حتى وجد نفسه مطلق السراح عائداً إلى عمله، بل ورئيساً لمكتب الطيران المركزي الذي كان قد أنشئ لتوه.

وفي عام 1921 نشر دوهي درته «**سيادة الجو**»، ثم خدم لفترة قصيرة في حكومة موسوليني الفاشية قبل أن يتقاعد وهو برتبة لواء عام 1922. وتوفي في روما في 15 شباط/ فبراير 1930 وعمره واحد وستون عاماً.

وقد كان دوهي على مدار حياته العملية غزير الإنتاج في كتابة المقالات والكتب حول قدرات القوة الجوية العسكرية، ولكن معظم شهرته وتأثيره مستمد من كتابه «**سيادة الجو**» الذي يدافع فيه عن الطائرة باعتبارها السلاح الميداني الوحيد المطلق. كما طالب بإنشاء سلاح جو قائم منفصل كلية عن الجيش والبحرية، وصنع "طائرة قتال" تجمع بين قدرات الطائرة المقاتلة وتلك القاذفة.

كانت ثقته بالقوة الجوية كبيرة إلى حد ذهابه إلى أن يقتصر دور القوات البرية والبحرية على النواحي الدفاعية فقط، ويترك للقوات الجوية التعامل مع جميع العمليات الهجومية. كان اعتقاده أن الطائرات وحدها باستطاعتها تدمير وحدات العدو البرية ومعداته، ودعمه الصناعي، والإرادة المدنية للقتال. فوفقاً لما كان يراه، فإن الهجمات الجوية الكثيفة كانت كافية في حد ذاتها لتحقيق النصر، وكان يقول بأن القوة الجوية بوسعها أن «توقع أفدح الأضرار في أقصر وقت ممكن».

وقد تطرق دوهي كذلك في كتاباته إلى كفاية تكلفة التصميمات العسكرية المعتمدة على الطائرات، وقد تخيل طائرات مقاتلة معدلة من الطائرات المدنية وطائرات الشحن التي تمكن إعادتها لاستخدامات ما قبل الحرب بعد تحقيق النصر. ويمكن جلب الطيارين من شركات الطيران التجارية وإخضاعهم لفترات تدريب إضافية وجيزة.

ورغم ظهور أفكار دوهي التي تتطلع إلى قوة الطيران في المستقبل، فلم يكن له تأثير كبير مباشر في الجيش الإيطالي، ولم تحاول إيطاليا إنشاء سلاح جو مهيمن؛ إذ لم يكن الاقتصاد الإيطالي قادراً على تحمل بناء وتجهيز أسطول جوي بالحجم الذي اقترحه دوهي، وكان موسوليني يفضل شخصياً قوة برية بحرية.

لقد درس كل من الفرنسيين والألمان نظريات دوهي وتجادلوا حولها جدالاً حامياً فيما سبق الحرب العالمية الثانية، إلا أن أياً منهما لم يكن يتبناها. ومع أن ترجمة إنجليزية لكتابه **«سيادة الجو»** لم تظهر قبل عام 1942، فإن هيو ترنشارد (Hugh Trenchard) قائد الطيران البريطاني، وبيلي ميتشل (Billy Mitchell) المناصر لفكرة سلاح الجو الأمريكي، كانا على معرفة بكتبه.

لقد كانت الحرب العالمية الثانية بمنزلة المختبر لوضع نظريات دوهي موضع الاختبار؛ فقد لجأت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا إلى القصف الاستراتيجي المكثف، فأثبتتا أهمية القوة الجوية لكنهما رفضتا كثيراً من أفكاره الأساسية. فلم يستطع أحد أن يبتكر بنجاح طائرة قادرة على أن تكون قاذفة ومقاتلة في الوقت نفسه، ولم تتمكن الضربات الجوية القوية من كسر إرادة الأعداء أو أن تقلل من قدراتهم على شن الحرب؛

إذ استمرت الصراعات منذ الحرب العالمية الثانية تبرهن على نقاط الضعف في أفكار دوهي من حيث إن القوة الجوية وحدها كفيلة بقهر العدو؛ فما من دولة تمكنت حتى اليوم من كسب حرب دون احتلال مشاتها لأراضي العدو.

إن كتابات دوهي لم يكن لها التأثير أو العمر اللذان كانا لأعمال أساتذة فن الحرب الآخرين، أمثال سون تسو وكارل فون كلاوسفيتس وأنطوان هنري جوميني وجون فريدريك تشارلز فولر. ورغم أن كثيراً مما دافع عنه دوهي ثبت أنه غير عملي، فإنه مع ذلك، كان أول من تصور وكتب حول إمكانات القوة العسكرية الجوية، فقد كتب أن «التجهيز للحرب يتطلب إذن إعمال الخيال».

إن تأثير دوهي الأعظم ليس نتاج محتوى نظرياته في المقام الأول، بل هو وليد تبصره من أجيال مضت في أن القادة العسكريين ينبغي لهم أن يُدخلوا القوات الجوية - مثلها مثل القوات البرية والبحرية - في خطط الحرب.

75



هاينز جودريان
Heinz Guderian
قائد ألماني
(1954 - 1888)

هاينز جودريان هو القائد الألماني لعمليات الدبابات، ومنفذ أسلوب "الحرب الخاطفة" من ضربات خاطفة مبكرة ترتب عليها تحقيق انتصارات لأدولف هتلر في فرنسا وروسيا. ومن خلال تطبيق النظريات حول القدرات المدرعة، حوّل جودريان أسلوب الحرب من عمليات الخنادق الثابتة في الحرب العالمية الأولى إلى الحرب المتحركة وقتال المناورات في الحرب العالمية الثانية. وقد ظل جودريان، الأرستقراطي والصريح والسليط الفج، على ولائه لهتلر، كما كان أيضاً واحداً من الضباط القلائل الذين كانت لديهم الرغبة في الوقوف إلى جانبه وتحمل النتائج.

ومنذ مولد جودريان في كولم (Kulm) في 17 حزيران/ يونيو 1888 لأب كان ضابطاً في الجيش البروسي، وهو ميسر لاحتراف حياة الجندية. فدخل المدرسة الحربية وعمره 12 عاماً، وبعد 8 سنوات انضم إلى كتيبة هانوفر ييجر (Hannover Jaeger) والتي كان

والده يتولى قيادتها. حصل على رتبة ملازم في 27 كانون الثاني/ يناير 1908. ورغم أن جودريان كان قد كلف في بادئ الأمر بالخدمة في سلاح المشاة، فقد التحق بشركة راديو لاسلكية عام 1912، حيث أعجبته إمكانات الاتصالات الإلكترونية.

وقد اشترك جودريان في الحرب العالمية الأولى قائداً لمحطة لاسلكية مخصصة للفرقة الخامسة بسلاح الفرسان، ثم تدرج في هيئات الأركان حتى وصل إلى هيئة الأركان العامة في عام 1918، وخلال تلك الفترة كان شديد الإعجاب بقدرات المدرعات. وفي أواخر العشرينيات بدأ يدرس كتابات الإنجليزي جون فريدريك تشارلز فولر حول مفهوم حرب الاختراق.

وبعد الهدنة ظل جودريان في الخدمة كواحد من أربعة الآلاف من الضباط الألمان الناجين، الذين اختيروا لبناء الجيش وقت السلم. ومع اهتمامه المتزايد بالدبابات، أنجز العديد من مهام الأركان والمهام الميدانية في وحدات النقل الميكانيكي، حيث طور نظرياته في الحرب المدرعة.

غير أن جودريان واجه معارضة شديدة من داخل الجيش الألماني والهيكل السياسي لإنشاء وحدة دبابات، بسبب ارتفاع التكلفة وعدم استيعاب قدراتها. ولم يُسمح لجودريان بإنشاء أول كتيبة دبابات إلا في عام 1934 بعد تولي هتلر السلطة ورؤيته سلسلة من الاستعراضات المصغرة للعمليات المدرعة وإعجابه بها. ورغم أن ألمانيا لم يكن لديها سوى قاعدة صناعية محدودة يمكن من خلالها بناء أعداد كبيرة من الدبابات، فقد أدرك هتلر أنه لكي يحقق أهدافه العسكرية، فهو في حاجة إلى سلاح ماض. وقد أقنع جودريان هتلر بأن خفة الحركة وعنصر الصدمة الكامنين في حرب المدرعات يحويان هذه المزية.

وبدعم من هتلر، قام جودريان بتوسيع عاجل لقوة سلاح الدبابات الألماني المعروف باسم "بانتسر" (Panzer)، في أواخر الثلاثينيات، واستمر في تنقيح أفكار فولر وليدل هارت حتى يتمكن من تطوير استراتيجيته هو حول الحرب الخاطفة. وفي عام 1936 تضمن كتابه «انتباه! مدرعات» *Achtung! Panzer* الخطوط العريضة لنظريته القائلة بأن

حشد الوحدات المدرعة مع المدفعية والدعم الجوي، يوفر القدرة لاختراق خطوط العدو الأمامية ثم الانتشار للانقضاض على المؤخرة لتدمير وحدات القيادة والتحكم والإمداد والاحتياط. وكان جودريان يرى أن مفتاح الضربة الخاطفة الناجحة يكمن في الحركة السريعة المعززة التي يمكنها التغلب على طبيعة التضاريس الصعبة لتحقيق التقدم. وكان يقول بأن القادة المدعومين باتصالات ممتازة تسمح لهم بإحكام السيطرة على الحركة والاتجاه يجب أن يتولوا القيادة من الأمام.

وبحلول عام 1939 كان لدى جودريان خمس فرق مدرعة للعمليات وأخرى كثيرة في مراحل عدة من التجهيز. وفي 22 آب/ أغسطس وجهت الأوامر إلى جودريان بوصفه القائد العام لقوات المدرعات بقيادة غزو بولندا. فعبر جودريان - الذي كان يوجه الأوامر لفيلقه المدرع من دبابته في مقدمة قواته - الحدود في 1 أيلول/ سبتمبر، وفي غضون أربعة أيام كان قد اخترق دفاعات البولنديين الرئيسية، وبحلول 16 أيلول/ سبتمبر كان قد تمكن من هزيمة كل ما تبقى من مقاومة.

وقد بهر هتلر بسلاح المدرعات فمنح جودريان وسام صليب الفارس، وزاد مخصصات صنع الدبابات. وقد استفاد جودريان من دروس الحرب في بولندا حول التضاريس الصعبة والحفاظ على التنسيق القريب مع الدعم الجوي، فقاد في 10 أيار/ مايو 1940 هجوماً مباغتاً عبر غابة الآردن في بلجيكا ودمر الخطوط الفرنسية، وبعد ذلك بثلاثة أيام استولى على سيدان. وبحلول 23 أيار/ مايو كان قد استولى على كاليه (Calais) وبولون (Boulogne)، رغم مواجهته المستمرة لقوات تفوقه عدداً. وعقد العزم على تدمير ما تبقى من القوات الفرنسية والإنجليزية في دنكيرك حين أمره هتلر بتغيير مسار هجومه صوب الجنوب. وبحلول 22 حزيران/ يونيو كانت فرنسا قد استسلمت وتقدم جودريان مكتسحاً تجاه حدود سويسرا.

وبعد أن أثبتت هجمات الحرب الخاطفة نجاحاً، أمر هتلر جودريان بقيادة عملية غزو الاتحاد السوفيتي، فاخترق ومعه الوحدات الألمانية الأخرى في حزيران/ يونيو 1941 الدفاعات الروسية وسار مندفعاً عبر الأراضي الروسية. وبعد مسيرة خمسة أيام ومئتي

ميل، أحاط الجيش الألماني بـ 300 ألف من القوات الروسية عند مينسك مجبراً إياهم على الانسحاب. وبعد ذلك بشهر قام سلاح المدرعات بالمناورات نفسها وأجبر مئة ألف آخرين على الاستسلام في سمولنسك (Smolensk)، ثم أعاد الكرة آسراً 600 ألف قرب لوخيفستا (Lokhvista) في 15 أيلول/ سبتمبر.

ورغم ما حققه جودريان والألمان من نجاحات أولية، فقد ووجهوا في نهاية خطوط إمداد طويلة بالشتاء الروسي القارص. فتباطأت خارج موسكو حركة الألمان الذين غلبهم الإعياء بمعداتهم المتآكلة، ثم توقفت. أمر هتلر الجيش بالثبات، إلا أن جودريان وقادة آخرين فضلوا حكمة الانسحاب على تعريض رجالهم وأسلحتهم للخطر دون جدوى. فأعفى هتلر، الذي انتابه الغضب الشديد، جودريان وضباطاً كباراً آخرين من القيادة.

ولم يدرك هتلر أن جودريان أثمن من أن يبقى دون استفادة منه إلا متأخراً في شباط/ فبراير 1943. فاستدعى هتلر قائد سلاح الدبابات وعينه مفتشاً عاماً لقوات المدرعات. فعمد جودريان على الفور إلى زيادة إنتاج الدبابات، ورفع مستوى تدريب قوات المدرعات، غير أن جهوده جاءت بعد فوات الأوان، إذ لم تحل بين بلاده والهزيمة المحتومة.

ظل جودريان محترفاً مخلصاً حتى نهاية المطاف، فلم يشارك في المحاولة التي قادها العسكر لاغتيال هتلر في 20 تموز/ يوليو 1944. وفي أعقاب حملة التطهير في صفوف المتآمرين، رفعه الفوهرر إلى منصب رئيس الأركان العامة للقيادة العليا للجيش. ورغم هذه المكافأة فإن جودريان كعادته رفض أن يكون رجل "السمع والطاعة"، وظل واحداً من ضباط قلائل تتوافر لديهم الإرادة لمجادلة الزعيم الألماني. وعندما دعا جودريان إلى عقد سلام مع قوات الحلفاء الزاحفة، فصل هتلر قائد الدبابات من الخدمة للمرة الثانية في 21 آذار/ مارس 1945.

عاد جودريان إلى تيروول (Tyrol) حيث وقع أسيراً في أيدي الأمريكيين في 10 أيار/ مايو. ورغم أنه قبض عليه باعتباره مجرم حرب، فإنه لم توجه إليه أي تهم رسمية، ومات في 14 أيار/ مايو 1954 وعمره ستة وستون عاماً.

لقد كان لجون فولر وغيره من المتحمسين للمدرعات أثرهم على أفكار جودريان، إلا أن قائد سلاح المدرعات الألمانية هو الذي جعل من حرب المدرعات حقيقة واقعة. فهو الذي وضع كتاب «**انتباه! مدرعات**»، ثم هو الذي أثبت صحة نظرياته بصعوده إلى دبابة القيادة وقيادته لفرقه في القتال. ومن المحقق أن جورج باتون، قد قرأ كتاب جودريان، كما هي الحال مع كل قائد مدرعات له قيمة منذ ذلك الحين.

76



لـــين بياو
Lin Piao
قائد صيني
(1971 - 1907)

أسهم لين بياو إسهاماً كبيراً في صراع الشيوعيين على السلطة في الصين والذي دام مدة اثنين وعشرين عاماً، وشغل مناصب عسكرية مهمة، وكان أقرب المستشارين إلى ماو تسي تونغ بعد أن استولى الشيوعيون على الحكم في البلاد عام 1949. ومن مآثره الانتصارات التي حققها على الغزاة اليابانيين في الحرب العالمية الثانية، وهزيمته الوطنيين في صراعهم على السلطة في الصين، ودعمه لكوريا الشمالية في ما حققت من انتصارات حاسمة على قوات الأمم المتحدة (معظمها قوات أمريكية)، ودعمه لفيتنام الشمالية في جهودها لإلحاق الهزيمة بفيتنام الجنوبية التي كانت مدعومة من الأمريكيين. لقد كان لقدرات لين على تنظيم وتدريب أعداد كبيرة من الرجال بموارد محدودة، ونهجه الحذر الحازم في القتال، نتائج برزت في استيلاء الشيوعيين على السلطة في الصين وإمساكهم بزمام الأمور في البلاد أمداً طويلاً.

ولد لين في 5 كانون الأول/ ديسمبر 1907 في مقاطعة هوبيه (Hubei) ابناً لصاحبي مصنع. تخرج في أكاديمية وامبو (Whampoa) العسكرية عام 1926. وصعد سلم ترقيات الضباط سريعاً أثناء الحملة الشمالية خلال الفترة تموز/ يوليو 1926 - نيسان/ إبريل 1927 فحصل على رتبة رائد في أقل من عام. وفي آب/ أغسطس 1927 فر من الجيش الوطني وانضم إلى الانتفاضة العسكرية الشيوعية، ومعه فوجه، مبدلاً موقع ولائه؛ إذ كان لين معجباً بالاشتراكية منذ أيام دراسته، وكان قد انضم إلى الحزب الشيوعي الصيني عام 1925.

شارك لين على مدار الأعوام القليلة التي تلت في العديد من المعارك الاستراتيجية ضد الوطنيين، وهو ما أبقى للجيش الأحمر حيويته. وبحلول الثلاثينيات رأى ماو في لين معاوناً موثوقاً به، فدعم انتخابه للجنة التنفيذية للحكومة الشيوعية الصينية المؤقتة. وإبان المسيرة الطويلة عامي 1934 - 1935، قاد لين هجمات عديدة لتغطية انسحاب الجيش الأحمر.

وأثناء التوحيد المؤقت للشيوعيين والوطنيين إبان الحرب العالمية الثانية لمحاربة عدوهما المشترك "اليابان"، حقق لين - وكان قائد فرقة - النصر الأول للصين على الغزاة اليابانيين شمالي البلاد. وفي 2 آذار/ مارس 1938 جرح لين وتم إجلاؤه إلى روسيا للعلاج. وفي فترة نقاهته في موسكو، كان ممثلاً للصين في الاتحاد السوفيتي.

عاد لين إلى الصين أوائل عام 1942، فجند جيشاً من مئة ألف رجل وقام بتدريبهم، ومع ذلك تفادى القتال انتظاراً لاستسلام اليابان حتى يتيسر له توجيه جيشه الكبير ضد الوطنيين. وفي الفترة الممتدة من آذار/ مارس - حزيران/ يونيو 1946 حقق لين نصراً حاسماً على الوطنيين، مما أتاح للشيوعيين السيطرة على منشوريا. وبحلول أيار/ مايو من العام التالي، كان قد زاد عدد جيشه ليصل إلى نصف مليون رجل، وحرّكه صوب الجنوب مع القوات الشيوعية الأخرى. وفي 22 كانون الثاني/ يناير 1949، استولى على بكين ومن ثم واصل مسيرته إلى نهر يانجتسي (Yangtze).

وبهزيمة الجيش الوطني النهائية وقيام جمهورية الصين الشعبية في 21 أيلول/ سبتمبر 1949، تقلد لين سلسلة مناصب رفيعة في كل من الحكومة والجيش. وفي أواخر عام

1950 قاد جيشاً من "المتطوعين" إلى داخل كوريا، وذلك عندما احتلت قوات الأمم المتحدة كوريا الشمالية وهددت منطقة نهر يالو (Yalu). وفي هجوم مضاد شنه لين خلال الفترة 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 1950 ـ 15 كانون الثاني/ يناير 1951، على قوات الأمم المتحدة المؤلفة في معظمها من جنود الولايات المتحدة الأمريكية وبحريتها، تمكن من طردها خارج كوريا الشمالية، واحتل عاصمة الجنوب سيئول، مُنزلاً بها ما وصف بأنه أفدح الخسائر البرية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

عُين لين عند عودته نائباً لرئيس وزراء جمهورية الصين الشعبية. وفي عام 1955 رقّاه ماو إلى رتبة مشير لجيش التحرير الشعبي، حيث قام بتحسين الاستعداد العسكري، والحصول على السلاح، والتدريب الكلي. وفي عام 1959 ساعد لين ماو على القيام بحملة تطهير بين صفوف من زعم تأييدهم للروس في الجيش والحكومة. وفي عام 1962 وجّه جهود الصين ضد الهند في الهمالايا، وفي الوقت ذاته تقريباً تولى عملية دعم الصين لجهود فيتنام الشمالية في اجتياح فيتنام الجنوبية. وزعم لين لاحقاً أنه قام بتجهيز فرقتي مشاة كاملتين من فيتنام الشمالية بأسلحة ومعدات استولى عليها من الأمريكيين في كوريا الشمالية.

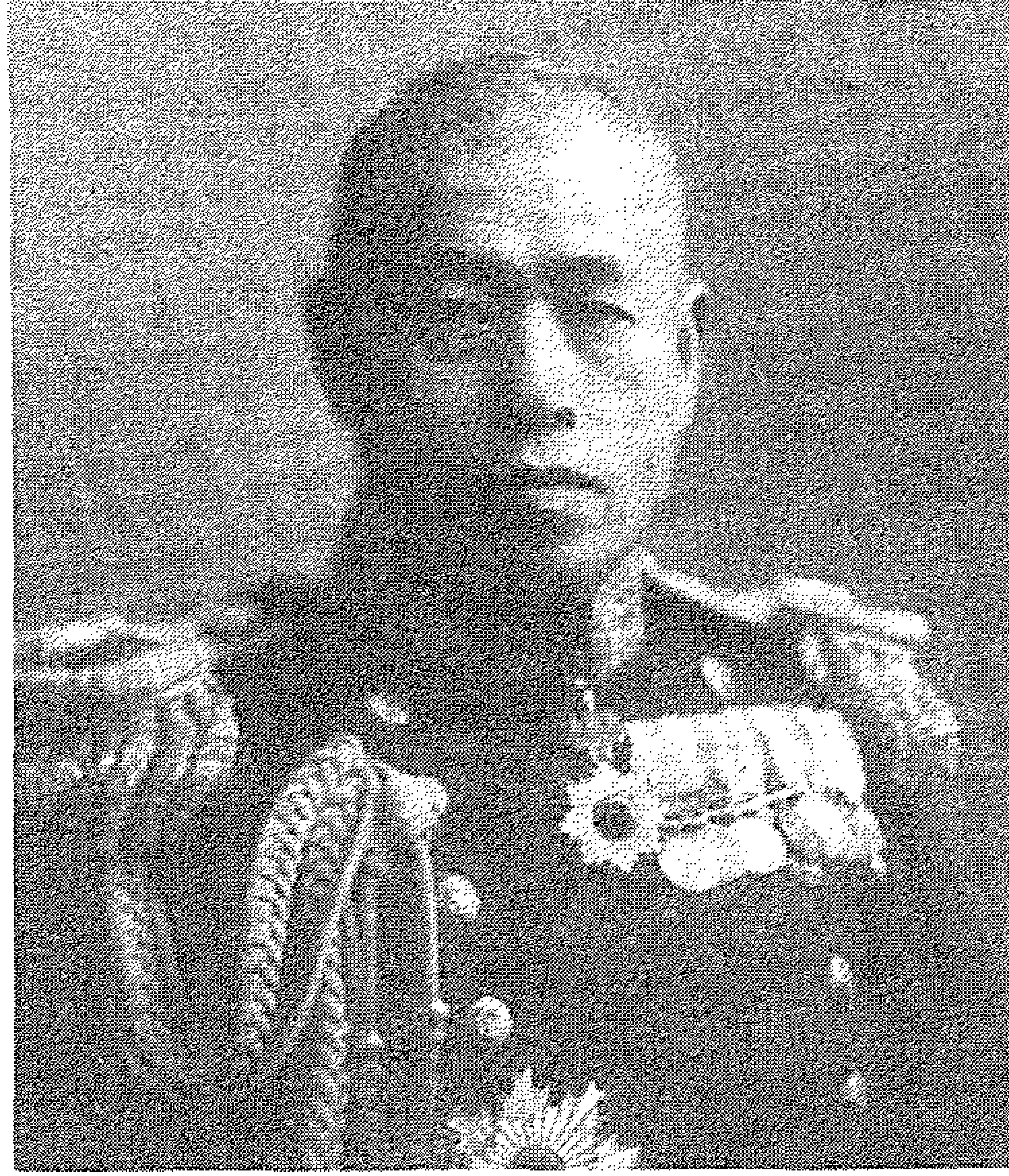
وقد دعم لين ثورة ماو الثقافية الوحشية في الفترة 1966 ـ 1969، فكافأه ماو بتعيينه خلفاً له. غير أنه مع انتهاج ماو نهجاً أكثر اعتدالاً وسعيه لتحسين العلاقات مع الغرب، فقد لين الثقة في رفيقه القديم وبدأ يخطط لمحاولة انقلاب مع القادة اليساريين.

وفي 8 أيلول/ سبتمبر 1971 شرع لين في عمل عسكري للاستيلاء على الحكم واغتيال ماو، إلا أن منافساً له كشف خطته، مما مكّن ماو من الاحتفاظ بالسلطة بسهولة. فحاول لين وبرفقته عائلته ومستشاروه المقربون الفرار إلى الاتحاد السوفيتي. ولم تعلن الحكومة الصينية إلا في أواخر عام 1972 أن لين، البالغ من العمر أربعة وستين عاماً، قد قتل وكامل زمرته في 13 أيلول/ سبتمبر 1971 عندما تحطمت الطائرة التي كانت تقلهم في أوندرخان (Undurkhan) بمنغوليا. وفي عام 1973 شطب اسم لين بعد رحيله من الحزب الشيوعي الصيني.

ورغم وضعية لين في صين اليوم على أنه خائن، فلايزال يعد واحداً من أعظم القادة العسكريين في العصر الحديث. فقد تمكن بقوة شكيمته ودهائه ومواهبه العسكرية عامة من الحفاظ على الجيش الشيوعي الناشئ في الثلاثينيات، ثم قاده إلى النصر على اليابانيين والوطنيين. وبمجرد نجاحه شكّل أكبر جيوش العالم وقادها، ونفّذ عمليات ناجحة لتأمين حدود بلاده.

وبينما كان تأثير ماو - يقيناً - أكبر نظراً لسلطاته عسكرياً وسياسياً، فإن استيلاء الشيوعيين على السلطة في الصين ربما ما كان يكتب له أن يتم دون قيادة لين؛ فالتنظيم وأساليب التدريب وتكتيكات الجيش الصيني تظل اليوم في أغلبها تعزى إليه. لقد كان لين، الذي يصفه البعض بأنه "عديم اللون" و يفتقر إلى التوهج، واحداً من أخلص الشيوعيين في التاريخ. وكان له أثره في الرأي العام العالمي من خلال الكتيب الذي أصدره عام 1965 «**عاش انتصار حرب الشعب**» *Long Live the Victory of the People's War*، والذي دعا فيه الثوريين في أرجاء المعمورة لحمل السلاح ودحر الرأسمالية.

77



إسوروكو ياماموتو

Isoroku Yamamoto

قائد ياباني

(1943 - 1884)

يعد الأميرال إسوروكو ياماموتو هو الذي قاد الأسطول المشترك للبحرية اليابانية، تلك البحرية التي وسعت من حدود الإمبراطورية اليابانية في الأيام الأولى من الحرب العالمية الثانية. فاستخدامه البارع لحرب الجو - بحر أدى إلى نصره العظيم على الأمريكيين في بيرل هاربر عام 1941، وأضفى عليه شرف كونه واحداً من أبرز مطوري العمليات المعتمدة على حاملات الطائرات.

ولد إسوروكو تاكانو (Isoruku Takano) في نييجاتا (Niigata) في 4 نيسان/ إبريل 1884 باسم إسوروكو تاكانو ابناً سادساً لعائلة ساموراي، وفيما بعد اتخذ بشكل قانوني اسم عائلة والده بالتبني. وبعد فترة وجيزة من تخرجه في الأكاديمية البحرية اليابانية عام 1904، شارك ياماموتو في معركة تسوشيما الفاصلة حين كان ضمن أفراد الأسطول الذي يقوده الأميرال هيهاتشيرو توجو والذي هزم الروس. وقد أصيب ياماموتو أثناء

المعركة إصابات بالغة، بما في ذلك بتر إصبعين من يده اليسرى، وهي العاهة التي كادت أن تؤدي إلى فصله من الخدمة.

وفي أعقاب الحرب الروسية، كُلف ياماموتو بالعديد من المهام على متن السفن الحربية، والتي توقفت في فترات تداخلها مع تعليمه المدني والعسكري. وبحلول عام 1915 كان قد بدأ بالفعل يظهر تحمسه لتطوير السفن القادرة على إطلاق الطائرات ثم استقبالها عند عودتها. وخلال الفترة 1919 ـ 1921، التحق بجامعة هارفارد حيث بدأت أول صلاته بالأمريكيين. وبعد تكليفه بالعديد من المهام القيادية عند عودته إلى اليابان وقيامه بجولات كمراقب للعمليات البحرية الأوربية، سافر مرة أخرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1925، حيث قضى ثلاث سنوات ملحقاً عسكرياً في واشنطن دي. سي.

وحين عاد ياماموتو إلى اليابان عام 1929، تولى قيادة حاملة الطائرات أكاجي (Akagi) ورقي إلى رتبة لواء بحري. وباستثناء زيارات قصار للمؤتمرات البحرية الدولية على مدى السنوات القلائل التالية، فقد كرس ما تبقى من وقته في وظيفته للملاحة البحرية وعمليات حاملات الطائرات. ونظراً إلى ابتكاراته وقوة مراسه فقد تمكن من الحصول على أولويات التمويل من حكومته؛ مما هيأ له تأسيس واحد من أحدث الأساطيل البحرية وأقواها في العالم بنهاية الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث كانت حاملة الطائرات قلب قوته وعمادها.

وبحلول عام 1939 كان معظم القادة المدنيين والعسكريين في اليابان مقتنعين بأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تمثل مصدر المقاومة الوحيدة الممكنة أمام غزوهم مجمل شرق آسيا. وقد شعر أولئك القادة بأن شن هجوم لتدمير أو إعطاب الأسطول الأمريكي في المحيط الهادي، من شأنه أن يدفع بالأمريكيين المتبعين سياسة الانعزالية لطلب السلام وترك اليابانيين دون معارضة لتحقيق ما يطمحون إليه. وقد عارض ياماموتو الهجوم استناداً إلى معرفته بطريقة التفكير الأمريكية وبحجم الموارد الأمريكية، من خلال إقامته الطويلة في الولايات المتحدة، وبسبب خشيته من أن تؤدي

القاعدة الصناعية العريضة والثروة الطبيعية الضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى سحق وطنه المتمثل في جزيرة صغيرة.

وعلى الرغم من تحفظات ياماموتو، فقد نقح خططه بشن هجوم خاطف ضد ميناء بيرل هاربر في هاواي. ومع ثقته بقدرته على مهاجمة الميناء الأمريكي بنجاح، فقد أعرب في الوقت نفسه عن مخاوفه، من أنه بينما قد تتمكن اليابان من تحقيق نجاح قصير الأمد، فإن الأمريكيين ربما لا ينسحبون بل يسيطرون في نهاية الأمر.

أبحر ياماموتو، على رأس ست حاملات للطائرات وأسطول من سفن الدعم والتموين، من اليابان في 26 تشرين الثاني/ نوفمبر 1941، عبر الطريق الشمالي النادر استخدامه إلى جزر هاواي. وفي صبيحة 7 كانون الأول/ ديسمبر، باغتت الطائرات المنطلقة من حاملات ياماموتو القوات الأمريكية فأخذتهم الدهشة في مواقعهم وما حولها في بيرل هاربر، ودمرت معظم أسطول الجزيرة الجوي على الأرض، وأغرقت أربع بوارج كما أعطبت أربعاً أخريات إعطاباً لا يجدي فيه إصلاح. وفي أقل من ساعتين كان ياماموتو قد أنزل ببحرية الولايات المتحدة الأمريكية أسوأ هزيمة عرفتها على مدى تاريخها.

كانت أول موجتين من الهجمات الجوية على قدر كبير من النجاح، حتى إن ياماموتو ألغى الطلعات الأخيرة المخطط لها ضد الأرصفة الجافة ومنشآت تخزين النفط، وكان هذا خطأ بسيطاً مقارنة بخطورة ترك أسطول الحاملات الذي كان يقوم بمناورات بعيداً عن الميناء. ورغم هذه الهفوات، غمرت القيادة اليابانية الفرحة بهجوم ياماموتو على بيرل هاربر الذي كاد يخلو من كل مثلبة.

أتبع ياماموتو نصره بنجاحات متواصلة في جزر الهند الشرقية خلال كانون الثاني/ يناير ـ آذار/ مارس 1942، وفي المحيط الهندي في نيسان/ إبريل 1942. وفي حزيران/ يونيو 1942، نشر هجوماً مضللاً صوب جزيرة إليوشن (Aleutian) بألاسكا، بينما كان يقود شخصياً الهجوم الرئيسي ضد جزر ميدواي. وباستيلائه على ميدواي، فإنه كان يخطط لمعاودة الهجوم على جزر هاواي.

وفي الرابع من حزيران/ يونيو كان ياماموتو يقترب من ميدواي، عندما واجهته قوة من حاملات الطائرات الأمريكية تنبهت إليه عن طريق فك شفرة الراديو اليابانية؛ إذ أساءت استخبارات ياماموتو تقدير عدد حاملات الطائرات الأمريكية الناجية من المعركة الأخيرة في بحر الكورال. عانى الأسطول الياباني كذلك من مشكلات أخرى عندما باغتت الطائرات الأمريكية معظم طائراته على السطح في عمليات التسلح والتزود بالوقود. وحين انتهت المعركة كانت أربع من حاملات الطائرات اليابانية التسع غائصة في أعماق المحيط، ومعها ثلاثمئة من طائرات اليابانيين وخيرة طياريهم.

لقد تحالفت استخبارات العدو الأكثر تفوقاً وما هو أكثر قليلاً من سوء الحظ على ياماموتو، فأنزلت به أول هزيمة تحيق بالبحرية اليابانية على مدى 350 عاماً. لكنه ظل يقود العمليات البحرية المباشرة محاولاً أن يحتفظ بالمبادأة رغم الموارد الضئيلة وتنامي قوة العدو باطراد.

ورغم أن الأسطول الياباني لم يتمكن مرة ثانية على الإطلاق من أن يقف نداً أمام الأمريكيين، فقد ظل ياماموتو القائد الأرهب جانباً في المحيط الهادي. فعندما التقطت الاتصالات الأمريكية - وهي نفسها التي فكت رموز شفرة هجوم ميدواي - معلومات حول زيارة يزمع ياماموتو القيام بها للدفاعات اليابانية في بوجانيفيل (Bougainville)، لجأت القيادة الأمريكية إلى إجراء نادر، وذلك بتخطيطها المباشر لاغتيال قائد من قادة العدو. وفي 18 نيسان/ إبريل 1943، أسقطت الطائرات المقاتلة الأمريكية المنطلقة من جوادليكنال (Guadalcanal) الطائرتين اللتين كانتا تقلان ياماموتو البالغ من العمر تسعة وخمسين عاماً والضباط المرافقين له.

وفي يوم وفاته كانت القيادة العسكرية اليابانية قد رقته إلى رتبة مشير بحري. ورغم أن نتائج الحرب ما كان من المحتمل أن تتغير لو كان ياماموتو نجا، فإن خسارته كانت ثقيلة الوطء على قدرة اليابان على مواصلة الحرب وعلى معنويات بحارته ومواطنيه. وقد وصف خلفه مينيتشي كوجا (Mineichi Koga) في إيجاز بليغ المشاعر بقوله: «كان هناك ياماموتو واحد، وما من أحد يمكنه أن يحل محله».

أثر ياماموتو في تطوير عمليات ناقلات الطائرات وتحديثها، وأثبت قدرتها على بسط النفوذ على امتداد مسافات مترامية. ومنذ معركة بيرل هاربر لم تحظ أي دولة على الإطلاق بأي مستوى من السيادة الدولية دون قوة من حاملات الطائرات تمثل نفوذها في أنحاء العالم. وكان ياماموتو الذي اتسم بروح محاربي الساموراي اليابانيين متمسكاً بمستوى راق من الشرف والولاء والإخلاص، وبفضل قدراته القيادية الشخصية وابتكاراته بشأن الاستراتيجيات المعتمدة على حاملات الطائرات، فإنه يأتي في مرتبة تلي توجو بوصفه أعظم أميرال في تاريخ اليابان.

78



هارولد روبيرت ألكسندر
Harold Rupert Alexander
قائد بريطاني
(1969 - 1891)

هو من أدى دوراً عملياً مهماً في كافة مسارح العمليات البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية، فأسهم بجلاء في هزيمة ألمانيا، وهو الذي كشف عن موهبة عظيمة في تيسير التعاون بين مختلف الجيوش والقادة، وهو من كان معروفاً بشجاعته الذاتية واستقامته. ولايزال حتى اليوم واحداً من أكثر قادة الحرب العالمية الثانية الذين يحظون بالحب والاحترام.

ولد ألكسندر في لندن في 10 كانون الأول/ ديسمبر 1891 لأبوين أيرلنديين بروتستانتيين من ذوي الألقاب. التحق بالأكاديمية العسكرية الملكية في ساندهيرست، وعند تخرجه فيها انضم إلى الحرس الأيرلندي. أبحر إلى فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى مع طلائع قوات التدخل السريع البريطانية وهو برتبة ملازم ثان. وبانتهاء النزاع كان قد حصل على العديد من الأوسمة لشجاعته؛ إذ أصيب ثلاث مرات، وقاد لواء، وكان أصغر مقدم في الجيش البريطاني.

على مدى السنوات الأربع التي قضاها ألكسندر في القتال على الجبهة الغربية، حظي بسمعة الضابط الجسور الذكي، الذي كان سحر شخصيته يشد إليه رؤساءه ومرؤوسيه في آن واحد. كتب عنه الأديب والشاعر ريدارد كبلنج (Rudyard Kipling) يقول: «لا نكران في أن العقيد ألكسندر يتمتع بموهبة التعامل مع رجاله على خطوط القتال، وهو من كانوا يستجيبون إليه عن طيب خاطر، لقد أحبه مرؤوسوه، وكان رجاله جميعاً طوع بنانه».

وفور انتهاء الحرب العالمية الأولى، تولى ألكسندر قيادة وحدة من ألمانيي البلطيق في النزاع الذي أعقب الثورة الشيوعية لتحقيق الاستقرار شمالي روسيا. ثم تولى فيما بعد قيادة الحرس الأيرلندي في وحداتهم الداخلية، كما التحق بالعديد من المعاهد العسكرية. وبعد خدمته كضابط أركان مع القيادة الشمالية خلال الفترة 1930 ـ 1934، كلف بقيادة لواء ناوشيرا (Nowshera) في الهند حتى عام 1938.

رقي ألكسندر إلى رتبة لواء عند عودته إلى بريطانيا، وعين قائداً للفرقة الأولى، ثم صدرت إليه الأوامر للاستعداد لهجوم محتمل ضد ألمانيا. وفي عام 1939 رحلت الفرقة الأولى إلى فرنسا. وسرعان ما نال ألكسندر – الذي كان معروفاً حينئذ بالفعل ويحظى بالاحترام في الدوائر العسكرية – التفاتاً وشهرة على المستوى الوطني. وحين شن الألمان حربهم الخاطفة داحرين الحلفاء عبر حدود فرنسا، قام ألكسندر الذي تولى قيادة حرس المؤخرة بإبطاء الهجوم الألماني لمدة أسبوع في الوقت الذي كان الحلفاء ينسحبون فيه من دنكيرك. وقد تم إجلاء أكثر من 330 ألف جندي بريطاني وفرنسي وبلجيكي إلى بريطانيا العظمى خلال الفترة 28 أيار/ مايو ـ 4 حزيران/ يونيو 1940. وفي آخر ليلة من ليالي الإجلاء قام ألكسندر بنفسه بالسير على شاطئ دنكيرك للتأكد من خلوه قبل أن يصعد إلى متن قارب مع آخر رجال حرس المؤخرة.

تولى ألكسندر عند عودته إلى بريطانيا قيادة القوات المتأهبة للغزو الألماني المرتقب. وبعدما أصبح جلياً أن الألمان لن يقوموا بعملية غزو، وأن اليابانيين قد دخلوا الحرب، أبحر ألكسندر إلى بورما لقيادة قوات الكومنولث. فواجه مرة أخرى قوة تفوقه عدداً، وكان كل همه توفير انسحاب منظم، لا القيام بعمليات هجومية.

عاد ألكسندر إلى إنجلترا في الوقت الذي كان فيه الإنجليز وحلفاؤهم في أمس الحاجة إلى قادة من الأبطال. ورغم أنه خدم في حملتين كبيرتين كان مآلهما الهزيمة، فقد كان هو البطل المنتظر؛ وذلك لما أظهره من مواهب وحسن قيادة في ميدان القتال من حيث تنسيقه وفق الموارد المتاحة. وفي آب/ أغسطس 1942، اندفع ألكسندر إلى مصر لقتال قوات روميل المعروفة بفيلق أفريقيا، والتي كانت تهدد مناطق شمال أفريقيا كافة. وأثناء حملة الصحراء التي تلت، استمر ألكسندر في إظهار الموهبة التي أهلته للتحكم في مرؤوسيه المعاندين؛ فقد كان برنارد لو مونتجمري - الذي لم يعرف عنه قوله كلمة ثناء تجاه أحد من الضباط - يكن احتراماً لقدرات ألكسندر القيادية، وقد أشار إليه لاحقاً بقوله: «هو الرجل الوحيد الذي يود أي جنرال عن رضى لو أنه يخدم تحت إمرته».

قام ألكسندر - بوصفه القائد الأعلى في شمال أفريقيا - بتنسيق الهجمات الأمريكية والبريطانية منزلاً في نهاية المطاف الهزيمة بالفيلق الألماني. وفي رسالة تنم عن تواضع جم، كتب ألكسندر في أعقاب النصر إلى تشرشل، يقول: «سيدي! من واجبي إبلاغكم أن الحملة التونسية لم يعد لها وجود، لقد توقفت كل مقاومة للعدو، نحن سادة شواطئ شمال أفريقيا».

وبعد أفريقيا، تولى ألكسندر قيادة الغزو البريطاني-الأمريكي المشترك لجزيرة صقلية، حيث قاد القوات إلى داخل الأراضي الإيطالية، واستولى أخيراً على روما في 4 حزيران/ يونيو 1944. وقد عين ألكسندر الذي كان آنذاك برتبة مشير قائداً أعلى لقوات الحلفاء في منطقة البحر المتوسط في 12 أيار/ مايو 1944، وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى نهاية الحرب. وفي الوقت الذي كان الحلفاء يعززون فيه مرافقهم استعداداً لغزو نورماندي، كان ألكسندر يواصل تقدمه شمالي روما. وكانت قدرته على التنسيق بين أفرع جيش متباين - مؤلف من وحدات من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والهند وفرنسا وإيطاليا ونيوزيلندا وبولندا واليونان وتشيكوسلوفاكيا - قدرة جلية. وقد تمكن ألكسندر في الشهور الأخيرة من الحرب من أسر ما يزيد على مليون جندي ألماني في حملة نهر بو (Po). وفي 29 نيسان/ إبريل 1945 قبل أول استسلام غير مشروط وقعه الضباط الألمان.

وفي أعقاب الحرب شغل ألكسندر منصب الحاكم العام لكندا خلال الفترة 1946 ـ 1952، ثم عينه تشرشل وزيراً للدفاع في حكومته ما بين 1952 ـ 1954. وفيما هو أشبه بالتقاعد على مدار السنوات الخمس عشرة التالية، شغل ألكسندر العديد من المناصب الشرفية وكان رئيس مجلس إدارة عدد من الشركات التجارية. توفي في سلوه (Slough) بإنجلترا في 16 حزيران/ يونيو 1969، وعمره ثمانية وسبعون عاماً.

كان ألكسندر جندياً محترفاً على أعلى درجات الاحتراف، وكان على خلق جم عن حق. أظهر على مدى حياته العملية قدرة غير عادية على تقويم نقاط قوة وضعف العدو، وتوقعاً لا يخيب بتحركاته. والأهم من ذلك أنه حظي بتعاون القيادات والقادة الآخرين وحافظ عليه. وأجدر ما تمكن ملاحظته أنه على مدى خمسة عقود، منذ نهاية الحرب، لم يرد في مذكرات أو كتب أو مقالات نُشرت كلمة نقد موجهة إلى ألكسندر.

إن ألكسندر يأتي ثانياً بعد مونتجمري فحسب، بوصفه أعظم قائد ميداني بريطاني في الحرب العالمية الثانية. فقد كان أثر مونتجمري الباحث عن الشهرة والانتشار، وهو ما تحقق له، أكبر من حيث دراسته على أيدي ضباط وقادة المستقبل بما يفوق ألكسندر الأقل ذيوعاً. ومع ذلك فما من شك في أن إنجازات ألكسندر كانت عظيمة، وأنه هو وليس مونتجمري، الذي لابد من أن معظم الضباط كانوا يؤثرون الخدمة تحت قيادته.

79



إيرفين روميل
Erwin Rommel
قائد ألماني
(1944 - 1891)

المشير الألماني إيرفين روميل، الملقب بـ "ثعلب الصحراء" ، حاز شهرة لتكتيكاته البارعة، وقدرته على توقع ما يصدر عن خصمه. وهو من احتفظ باحترافه في جيش ورايخ معروفين بالوحشية واللاإنسانية. حتى ونستون تشرشل صرح بأن عدوه كان «خصماً ماهراً، وقائداً عظيماً».

ولد روميل في هايدينهايم (Heidenheim) بالقرب من آلم بألمانيا في 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 1891. كان والده معلماً ووالدته ابنة رئيس دوقية فيرتمبيرغ (Württemburg). التحق بالكتيبة 124 مشاة ضابطاً دارساً عام 1910، وبعد حضوره في مدرسة المشاة في دانيتسخ (Danzig) عين ملازماً عام 1912. شهد روميل القتال أثناء الحرب العالمية الأولى، ضابطاً صغيراً في فرنسا ورومانيا وإيطاليا، وحصل على وسام الصليب الحديدي من الطبقة الأولى. وفي 26 تشرين الأول/ أكتوبر 1917، قاد روميل

هجوماً بالسلاح الأبيض على رأس مئتي ألماني ضد معقل جبلي إيطالي حصين، فأسر تسعة آلاف من جنود العدو وما يزيد على ثمانين مدفعاً ثقيلاً بينما لم يتكبد سوى خسائر طفيفة. ونظراً إلى هذا الإنجاز المذهل، رقي روميل إلى رتبة نقيب ومنح أعلى ميدالية قتال ألمانية.

ظل روميل في جيش ما بعد الحرب وشق طريقه في سلم الرتب بتصاعد حثيث، كما تقلب في مواقع العمل ما بين المناصب القيادية في سلاح المشاة والمهام التدريسية. وفي عام 1937 نشر محاضراته حول التكتيكات، وهي التي جمعها في كتابه: «**هجوم المشاة**» *Infantry Attacks*. وفي العام نفسه أصبح روميل قائد مجموعة الحرس الشخصي لأدولف هتلر.

وفي أعقاب جولة قصيرة قام بها روميل، بصفته قائد الأكاديمية الحربية، عاد لقيادة الحرس الخاص لهتلر برتبة عميد. ونظراً إلى كونه واحداً من هيئة أركان هتلر، فقد أتيح له أن يدرس عن قرب تكتيكات الحرب الخاطفة التي بدأ الجيش الألماني يعتمدها مؤخراً، فأعجب بها. وبعد سقوط بولندا التمس روميل أن يمنحه هتلر قيادة فرقة في الغزو المزمع لأراضي فرنسا. وفي 15 شباط/ فبراير 1940، تولى روميل قيادة الفرقة السابعة مدرعات.

وفي الهجوم على فرنسا في أيار/ مايو - حزيران/ يونيو، أتقن القائد الألماني التكتيكات التي استمر يستخدمها بقية حياته. تقدم روميل بسرعة خاطفة، موازناً المخاطر بالمباغتة وقوة النيران، فحشد دباباته ليخترق صفوف العدو بدلاً من أن يتعرض للاشتباك على طول جبهة عريضة مستغلاً ما سنح له من تفوق على العدو في المؤخرة غير المؤمنة نسبياً.

والأهم من ذلك أن روميل، وقد تزيا بزيه الموشى بالأوسمة، ووضع منظار الدبابات الواقي على جبهته، كان يقود الهجوم بنفسه في المقدمة. ومن ثم تجاهل، وهو في مقدمة قوات المدرعات، المخاطر الشخصية من أجل الحصول على معلومات أصيلة يبني عليها قرارات فورية. فقاتل الجنود الذين لم يعتادوا على رؤية القادة في الصفوف الأمامية قتال البواسل بضراوة ولاءً لقائدهم وحباً له.

وبانتهاء الحملة على فرنسا، كان يطلق على الفرقة السابعة مدرعات "فرقة الشبح" لهجمات روميل المباغتة وتحركاته السريعة، التي جعلت العدو لا يعرف أين سيكون ظهورها. وقد تمكن روميل، بخسارة لا تتجاوز 2500 رجل، و42 مدرعة، من أسر نحو مئة ألف جندي، وتدمير أكثر من 450 دبابة للعدو إضافة إلى الآلاف من ناقلات الدعم وقطع المدفعية.

كافأت ألمانيا روميل بمنحه وسام صليب الفارس، وترقيته إلى رتبة لواء، وتوليته قيادة فيلق أفريقيا المزمع توجيهه إلى شمال أفريقيا لدعم الإيطاليين ضد الحلفاء. وفي شمال أفريقيا طبق روميل تكتيكات الحرب الخاطفة باستخدام المدرعات، والتي أثبتت نجاحاً فائقاً في سهول أوربا، على الصحارى الفسيحة. وفي غضون شهر من وصوله في شباط/ فبراير 1941، حقق روميل بجيشه العالي التدريب أول انتصاراته ضد البريطانيين وأسر اثنين من كبار قادتهم. وفي أقل من عام كان ثعلب الصحراء، ورتبته آنذاك فريق أول، واحداً من أذيع ضباط الحرب صيتاً.

وفي حزيران/ يونيو 1941، شن روميل هجوماً على قوات بريطانية تفوقه عدداً وعدة. وبسبب تفوقه في المناورة والإقدام تمكن من الاستيلاء على ميناء طبرق الاستراتيجي في 21 حزيران/ يونيو، وبعدها بيوم رقي روميل إلى رتبة مشير.

غير أن طبرق كانت غاية ما حقق روميل؛ فمع توجيه النصيب الأوفى من الجيش الألماني للهجوم على روسيا، ظلت شمال أفريقيا ميدان قتال ثانوياً، وعانى روميل قلة الإمدادات. وزادت مشكلاته اللوجستية بسبب التفوق البحري للحلفاء الذي حد من فرص الإمداد والتموين عن طريق البحر. وفي الوقت الذي كانت فيه قوة الألمان تهن، كانت فرص تفوق الحلفاء تتنامى. كذلك وجد البريطانيون في بيرنارد لو مونتجمري قائداً قادراً على القتال بالمثل، ثم تفاقمت مشكلات روميل في تشرين الثاني/ نوفمبر 1942 عندما نزلت القوات الأمريكية إلى جهة الغرب منه وفتحت جبهة ثانية ضده.

استمرت قوات روميل المدرعة في بلائها الحسن في القتال رغم تنامي قوة العدو وتعرض الحليف الإيطالي للإنهاك. ومع ذلك فإن هتلر، إما عن غير رغبة في دعم فيلق

أفريقيا أو عن عجز، أمرهم بالثبات ومواصلة القتال حتى آخر رجل. رفض روميل إهدار حياة رجاله في معركة لا طائل من ورائها فاستسلموا في 6 آذار/ مارس.

ورغم الغضب الذي انتاب هتلر لعصيان روميل وجيشه أوامره، فقد أدرك أنه في حاجة إلى مواهب المشير، ولذا أمر بإجلائه إلى ألمانيا قبل الاستسلام. وعقب إسداء روميل النصح لهتلر حول كيفية الدفاع عن إيطاليا، توجه إلى فرنسا في 15 تموز/ يوليو 1943، وتولى مسؤولية تعزيز الدفاعات ترقباً لغزو من الحلفاء. كان روميل يحبذ تكليف سلاح المدرعات الاحتياطي بشكل مباشر بتدمير الحلفاء الغزاة بمجرد إنزالهم، إلا أن ما أبداه من قلق لم يعره أحد آذاناً صاغية. فكان كل ما استطاع أن يفعله هو تقوية الروح المعنوية للجنود من خلال قيادته الشخصية والإشراف على زرع خمسة ملايين لغم ونصف مليون عائق إبرار.

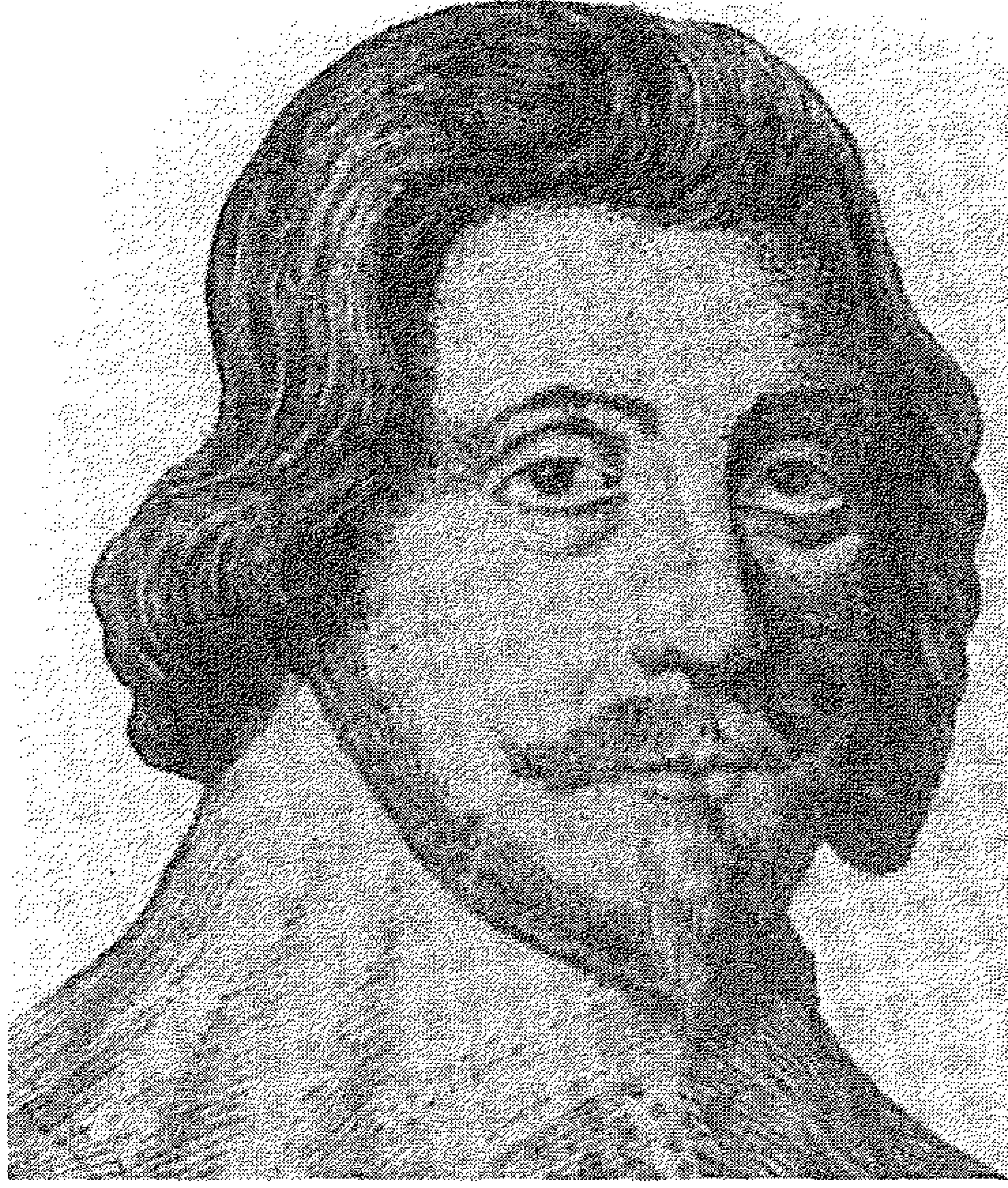
كان روميل في إجازة في ألمانيا عندما قام الحلفاء بالإبرار، فاندفع من فوره لتولي مهام الدفاع عن الشاطئ. ومع أنه كان مايزال مقيداً نتيجة رفض هتلر المستمر تكليف فرق المدرعات الاحتياطية، فقد تمكن من إيقاف البريطانيين عند رأس الشاطئ عن طريق إقامة سلسلة من أحزمة الدفاع على طول الطريق المتوقع سلوكهم إياه. واستطاع روميل أن يتفوق في مناوراته على قوة الحلفاء الجوية التي تفوقه عدداً، وذلك بتحريك رجاله إلى المؤخرة أثناء القصف وإعادتهم إلى المواقع الدفاعية المقصوفة قبل الهجوم البري.

وفي وسط المعركة، في 17 تموز/ يوليو 1944، قصفت طائرة مقاتلة بريطانية عربة روميل، فأصيب المشير بجرح خطير في الرأس، وأعيد إلى ألمانيا للعلاج، غير أن تطور الأحداث جعل عودته لتولي القيادة أمراً محالاً. وفي 20 تموز/ يوليو زرع ضباط ألمان قنبلة بهدف قتل هتلر؛ ورغم أن روميل لم يشارك فعلياً في محاولة الاغتيال، فقد كان مطلعاً على الخطة لأن المتآمرين كانوا على اتصال به قبلها بأشهر. وفي حملة التطهير التي أعقبت ذلك، اعتبر روميل متآمراً عندما علم هتلر أن الخطة كانت تدعو إلى أن يتولى روميل، وهو واحد من الضباط الألمان القلائل المتمتعين باحترام الحلفاء، رئاسة الدولة ويدخل في مفاوضات سلام لإنقاذ ألمانيا من الدمار الشامل.

وفي 14 تشرين الأول/ أكتوبر 1944 أرسل هتلر بجنرالين إلى منزل روميل يخيرانه ما بين الانتحار مع تأمين سلامة أسرته، وبين محاكمة علنية مع الإعدام والمهانة وإنزال العقاب بأسرته وهيئة ضباطه. رافق روميل البالغ من العمر ثلاثة وخمسين عاماً الجنرالين في جولة بالسيارة وتناول السم الذي قدماه له. وبعد الإعلان عن وفاته نتيجة مضاعفات الجروح التي أصيب بها في المعركة، دفن وفقاً لمراسم الشرف العسكرية.

تولى روميل قيادة بضع فرق، بينما تولى معاصروه على الجبهات الأخرى قيادة عشرات الفرق. ومع ذلك، فإن جاذبيته الشخصية وشجاعته وإدراكه الممتاز وتنفيذه لحرب المدرعات هو ما أكسبه شهرة لدى طرفي القتال. ويظل اسم روميل مرتبطاً بعمليات الدبابات الناجحة، حتى إن تكتيكاته ماتزال تدرس في معاهد المدرعات في أرجاء العالم. وحتى النهاية، عندما خشي هتلر من تلطيخ صورة أعظم أبطال ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، تصرف روميل بأقصى درجات الاحترافية والإباء.

80



لينارت تورستنسون
Lennart Torstensson
قائد سويدي
(1651 - 1603)

كان لينارت تورستنسون أحد مرؤوسي القائد السويدي جوستاف أدولف أعظم نصير للمدفعية في عصره. وقد نال لقب "أبو المدفعية الميدانية" ورتبة مشير نتيجة تطويراته وابتكاراته. وقد أثبت تورستنسون أنه قائد متمكن في شتى مصادر القوة في ميدان القتال، وأدى دوراً مهماً في صعود السويد لتصبح قوة عسكرية، وفي نجاحاتها إبان حرب الثلاثين عاماً.

لينارت هو ابن ضابط سويدي، ولد في 17 آب/ أغسطس 1603 في تورستنا (Torstena) بفاسترجوتلاند (Västergötland)، وأصبح في الخامسة عشرة من الفرسان الغلمان لدى الملك جوستاف، فصحبه في حملاته خلال الفترة 1621 ـ 1623 في ليفونيا، والتي عرَّفته على مقدار ما يكن الملك من اهتمام للمدفعية. ثم التحق

تورستنسون في الفترة 1624 ـ 1626 بالمدرسة العسكرية الهولندية التي كان يديرها موريس الناساوي، حيث تعلم المزيد عن المدفعية.

ولدى عودته إلى السويد اشترك في معركة وولهوف (Wallhof) عام 1626، ثم رافق الجيش السويدي للسنوات الثلاث التالية بوصفه ضابط مدفعية، وذلك أثناء حملة الجيش على بروسيا. بهر جوستاف بأداء غلمانه الفرسان، حتى إنه رقى تورستنسون إلى رتبة عقيد وهو في السادسة والعشرين من عمره وعهد إليه بقيادة أول فوج مدفعية محض. وعلى مدى السنوات الثلاث التالية اكتسب تورستنسون لقب أبي المدفعية الميدانية وترقية إلى رتبة فريق وهو في السابعة والعشرين.

كان جوستاف وموريس قد قدما الكثير على مدى العقود السابقة لتحديث المدفعية، وذلك عن طريق توحيد قياسات أقطار المدافع وزيادة عددها ميدانياً. وركز تورستنسون على استكمال هذه التحسينات وعلى زيادة الحركة ومعدل إطلاق القذائف بهدف تقديم الدعم الأفضل لعمليات المشاة وسلاح الفرسان. كان التطور الكبير السابق على تورستنسون هو قطع المدفعية الخفيفة الوزن التي كان قلبها يصنع من النحاس وطبقتها الخارجية من الجلد. كانت تلك المدافع الجلدية والتي يزن الواحد منها أقل من مئة رطل سهلة الحركة للغاية، غير أنها كانت خطيرة على السدنة المستخدمين لها في أرض المعركة خطورتها على الأعداء. وكانت أجلابها النحاسية الداخلية تحتفظ بالحرارة، ثم بعد عدة إطلاقات للقذائف تتوهج من تلك الحرارة فتطلق المقذوف قبل أوانه، أو تفجر المدفع بأكمله.

أعجب تورستنسون بسهولة تحريك المدافع غير أنه رأى أن المخاطر الناجمة عنها لا توجب الإبقاء عليها. وفي عام 1631 كان عوناً على تطوير مدفع مسبوك من الحديد ليحل محل المدافع الجلدية. وكان يمكن نقل المدفع الجديد زنة الأربعمئة رطل بدفع أربعة رجال أو حصانين، ويلحق بوحدات المناورة في سلاحي المشاة والفرسان، بينما يظل بصورة دائمة تابعاً لفوج مدفعية رئيسي.

ثم تحول تورستنسون بعد ذلك إلى زيادة قوة نيران كل مدفع بجمع المسحوق والطلقة داخل أوعية خشبية رفيعة لتكوين "المقذوفات" من أجل الإسراع بحشو

المدافع. وقد أدى هذا التحسين - علاوة على التدريب الفردي وتدريب الأطقم الواسع - إلى تمكين المدفعيين السويديين من حشو وإطلاق مدافعهم أسرع مما يتهيأ رجال المشاة لإعادة حشو بنادقهم وإطلاقها.

وقد سنحت الفرصة لتورستنسون للمرة الأولى لاستخدام مدفعه المحسن في القتال في 17 أيلول/ سبتمبر 1631 في معركة بريتنفيلد، حيث أطلقت مئة من المدافع السويدية وابلاً من القذائف لتبدأ المعركة، وفي القتال اللاحق تمكنت مدافع تورستنسون من الإطلاق بسرعة تزيد ثلاث مرات على سرعة العدو. كما مكنت سهولة حركتها اشتراكها مع القوات المناورة وإحراز النصر الحاسم.

واصل الضابط السويدي المساهمة في تقدم جوستاف وأدى دوراً مهماً في عبور الليش (Lech) في نيسان/ إبريل 1632. ولم يكن في الإمكان بالطبع كسب كل معركة باستخدام المدفعية وحدها؛ فحين كان السويديون يقاتلون على أرض غير ملائمة لاستخدام الدعم المدفعي، لم يكن يحالفهم النصر دائماً. شارك تورستنسون في الهجوم على القلاع المنيعة في آلتي فستي (Alte Veste) بالقرب من نورينبرج في أيلول/ سبتمبر 1632. وبسبب ما مثلته طبيعة التضاريس من الحد من حركة المدافع فقد اشترك تورستنسون شخصياً في القتال الذي دار قريباً من جانب أدولفوس، وبينما فر الملك ومعظم رجال المدفعية، وقع تورستنسون في الأسر.

وبعد انقضاء عام على أسر تورستنسون، عاد إلى السويد في عملية تبادل للأسرى. وأثناء غيابه كان جوستاف قد قُتل في إحدى المعارك، وتولى يوهان بانير (Johan Banér) قيادة الجيش السويدي. انضم تورستنسون إلى بانير كرئيس للأركان، وواصل إشرافه على المدفعية السويدية إبان انتصاراتها في ويتستوك (Wittstock) عام 1636.

وبسبب طول فترة الحملة السويدية على ألمانيا والتي امتدت خمس سنوات أخرى، أصبح الجيش في حالة معنوية متدنية نتيجة عجزه عن تحقيق نصر كامل. وعندما توفي بانير عام 1641، قبل تورستنسون - رغم إصابته بالنقرس - على مضض قيادة الجيش ميدانياً، وبدأ على الفور يبث في جنده الروح المعنوية والنظام. وبعد ذلك بعام أحرز

تورستنسون نصراً مهماً في ليبتسخ أدى فيه فوجه المدفعي القديم دوراً حيوياً، وهو ما أتاح له اجتياح سكسونيا بكاملها بانتهاء عام 1642.

وفي عام 1643 واصل تورستنسون هجومه على بوهيميا (Bohemia) ومورافيا (Moravia) بقليل من التدخل، وفي عام 1644 استدار لمهاجمة الدنماركيين. طارد السويديون الجيش الدنماركي إلى داخل بوهيميا فهزم قوة من بافاريا هبت لنجدة الدنماركيين. ثم أحرز تورستنسون في جانكو (Jankau) في 5 آذار/ مارس 1645 آخر انتصاراته العظيمة، ملحقاً الهزيمة بالبافاريين، وذلك بتعجيله نقل مدفعيته إلى أرض المعركة. وبعد فترة وجيزة من معركة جانكو استقال تورستنسون من القيادة بسبب اعتلال صحته. ثم شغل عدة مناصب سياسية في السويد قبل وفاته في إستكهولم في 7 نيسان/ إبريل 1651، وهو في الثامنة والأربعين.

لقد غطى جوستاف على شهرة تورستنسون، غير أن أبا المدفعية الميدانية أثبت أنه أستاذ في مجال ابتكار الأسلحة، وأنه تكتيكي واستراتيجي فذ في تشكيل وتوظيف وحدات المدفعية. و يكمن تأثيره المباشر في ما أحرز من نصر في حرب السنوات الثلاثين التي رفعت السويد إلى مقام القوى العسكرية الكبرى. أما تأثيره الدائم فهو نتاج ما أدخل من تطويرات على حركة وقوة نيران المدفعية والتي وضعتها في مكانة مساوية للمشاة وسلاح الفرسان.

81



صـــدام حســـين

Saddam Hussein

قائد وحاكم سياسي

(- 1937)

نصب صدام حسين المفتقر إلى كل خبرة عسكرية نفسه قائداً أعلى للقوات المسلحة عند توليه رئاسة العراق عام 1979 . ومنذ ذلك الحين وصدام يمارس سيطرة مطلقة على بلده؛ فدفع بالجيش إلى حرب ضد جارته إيران (1980 ـ 1988)، ثم غزا دولة الكويت في عام 1990 . ورغم القتال الذي خاضه ضد إيران ولم يسفر عن غلبة أحد الجانبين، وما تعرض له من هزيمة مدوية على أيدي الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في دولة الكويت، فمايزال صدام باقياً في السلطة، ومازال يمثل بسيطرته على واحدة من أكبر القوى العسكرية في الشرق الأوسط مصدر تهديد لجيرانه وللسلام في المنطقة.

ولد صدام حسين في أسرة من الفلاحين السنيين كانت تعيش في فقر مدقع دون حيازة أرض في قرية العوجة قرب بلدة تكريت على نهر دجلة في 28 نيسان/ إبريل 1937 . عمل صدام الذي كان يتعرض للإيذاء البدني على يدي زوج أمه وهو طفل، في

رعي الأغنام، ولم يلتحق بالمدرسة إلا في سن العاشرة عندما رحل إلى بغداد ليقيم مع أحد أعمامه. وبسبب تأخره في دخول المدرسة جاء تحصيله ضعيفاً، وكانت درجاته المتدنية سبباً في رفض طلبه الالتحاق بالأكاديمية العسكرية في بغداد وهو في السادسة عشرة.

وحين وجد الطريق مغلقاً أمام رغبته في أن يكون ضابطاً بالجيش، انضم إلى الحركة السياسية الوطنية. وفي عام 1956 شارك في محاولة الانقلاب الفاشلة ضد الملكية في العراق. وبعدها بعام انضم إلى حزب البعث الراديكالي. وفي عام 1958 اتهم - وهو في الحادية والعشرين - بقتل أحد المسؤولين الحكوميين في بلدته تكريت، وسجن مدة ستة أشهر قبل أن يطلق سراحه لعدم كفاية الأدلة.

وفي نحو ذلك الوقت قاد الفريق عبدالكريم قاسم انقلاباً عسكرياً سيطر به على مقاليد الحكم في البلاد، وأيد البعثيون الحكومة الجديدة فترة وجيزة. وفي عام 1959 شارك صدام في هجوم فاشل بالرشاشات ضد عبدالكريم قاسم، وأصيب صدام إلا أنه تمكن من الفرار. وفيما بعد وحين تولي صدام السلطة أحيط دوره في تلك المحاولة الانقلابية بهالة بزعم إصابته بجروح خطيرة، وتمكنه من الفرار عن طريق عبوره نهر دجلة سباحة، ودخوله سوريا عبر الصحراء. أما في الحقيقة فإن جروحه كانت طفيفة، ويحتمل أن أحد رفاقه أصابه في وسط الكمين، وأن أعضاء آخرين في حزب البعث دبروا عملية فراره.

اختبأ صدام في القاهرة على مدى السنوات الأربع التالية حيث التحق بكلية الحقوق لكنه لم يتخرج فيها. وعندما اغتال حزب البعث عبدالكريم قاسم عام 1963، عاد صدام إلى العراق وبدأ صعوده المتلاحق في صفوف الحزب. ثم أطيح حزب البعث في عام 1964 وقضى صدام فترة وجيزة في السجن، ولكن مع عودة البعث للحكم عام 1968، تولى صدام منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة.

وتمكن صدام - الذي استغل قوات أمن الحزب الفظة لصالحه وعيّن أقرب أقاربه مساعدين ومرؤوسين - من مواصلة صعوده من خلال حملات التطهير العسكري، وترهيب الأعداء وقتلهم والسيطرة المحكمة على موارد الحزب. لقد هيأ صدام لنفسه أن

يكون أقوى رجل في العراق قبل فترة طويلة من توليه رسمياً الرئاسة عام 1979 وهو في الثانية والأربعين. وإضافة إلى إحكام صدام سيطرته المطلقة على جوانب الحكم كافة، قام - وهو الذي رفض طلبه للانضمام إلى الأكاديمية العسكرية - بترقية نفسه إلى رتبة مشير [مهيب الركن]، وبدأ يظهر مرتدياً لباس المعركة ويضع على رأسه "البريه" الأسود.

وفي أعقاب توليه القيادة، حاول استغلال دخل البلاد الكبير من النفط في تحسين التعليم والزراعة وكل أوجه المعيشة بالعراق، غير أن هذه الأمور لم تستحوذ طويلاً على انتباهه؛ إذ دخل في حرب ضد إيران عام 1980 للسيطرة على مزيد من احتياطي النفط ولتثبيت مركزه كقائد وحاكم سياسي، ولتوسيع دائرة نفوذه السياسي عربياً. فقد قال صدام متباهياً - وهو يأمر فرقه بشن هجمات ضد الإيرانيين جاءت مفتقرة إلى التنسيق على جبهات القتال - إن العراق ذو قدرات عظيمة، مثله في ذلك مثل الصين والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. وعندما فشل الهجوم تحين صدام الفرصة وأردى القائد العسكري المخفق قتيلاً. وفي أعقاب دحر هجوم كبير عام 1982 أعدم صدام أكثر من ثلاثمئة من كبار الضباط. وكان من العرف أن من يُغضب صداماً من أعضاء الحكومة أو قادة الجيش أو يخالفه في الرأي فهو بمنزلة من يقدم على الانتحار.

ومع رتابة إيقاع الحرب عمد صدام إلى القيام بزيارات متكررة إلى الجبهة محاطة بدعاية كبيرة، غير أن قوته كعسكري كانت تكمن في ثروات بلاده التي أتاحت له شراء السلاح من السوفييت والصينيين. وبعد حرب دامت ثمانية أعوام وخسائر في الأرواح تعد بمئات الألوف وافق العراق وإيران أخيراً على هدنة. لم يحقق صدام شيئاً يذكر على المستوى العسكري، لكنه حقق هدفه في أن يعزز نفوذه السياسي على الصعيد الإقليمي العربي.

وعلاوة على الفظائع التي ارتكبها صدام ضد الإيرانيين وقتله ضباط جيشه، أظهر كذلك فظاظة ضد الأقليات العرقية داخل العراق؛ إذ أمر صدام الذي اتهم القرى الكردية بمعاونة الإيرانيين برش تلك القرى بالغازات السامة عام 1987، وعاود الفعلة

عام 1988، مما تسبب في مقتل حوالي خمسة آلاف رجل وامرأة وطفل وإصابة عشرة آلاف آخرين بإصابات خطيرة.

وفي 2 آب/ أغسطس 1990 غزت العراق دولة الكويت، وأعلن صدام حسين ضمه لها باعتبارها محافظة عراقية جديدة. ورداً على ذلك، تم تكوين ائتلاف دولي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، تمركز في المملكة العربية السعودية، وبدأ في أوائل عام 1991 توجيه ضربات جوية للعراق أتبعها بهجوم بري أسفر عن تحرير دولة الكويت وهزيمة الجيش العراقي. هذا وقد انهار "جيش المليون رجل" الصدامي بعد قتال وجيز. وبانتهاء الحرب في 28 شباط/ فبراير كان نحو 8-15 ألف عراقي يرقدون صرعى في الصحراء، وما بين 25-50 ألفاً جرحى، بينما وقع ما يربو على 85 ألفاً أسرى في أيدي قوات التحالف.

ومن المذهل أنه رغم محاولات الائتلاف لإصابة صدام في عمليات القصف، وما أتبعها من جهود سياسية لإطاحة طاغية العالم عن الحكم، فإنه لايزال في السلطة. لقد تقاعد معظم القادة العسكريين في التحالف الذين قادوا الهجمات، وخرج العديد من القادة السياسيين إبان التحالف من الحكم، ولكن، ما يزال صدام قابضاً على زمام الحكم في العراق، وما يزال جيشه واحداً من أقوى الجيوش في الشرق الأوسط وأشدها تهديداً من ناحية القوة العسكرية.

من المؤكد أن صداماً لم يدخل هذه القائمة بوصفه ممتلكاً لأي براعة عسكرية فائقة؛ إذ إنه حقق سلطته وحافظ عليها بطريقة لا تعرف الرحمة تماثل طريقة أدولف هتلر. ومع أن فظائعه لاتصل في عددها ما كان للقائد الألماني، فإنها تماثلها في وحشيتها. ولو أطيح صدام حسين إبان حرب تحرير دولة الكويت أو نجحت محاولات اغتياله، فما كان من المحتمل أن يستحق الالتفات إليه. غير أن ما يحفظ له مكانته في قائمة القادة العسكريين من ذوي التأثير الجلل إنما هو مواصلته الإمساك بزمام السلطة وتهديده المستمر للسلام والأمن الإقليمي والدولي.

82



فيدل كاسترو
Fidel Castro
ثائر كوبي
(1927 -   )

قاد ثورة عسكرية ـ سياسية في كوبا وأسس أول جمهورية شيوعية في نصف الكرة الغربي. وماتزال كوبا اليوم بقيادة فيدل كاسترو واحدة من بضع دول باقية على النظام الشيوعي. ومع أن نفوذه يخبو، فلايزال يمثل أعظم تهديد للسلام والاستقرار السياسي في الأمريكتين.

ولد كاسترو في 13 آب/ أغسطس 1927 في مياري (Mayari) بمقاطعة أورينتي (Oriente) الكوبية. عاش حياة رغدة في طفولته في مزرعة قصب السكر التي كان يمتلكها والداه، ثم تلقى تعليمه في مدرسة كاثوليكية في المرحلة الثانوية في هافانا. وفي عام 1945 التحق كاسترو بجامعة هافانا طالباً يدرس القانون، ثم تحول إلى ناشط سياسي مع عديد من المجموعات المعارضة للنظام الكوبي والحكومات الأخرى عبر أمريكا اللاتينية. فقام بمساعدة المنفيين الذين كانوا يعدون إلى إطاحة رئيس حكومة

الدومينكان رافاييل تروجيو (Rafael L.Trujillo)، إلى أن شتتت الحكومة الكوبية المجموعة عام 1947. وبعد ذلك بعام شارك كاسترو في أحداث الشغب التي وقعت في بوجوتا والتي كانت تهدف إلى إفشال المؤتمر الدولي التاسع للدول الأمريكية.

تخرج كاسترو بعد أن حصل على إجازته في القانون عام 1950 ولديه اعتقاد قوي في نفوذ السياسة. فالتحق بحزب أورتودوكسو (Ortodoxo) ذي التوجه الإصلاحي، وسعى للحصول على مقعد في الكونجرس الكوبي، إلا أن إسقاط حكومة كارلوس بريو سوكاراس (Carlos Prio Socarras) على يد فلجنتشيو باتستا (Fulgencio Batista) قضى على الانتخابات التي كانت مرتقبة. وعندما أدرك كاسترو بمدى فساد وتجاوزات حكومة باتستا، بدأ بالتخطيط لإجراءات عسكرية بدلاً من العمل السياسي.

وفي 26 تموز/ يوليو 1953، قاد كاسترو 160 من رفاقه الثوار في هجوم ضد ثكنات جيش مونكادا (Moncada) في سانتياجو دي كوبا (Santiago de Cuba)، فاستولى على أسلحة وذخائر، وحث الأهالي على مناصرة قضيته. أخفقت كل جهوده، وقامت قوات الحكومة بقتل أو اعتقال معظم أفراد قوته، وحكم على كاسترو بالسجن مدة خمسة عشرة عاماً وعلى أخيه الأصغر راؤول بثلاثة عشرة عاماً.

بعد ذلك بعام أصدر باتستا عفواً عاماً استجابة لضغوط سياسية والذي بموجبه أطلق سراح الأخوين كاسترو. لم تهن حماسة كاسترو الثورية فرحل إلى المكسيك لإعادة تشكيل جيشه بغية قيادة تمرد أطلق عليه "السادس والعشرون من تموز/ يوليو" إحياءً لذكرى الهجوم الفاشل ضد مونكادا. نزل كاسترو الذي كان يقود جيشاً من 81 ثائراً، بمن فيهم أخوه والطبيب الأرجنتيني شي جيفارا، إلى الساحل الجنوبي لمقاطعته أورينتي (Oriente) في 2 كانون الأول/ ديسمبر 1956. ومرة أخرى يواجه كاسترو كارثة، حيث أسرت قوات باتستا كل المتمردين عدا اثني عشر منهم في غضون أيام من عملية الإنزال التي قاموا بها.

فر كاسترو وأخوه راؤول وجيفارا والبقية الأخرى من الناجين إلى جبال سيرا مايسترا (Sierra Maestra)، وذلك لمواصلة عمليات حرب العصابات والقيام بحملة

دعائية لكسب التأييد لقضيتهم بين أوساط الفلاحين والطبقة الوسطى. وقد حصلت حركة السادس والعشرين من تموز/ يوليو على مؤيديها وقوة الدفع بفضل جهود كاسترو، كما حصلت عليها بسبب تجاوزات باتستا وقسوته. وقد طبق كاسترو أسلوب حرب العصابات متبعاً في ذلك سون تسو، وماو تسي تونج، وفو نيجين جياب. وقد تعزز نفوذ كاسترو من مجرد حضوره وتجنيده لغير الراضين عن الحكومة القائمة آنذاك.

وأثناء إقامة كاسترو في الجبال لمدة عامين، توافرت له قوة كافية، أساسها من المنشقين على الحكومة، لإجبار باتستا على الفرار من كوبا في الأول من كانون الثاني/ يناير 1959. دخل كاسترو هافانا وأعلن نفسه رئيساً لوزراء كوبا. ورغم أنه استمر يرتدي لباس القتال الذي أصبح علامة مميزة عليه رمزاً إلى ماضيه العسكري، فقد تحول إلى سياسي وكرس معظم وقته لإدارة بلاده.

طوال فترة الثورة كان كاسترو يعد بتشكيل حكومة أمينة وبمنح الصحافة حريتها، واحترام حقوق الأفراد والملكية الخاصة، كما هو منصوص عليه في دستور كوبا لعام 1940. وبدلاً من ذلك، قام بإعدام أكثر من ألف من أتباع باتستا ومناوئيه الآخرين، وبدأ يطبق النظم الاشتراكية على اقتصاد الجزيرة. وأمّ الأصول الأمريكية التي تقدر بما يزيد على المليار دولار وبدأ يتحدث ضد "إمبريالية اليانكي". وفي 31 كانون الثاني/ يناير 1961، قطعت الولايات المتحدة الأمريكية علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا. وفي أواخر ذلك العام وبعد اعتراف كاسترو بأنه كان على الدوام ماركسياً، بدأ يتلقى المساعدات، بما في ذلك المعونات العسكرية من كل من الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية.

زاد كاسترو قبضته على كوبا بعد انتصاره على القوات الغازية في خليج الخنازير عام 1961 المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية بهدف خلعه والتي كانت تفتقر إلى الإعداد الجيد، وقد سبب هذا الانتصار حرجاً للولايات المتحدة. لكن كاسترو أصيب بانتكاسة في العام التالي عندما أجبرت الولايات المتحدة الأمريكية الاتحاد السوفيتي على سحب صواريخه من الجزيرة، ومع ذلك ظل كاسترو الشيوعي البارز في نصف الكرة الغربي.

وفي أواخر الستينيات من القرن العشرين حاول كاسترو تصدير أفكاره السياسية؛ فأخفقت أولى محاولاته في بوليفيا بوفاة جيفارا عام 1967، غير أنه طوال السبعينيات، قام الجنود الكوبيون بدعم وتسليح من الاتحاد السوفيتي بمعاونة الانتفاضات الماركسية عبر أرجاء أمريكا الوسطى والجنوبية وأفريقيا. وقد أوضح كاسترو أن هذه العمليات ضرورية لدعم الماركسية، ولكن الأهم هو الإبقاء على الكوبيين موحدين ونشطاء في وجه عدو محدد واضح.

إلا أن كوبا على عهد كاسترو أخفقت في أن تزدهر، وقد توقفت المساعدات الاقتصادية مع انهيار الاتحاد السوفيتي أوائل التسعينيات من القرن العشرين. فواصل اقتصاد الجزيرة انكماشه، وما أبقى على نفوذ كاسترو إنما هو حكمه الحديدي القبضة. ولكون كوبا تمثل واحداً من آخر الأنظمة الشيوعية في العالم، فإنها تواجه متناقضات تكاد تستعصي على التجاوز.

ما كان ليكتب لكاسترو السيطرة على الحكومة الكوبية دون وجود قوته العسكرية. غير أنه بغض النظر عن أهمية الجانب العسكري في ثورة كاسترو، فهو يأتي في مرتبة ثانوية بالنسبة إلى قدراته التسييسية والدعائية. ولذلك بينما نجح كاسترو في تصدير نفوذه العسكري خلال السبعينيات والثمانينيات، فإن نفوذه ينحسر اليوم مقتصراً على كوبا وهو يذوي مع ما ينتاب اقتصاد الجزيرة من ضعف.

إن ما يضع كاسترو على هذه القائمة من القادة العسكريين المؤثرين هو الموضع الذي تم له الانتصار فيه على باتستا على بعد تسعين ميلاً من الساحل الأمريكي، وكذلك تأثيره الذي طال مداه فيما يتعلق بتوازن القوى أو مستقبل الماركسية. ولعله أكثر من سواه في هذه القائمة ممن سوف يتلاشى نفوذه وتأثيره بمرور الوقت.

83



هوراشيو هربرت كيتشنر
Horatio Herbert Kitchner
قائد بريطاني
(1916 - 1850)

حاز هوارشيو هربرت كيتشنر شهرة بوصفه واحداً من أشجع قادة بريطانيا العظمى في الدفاع عن إمبراطورية بلاده الواسعة، وذلك حين غزا من جديد السودان وانتزعها من الحكم العربي، وحقق انتصاراً على البوير (Boers) في جنوب أفريقيا. وقد أظهر كيتشنر، المعروف بغلظته في القتال وبسلوكه المتسم بالبرود، من حين إلى آخر، كفاءة سواء في ميدان القتال أو داخل الحكومة. ولكونه واحداً من أوائل الضباط الذين أدركوا مدى القدرة التدميرية للحرب العالمية الأولى، فقد أسهمت جهوده في توسيع حجم الجيش البريطاني، وفي بناء قاعدة صناعية استعداداً لنزاع طويل الأمد في إلحاق الهزيمة النهائية بألمانيا بشكل مباشر.

اقتفى كيتشنر، المولود في 24 حزيران/ يونيو 1850، بالقرب من ليستوول (Listowel) بمقاطعة كيري (Kerry) بأيرلندا، خطى والده ضابط الجيش والتحق

بالجندية. وأثناء التحاقه بالأكاديمية العسكرية الملكية في ووليتش (Woolwich)، أبدى رغبته في القتال، فنال إجازة قصيرة عام 1870 لينضم إلى الفرنسيين متطوعاً في حربهم ضد بروسيا. ولدى عودته وتخرجه في الأكاديمية عام 1871 دخل سلاح المهندسين الملكي، وقام على مدى السنوات العشر التالية بمهام الاستطلاع والاستخبارات في فلسطين والأناضول وقبرص.

وفي عام 1883 التحق كيتشنر بأحد أفواج سلاح الفرسان المصري في المركز القيادي الثاني، وشارك في المحاولات الفاشلة لقوات حملة النيل لتعزيز الجنرال تشارلز جوردون (Charles Gordon) في الخرطوم عامي 1884 ـ 1885. وقد كشف كيتشنر أثناء الحملة عن بسالة متواصلة في أرض المعركة وقطع على نفسه عهداً بالثأر لمقتل جوردون، وخسارة السودان لصالح المهدي وخليفته.

وفي خلال السنوات التي تلت، حصل كيتشنر، الذي كان يحيا حياة العزوبة ولا يشغله شاغل خارج حدود العسكرية، على عدد من الترقيات واكتسب صيتاً لاجتهاده، ومستوى أدائه الرفيع. وفي عام 1892 تولى كيتشنر قيادة الجيش المصري، وراح يحث رؤساءه في لندن لاستعادة السودان، وبعد أن منح الإذن عام 1896 سار باتجاه النيل جنوباً، فبنى سككاً حديدية بمحاذاة النهر لتأمين خطوط الإمداد. واجه الجيش المتقدم مقاومة عنيفة من المدافعين العرب، غير أن قوات كيتشنر أحرزت انتصارات في دنقلة في 21 أيلول/ سبتمبر 1896، وفي "أبو حامد" في 7 آب/ أغسطس 1897، وفي معركة نهر عطبرة في 8 نيسان/ إبريل 1898.

واجه كيتشنر وجيشه المختلط من المصريين والإنجليز والمؤلف من 26 ألف رجل هجوماً حاشداً في أم درمان في 2 أيلول/ سبتمبر 1898 من 40 ألف عربي، حيث حاول الحاكم العربي إيقاف أي محاولة أخرى للتقدم إلى داخل السودان. وقد صد رجال كيتشنر الهجوم الأول من خلف سور شجر الزعرور الذي كان عليقاً للإبل، مستخدمين المدفعية ولأول مرة المدافع الرشاشة.

ورغم إحراز كيتشنر كسباً عاجلاً، فقد أقدم على ما كاد أن يتحول إلى خطأ تنجم عنه كارثة حين تسرع في إصدار الأمر لرجاله بهجوم شامل لاستغلال الموقف. كان

العرب أبعد ما يكونون عن الهزيمة، ولم يمر اليوم على ما يرام بالنسبة إلى كيتشنر إلا بهمة درامية لفرقة رماة الرماح الحادية والعشرين، ودفاع مستميت للواء السوداني الثاني. وبانتهاء المعركة كانت بريطانيا العظمى قد استعادت السودان، ولقي ما يربو على عشرة آلاف من الجيش العربي مصرعهم وأسر نصف هذا العدد، وثأر كيتشنر لمقتل جوردون بخسارة لا تزيد على خمسمئة جندي من جنوده.

وبعد مغادرة كيتشنر إلى إنجلترا لنيل الترقية والأوسمة، عاد إلى السودان لفترة وجيزة حاكماً عاماً قبل أن يبحر إلى جنوب أفريقيا ليصبح رئيس أركان في جيش فريدريك سليه روبرتس (Frederick Sleigh Roberts). وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1900 حل كيتشنر محل روبرتس، وواصل الحرب ضد المستوطنين الألمان المهاجرين المعروفين بالبوير مستخدماً طرائق وحشية في القتال والتي مكنته في السابق من النجاح، ثم زاد على ذلك بضعة أساليب شرسة للتعامل مع عمليات حرب العصابات للعدو.

حرم كيتشنر البوير من الطعام والإمدادات من خلال سياسة الأرض المحروقة التي لا تبقي ولا تذر. ولكي يحد من دعم المدنيين قام باحتجاز نساء البوير وأطفالهم والمدنيين الآخرين غير المقاتلين فيما أسماه "معسكرات الاعتقال"، وهو أول استخدام للمصطلح. وقد كانت أساليب كيتشنر، رغم ما وجه من انتقادات لتكتيكاته، أساليب ناجحة أرغمت البوير على إنهاء مقاومتهم.

واليوم تنظر بريطانيا العظمى وكثير من بقية دول العالم إلى كيتشنر على أنه واحد من أكثر القادة في عصره بطولة وسطوة. وقد خدم كيتشنر أولاً، الذي رقي إلى رتبة مشير، كقائد عام للقوات البريطانية في الهند خلال الفترة 1902 ـ 1909، ثم شغل منصب القنصل العام في مصر عام 1911.

كان كيتشنر في إجازة في بلاده وقت اندلاع الحرب في أوربا عام 1914؛ فقبل على مضض منصب وزير الدولة لشؤون الحرب وبدأ يتخذ الاستعدادات لها. ورغم أن الكثيرين في إنجلترا ظنوا أن الحرب ستكون قصيرة الأمد، وأن الجيش النظامي الصغير سيكون كافياً لإحراز النصر، فقد كان رأي كيتشنر أن الحرب سيطول

أمدها، وأنها تتطلب وجود جيش أكبر عدة من المتاح آنذاك حتى في حالة تفعيل قوات الاحتياط الإقليمية.

شرع كيتشنر، بما عرف عنه من إخلاص واجتهاد، في تشكيل جيش قادر على خوض القتال فيما سيصبح نزاعاً دولياً. وبنى محاولاته لتجنيد الأفراد على ملصق يحمل صورته وهو يشير بإصبعه قائلاً: «ملكك وبلدك في حاجة إليك». فتقدم ما يزيد على مليون شاب كانوا كافين لتشكيل 67 فرقة مقاتلة، وذلك في واحدة من أنجح حركات التطوع حتى ذلك الوقت. تولى كيتشنر عملية تجهيز هؤلاء الرجال مطالباً بأن تقوم قطاعات الصناعة بتزويدهم بأفضل المعدات وأحدث الأسلحة. وفي فترة وجيزة كان قد قام بتدريب متطوعيه وإرسالهم إلى منطقة القتال.

ارتفع شأن كيتشنر كبطل في نظر مواطنيه وقت أن كان يعدهم للقتال. وقد احترم القادة المرؤوسون له وكذلك قواته براعته في القيادة وحدبه عليهم. غير أن القصة كانت مختلفة داخل الحكومة وبين أنداده؛ فظل منزوياً، وكان متغطرساً للغاية مع السياسيين ومع كثير من رفاقه العسكريين. وترتب على ذلك أنه بمجرد أن أنجز معظم أهدافه في عملية التعبئة، قلل أعداؤه في الحكومة البريطانية من مسؤولياته وأعفوه تماماً من مهامه، بينما كان بعيداً في منطقة القتال في غاليبولي (Gallipoli) عام 1915.

ورغم هذا الرفض، فإن كيتشنر لم يتقدم باستقالته، بل عرض خدماته في مناطق بديلة. فأبحر في عام 1916 إلى روسيا على متن السفينة هامبشير (Hampshire) لتقوية التعاون بين الدولتين. وفي 5 حزيران/ يونيو اصطدمت السفينة بلغم عند الساحل الغربي لأوركني (Orkney) وسرعان ما غرقت. لم يكن كيتشنر البالغ من العمر ستة وستين عاماً من بين القلة الناجية، فنعت بريطانيا العظمى خسارته رغم أنه قيل إن الذين لم يعرفوه كانوا أكثر ذرفاً للدمع عليه، لقد نال كيتشنر احترام الكثيرين لكنه حظي بصداقة القليلين.

لقد كانت نجاحات كيتشنر نتاج اهتمامه الفائق بالتفاصيل استعداداً للعمليات وفي إيصال الدعم بمجرد بدئها. كانت فظاظته ووحشيته منسجمتين مع فلسفات وممارسات

عصره. وإن إعادة سيطرته على السودان من خلال انتصاره في أم درمان لكفيل بإكسابه شهرة دائمة، كما أن جهده في تجهيز بريطانيا العظمى للحرب العالمية الأولى يؤهله لأن يتبوأ مكانه بين أكثر القادة العسكريين تأثيراً في عصره في ذلك البلد.

84



تيتو
Tito
قائد يوغسلافي
(1980 - 1892)

تيتو هو واحد من أعظم مقاتلي حرب العصابات في التاريخ. حرر بلاده من المحتلين الألمان في الحرب العالمية الثانية، وشكل حكومة شيوعية حافظت على استقلاليتها عن كل من الاتحاد السوفيتي والصين. وقد استطاع تيتو، المشهود له بالشجاعة الذاتية، والقوة البدنية والمعنوية، والإقبال على الحياة، أن يوفر لوطنه الاستقرار لما يزيد على ثلاثة عقود في بيئة تتسم بأقصى درجات التقلب.

ولد جوزيب بروز (Josip Broz) في 25 أيار/ مايو 1892 في كومروفيتش (Kumrovec) بكرواتيا، وكان الابن السابع لأسرة من الفلاحين، فعانى "تيتو المستقبل" العوز في طفولته. عمل في سن المراهقة صبياً لدى صانع أقفال، ثم عامل معادن قبل أن يلتحق بالجيش وقت اندلاع الحرب العالمية الأولى. وفي آذار/ مارس 1915 أصاب رامي رمح من كوساك (Cossack) تيتو، فوقع أسيراً في أيدي الروس. فعاصر في فترة اعتقاله ثورة

تشرين الأول/ أكتوبر، وبهر بالثورة الشيوعية إلى درجة أنه انضم إلى الجيش الأحمر عام 1917.

عاد تيتو إلى يوغسلافيا المستقلة عام 1920 وانضم إلى الحزب الشيوعي اليوغسلافي. وفي عام 1928 قبض عليه بتهمة التخريب، فقضى خمس سنوات في السجن. ولما أطلق سراحه، سافر إلى موسكو للمساعدة على المحاولات السوفيتية المبذولة من أجل فرض النفوذ على البلقان. وفي عام 1936 توجه إلى باريس لتجنيد متطوعين للألوية الدولية للقتال في إسبانيا.

وفي عام 1937 عاد تيتو إلى يوغسلافيا، وبعد أن تم انتخابه أميناً عاماً للحزب الشيوعي اليوغسلافي، عمل على الإبقاء على حياد بلاده في الحرب العالمية الثانية. ولم يبذل جهداً يذكر لمقاومة الغزو الألماني ليوغسلافيا في نيسان/ إبريل 1941 بسبب اتفاقية عدم الاعتداء المبرمة بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا. ولكن عندما غزت ألمانيا روسيا في حزيران/ يونيو، اتخذ جوزيب بروز الاسم الحركي "تيتو" وشرع في تنظيم المقاومة.

تحالف تيتو في بادئ الأمر مع الباقين على قيد الحياة من أفراد الجيش اليوغسلافي الملكي وحقق بعض النجاحات المبكرة في طرد الألمان من صربيا. غير أن العلاقة بين الشيوعيين بقيادة تيتو وبين الملكيين المعروفين بـ"الشتنكس" (Chetniks) سرعان ما تدهورت في الوقت الذي شن فيه الألمان هجوماً مضاداً لاستعادة أراض خسروها. فانسحب تيتو الذي واجه معارضة من الشتنكس والنازيين على حد سواء، إلى مونتينجرو (الجبل الأسود) والبوسنة لإعادة تنظيم مجموعاته.

وجه تيتو رجال عصاباته ضد الشتنكس وسرعان ما هزمهم. وبعد أن أعلن نفسه قائداً لكل يوغسلافيا، قام بحملات لتوحيد اليوغسلافيين، بغض النظر عن الخلفية العرقية أو الدينية، ضد العدو الألماني المشترك. وتنامى أنصار تيتو المسلحون تسليحاً خفيفاً، وأتاحت لهم درايتهم بالمخابئ الجبلية أن يظلوا مختفين عن أنظار دوريات الجيش الألماني وأن يشنوا عمليات تخريبية في مجموعات صغيرة، وأن يتجمعوا في وحدات أكبر لشن هجمات شاملة. فقد استعاضوا عن افتقارهم إلى الأسلحة الثقيلة بخفة الحركة وعنصر المباغتة.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1943 اعترف الحلفاء بتيتو قائداً شرعياً ليوغسلافيا وبدؤوا يزودونه بالسلاح والذخيرة والمستشارين العسكريين. ورغم ماركسية تيتو فقد جاء أغلب الدعم من الإنجليز والأمريكيين لا من السوفييت. وفي داخل يوغسلافيا استغل تيتو شخصيته الساحرة للحصول على القوة كلما أمكن، كما استغل القوة العسكرية كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

أمر هتلر بتشكيل حملات بلغ مجملها سبعاً للقضاء على أنصار تيتو. وفي ربيع عام 1943 كلفت ألمانيا عشراً من فرقها يدعمها ست فرق إيطالية ضد تيتو. ورغم محاصرة تيتو فقد تمكن من الإفلات من التطويق عبر الممرات الجبلية الوعرة. ولم ينقذ فرقه الأربع المؤلفة من رجال حرب العصابات فحسب، بل أنقذ كذلك رجاله الجرحى الذين بلغ عددهم أربعة آلاف. وبعد ذلك بعام حاول الألمان أسر تيتو بإنزالهم مظليين من القوات الخاصة قرب مركز قيادته، غير أن تيتو هرب للمرة الثانية، مما زاد في رصيد شهرته علاوة على قيامه بضم مزيد من المجندين.

وفي أيلول/ سبتمبر 1943، ودون التشاور مع الحلفاء، أعلن تيتو يوغسلافيا "مجتمعاً فيدرالياً من شعوب متساوية" ودعا "برلمان الحزب" إلى الانعقاد، وأعلن نفسه مارشالاً ليوغسلافيا. جمع تيتو ما يزيد على ربع المليون من أنصاره في شكل جيش موحد وشن الهجوم ضد الألمان. وقاتل جيش تيتو، يسانده غطاء جوي من الحلفاء، إلى جانب القوات السوفيتية المتقدمة. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 1944 حرر بلجراد من الألمان. كما كان جيشه، والحرب توشك أن تضع أوزارها، يقاتل إلى جانب البريطانيين في تريستي (Trieste).

ظل تيتو في السلطة بعد انتهاء الحرب، وسرعان ما أكد استقلاليته عن كل من الاتحاد السوفيتي والقوى الغربية. ومع أنه ظل شيوعياً ملتزماً، فقد عبر عن وجهات نظر قومية، قائلاً: «إن الصيغة الشيوعية اليوغسلافية تضرب بجذورها في التلال والغابات ولم تستورد جاهزة الصنع من موسكو».

وفي حزيران/ يونيو 1953 تولى تيتو منصب رئيس جمهورية يوغسلافيا الشعبية الاتحادية، وظل محتفظاً بسلطاته المطلقة حتى وفاته في ليوبليانا (Ljubljana) في 4

أيار/ مايو 1980 وهو في الثامنة والثمانين. لقد حافظ تيتو طوال سنوات حكمه الثلاثين على حياد بلده، وأصبح أحد زعماء دول عدم الانحياز. وتحول من كونه ابن أسرة فلاحين فقيرة في بداياته المتواضعة ليصبح واحداً من أحسن السياسيين هنداماً، وليكون عازف بيانو بارعاً في الوقت الذي تبوأ فيه مكانه كقائد عالمي جدير بالاحترام.

يظل تيتو هو القائد الحزبي الوحيد من الحرب العالمية الثانية الذي يحرر بلده بأقل دعم من الحلفاء ويرسخ مكانته أثناء الحرب فلم تتعرض لما يهددها لاحقاً. وعلى مدى العقود الثلاثة التالية كان نداً لقادة الغرب والاتحاد السوفيتي، فعزز استقلال بلاده، وحافظ على السلام في منطقة تعج بالصراعات العرقية والدينية وبكثرة الفرقاء. لقد كان بمفرده وراء توحيد يوغسلافيا، وعندما توفي تفككت الدولة إلى ولايات متحاربة هي البوسنة وكرواتيا وصربيا. كان يمكن أن تكون مكانته في هذه القائمة أعظم لو ظلت بلاده موحدة بعد رحيله.

85



كارل دونتز
Karl Doenitz
قائد ألماني
(1980 - 1891)

كارل دونتز هو من طور سلاح الغواصات الألماني، وقاد بحرية بلاده في السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، وخلف أدولف هتلر كمستشار لألمانيا وفاوض على الاستسلام الأخير. لقد أدخل دونتز، بوصفه واحداً من أهم المبتكرين والمتحمسين لحرب الغواصات، تكتيكاً ونهجاً صارا يتبعان في أرجاء العالم.

ولد دونتز في 16 أيلول/ سبتمبر 1891 في جرنو (Grünau) بالقرب من برلين. شغف بحياة الجندية منذ صباه، فالتحق عام 1910 بمدرسة تدريب البحرية الملكية، وتخرج فيها ضابطاً عام 1913، وخدم مع أسطول السفن الألماني قبل أن ينضم إلى سلاح الغواصات المشكل حديثاً آنذاك في تشرين الأول/ أكتوبر 1916. وبعد أن خدم دونتز على متن الغواصة (U-68) كضابط مراقبة، تولى قيادتها. وأثناء هجوم ليلي ضد

قوة حماية بحرية بريطانية في 4 تشرين الأول/ أكتوبر 1918، تم إغراق تلك الغواصة وأسر دونتز ومعظم أفراد طاقمه.

وكان، بعد استعادته لبلاده عام 1919، واحداً من الضباط القلائل الباقين في البحرية الألمانية الصغيرة بموجب اتفاقية فرساي. ولكن حيث إن الهدنة منعت ألمانيا من امتلاك قوة غواصات، فقد خدم دونتز في عدة مهام على متن السفن الحربية في سنوات ما بعد الحرب. ثم عاد إلى سلاح الغواصات بعد تولي هتلر السلطة وتطبيقه "خطة Z" التي قضت بالتوسيع الفوري للبحرية بما في ذلك الغواصات. وفي 27 أيلول/ سبتمبر 1935، أمر قائد القوات البحرية الأميرال إريخ ريدر (Erich Raeder) دونتز بإعادة بناء أسطول الغواصات الجديد وتولي قيادته. وحين تولى القيادة فعلياً، لم يكن لدى الألمان غواصات أو أطقم أو إرشادات عمليات أو مبادئ تكتيكية.

ولأن دونتز اعتمد على خبرته الذاتية ودراسته لاستراتيجيات الغواصات الحديثة في ذلك الوقت من الدول الأخرى، فقد كان هذا بمنزلة كتاب موضوع حول حرب الغواصات الألمانية. وعلاوة على إشرافه على تصميم القوارب، بما في ذلك الأسلحة ونظم الدفع لزيادة السرعة والمدى، فقد وضع أيضاً بنفسه إرشادات تدريب الأطقم. كذلك ابتكر دونتز المفهومين الأساسيين لمبادئ سلاح الغواصات. وقد عقد العزم، وأقنع رؤساءه، على أن الهدف الرئيسي لسلاح الغواصات ينبغي أن يكون السفن التجارية لا الحربية، وذلك بهدف قطع خطوط إمداد العدو. وكان مفهومه الثاني، وهو ما أحدث ثورة في حرب الغواصات، يقوم على وجوب نشر الغواصات وقيامها بالقتال في مجموعات أو فرق وهو ما أطلق عليه "فرق الذئاب".

وقد كان لاضطرار دونتز إلى التنافس مع بحرية السطح والجيوش نظراً إلى محدودية موارد ألمانيا من الصلب أثره في إبطاء تحقيق هدفه المتمثل في بناء أسطول من ثلاثمئة غواصة. وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية في الأول من أيلول/ سبتمبر 1939، كان كل ما بحوزة دونتز من غواصات لا يتجاوز 56، ليس من بينها سوى 22 قادرة على العمل في عرض المحيط الأطلسي. وكان عليه أن يتعامل ليس فقط مع أسطول محدود

بل كذلك مع القيود التقليدية بوجوب إنذار الأهداف المحتملة قبل الإطلاق، وذلك لإتاحة الفرصة للأطقم بالجلاء. ورغم ذلك أغرقت غواصاته 114 من السفن التجارية في الأشهر الأربعة الأخيرة من عام 1939.

وبعد أن نشر دونتز المزيد من الغواصات، حين أتيحت الموارد، عمد إلى التركيز على حرمان بريطانيا العظمى من القدرة على إعادة التموين عن طريق البحر، كما قدم الدعم للعمليات الألمانية البرمائية. وفي آب/ أغسطس 1940، ألغى هتلر مبدأ الإنذار المسبق، وسمح لدونتز بخوض حرب غواصات لا يحدها قيد أو شرط. وفي غضون أربعة أشهر كانت الغواصات الألمانية قد أغرقت 285 سفينة تحمل في مجموعها ما يزيد على مليون طن.

وقد كان دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب في كانون الأول/ ديسمبر 1941 بمنزلة فتح باب غنم جديد؛ إذ كان الأمريكيون يفتقرون إلى الخطط الدفاعية الخاصة بسفن الحماية التابعة لهم في طريقها إلى إنجلترا. ففي الأشهر الستة الأولى من عام 1942 هوت 585 سفينة أمريكية إلى قاع المحيط بنيران الغواصات الألمانية، بعض تلك السفن تم إغراقه على بعد أميال من الساحل الأمريكي.

وفي 30 كانون الثاني/ يناير 1943 تولى دونتز - الذي كان آنذاك برتبة أميرال، رغم عدم انضمامه إلى الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) - قيادة الأسطول الألماني. وإضافة إلى مسؤولياته الجديدة، ظل المسؤول شخصياً عن تنمية قوة الغواصات إزاء ما كان يواجهها من تحديات جديدة؛ فالحلفاء بأعدادهم المتزايدة من الرجال والسلاح الأفضل نوعاً تهيأ لهم التفوق براً وبحراً، وأصبح في مقدور الرادار اكتشاف الغواصات، وتمكن الحلفاء من فك رموز الشفرة الألمانية فحددوا مواقع "فرق الذئاب".

حاول دونتز وقف تقدم الحلفاء عن طريق نظم تسمح للغواصات بإعادة شحن بطارياتها وهي غائصة، وكذلك عن طريق تطوير المحركات ونظم الطوربيد. غير أن هذه التحسينات جاءت متأخرة بعض الشيء؛ فالغواصات الألمانية التي كادت تحرز النصر في معركة الأطلسي عام 1942، كانت بحلول عام 1944 غير ذات فاعلية على

الإطلاق في الحد من عبور السفن للمحيط. ورغم ذلك واصل دونتز ورجاله القتال بما كان متوافراً من الغواصات التي بلغ عددها آنذاك 398 وكانت لاتزال صالحة للعمليات والنزاع يدنو من نهايته. ولم يأت إنجاز سلاح الغواصات الألماني مقابل ثمن بخس؛ إذ خسرت ألمانيا ما يزيد على 32 ألف بحار و781 غواصة.

لم تنته خدمات دونتز لألمانيا بانتهاء دور الغواصات والبحرية؛ إذ ترك هتلر قبل إقدامه على الانتحار في 30 نيسان/ إبريل 1945 تعليمات لدونتز بأن يخلفه مستشاراً لألمانيا. حاول قبطان الغواصات السابق على الفور الدخول في مفاوضات سلام منفصل مع القوى الغربية، وأن ينهي الحرب وصولاً إلى الحد الأدنى من الخسائر في الأرواح، وصوناً لنوع من الاستقلال لألمانيا، غير أن محاولاته باءت بالفشل، فاضطر في 7 أيار/ مايو أن يقبل الاستسلام غير المشروط.

ظل دونتز الرئيس الشرفي لألمانيا مدة أسبوعين قبل إلقاء القبض عليه بوصفه مجرم حرب في 22 أيار/ مايو. ومع أنه لم ينضم إطلاقاً إلى الحزب النازي، ورغم إقرار العديد من قادة البحرية الأمريكيين بأنهم شنوا حرب غواصات غير ملتزمة بقيد أو شرط، فقد وجهت إليه التهمة المبهمة بارتكاب جرائم ضد السلام. فأمضى عشر سنوات مع مجرمي حرب ألمان آخرين في سجن شبانداو (Spandau) قبل أن يطلق سراحه ليعيش بقية حياته في معتزل في هامبورج. وقد توفي من مرض في القلب وعمره تسعة وثمانون عاماً في 24 كانون الأول/ ديسمبر 1980. و علاوة على العقد الذي أمضاه دونتز في السجن كان قد فقد ولديه الذين ماتا في القتال البحري أثناء الحرب.

كان دونتز قائد غواصات بارعاً وصاحب رؤية نافذة أتاحت له إدراك المدى الذي يمكن أن تساهم فيه الغواصة في القتال. ورغم أنه سلاح غير باد للعيان، فقد كان إيمان دونتز به عميقاً، وكان حدبه على أطقمه صادقاً. وقد أصبحت ابتكاراته في حرب الغواصات، ولاسيما تكتيك "فرق الذئاب" معياراً قياسياً في البحريات كافة. ورغم ما أحدثته الطاقة والأسلحة النووية بعد عقد من تغيير طرأ على كثير من تكتيكات دونتز، فقد تركت الحرفية العالية والروح التي كان يتمتع بها أسطول الغواصات الألمانية أثراً لا يمحى على أسلحة الغواصات في أرجاء العالم.

86



كيم إيل سونغ

Kim Il Sung

دكتاتور كوري

(1994 - 1912)

أقام كيم إيل سونغ، بوصفه زعيم الحزب الشيوعي الكوري، حكومة عسكرية في كوريا الشمالية في أعقاب الحرب العالمية الثانية. ومازال تركته اليوم تعد واحدة من بضع حكومات شيوعية قائمة، وهي تمثل أكبر تهديد للسلام في آسيا.

وتحجب السرية والدعاية كثيراً من الحقائق حول حياة كيم، بل حتى اسمه مختلف عن اسمي والديه الشرعيين. ولد في 15 نيسان/ إبريل 1912 بالقرب من بيونجيانج باسم كيم سونج يو (Kim Song Ju) وفر من كوريا إلى منشوريا عام 1925 هرباً من اضطهاد المحتلين اليابانيين. والتحق هناك بالحزب الشيوعي الكوري عام 1931. وفي أواخر الثلاثينيات وصل صيته أسماع السلطات العسكرية السوفيتية؛ بسبب عمليات حرب العصابات التي كان يشنها ضد القوات اليابانية وفقاً لبعض الروايات، أو بسبب حماسه الشيوعي وفقاً لروايات أخرى.

قضى كيم معظم سنوات الحرب العالمية الثانية في الاتحاد السوفيتي، بزعم مشاركته في القتال تحت العديد من الأوصاف مع الجيش الأحمر. ولكن من المحتمل أنه قضى غالبية ذلك الوقت في التدريب السياسي، وليس في القتال الفعلي. وفي خلال تلك الفترة اتخذ أيضاً لنفسه اسم كيم إيل سونغ الذي كان يتسمى به أحد رجالات حرب العصابات الكوريين، وذلك بعد أن توفي ذلك الرجل الذي ذاع صيته بأنه محارب عظيم ووطني كان يقاتل اليابانيين.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية أعلن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية خططاً لإعادة توحيد كوريا التي كان كل منهما يحتل قطاعاً منها، فعاد كيم وبعض الشيوعيين الكوريين المدربين في موسكو إلى الوطن لتنظيم الحكم في كوريا الشمالية. توقع كثير من الكوريين حين علموا بعودة كيم إيل سونغ أن يستقبلوا محارب العصابات القديم الذي يحمل هذا الاسم؛ ففوجئ معظمهم بالشاب "كيم الجديد"، وليس هناك من دليل على أنه بذل جهداً يذكر لإيضاح أن إنجازاته العسكرية المزعومة لم تكن كلها لتنسب إليه.

وبانتهاء الاحتلال السوفيتي عام 1948، كان كيم قد استحوذ تماماً على كل جوانب الحكومة في الشمال وأصبح رئيساً لوزراء جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية. وعندما أخفق السوفييت والأمريكيون في الاتفاق حول إعادة توحيد الكوريتين عام 1950، قام كيم بدعم المستشارين السوفييت وسلاحهم بغزو كوريا الجنوبية لتوحيد البلاد بالقوة تحت السيطرة الشيوعية. ورغم أن السرية تغطي على نشاطات ما وراء الكواليس، فمن الواضح أن كيم كانت له السيطرة المطلقة على جيش كوريا الشمالية بالوسيلة ذاتها التي كان يسيطر بها على الجوانب الأخرى في البلاد.

واجه غزو كيم مقاومة ضعيفة حتى بعد وصول القوات الأمريكية وقوات الأمم المتحدة. ولكن رغم أقصى ما بذل كيم من جهد، لم يكن نداً لدوجلاس مكارثر، عندما أنزل قواته الغازية في إنشون. أما وقد طاردتهم قوات الأمم المتحدة، فقد تقهقر الناجون من قوات كيم في فوضى صوب الشمال. ولم ينقذ كيم إلا فرق "المتطوعين" الشيوعيين

الصينيين الذين دخلوا القتال بأوامر من ماو تسي تونغ في أواخر عام 1950، فردوا قوات الأمم المتحدة إلى داخل كوريا الجنوبية. وعلى مدى العامين التاليين توقفت الحرب تقريباً عند حدود ما قبل الحرب بمحاذاة خط العرض 38.

وأخيراً وقع المتحاربون على اتفاق هدنة في 27 تموز/ يوليو 1953. وبعد أكثر من أربعين عاماً احتل جنود كوريا الشمالية عدداً من المواقع المواجهة لكوريا الجنوبية وللمواقع الأمريكية على طول خط الهدنة. ومايزال اندلاع للنيران يحدث بين الحين والآخر. إن نجاة كيم التي تمت بأعجوبة أثناء النزاع لم تقلل من إحكامه السيطرة بعد الهدنة. وبحلول عام 1956 كان قد قضى على كل معارضيه خارج وداخل الحزب الشيوعي الكوري، متخذاً ألقاب "المارشال" و "بطل المرتين" و "بطل العمال". وفي عام 1972 "تنحى" وأصبح رئيساً، لكنه كان مايزال مسيطراً سيطرة مطلقة على الحكومة والجيش.

وبمرور الوقت نأى كيم بنفسه عن كل من الاتحاد السوفيتي والصين. وداخل كوريا الشمالية قام بالترويج لشخصه بما هو أقرب إلى العبادة، فأقام التماثيل والنصب ومظاهر الشرف الأخرى التي تمجده. وبينما أحدث بعض التقدم في التصنيع في كوريا الشمالية، فقد تخلف كثيراً عن كوريا الجنوبية، بل جاءت فترات كان كيم يجد فيها صعوبة لتوفير الغذاء الكافي لشعبه.

وفي عام 1980 قام كيم بترفيع ابنه كيم يونج إيل إلى عدة مناصب في السلطة. ورغم ميول كيم الأصغر "اللعوب"، فلم يكن هناك شك في نوايا كيم الأكبر بتنصيب ابنه خلفاً له في زعامة الحكومة والجيش.

وفي 8 تموز/ يوليو 1994 توفي كيم إيل سونج وعمره اثنان وثمانون عاماً، فتولى ابنه كيم يونج إيل السلطة كما هو مخطط. ورغم ما أبداه من تواضع منذ رحيل أبيه، فلا توجد أدلة قاطعة على أن سلطته ينفرط عقدها؛ فالتقارير عن انتشار الجوع والقمع تتواتر خارج كوريا الشمالية، غير أن الدولة الشيوعية كما أقامها كيم إيل سونج مازالت قائمة وتستفز كوريا الجنوبية وحلفاءها الأمريكيين وتتصرف إزاءهم بعدائية.

ومع أن تأثير كيم الكلي كان هامشياً أو منعدماً خارج كوريا، فإن كوريا الشمالية ماتزال مصدر تهديد للسلام في المنطقة. وداخل البلاد يحمل كل مبنى وكل شارع تذكاراً لكيم، الذي يمثل لمواطنيه الكوريين قداسة العبادة. ولا يبدو في الوقت الحالي أن هناك أي تهديد فعلي لتركته. فأثناء احتفالات عيد العمال في 1 أيار/ مايو 1995 لهجت ألسنة الآلاف من المدنيين والعسكريين الكوريين الشماليين بالغناء في ميدان كيم إيل سونج تحت صور لينين وماركس هاتفين: «الرفيق كيم إيل سونج هو الرفيق كيم يونج إيل؛ هما الشخص ذاته».

رغم أن كيم إيل سونج لم يُظهر على الإطلاق أي مهارات عسكرية ذاتية جديرة بالإشارة وكان تقريباً دمية الاتحاد السوفيتي والصين، فمازالت تركته باقية. وكوريا الشمالية التي يرأسها الآن ابنه تماثل العراق في عهد الرئيس صدام حسين، من حيث إن كلتا الدولتين تمثل تهديداً للسلام والاستقرار إقليمياً ودولياً، واحتواء طموحاتهما المحتملة له تأثيره في سياسات القوى الكبرى وأفعالها في العالم. لهذا السبب وحده يدرج كيم بين القادة العسكريين ذوي التأثير.

87



ديفيد جلاسجو فاراجيت

David Glasgow Farragut

قائد أمريكي

(1870 - 1801)

خدم ديفيد فاراجيت البحرية الأمريكية بهمة مدة ستين عاماً، واكتسب الاعتراف به كأفضل بحارة القرن التاسع عشر، وأكثر القادة البحريين الأمريكيين في الحرب الأهلية تأثيراً. استولى فاراجيت على نيوأورليانز ثم عاون يوليسيس سيمبسون جرانت على نصره في فايكسبيرج وهو ما هيأ لقوات الاتحاد السيطرة على المسيسبي وأدى إلى انشطار الفيدرالية. وفيما بعد خطط وقاد الهجوم على ميناء المتمردين المهم في خليج موبايل (Mobile)، محرزاً النصر في أشهر المعارك البحرية في النزاع.

ولد فاراجيت في أسرة بحرية باسم جيمس جلاسجو فاراجيت بالقرب من نوكسفيل (Knoxville) بولاية تنسي في 5 تموز/ يوليو 1801، ثم تبنته أسرة ديفيد بورتر (David Porter) العقيد في البحرية الأمريكية عندما توفيت والدته بالحمى الصفراء عام 1808. فغير اسمه الأول إلى ديفيد إكراماً لوالده بالتبني.

وفي سن لم تتجاوز الثامنة حصل فاراجيت على رخصة للدراسة للالتحاق بالبحرية، فانطلق إلى البحر. وفي أثناء حرب عام 1812 خدم على متن السفينة إسيكس (Essex) وشارك في الغارات ضد أسطول صيد الحيتان البريطاني في المحيط الهادي. وعندما كان في الثانية عشرة من عمره، قاد سفينة من الأسلاب عائداً بها إلى الميناء عام 1813، وبعدها بعام وقع لفترة وجيزة في الأسر إثر هزيمة إسيكس أمام السفينة البريطانية فيبي (Phoebe) قبالة ساحل فالبريزو (Valpariso) بتشيلي في 28 شباط/ فبراير.

وفي أعقاب حرب عام 1812 عمل فاراجيت باجتهاد ليتغلب على حرمانه من التعليم الرسمي عن طريق دراسة اللغات والتاريخ البحري. ورغم ما كانت عليه فترة السلم من تقشف، فقد تقلب فاراجيت في الوظائف على نحو متلاحق بفضل قدراته القيادية ومهاراته البحرية، فخدم في البحر الأبيض المتوسط والبحر الكاريبي والمحيط الأطلسي قبالة سواحل البرازيل. وشارك أثناء الحرب المكسيكية في حصار موانئ المكسيك. وفي عام 1854 أسس الحوض البحري في مير أيلند (Mare Island) في سان فرانسيسكو.

وفي أعقاب اندلاع الحرب الأهلية عام 1861 تلقى فاراجيت - وكان يتولى قيادة الأسطول المحاصر للخليج الغربي - أوامر بالاستيلاء على نيوأورليانز وإغلاق نهر المسيسبي. وفي ربيع عام 1862 حاول مراراً وعن طريق استخدام المدفعية تدمير حصن جاكسون (Jackson)، وهو المعقل الكونفيدرالي القوي الذي كان يسد القناة المؤدية لنيوأورليانز من الخليج. وبعد إخفاقه في تحييد المتمردين، أبحر بأسطوله متجاوزاً الحصن تحت جنح الظلام، وسرعان ما ألحق الهزيمة بأسطول الكونفيدرالية الصغير الذي كان يقوم على حراسة نيوأورليانز. وبالتنسيق مع قائد الجيش الفريق بنجامين بتلر (Benjamin Butler) تمكن من الاستيلاء على المدينة في 24 نيسان/ إبريل.

وفي تموز/ يوليو قامت البحرية بترقية فاراجيت إلى رتبة لواء بحري المستحدثة، ثم تحرك للتصدي لمدفعية الشاطئ التي تتولى حراسة المداخل إلى فايكسبيرج، وقام على مدى العام التالي بإغلاق الممرات المائية إلى المدينة. وفي عام 1863 فرض حصاراً على

فـايكسـبيـرج بالتنسـيق مع قـائد القـوات البـرية جرانـت، فـاستـسـلمت المدينة في 4 تموز/ يوليو، مما أدى إلى انشطار الولايات الكونفيدرالية شطرين. واستطاعت البحرية الاتحادية أن تفرض فيما تبقى من فترة الحرب سيطرتها الكاملة على نهر المسيسبي.

وعندما تم تأمين المناطق الداخلية الرئيسية على النهر، تحرك فاراجيت للاستيلاء على ميناء المتمردين الرئيسي الذي كان لايزال يتلقى إمدادات حربية من أوربا. وقـد كان خليج موبايل يمثل عقبة كبيرة نتيجة كونه محمياً بمدخل ضيق ممتلئ بألغام على هيئة طوربيدات، كما كانت تحميه مدفعية سواحل حصن موران (Fort Moran)، والسفينة المدرعة الكونفيدرالية تنسي (Tennessee).

أبحر فاراجيت إلى داخل الخليج عازماً على توجيه هجومه الرئيسي ضد سفينة المتمردين المدرعة، ولكن قبل أن يتمكن من الإطباق على السفينة، اصطدمت إحدى سفنه، تيكمسي (Tecumseh)، بلغم وغرقت بمعظم طاقمها. أخفق هجوم الاتحاديين إلى أن حشد فاراجيت أسطوله وأصدر إليهم الأوامر صائحاً: «اللعنة على الطوربيدات، انطلقوا بأقصى سرعة إلى الأمام».

كانت مغامرة فاراجيت التي اعتمدت على أن معظم الألغام لن يكون لها فاعلية نظراً إلى طول تعرضها إلى الماء المالح مغامرة مثمرة؛ إذ لم تصطدم أي من سفنه بعدها بطوربيدات. وبعد خوض معركة قصيرة استسلمت السفينة تنسي ودفاعات الشاطئ. فكان هذا بعينه هو النصر الذي أحرزه فاراجيت في ميناء موبايل وحصل على ترقية إلى رتبة أميرال ونال ثناء الأمة.

وفي أعقاب الحرب تولى فاراجيت المسن، رغم اعتلال صحته، قيادة وحدة بحرية وهو في العقد السابع من عمره، مبحراً بها إلى موانى أوربا للتأكيد على الاعتراف ببلاده، وتلقي تهاني الدول الأجنبية على النجاح في إخماد التمرد. وقد توفي فاراجيت بعد عودته بفترة وجيزة، وعمره تسعة وستون عاماً في بورتسموث بنيوهامبشاير في 14 آب/ أغسطس 1870.

لقد خدم فاراجيت، الشجاع الواسع الحيلة الجريء، الولايات المتحدة الأمريكية لما يزيد على ستة عقود. وكان لانتصاراته في نيوأورليانز وخليج موبايل إسهاماتها الجلية في الختام الناجح للحرب الأهلية الأمريكية مما هيأ للاتحاد الاستمرار، ذلك الاتحاد الذي كتب له بسط هيمنته على العالم خلال القرن التالي. إن فاراجيت هو أهم شخصية بحرية في الحرب الأهلية الأمريكية، كما أنه أكثر ضباط البحرية تأثيراً وصيتاً في القرن التاسع عشر وحتى مجيء جورج ديوي (George Dewey) وما حقق من نصر في خليج مانيلا.

88



جارنت جوزيف وولزلي
Garnet Joseph Wolseley
قائد بريطاني
(1913 - 1833)

جارنت جوزيف وولزلي هو من قام بتحديث الجيش البريطاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأعلى مكانة الجندي وحمى الممتلكات الواسعة للإمبراطورية. لقد طبقت شهرة هذا القائد الآفاق حتى إن البريطانيين كانوا يشيرون إليه بوصفه "قائدنا الأوحد".

ولد وولزلي في 4 حزيران/ يونيو 1833 في جولدن بريدج (Golden Bridge) بالقرب من دبلن بأيرلندا، ابناً لصاحب متجر تقاعد من الجيش برتبة رائد. تمكن من الالتحاق ضابطاً بالفوج الثاني عشر مشاة عام 1852، إلا أنه نقل إلى الفوج الثمانين مشاة لأسباب مالية، فخدم في الهند حيث كانت حياة الضباط أقل تكلفة بكثير عما كانت عليه في إنجلترا. وصل وولزلي في اللحظة المناسبة ليشارك في الحرب الإنجليزية ـ البورمية الثانية عام 1853، حيث قاتل ببسالة قبل أن يصاب بجرح خطير في الفخذ من طلقة حجرية.

وبعد تماثله للشفاء في بريطانيا حتى عام 1854 انضم إلى فوج المشاة الخفيفة التسعين في القرم، مظهراً من جديد شجاعته وليصاب للمرة الثانية بجرح أفقده هذه المرة إحدى عينيه. وبعد تعافيه، خدم لفترة وجيزة في الصين قبل أن ينقل لإخماد تمرد السِّباهيين [الهنود المجندون في الجيش البريطاني] في الهند عام 1857. ونتيجة لمشاركته في تخليص لكناو (Lucknow) والاستيلاء عليها عام 1858 رفع فخرياً إلى رتبة مقدم وهو في الخامسة والعشرين من عمره، فكان بذلك أصغر ضابط في الجيش البريطاني يحوز هذا التقدير.

وبعد قيام وولزلي بجولة أخرى في الصين، خدم في كندا مساعد قائد للإمداد والتموين عام 1861. وظل في أمريكا الشمالية طوال العقد التالي إلى أن وصل إلى رتبة عقيد، وقائماً في الأغلب بمهام تتعلق بالحاميات. زار مركز قيادة القائد الكونفيدرالي روبرت إدوارد لي إبان الحرب الأهلية الأمريكية وعبر لاحقاً عن إعجابه به.

نشر وولزلي كتاباً عام 1862 عن الحرب مع الصين، ثم عرج بقلمه ليخط أفكاراً حول أداء الجنود والإصلاح العسكري؛ فنشر في عام 1869 كتاباً تحت عنوان «**كتاب الجيب لجندي الخدمة الميدانية**» *Soldier's Pocket-book for Field Service*، و يحوي نقداً للجيش وإدارته، فقوبل باستحسان المدنيين والعسكريين. غير أن هذا الكتاب قلص صداقات وولزلي مع كبار الضباط الذين اعتبرهم المؤلف جزءاً من المشكلة لا جزءاً من الحل.

حاز وولزلي الاحترام من خلال أدائه، ورداءة السمعة من خلال كتاباته. غير أن أولى عملياته التي جعلت منه بطلاً قومياً وناراً على علم في موطنه إنجلترا لم تقع إلا بعد انتهاء مهمته في كندا. ففي أيار/مايو 1870 أعلن المتمرد الكندي لويس رايل (Louis Riel) استقلال مانتوبا (Manitoba) عن الإمبراطورية البريطانية، فتقدم وولزلي الذي كان يتولى قيادة حملة النهر الأحمر (Red River Expedition) قاطعاً ستمئة ميل من البراري ليتصدى للمتمردين في فورت جاري (Fort Garry). وعن طريق استعراض القوة والمفاوضات الحكيمة تمكن من دفع المتمردين للاستسلام دون إراقة دماء.

عاد وولزلي إلى إنجلترا عام 1871، وكان آنذاك مساعد قائد فبدأ على الفور الإصلاحات، بما في ذلك متطلبات الخدمة القصيرة الأجل بغية ضم مزيد من المتطوعين الأكفاء، وكذلك إنشاء قوة احتياط، والعمل على أن تتم ترقية الضباط كسباً بالعمل لا شراءً بالمال. وقد ظل إصلاح الجيش هدفه الرئيسي بقية مدة خدمته، على الرغم من استدعاء الحكومة له لقيادة الحملات ضد المتمردين ومصادر التهديد الأخرى للإمبراطورية.

وقد حانت أول فرصة له "لإصلاح الاعوجاج" عام 1873 عندما قاد حملة تأديبية ضد تجار الرقيق من قبيلة أيشنتي (Ashanti) بغرب أفريقيا. وعلى طريقته المعهودة قاد الحملة بمحاذاة ساحل الذهب (Gold Coast)، المعروف بـ "قبر الرجل الأبيض" نتيجة الأمراض والمشاق والخصوم المتحفزين هناك. اختار وولزلي بعناية مرؤوسيه من الضباط ممن أظهروا شجاعة وحسن قيادة وخبرة تكتيكية، بغض النظر عن الخلفية الطبقية أو أي ارتباطات أخرى، وقام بالتخطيط لعمليته بانتباه مفصل للنواحي التموينية وطبيعة الأراضي وأحوال الطقس الموسمية. وقد ترك هامش مرونة في خطته تحرزاً لتغيرات في الموقف أو تحسباً لعوامل غير متوقعة، كما حصر حملته "وفق ميزانية" محددة فلم يسرف في المال أو الأرواح فيما خاض من معارك.

قام بنفسه مع بضعة ضباط تم انتقاؤهم بعناية بعمليات الاستطلاع في غرب أفريقيا. ثم انتظر حتى الموسم الجاف حين يقل وجود الحشرات الناقلة الأمراض قبل أن ينزل قواته. وفي اندفاعه السريع نحو الداخل قام بأسر وتدمير مركز تجارة الرقيق في كوماسي (Kumasi) منهياً سيطرة الأيشنتي على المنطقة. وفي عام 1879 عاد وولزلي إلى أفريقيا لقيادة القوات التي أخمدت الانتفاضة في أراضي الزولو.

وكلما عاد وولزلي إلى إنجلترا فيما بين تلك الحملات، كان يواصل جهوده الإصلاحية. وفي عام 1882 عاد إلى ميادين القتال لإخماد الثورة الوطنية في مصر بقيادة أحمد عرابي باشا. وسرعان ما أمن قناة السويس ثم باغت الباشا وهزمه في هجوم ليلي في التل الكبير في 13 أيلول/ سبتمبر. وبعد ذلك بعامين قاد حملة إلى

الخرطوم لإنقاذ القائد المحاصر تشارلز جوردون فوصل بعد مقتله بيومين، إلا أن وصوله كان في اللحظة المناسبة لتأمين المدينة في 28 كانون الثاني/ يناير 1885.

وخلال الفترة 1890 ـ 1894 تولى وولزلي قيادة قوات الإمبراطورية في أيرلندا قبل ترقيته إلى رتبة مشير ثم ترفيعه ليشغل منصب القائد العام في 1895. ومن خلال موقعه هذا قام بإعداد ونشر الجيش المشارك في حرب البوير عام 1898 وواصل تنفيذ الإصلاحات والتغييرات التي جهزت القوات الميدانية البريطانية للقتال الحديث في الحرب العالمية الوشيكة. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1900 تقاعد وولزلي ليتيح الفرصة لبطل حرب البوير، اللورد فريدريك سليه روبرتس، تقلد منصب القائد العام. توفي في مينتون (Menton) بفرنسا في 26 آذار/ مارس 1913، ودفن في كاتدرائية القديس بولس في لندن.

لم يحدث أن واجه وولزلي على الإطلاق قوة من قوات العدو في داخل القارة الأوربية ولم يحدث أن اشتبك في حرب كبرى، بيد أن تأثيره في الجيش البريطاني أواخر القرن التاسع عشر كان تأثيراً عظيماً، فهو من أعده للمستقبل بما أجرى من إصلاحات مثل تطوير نوعية المجندين والضباط. وفي حين وجهت له انتقادات بالمحاباة داخل الجيش تجاه الضباط المنتقين، والمعروفين بـ"الحلقة" كان يتمتع باحترام الجندي العادي وإعزاز الشعب البريطاني الذي أطلق عليه "قائدنا الأوحد".

89



تشيانغ كاي ـ شيك
Chiang Kai-shek
وطني صيني
(1975 - 1887)

وطني وعدو عنيد للشيوعية، قاد توحيد الصين عسكرياً في العشرينيات، وشارك كبطل عالمي في هزيمة اليابان على يد الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، ذلك هو تشيانغ كاي ـ شيك. وعندما خسر الصين نهائياً بوقوعها في قبضة الشيوعيين، حافظ على الجمهورية بنقلها إلى جزيرة تايوان (فورموزا)، حيث أسس تنمية اقتصادية واستقراراً سياسياً وإصلاحاً زراعياً.

ولد تشيانغ في حي فينجهيو (Fenghua) بمقاطعة تشيكيانغ (Chekiang) بالقرب من شنجهاي في 31 تشرين الأول/ أكتوبر 1887. حاد عن تقليدية العائلة في الزراعة والتجارة البسيطة ليلتحق بالجيش. و بعد قضائه فترة وجيزة في الأكاديمية العسكرية الوطنية في بودينج (Baoding)، سافر إلى طوكيو ليلتحق بكلية أركان الجيش. وهناك تقابل مع سون يات ـ سن (Sun Yat-sen)، وانضم إلى التحالف الثوري المتحد الذي

كان يتزعمه، وهو الاسم السابق لحزب الكومنتانغ (الوطني) الذي كان يهدف إلى إطاحة الحكومة الملكية وتوحيد الصين في جمهورية.

تنقل تشيانغ ما بين الصين واليابان على مدى سنوات عديدة تلت، مكثفاً تدريبه العسكري، وشاحذاً فكره السياسي. وفي عام 1911 تولى - بوصفه معاوناً لسون - قيادة أحد الأفواج في الثورة التي قادت إلى إقامة جمهورية الصين عام 1912.

وعلى مدى العقد التالي قسم تشيانغ وقته ما بين محاربة الأعداء في الصين ومواصلة تعليمه العسكري في اليابان. وفي عام 1923 سافر بتوجيه من سون إلى الاتحاد السوفيتي ليدرس نظمه العسكرية والاجتماعية، ويطلب المساعدة المالية لبلاده. وعند عودته إلى الصين عام 1924، تولى إدارة أكاديمية وامبو العسكرية التابعة للحزب الوطني، حيث تهيأت له الفرصة للتأثير في الضباط الصغار وتوسيع قاعدة قوته المتنامية.

وبوفاة سون عام 1925 تولى تشيانغ قيادة التحالف الثوري الاتحادي، وبدأ خططاً لاقتلاع آخر بارونات الحرب الذين كانوا لايزالون معارضين للحكومة المركزية. وفي عام 1926 نظم تشيانغ ثماني فرق لمحاربة المتزعمين للمعارضة في شمال ووسط الصين. وقام في غضون العام الأول من "الحملة الشمالية" بتطهير التحالف من الشيوعيين، وكان كثير منهم أعضاء في الحزب منذ تأسيسه. وفي العام التالي تزوج من سونغ ماي-لنج (Soong Mei-ling)، فزاد نفوذه بارتباطه بهذه العائلة الثرية الواسعة النفوذ، بتعليمها الغربي وثروتها المصرفية. وفي 10 تشرين الأول/ أكتوبر 1928 تولى تشيانغ منصب رئيس الحكومة الوطنية وحكم الصين الموحدة.

وبحلول أوائل الثلاثينيات كانت المعارضة الوحيدة الباقية في وجه تشيانغ هم الشيوعيين بقيادة ماو تسي تونغ. وقد كانت عملياته الأولى ضد الجيش الأحمر الشيوعي ناجحة، مما أجبرهم على الانسحاب فيما سوف يعرف "بالمسيرة الطويلة".

وفي الفترة التي شهدت مقدمات الحرب العالمية الثانية تجاهل تشيانغ في البداية الغزو الياباني لمنشوريا الصينية، وواصل هجومه ضد الشيوعيين. استمر هذا النهج حتى 12

كانون الأول/ ديسمبر 1936، عندما اختطف الشيوعيون تشيانج أثناء زيارته لمدينة زيان (Sian) الواقعة إلى الشمال الغربي. وكان من شروط إطلاق سراحه موافقته على تشكيل جبهة موحدة مع الشيوعيين ضد اليابانيين.

بدأت الحرب الموحدة ضد اليابان في 7 تموز/ يوليو 1937. وعلى الرغم من خسران قوات تشيانج لمعظم أراضي البلاد لصالح العدو، فقد تمكن من إقامة مركز قيادة في تشونجكينج (Chungking) جنوب غربي الصين. وقد استغل كل من تشيانج وماو المساعدات من الولايات المتحدة الأمريكية لبناء احتياطي التسليح والذخيرة استعداداً لحرب المستقبل، تقاسماً فيما بينهما. تحاشى الرجلان القتال الكبير، لكنهما أسهما في المجهود الحربي الذي ترتب عليه بقاء عدد كبير من القوات اليابانية داخل الصين، ولم يتح لها المشاركة ضد قوات الحلفاء في المحيط الهادي، والتي كانت تقوم بحملات خاطفة تجاه الجزر اليابانية.

وبانتهاء الحرب علت مكانة تشيانج بوصفه قائد الصينيين ضد اليابانيين، لتتساوى مع مكانة روزفلت وتشرشل وستالين في محاربة قوات المحور. استسلم اليابانيون عام 1945، ومع ذلك لم يحل السلام على ربوع الصين، بل استأنف وطنيو تشيانج وشيوعيو ماو من فورهم القتال بعضهما ضد بعض. ورغم جهود الولايات المتحدة الأمريكية للوساطة، استمر القتال لصالح الشيوعيين. وفي عام 1949 نقل تشيانج حكومته الوطنية التي كانت على شفا الانهيار إلى جزيرة تايوان، وأثناء فرار تشيانج من الصين تخلى مؤقتاً عن منصب الرئيس، لكنه استعاد اللقب في 1 آذار/ مارس 1950. ومنذ ذلك الوقت وحتى وفاته في 6 نيسان/ إبريل 1975 في الثامنة والثمانين من عمره، حكم "الصين الوطنية" مطوراً الجزيرة إلى قوة آسيوية اقتصادية. ومع أن تشيانج واصل محاباة الولايات المتحدة الأمريكية واستمر يتلقى المساعدات الأمريكية؛ لأنه كان واحداً من بضعة زعماء أرسلوا بقوات عسكرية إلى فيتنام لدعم جهود الولايات المتحدة الحربية هناك، فإنه لم يتمكن على أي نحو من القيام بجهد ذي مغزى لإعادة التوحد مع الوطن الأم.

لقد تقلب تشيانج ما بين القيادة العسكرية والسياسية في يسر، وهما الدوران اللذان أداهما بوطنية حماسية، وغلظة عنيدة غالباً ما أنزلت العقاب بمن زعم حمايتهم. وقد

أسهم بشكل مباشر في هزيمة اليابانيين في الحرب العالمية الثانية، ومع أن الشيوعيين تغلبوا عليه في نهاية المطاف، فقد أثبت كفاءة في تنظيم حكومة وطنية والحفاظ عليها في تايوان.

وبينما ظهر تأثير ماو أكبر في ذلك الوقت، غير أنه بعد مضي خمسين عاماً اهتزت مكانته اهتزازاً شديداً، في حين تثير ذكرى تشيانغ التوقير في تايوان التي لاتزال حرة. إن ما يقدِّم ماو على تشيانغ في هذه القائمة ليس إلا الحجم الأكبر للصين الشيوعية وتعداد سكانها.

90



فريدريك سليه روبرتس

Frederick Sleigh Roberts

قائد بريطاني

(1914 - 1832)

أدى فريدريك سليه روبرتس دوراً مهماً في الحفاظ على بريطانيا العظمى، وتوسيع إمبراطوريتها الواسعة في الهند، وأفغانستان، وجنوب أفريقيا بأقل عدد من الجنود ومرافق الدعم. ففي وقت كانت أوسمة الشجاعة فيه نذراً يسيراً، حصل روبرتس بالفعل على كل مكافأة كان يمكن للجندي البريطاني الحصول عليها، بما في ذلك صليب فكتوريا. وقد أتاحت شجاعته الذاتية وحنكته في القيادة لبريطانيا ممارسة أقصى درجات السيطرة بأقل التكاليف.

ولد روبرتس في 30 أيلول/ سبتمبر 1832 في كانبور (Cawnpore) بالهند، حيث كان والده الفريق إبراهام روبرتس يعمل هناك. سافر إلى إنجلترا في سن مبكرة ليدرس في إيتون (Eton) وساندهيرست، وعاد إلى الهند بعد تعيينه في سلاح المدفعية البنجالي عام 1851، فشهد قتالاً ضارياً إبان تمرد السِّباهيين في الهند خلال الفترة 1857 - 1859.

وفي ذلك القتال ظهرت شجاعة روبرتس في الميدان، والتي أصبحت سمة عمله في العسكرية من وقتها. ففي عام 1857 أصيب بجرح، كما أطلقت النار على ثلاثة جياد امتطاها واحداً بعد الآخر. وفي خوداجونج (Khodagunge) في 2 كانون الثاني/ يناير 1858، قاد روبرتس هجوماً مباغتاً للفرسان، واستعاد بنفسه راية الوحدة التي كانت قد فقدت من قبل في القتال. وبانتهاء التمرد الذي دام عاماً كان قد " أشيد بذكره في القوائم العسكرية " ثلاث عشرة مرة.

ظل روبرتس في الهند بعد الحرب، وسرعان ما تلاحقت ترقياته مع تواصل ظهور حرفيته، وقدراته القيادية والإدارية. وإن كان قد خدم معظم فتراته في مواقع تموينية، فقد شارك مباشرة في القتال فحضر حملة أمبيلا (Umbeyla) عام 1863، والحرب الحبشية عام 1868، وحملة لوشاي (Lushai) عامي 1871-1872، وخلال تلك الفترة التي تم فيها الحفاظ على السيطرة البريطانية على المنطقة، أشيد بذكر روبرتس في القوائم العسكرية عشر مرات أخريات لإقدامه وجسارته.

وفي عام 1878 قاد روبرتس، الذي كان في ذلك الوقت برتبة لواء، واحدة من ثلاث فرق من الهند إلى أفغانستان، لإخماد قلاقل داخلية. فتمكنت القوات البريطانية بقليل من الصعوبة من احتلال البلد وعينت بريطانياً مقيماً ليحكم من كابول. وعندما اغتال المتمردون الأفغان المقيم البريطاني وهيئة أركانه في 5 أيلول/ سبتمبر 1879، سار روبرتس على رأس جيش قوامه 7500 رجل للسيطرة على المدينة، فهزم قوة أفغانية تفوقه عدداً بقليل وهو في الطريق، وذلك في معركة تشاراسيا (Charasia) في 6 تشرين الأول/ أكتوبر، واحتل كابول بعدها بأسبوع.

فور وصول روبرتس إلى كابول، واجه انتفاضة شاملة تحت شعار الجهاد، مما اضطره إلى إقامة معسكر دفاعي خارج مدينة شيربور (Sherpur). ورغم أن العدد كان يفوقه بنسبة عشرة إلى واحد، فقد صمد بدفاعاته وتمكن في 23 كانون الأول/ ديسمبر من الإفلات من الحصار، والالتفاف على جناح الجيش الأفغاني وإجباره على التقهقر.

وفي صيف عام 1880 شن روبرتس مرة أخرى هجوماً، عندما دمر الجيش الأفغاني في 27 تموز/ يوليو كتيبة مشاة بريطانية في معركة مايواند (Maiwand) ثم حاصر الحامية البريطانية في قندهار. قاد روبرتس جيشاً من عشرة آلاف رجل من كابول، وقطع به مسافة تزيد على ثلاثمئة ميل في الجبال الوعرة في غضون ثلاثة أسابيع ليس أكثر، تدعمه وحدة نقل متخصصة هدته إليها بنات أفكاره. وفي 31 آب/ أغسطس هاجم الأفغان وقضى على جيشهم كاملاً ليصبح أفراده ما بين قتيل وأسير، منهياً بذلك الحرب الأفغانية الثانية.

رقي روبرتس، الذي كان أكثر القادة البريطانيين تمتعاً بالاحترام في الجيش البريطاني، والمشهور عبر الإمبراطورية بلقب "بوبس" (Bobs)، إلى رتبة فريق عام 1883. وفي عام 1885 تولى منصب القائد العام في الهند. وبعدها بفترة وجيزة قاد قوة بريطانية عبر نهر إيراوادي (Irrawaddy) إلى داخل بورما، وهي العملية التي أدت إلى ضم ذلك البلد إلى الإمبراطورية في 1 كانون الثاني/ يناير 1886.

وفي عام 1893 عاد روبرتس إلى إنجلترا، وفي عام 1895 رقي إلى رتبة مشير وتولى قيادة قوات الإمبراطورية في أيرلندا. غير أنه سرعان ما أبحر هو ورئيس أركانه، هوراشيو هربرت كيتشنر، إلى جنوب أفريقيا حين اندلعت حرب البوير، حيث أعاد تنظيم القوات البريطانية وتجديدها، وبدأ عملية بناء واسعة للمشاة المحمولة لقتال قوات البوير التي كانت تتسم بخفة حركة فائقة.

في البداية هزم البوير روبرتس في سلسلة من المناوشات قبل أن يتمكن من تدريب ونشر قواته للاحتفاظ بالتفوق. ثم أحرز أول نصر بريطاني مهم في معركة باريدبيرج (Paardeberg) في شباط/ فبراير 1900 رغم اضطراره إلى مغادرة فراش المرض ليتولى بنفسه حشد قواته. ولم يحدث بعدها أن نجح البوير في تحديه؛ فقد هزمهم في بلومفونتين (Bloemfontein) وكرونستاد (Kroonstad) مفسحاً بذلك الطريق أمام بريطانيا لضم دولة الأورانج الحرة (Orange Free State) في 24 أيار/ مايو، ثم واصل الهجوم فاستولى على بريتوريا في 5 حزيران/ يونيو منهياً الحرب على هذا النحو.

عاد روبرتس إلى إنجلترا ليتلقى مزيداً من الأوسمة، وترقية ليصبح القائد العام للجيش البريطاني، وهو المنصب الذي شغله خلال الفترة 1901 ـ1904. في تلك الفترة كان روبرتس واعياً بأن نزاعاً دولياً كان وشيكاً، فدعا بقوة إلى نظام تجنيد وطني لبناء الجيش الجرار، الذي توقع أن يكون البريطانيون في حاجة إليه، كما شجع القيام بتدريب الجنود الأفراد على الرماية الدقيقة.

ورغم تقاعد روبرتس عام 1904، فقد تطوع وهو في الثانية والثمانين بزيارة جبهة القتال في الحرب العالمية الأولى. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1914، وأثناء تفقد القوات الهندية التي تخدم في الخنادق أصيب بمرض ذات الرئة، وتوفي في 14 من الشهر نفسه في سان أومير (St. Omer). ومن ثم أعيد جثمانه إلى لندن ليدفن في كاتدرائية القديس بولس.

لقد حاز روبرتس الاحترام الدائم من جنوده لقيادته الحكيمة، ولاهتمامه بحسن أحوالهم، وقدرته الفريدة على تحقيق النصر بأقل الخسائر في الأرواح في جانبه. كما وقره الشعب البريطاني لنجاحاته المتعاقبة في الميدان وقدرته على الحفاظ على تلك المكاسب دون خوض مزيد من الحروب. لقد أعجب العدو والصديق على السواء بشجاعته في مواجهة النيران. وقد أكسبت هذه السمات روبرتس مكانته من حيث كونه واحداً من أكثر قادة بريطانيا تأثيراً وتكريماً بالأوسمة والنياشين.

91



صلاح الدين الأيوبي
Saladin
سلطان مسلم
(1193 - 1138)

القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي هو مؤسس الدولة الأيوبية في مصر، وحد العالم الإسلامي بالقوة، وهزم جيش الاحتلال في الحملة الصليبية الثانية، وحارب الحملة الصليبية الثالثة فأوقعها في مأزق. لقد ذاع صيت صلاح الدين في أرجاء العالم الإسلامي لما قدم من إنجازات، كما نال احترام الغرب، لبطولته ومسلكه الحضاري. وقد شكلت قيادته أعتى معارضة لمحاولات الأوربيين احتلال الأرض المقدسة، وجعلت منه أكثر قادة المسلمين تأثيراً في القرن الثاني عشر الميلادي.

اسمه العربي بالكامل صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولد في تكريت بالعراق عام 1138. كان والده الكردي ضابطاً كبيراً في جيش القائد التركي ـ السوري نورالدين، الذي وقف في وجه الحملات الأوربية الصليبية لتحرير الأرض المقدسة من "الكفار". وقد نهج صلاح الدين نهج والده فالتحق بالجيش بعد أن درس الفقه في سوريا.

وببلوغه الثلاثين كان قد أثبت وجوده قائداً لوحدة صغيرة ثم تقدم إلى مركز قيادي في جيش نورالدين.

وفي عام 1164 كان صلاح الدين يمثل بجنده جزءاً من الجيش الذي طرد الصليبيين من مصر، ونجح في السيطرة على البلد بالكامل بعد حرب دامت أربع سنوات. وعندما توفي نورالدين، تولى صلاح الدين قيادة القوات المحاربة كما تولى حكم مصر، وفي عام 1174 أنهى سيطرة الزمرة الحاكمة في مصر، وأقام بدلاً منها دولته الأيوبية؛ فقوى من شوكة جيشه بتعيينه أفراد عائلته ورفاقه المقربين في المناصب القيادية، وأسس سلاح البحرية، وبادر إلى القيام بعمليات حربية لوضع [ما يعرف اليوم بـ] الشرق الأوسط بأكمله تحت سيطرته.

وعلى مدى اثني عشر عاماً من القتال، غزا صلاح الدين العراق وسوريا. وفرض بحلول عام 1186 سيطرته على المنطقة كاملة، من مصر وحتى بغداد باستثناء الولايات الصليبية في فلسطين. أما وقد أحيط بالغزاة الصليبيين من كل جانب، فقد أعلن صلاح الدين الجهاد وأقسم ليطردن الصليبيين.

وفي عام 1187 قاد صلاح الدين جيشه المؤلف من عشرين ألف رجل، نصفهم من الرماة الفرسان، إلى فلسطين. كان تكتيكه يقوم على استخدام الرماة لإنهاك أجنحة العدو ومهاجمة نقاط ضعفه، وبعد أن يشق الرماة صفوف العدو يهجم الفرسان بسيوفهم على ظهور الخيل، وكذلك سلاح المشاة، ويدمرون العدو تدميراً تاماً. وبعد أن أغرى الصليبيين بمطاردته في أرض جدب لا ماء فيها، استدار وهاجمهم في حطين في 4 تموز/ يوليو، وفي الحال قتل المسلمون أو أسروا معظم جيش الصليبيين. وكان من بين الأسرى القائد المسيحي جاي اللوزاني (Guy of Lusignan)، كما وقع في أيدي المسلمين بقايا من "الصليب الحقيقي" الذي كان الصليبيون يحملونه ليلهمهم.

واصل صلاح الدين هجومه بعد حطين، فاستولى تباعاً على سلسلة متوالية من المدن والحصون قبل أن يدخل القدس في 2 تشرين الأول/ أكتوبر 1187، مسترداً سيطرة المسلمين على المدينة للمرة الأولى منذ الاحتلال الصليبي عام 1099. ونقيضاً لحمامات

الدم التي تلت الانتصار الصليبي، عامل صلاح الدين أعداءه بعطف، بل أطلق سراح جاي على وعد بعدم رفعه السلاح في وجه المسلمين.

ورغم كل نوايا صلاح الدين الحسنة، لم يكن من حاربه هم آخر الصليبيين؛ إذ وصل جيش الحملة الصليبية الثالث بقيادة ريتشارد الأول، عازماً هذه المرة على "تحرير" الأرض المقدسة. استولى جيش ريتشارد الجرار، يدعمه أسطوله في البحر المتوسط ويعززه جاي الذي حنث - خروجاً على المسيحية الحقة - بوعده ونظم جيشاً آخر، على مدينة عكا المهمة بعد حصار دام عامين.

ورغم الخسارة نجح صلاح الدين في حشد قواته، وأوقف تقدم ريتشارد نحو القدس، مدمراً كل مخزون للطعام والإمدادات يمكن أن يكون فيه نفع للصليبيين. أخيراً، وفي 2 أيلول/ سبتمبر 1192، التقى القائدان واتفقا على هدنة مدتها ثلاث سنوات، يبقى خلالها شريط ضيق من الساحل السوري في أيدي الصليبيين، بينما يحتفظ صلاح الدين بسيطرته على القدس، على أن يسمح المسلمون للمسيحيين بدخول غير مقيد إلى الأماكن المقدسة ودور العبادة في أرجاء فلسطين. وفي حقبة كانت البربرية تسودها أكثر مما يسودها الحلم، جاء الاتفاق مذهلاً لكونه عادلاً وحاقناً للدماء.

ومع ذلك لم يتخل أي من صلاح الدين أو ريتشارد الذي عاد إلى إنجلترا عن هدفه في السيطرة المنفردة على الأرض المقدسة. فكلاهما كان يخطط لبدء العمليات الحربية من جديد مع انتهاء الهدنة، إلا أن صلاح الدين لم يكن لتتاح له فرصة أخرى لمحاربة الصليبيين؛ فبعد عودته إلى دمشق أصيب بالحمى الصفراء، وتوفي وهو في الخامسة والخمسين في 4 آذار/ مارس 1193، ودفن في مقبرة بجوار المسجد الجامع في دمشق. لقد عاش صلاح الدين المسلم التقي حياة بسيطة فلم يترك من بعده ثروة سوى دولة عاشت لعدة أجيال لاحقة خلفه فيها أبناؤه وأحفاده.

لقد برهن صلاح الدين على أنه القائد العسكري المسلم الأعظم في زمانه، وتوحيده للعالم الإسلامي هيأ الفرصة الوحيدة لخوض قتال ناجح ضد المسيحيين الأوربيين الغزاة، وكان كذلك عادلاً في حكمه للأراضي التي غزاها، فكسب بذلك ولاء أتباعه.

في زمن كان الحماس الديني فيه هو الحافز لشن حروب واسعة النطاق، ظل صلاح الدين الأيوبي موقراً من جانب أعدائه، رغم مقتهم للعقيدة الإسلامية التي كان يمثلها. بل إن الثناء الرفيع على بطولته وجهوده في الحفاظ على الحضارة ألهم مناوئيه كتابات أدبية منها «**الطلسم**» *The Talisman* للسير روبرت سكوت، والتي تتناول وقائع الحملة الصليبية الثالثة.

92



جورج ديوي
George Dewey
قائد أمريكي
(1917 - 1837)

جورج ديوي هو قائد الأسطول الأمريكي في آسيا، وهو الذي أنهى النفوذ الإسباني في الشرق الأقصى، وجعل من الولايات المتحدة الأمريكية قوة استعمارية. رفعت معركة لم تدم إلا بضع ساعات ذكره إلى عنان السماء، وكان قد اكتسب بالفعل صيتاً ذائعاً طوال ثلاثين عاماً من الخبرة البحرية، لتضلعه في الإعداد والتخطيط ولتنفيذه الجريء للعمليات.

ولد ابناً لطبيب من مونتبلير (Montpelier) بفيرمونت (Vermont) في 26 كانون الأول/ ديسمبر 1837. درس لفترة وجيزة في جامعة نوريتش (Norwich) قبل أن يلتحق بالأكاديمية البحرية الأمريكية. تخرج عام 1858 وشهد قتالاً مكثفاً وهو لايزال ضابطاً صغيراً أثناء الحرب الأهلية الأمريكية، تحت إمرة الأميرال ديفيد جلاسجو فاراجيت في معركتي نيوأورليانز عام 1862 وبورت هيدسون عام 1863، وكان قائداً

للسَّلوب الأمريكي [مركب شراعي وحيد الصاري] "مسيسبي". ثم انضم لاحقاً إلى أسطول الأطلسي الشمالي، الذي كان يحاصر الساحل الأطلسي وشارك في قصف فورت فيشر (Fort Fisher) بنورث كارولينا.

وفي أعقاب الحرب الأهلية كلف ديوي بمهام في البحر وعلى الساحل بما في ذلك توليه منصب رئيس مكتب معدات البحرية الأمريكية عام 1889 ورئيس مكتب التفتيش والرقابة عام 1895. وقد تعرف بحكم منصبيه هذين على البوارج الحديثة ذات البدن المصنوع من الصلب ومدافعها الطويلة المدى.

جمع ديوي بين القيادة المطلقة والمعرفة المكثفة بغية إدخال تطويرات تقنية. فكان يخطط عملياته بعناية وينفذها بجرأة بمجرد دخولها حيز التنفيذ. كان قائداً بحرياً متميزاً في كل جانب، ولذا فإن تأثيره الطويل الأمد يرجع إلى استعداده الجيد في المكان والزمان المناسبين تماماً.

رقي ديوي إلى رتبة عميد بحري عام 1896، وتولى قيادة الأسطول الآسيوي في العام التالي. أوحت له حكمته التنبؤ باندلاع الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسبانيا، فأبقى على سفنه على درجة عالية من الاستعداد، والصيانة في مرفأها بهونغ كونغ. وفي اليوم التالي لإعلان الحرب رسمياً في 25 نيسان/ إبريل 1898، تلقى ديوي برقية من وزارة البحرية الأمريكية لإعلان الهجوم تقول: «توجه فوراً إلى جزر الفلبين، ابدأ العمليات ضد الأسطول الإسباني، عليك أن تستولي على السفن أو تدمرها».

قاد ديوي أسطوله المكون من أربعة زوارق، وقاربي مدفعية، وسفينة إمداد من فوق بارجته الأمريكية أولمبيا (Olympia) ضد أسطول إسباني مؤلف من سبع سفن حربية. وضع ديوي خطة هجوم ليلي خطر، نظراً إلى ما كان يتمتع به الأسطول الإسباني من سمعة باعتباره أفضل أسطول في العالم آنذاك، وذلك بغية الاستيلاء على السفن في المرفأ لا محاربتها في عرض البحر. وفي صبيحة 1 أيار/ مايو، أبحر ديوي إلى خليج مانيلا، وفي الساعة الخامسة وأربعين دقيقة فجراً، بدأ هجومه ضد السفن الإسبانية الراسية في كافيتي بوينت (Cavite Point). وكان أول أوامره إلى قبطان بارجته:

«يمكنك إطلاق النار عندما تكون جاهزاً، يا جريدلي»، وهي العبارة التي أصبحت مشهورة في تاريخ البحرية الأمريكية.

وبحلول الظهيرة كان الأسطول الإسباني عن بكرة أبيه، إما مدمراً وإما خاوياً على عروشه، حيث قتل 167 إسبانياً وجرح 214، ولم يلحق بأي من السفن الأمريكية أذى، في حين أصيب ستة فقط من البحارة إصابات طفيفة. أما حالة الوفاة الوحيدة في صفوف الأمريكيين، فكانت نتيجة الحرارة القائظة لا نتيجة القتال.

وقد علم ديوي من الأسرى الإسبان بعد تحقيقه النصر عليهم، مدى المبالغة حول قوة الأسطول الإسباني وكيف أن سفنهم كانت في حالة يرثى لها، في حين كانت أطقمها تفتقر إلى الخبرة والتدريب. كما علم بأن القائد الإسباني أبقى عمداً على سفنه في مياه ضحلة لئلا يغرق رجاله إذا غاصت السفن.

إن سوء حالة الأسطول الإسباني لم تقلل من أهمية انتصار الأمريكيين؛ فبعد انتهاء المعركة بستة أيام رقي ديوي إلى رتبة لواء بحري، وعاد إلى وطنه ليستقبل استقبال الأبطال. وفي آذار/ مارس 1899، رقي إلى رتبة أميرال وهي أعلى رتبة يصل إليها ضابط في البحرية الأمريكية حتى ذلك الحين. وقد خدم ديوي الذي أعفي من التقاعد الإجباري، رئيساً لمجلس البحرية العام حتى وفاته في 16 كانون الثاني/ يناير 1917، في واشنطن. دي. سي. وعمره ثمانون عاماً.

لقد أثبت ديوي للعالم بانتصاره في خليج مانيلا، انضمام الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تفوقها في بناء السفن وجرأة قادتها البحريين، إلى القوى البحرية العالمية؛ إذ إن المعركة الحيوية التي خاضها أنهت السيطرة الإسبانية في المحيط الهادي في الوقت الذي بدأ فيه نجم الولايات المتحدة الأمريكية يصعد كطرف رئيسي في الأحداث العالمية. لقد بدأ تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من حيث هي قوة العالم البحرية مع ديوي وما حقق من انتصار في الفلبين.

93



لويس الثاني دي بوربون (أمير كونديه)

Louis II de Bourbon, Prince de Condé

قائد فرنسي

(1686 - 1621)

جسور وبطل في ميدان القتال ومتغطرس في سائر المناحي الأخرى، هذا هو لويس الثاني دي بوربون أمير كونديه، الذي يعد واحداً من أعظم القادة الفرنسيين في القرن السابع عشر، ذلك أنه من رفع ذلك البلد إلى مرتبة التفوق العسكري في أوربا. حارب كونديه إلى جانب - مثلما حارب ضد - العظيم هنري دو لاتور دوفرين دو تورين في مسيرة جعلت منه بطلاً يشاد بذكره، وخائناً موصوماً، ثم مبعوثاً لخلاص بلاده.

ولد دوقاً لأينهاين (Enghien) في 8 أيلول/ سبتمبر 1621، وكان يطلق عليه "أمير الدم"؛ بمعنى أنه كانت هناك صلة قرابة تربطه بالعائلة الملكية، وكانت طفولته بذخاً وامتيازاً وشب أكثر غطرسة مما كان مألوفاً في الطبقات الحاكمة. وبموجب حق انتمائه الملكي، تولى أولى مهام قيادته العسكرية وهو في التاسعة عشرة من عمره. وسرعان ما أظهر شجاعة وعناداً، وقدرة هائلة على تحديد نقاط ضعف العدو ومن ثم استغلالها لصالحه.

وفي غضون ثلاث سنوات فحسب تولى كونديه قيادة الجيش الفرنسي، وكلف بمهمة صد الغزو القادم من الأراضي المنخفضة الإسبانية. فظهرت شجاعته عند شنه الهجوم؛ إذ حشد في روكروي (Rocroi)، في 19 أيار/ مايو 1643، مدفعيته ضد المشاة الإسبان الذين كانوا جديرين بصيتهم كأفضل سلاح مشاة في العالم، في حين طوق فرسانه فرسان العدو. وبمجرد أن أوقع الهزيمة بالفرسان الإسبان هاجم المشاة من المؤخرة، في الوقت الذي اندفع فيه مشاته كالسهم المارق صوب مقدمة جيش العدو. فدمر في يوم واحد الجيش الإسباني، الذي قتل منه عشرون ألفاً، في حين لم يخسر كونديه سوى ألفين من رجاله، وأنهى بذلك الهيمنة العسكرية الإسبانية على أوربا والتي دامت ما يزيد على 150 عاماً.

لقد ظهرت في روكروي مواهب كونديه التي أسهمت في نجاحه المتواصل؛ إذ كشف عن قدرته على تحليل أبعاد الموقف في سرعة ثم الرد العاجل واستغلال الموقف بحسم وتحويله لصالحه.

وبعد انتصار روكروي انتقل كونديه إلى جبهة الألزاس لمواجهة تهديد بافاري. وتمكن بعد ثلاث معارك ضروس خاضها في آب/ أغسطس 1643 من رد البافاريين إلى نهر الراين، لكنه أخفق في القضاء عليهم. وبعد ذلك بعام تصدى هو وتورين مرة أخرى للبافاريين الذين استأنفوا هجومهم على فرنسا، فانسحب البافاريون أيضاً هذه المرة بعد قتال دموي طويل.

وواصل كونديه على مدى العقد التالي محاربة أعداء فرنسا الكثيرين في الوقت الذي حاول فيه تهدئة مخاوف الأطراف المتعددة داخل حكومة بلاده، إذ كان بعضهم يشعر بأنه مهدد بسبب شعبية الأمير. وعندما أرسل إلى إسبانيا عام 1647 مني بواحدة من هزائمه القلائل عندما تعذر وصول خطوط إمداده إلى جنوده في ليرزا (Lerida)، إلا أنه نجح في احتلال كاتالونيا (Catalonia).

وفي العام التالي تولى كونديه قيادة الجيش الفرنسي في إقليم فلاندرز لمواجهة الجيش الملكي للأرشيدوق ليوبولد وليم (Leopold William)، وتظاهر كونديه بأنه يتقهقر

لسحب الإسبان من دفاعاتهم في لينز (Lens) في 20 آب/ أغسطس 1648، فلما طارد العدو كونديه أرسل الأخير بفرسانه فطوقوا الإسبان وقضى عليهم.

بعد ذلك واجه كونديه، بوصفه واحداً من أشهر أبطال فرنسا، عدواً آخر كان يتطلب مهارات دبلوماسية أكثر منها عسكرية. فخلال الفترة 1648 ـ 1658 حين كانت فرنسا عرضة لحركات تمرد ومحاولات لإطاحة من في السلطة، شارك كونديه في "حركات التمرد" تلك، وتحالف مع أعدائه الإسبان السابقين ضد ملكة فرنسا. وفي عام 1658 قاد جيشاً إسبانياً ضد قوة موالية للملكة بقيادة رفيقه القديم تورين، وبعد معركة قصيرة تغلب تورين وانسحب كونديه. ورغم الحكم عليه غيابياً بالإعدام عام 1654 بتهمة الخيانة العظمى، سعى إلى الحصول على عفو عندما أنهت معاهدة برانس العمليات الحربية عام 1659 أخيراً.

لقد أتاحت فطنة كونديه السياسية وقدراته في القيادة العسكرية له فرصة جديدة لقيادة جيش فرنسي عام 1668، فاستعاد سمعته في فرنسا بما حقق من انتصار على الهولنديين في آرنهم (Arnhem) عام 1672، وما تلاه من انتصار على أمير أورانج (Orange) في سنيفي (Seneffe) عام 1674.

كانت سنيفي آخر ما حقق من انتصارات، فلم يعد بعدها قادراً على خوض قتال بعد أن اشتد عليه النقرس والشيخوخة وأمراض عدة أخرى وهو في منتصف الخمسينيات؛ فتقاعد بعد أكثر من ثلاثين عاماً من القيادة في ميادين القتال، ليحيا من جديد حياة البذخ والامتياز، مكرساً حياته لأسرته واهتماماته الفكرية. وتوفي في فونتبلو (Fontainebleau) في 11 كانون الأول/ ديسمبر 1686، وعمره خمسة وستون عاماً.

لقد دلل كونديه على أنه تكتيكي بارع؛ إذ كثيراً ما كان ينتصر على المتناقضات الغربية وقوات العدو التي تفوقه عدداً. كان يقود من المقدمة، وقد أطلقت النيران مراراً على جياد يمتطيها فأرديت، وأصيب بالكثير من الجروح. ورغم أن تأثير معاصره تورين كان أكبر، ولاسيما أنه لم يواجه إطلاقاً اتهامات بالخيانة العظمى كما كانت الحال مع كونديه، فقد استحق الأمير صيته الذائع كواحد من أهم قادة فرنسا والقرن السابع عشر.

94



كيرت شتودينت
Kurt Student
قائد ألماني
(1978 - 1890)

كيرت شتودينت هو الذي قام بتجنيد وتنظيم وتدريب وقيادة أول وحدة مظلات رئيسية تشترك في الحروب. وقد وضع، بوصفه جنرالاً في سلاح الجو الألماني في الحرب العالمية الثانية، المعايير والتدابير التي تبنتها الوحدات الأخرى المحمولة جواً، ومايزال كثير منها يستخدم حتى اليوم.

ولد شتودينت في أسرة بروسية نبيلة في 12 أيار/ مايو 1890 في بيرخولوز (Birkholz) ببراندنبيرج (Brandenburg). التحق بمدرسة ليخترفيلد (Lichterfelde) العسكرية وعين ضابطاً في الجيش الألماني عام 1909، وفي عام 1913 تطوع للتدرب على الطيران، وبعدها بعام حلق فوق الجبهة الشرقية أثناء الحرب العالمية الأولى. وفي عام 1915 نقل إلى الجبهة الغربية حيث تولى وهو برتبة نقيب السرب القتالي التاسع، وأصيب بجروح في قتال جوي.

ظل شتودينت لمدة عشر سنوات بعد الحرب في الجيش الألماني الصغير ضابط أركان في سلاح الطيران يقوم بتدريبات على الطائرات الجديدة. وفي عام 1921 أصيب بجروح خطيرة في الرأس في تصادم طائرة منزلقة، لكنه سرعان ما عاد ليشكل منظمة دفاع مدني ألمانية ظلت باقية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وفي أعقاب مهمة استمرت عامين قام بها باعتباره قائد كتيبة مشاة عامي 1928 ـ 1929 تولى منصب مدير مدرسة التدريب الفني الجوي.

وفي غضون عامين من تولي أدولف هتلر منصب المستشار عام 1933، رقي شتودينت إلى رتبة عقيد في سلاح الجو المشكل حديثاً. وكان من بين مسؤولياته تطوير برامج التدريب وإدخال تطويرات فنية. ولاهتمامه بقدرات وحدات المظلات الكبيرة، زار روسيا لتحليل نظم تدريباتها والوقوف على تجاربها.

وفي عام 1937 أقنع شتودينت القيادة العسكرية الألمانية بأن سلاح المشاة المحمول جواً يمكن أن يقدم بعداً تكتيكياً جديداً أطلق عليه "التطويق الرأسي". وقد أنشأ مدرسة للمظليين في شتندال (Stendal) ووضع شروطاً صارمة لقبول المتطوعين، فإضافة إلى قبوله فقط جنوداً في أحسن حالات لياقتهم البدنية والصحية، أجرى لأول مرة في تاريخ العسكرية، سلسلة صورية من الاختبارات النفسية، للتأكد من أنه بإمكان متطوعيه تحمل الضغوط النفسية مثلما يمكنهم تحمل المخاطر البدنية لقتال المظليين.

أدرك شتودينت كذلك أن تكتيكات المشاة النظاميين وأسلحتهم لم تكن بالضرورة لتناسب احتياجات مظلييه. وبعد كثير من التجارب حول ما إذا كان ينبغي نشر المظليين في مجموعات صغيرة للمبادأة بشن عمليات تخريبية أو أن يكون ضمن وحدات كبيرة لمهاجمة أهداف رئيسية، خرج شتودينت بإجراء أسماه "قطرات الزيت". ووفقاً لهذا النموذج يتعين أن تقوم أعداد كبيرة من المظليين بالقفز معاً، ولكن بمجرد لمسهم الأرض، عليهم التجمع في مجموعات صغيرة في منطقة الإسقاط، ثم توسيع خطوط محيطهم والانضمام إلى مجموعات أخرى لتشكيل خط قتال. وقد أدمج شتودينت وحدات محمولة بالطائرات المنزلقة التي يمكنها توصيل المركبات والمدفعية الخفيفة لدعم المشاة المظليين، وذلك لإنجاز هذه المهمة.

كذلك ابتكر شتودينت وسيلة لفتح الحبل الثابت للمظلة يمكن الاعتماد عليها، وزود المظليين بسلاح أساسي عبارة عن مسدسات آلية ذات معدل عال في إطلاق النار، وقام بصرف حصص تموين خاصة تشمل كبسولات وعقاقير منشطة، وذلك للإبقاء على حالة التيقظ عالية أثناء العمليات الطويلة. في أثناء التجارب والتدريبات، ظل شتودينت في رتبة عقيد، ولكن بحلول تموز/ يوليو 1938 كان قد أدهش رؤساءه حتى إنهم قاموا بترقيته إلى رتبة لواء وخولوه تشكيل الفرقة المظلية السابعة كسلاح خاص في سلاح الجو الألماني.

لم يشهد المظليون قتالاً في بدايات الحرب العالمية الثانية في بولندا، ولكن قامت بضع وحدات يقارب حجمها حجم السرية بدعم العمليات في النرويج والدنمارك. وقد حدث أول نشر كبير لفرقة شتودينت مع تحول الهجمات الخاطفة غرباً في أيار/ مايو 1940. لقد اعتمد كثير من نجاح العملية على استيلاء الوحدات المحمولة جواً في التوقيت الدقيق للمطارات والجسور وللقلعة البلجيكية المهمة في إيبن-إميل (Eben-Emael) في 10 أيار/ مايو. وحقق مظليو شتودينت أهدافهم في الوقت المحدد وبأقل الخسائر.

وبعد ذلك بأربعة أيام أصيب شتودينت بجرح خطير في الرأس، وعندما تعافى وعاد إلى الخدمة في أيلول/ سبتمبر التالي، عاد برتبة فريق ليتولى قيادة الفيلق الجوي الحادي عشر. ثم قام بالتدريب على عملية غزو جوي لإنجلترا، ولكن عندما ألغيت تلك الخطة، نظم عملية إسقاط في جزيرة كريت بالبحر الأبيض المتوسط في 20 أيار/ مايو 1941. ورغم نجاح العملية نجاحاً كاملاً، فقد مني الفيلق بأكثر من ستة آلاف قتيل، ليس فقط من جانب العدو بل أيضاً نتيجة مخاطر عملية القفز ذاتها. فألغى هتلر الهجمات المحمولة جواً مستقبلاً بسبب الخسائر الكبيرة في الأرواح وتضاؤل عدد المرافق الألمانية.

وباستثناء عملية محمولة جواً بحجم سرية دعماً لإنقاذ موسوليني في 19 أيلول/ سبتمبر 1943 وعملية إسقاط بحجم كتيبة أثناء هجوم الآردن في كانون

الأول/ ديسمبر 1944، قضى مظليو شتودينت بقية مدة الحرب كمشاة نظاميين. وكان هتلر يدرك القدرات القتالية لنخبة الجنود المحمولين جواً رغم قتالهم على الأرض، وواصل تكليفاته بضم وحدات جديدة، حتى بلغ مجموع الوحدات التي كان شتودينت يتولى قيادتها، حين رقي إلى رتبة فريق أول، عشر فرق محمولة جواً.

كان شتودينت وبعض مظلييه في هولندا في أيلول/ سبتمبر 1944، عندما أطلق الحلفاء عبارة "ماركت جاردن" (بستان السوق) على العملية المحمولة جواً الخاصة بهم، بهدف تأمين الجسور التي يراد لها أن تفتح الطريق لغزو الأراضي الألمانية في العمق، فأدت معرفته وخبرته دوراً مهماً في هزيمة المظليين الغزاة. واعترافاً بتميز أدائه، ولي قيادة جميع القوات الألمانية في الأراضي المنخفضة، حيث ظل هناك بقية فترة الحرب.

وقع شتودينت في شلاسفيخ ـ هوليشتين (Schleswig-Holstein) أسيراً في يد الإنجليز في أواخر نيسان/ إبريل 1945، وظل أسير حرب حتى عام 1948. ثم عاش في معتزل في ليمجو (Lemgo) بألمانيا الغربية حتى وفاته في 1 تموز/ يوليو 1978 وهو في الثامنة والثمانين من عمره.

لقد تبنى العديد من الدول ابتكارات شتودينت، بمن فيها من خصومه. وعلى الرغم من أن الروس هم أول من شكلوا وحدات المظليين، فإنه أول من استخدم الجنود المحمولين جواً في الحرب الفعلية وطور الأفكار الوليدة للروس حتى أصبحت فناً مكتمل الأطر. فما من جيش رئيسي في أرجاء المعمورة اليوم إلا ولديه وحدة محمولة جواً. ويظل هؤلاء المظليون نخبة جيوشهم، وهم يتيحون لها القدرة على الحركة التي لم تعد بعد عتيقة، فجهود شتودينت الرائدة مستمرة التأثير في عمليات المظليين.

95



جورج باتـــون
George S. Patton
قائد أمريكي
(1945 - 1885)

هو من أدخل حرب المدرعات في جيش الولايات المتحدة الأمريكية، وأثبت أنه واحد من أقدر القادة الميدانيين في الحرب العالمية الثانية. هذا هو جورج باتون، الجدلي الغريب الأطوار المتغطرس المختال، الذي لم يمن بهزيمة ذات بال في الحرب العالمية الثانية، والذي حظي باحترام جنوده ونال شهرة واسعة بين المدنيين في بلاده.

نشأ باتون في أسرة ثرية من فرجينيا ذات تاريخ طويل في الخدمة العسكرية. ولد في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 1885 في سان جابرييل (San Gabriel) بولاية كاليفورنيا. التحق بأفضل المدارس الابتدائية قبل قبوله في أكاديمية ويست بوينت العسكرية. ولكن بسبب تعوق في التعلم ربما كان عُسْراً في القراءة، لم يتفوق باتون في الدراسة، مما تطلب بقاءه عاماً آخر ليتخرج عام 1909 عندما كلف بالخدمة في سلاح الفرسان. غير أن ما افتقده باتون في الدراسة، عوضه وزيادة بحيويته الهائلة.

ولأن باتون كان فارساً بارعاً، فقد مثل الجيش والولايات المتحدة الأمريكية في أولمبياد إستكهولم عام 1912 في أول مسابقة ألعاب خماسية، مؤلفة من السباحة والركض والفروسية والرماية والمبارزة. وبعدها بعام التحق بالمدرسة الفرنسية للفروسية، وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية كتب أول كتيب إرشادي عن سيف المبارزة. وفي عام 1916 انضم باتون إلى حملة قادها الجنرال جون جوزيف بيرشنج إلى المكسيك لمطاردة بانشو فيلا. وخلال تلك العملية تلقى باتون خبراته الأولى في استخدام العربات ذات المحركات، واكتسب قدراً من ذيوع الصيت عندما تصدى لمجموعة من رجال الفيلستاس (Villistas) على متن جيادهم من عربته وقتل العديد منهم ببندقيته.

ظل باتون مع بيرشنج معاوناً له عند نشر قوات الحامية الأمريكية في فرنسا عام 1917. وبمجرد أن أدرك بيرشنج الحاجة إلى استخدام عربات مدرعة لكسر حالة الجمود في حرب الخنادق، عين باتون قائداً لأول وحدة مدرعات أمريكية رسمية، كما عهد إليه بالإشراف على مدرسة لتدريب مجموعة من العسكريين في لانجريه (Langres) في تشرين الثاني/ نوفمبر 1917. وقد شهد أول لواء دبابات أمريكي القتال للمرة الأولى في سان ميهيل (Saint-Mihiel) في أيلول/ سبتمبر 1918. وخلال دعم لواء الدبابات التالي في هجوم ميوز-آرجون (Meuse-Argonne)، أصيب باتون بجرح طفيف وحصل على صليب الخدمة المتميزة تقديراً لشجاعته.

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، عاد باتون إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهو لايزال قائداً لسلاح المدرعات الأمريكية الوليد الذي أصبح يعرف بلواء الدبابات 314. وقد ظل على مدى السنوات العشرين التالية مدافعاً متحمساً لحرب المدرعات، كما كلف بالعديد من المهام في سلاح الفروسية إضافة إلى التدريس. غير أن انخفاض الإنفاق فترة السلم علاوة على الكساد الكبير حد من الأبحاث في مجال الدبابات وإنتاجها.

ولم تبدأ الولايات المتحدة الأمريكية بناء قواتها المدرعة إلا بعد بدء الحرب العالمية الثانية ونجاح الهجمات الخاطفة للدبابات الألمانية. وفي تموز/ يوليو 1940 تولى باتون

قيادة اللواء المدرع الأول الذي تم توسيعه ليصبح الفرقة المدرعة الأولى في نيسان/ إبريل التالي. ومن آذار/ مارس وحتى تموز/ يوليو 1942، تولى باتون وهو برتبة لواء قيادة مركز التدريب الصحراوي على طول حدود كاليفورنيا مع أريزونا، حيث وضع مبادئ المدرعات الأمريكية كما قام بتدريب وحدات المدرعات.

ساهم باتون في التخطيط للإنزال الأمريكي في شمال أفريقيا وقاد قوة المهام الغربية إبان العملية الفعلية. وفي آذار/ مارس 1943 وفي أعقاب الهزيمة المفجعة للأمريكيين في ممر كاسرين (Kasserine Pass)، تولى باتون قيادة الفيلق الأمريكي الثاني. وسرعان ما حول الوحدة المنهارة معنوياً الضعيفة الحافز إلى قوة مقاتلة تتسم بالكفاءة، وذلك بإبدال القادة المعاونين وإلزام الجنود بالنظام الصارم، حتى يتسنى له شن الهجوم من جديد ويساعد على هزيمة دول المحور في شمال أفريقيا.

وفي تموز/ يوليو تولى باتون - وكان قد وصل إلى رتبة فريق - قيادة الجيش الأمريكي السابع في غزو صقلية. وفي سباق غير رسمي لمن يصل أولاً إلى ميسينا، تفوق باتون الجريء على بيرنارد لو مونتجمري البريطاني الحذر، مما أكسبه شهرة في وطنه وعاد عليه بالحقد من جانب حلفائه. وبعد أن أمن صقلية، قام بزيارة المستشفيات التي يعالج فيها جنوده المصابون. وفي حادثة لقيت من الترويج الشيء الكثير، صفع باتون اثنين من المتطوعين غير المصابين والذين كانا يعانيان من "الإجهاد نتيجة القتال"، ناعتاً إياهما بالجبن لسعيهما الحصول على علاج طبي. ونتيجة لذلك، كان لباتون دور ثانوي في مهمة احتلال صقلية، وحرم من أي دور في الغزو التالي لقلب إيطاليا.

وفي كانون الثاني/ يناير 1944، نقل باتون إلى إنجلترا للمساعدة على التخطيط لغزو نورماندي. وحيث كان لايزال معاقباً بسبب حادثة الصفع، فقد تولى - اسمياً فقط - قيادة وحدة كانت قد شكلت، كي يظن الألمان أن الهجوم الرئيسي سوف يشن من كاليه بدلاً من نورماندي. ولم يتول باتون من جديد القيادة الميدانية بوصفه قائداً للجيش الثالث إلا بعد مضي شهر من الإنزال الناجح في نورماندي.

ومن خلال قيادة باتون للجيش الثالث ذاع صيته كواحد من أكفأ القادة الميدانيين. وفي 1 آب/ أغسطس قاد الهجوم من رأس الشاطئ في آفرانشيه (Avranches) وحاصر

ما يزيد على مئة ألف جندي ألماني في غضون أسبوعين في فاليه - آرجنتن جاب (Falaise-Argentan Gap). ثم واصل السير جهة الشرق، فوصل نهر سار (Saar) بحلول نهاية الشهر.

كانت تكتيكات باتون تتركز حول خفة الحركة وعامل الصدمة لسلاح مدرعاته؛ فكانت دباباته تشن الهجوم بأقصى سرعة ممكنة، وذلك للحيلولة دون تمكن الألمان من تشكيل خطوط دفاعية جديدة، بل غالباً ما كانت تتقدم أسرع مما هو متاح لخطوط الإمداد. وإذا ما رأى في الأمر ضرورة، كان يطلب المدد والذخيرة من الوحدات الأخرى، أو يسرقها بكل معنى الكلمة. وكان في بعض الأحيان يتجاهل أوامر رؤسائه، فيشن الهجوم دون استفادة من قوات الاحتياطي الكبيرة ويسخر كل إمكاناته للقتال.

وبحلول كانون الأول/ ديسمبر قام باتون بتحريك الجيش الثالث صوب ميتس (Metz). وعندما قام الألمان بهجومهم المباغت في الآردن، بادئين "معركة النتوء" ومهددين المناطق الخلفية للحلفاء، حوَّل باتون ببراعة مسار قواته تسعين درجة واندفع شرقاً لتخليص باستون (Bastogne) ووقف تقدم الألمان. ومن إقليم الآردن تحول صوب ألمانيا وعبر في 22 آذار/ مارس 1945 نهر الراين عند أوبنهايم (Oppenheim). وقام الجيش الثالث دون هوادة بتدمير المدن والحصون التي رفضت التسليم مع استمرار تقدم الأمريكيين السريع. كما حاصر باتون قوة رئيسية ألمانية أخرى وهزمها في جيب الرور، واندفع صوب بافاريا، واخترقها إلى تشيكوسلوفاكيا والنمسا حيث وضعت الحرب أوزارها.

ولصراحة باتون غير المحدودة فقد عبر عن قلقه تجاه السوفييت بعد الهدنة عام 1945، مبيناً أنه يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تحارب الشيوعيين آنذاك على أن تضطر إلى محاربتهم فيما بعد. هذا الموقف علاوة على معاملته اللينة للنازيين السابقين الذين كان يعتقد أنهم ستكون لهم حاجة في إعادة بناء ألمانيا، كلفه مركزه القيادي في الجيش؛ فكانت آخر مهامه قيامه بدور غير ذي أهمية نسبياً حاكماً لبافاريا. وفي 9 كانون الأول/ ديسمبر 1945 أصيب باتون، وهو في الستين من عمره في حادثة

سيارة، بالقرب من مانهايم (Mannheim)، وتوفي من مضاعفات إصابته في هايدلبيرج في 21 كانون الأول/ ديسمبر 1945، ودفن في المقابر الأمريكية في لوكسمبورج إلى جوار الجنود الذين سقطوا أثناء توجههم إلى أوربا.

لقد كان باتون - الذي غالباً ما كان يظهر في زيه الكامل الموشى بالأوسمة والأوشحة ويضع مسدسه العاجـي القبضة ذا عيـار 45 في حزامـه - رجلاً استعراضيـاً ألهم رجاله روح القتال في بسالة كما ألهم العامة الافتتـان به. وكان - وهو من أطلـق عليـه (Old Blood and Guts) أي "القـوي والجسـور العجـوز" - قائداً ميدانياً أفضل منه مفكراً عظيماً أو منظراً في فنون الحرب.

ورغم أن باتون لا يرقى إلى مرتبة جون فريدريك تشارلز فولر، أو هاينز جودريان، في ابتكار فلسفة لحرب المدرعات، فقد كسب كل حملة شارك فيها. لقد كان في الواقع أكثر شهرة وأقل تأثيراً في مزاجيته التي لا تكبح، كما أن تعليقاته بشأن القضايا السياسية التي تقع خارج نطاق مسؤولياته قد جعلته رائجاً إعلامياً. و منذ ذلك الحين وكثير من القادة الأمريكيين المضللين يحاولون محاكاة باتون المزاجي، يظنون أن سلوك التباهي الاستعراضي يمكن أن يعوض الافتقار إلى الكفاءة. غير أن أولئك المقلدين - إضافة إلى جعلهم المرؤوسين لهم تعساء غير فاعلين - قد أخفقوا في أن يكونوا نسخة من باتون في سجله؛ إذ كان يتمتع بقدرة على قيادة الرجال في الميدان ويحركهم للتغلب على كثير من المتناقضات الكبيرة.

96



ميشيل ني
Michel Ney
قائد فرنسي
(1815 - 1769)

لو أن هذه الدراسة تنصب على الشجاعة القتالية لا على التأثير العسكري لتصدر ميشيل ني قمة القائمة؛ إذ يظل ني وهو من أطلق عليه نابليون الأول "أشجع الشجعان"، أشهر وأحب قادة الحروب النابليونية. فشجاعته الذاتية وقدرته على إلهام مرؤوسيه تميزه كمثل أعلى للجندي؛ فلقد أثرت شجاعته الذاتية هذه في سلوك وأداء الفرسان الفرنسيين في المستقبل وفي كل القادة العسكريين الذين وعوا أهمية سمة الشجاعة في القادة.

ولد ني في سارلوي (Saarlouis) بإقليم الألزاس في 10 كانون الثاني/ يناير 1769. فر من البيت وهو في الثامنة عشرة ليلتحق بسلاح الفرسان الفرنسي مفضلاً إياه على أن يترسم خطى أبيه، صانع البراميل. وسرعان ما حصل ني - نتيجة فروسيته المشهودة وقدراته القتالية - على تكليفه كضابط وعلى الترقي السريع في الجيش الثوري. وفي

عام 1796 أصبح قائد لواء، وفي عام 1800 كان قد وصل إلى قائد فرقة. وقد تقبل ني الذي كان يفضل القيادة الميدانية على جبهات القتال، تلك الترقيات على مضض.

عرف بين جنوده بـ "الرأس الأحمر" ليس فقط بسبب لون شعره، ولكن أيضاً بسبب حدة مزاجه. وكان واحداً من سبعة عشر جنرالاً رقاهم نابليون عام 1804 إلى رتبة مارشال الإمبراطورية. ومع أن الحملة التي سوف يقوم بها نابليون وني معاً لم تكن قد حانت بعد، فقد كان الإمبراطور وزوجته جوزفين، معجبين أشد الإعجاب بني، بل وهما اللذان رتبا زواجه من إحدى فتيات القصر.

وفي عام 1805 قام ني بنفسه، والذي كان قائد فيلق آنذاك، بقيادة هجوم عبر جسر إيلشنجن (Elchingen)، مما مكّن الفرنسيين من محاصرة القوات النمساوية المؤلفة من 32 ألفاً وإرغامهم على الاستسلام. ثم اشترك ني وفيلقه في القتال في يانا وكان لهذه المشاركة إسهامها في النصر الذي تحقق في إيلو (Eylau) وفريدلاند (Friedland). وفي تلك الفترة انضم أنطوان هنري جوميني إلى ضباط ني وأدى دوراً مهماً في تشجيع المارشال على القيادة والتوجيه. كما بذل جوميني جهده لكبح جماح مزاجية ني والمساهمة في تواصل علاقته بزملائه المارشالات. فكان أن كافأ ني جوميني بإقراضه مالاً لنشر بعض كتاباته الأولى عن الحرب، والتي سوف يكون لها تأثير طويل الأمد في قادة العالم العسكريين. وخلال الفترة 1810 ـ 1811 حارب ني في البرتغال وإسبانيا. ورغم استمرار ظهور شجاعته الذاتية وجهود جوميني فقد كان ني يعبر عن آراء اعتبرها رؤساؤه غير لائقة بمرؤوس، فنحوه عن القيادة عام 1811.

وعند عودته إلى فرنسا انضم ني إلى نابليون استعداداً للغزو الوشيك لروسيا. وكان تولي الإمبراطور زمام القيادة هو ما يحتاجه ني ليصعد من كونه ضابطاً كفئاً شجاعاً إلى أن يصبح قائداً مغواراً ممتازاً. وقد طالبه الإمبراطور بضرورة التعاون مع زملائه المارشالات وأن يحد من تصرفاته المتهورة في المعركة.

ورغم إصابة ني أثناء تقدم الفرنسيين صوب موسكو فقد تولى قيادة حرس المؤخرة عندما اضطر الروس وطقس بلادهم نابليون إلى الانسحاب. فبدأ ني القتال بما يقرب من عشرة آلاف جندي، فكان يصد الهجوم تلو الهجوم وهو يؤمن انسحاب قوات

نابليون الرئيسية. وفي الوقت الذي وصل فيه ني إلى جسر كوفنو (Kovono) راحلاً عن روسيا، كانت قواته قد انحسرت في بضع مئات. وفي المعركة الأخيرة عند الجسر، تناول ني بنفسه بندقية وانضم إلى خط النار الأول لصد تقدم الروس. وبعد عبور الجميع الجسر في أمان، تبعهم ني فكان آخر عسكري فرنسي تطأ قدماه الأراضي الروسية، وكرمه نابليون بالإمارة وبلقب "أشجع الشجعان".

استمر ني في خدمة نابليون إبان الهجوم على فيسنفيلس (Weissenfels)، وليتسين، وليبتسخ، في عام 1813 حيث أصيب للمرة الثانية. وعندما اضطر نابليون إلى العودة إلى فرنسا عام 1814 بسبب أعدائه، ظل ني معه. وبعد سقوط باريس بفترة وجيزة في 31 آذار/ مارس، تقدم ني بوصفه المتحدث باسم رفاقه المارشالات، من نابليون ونصحه بالتنازل عن العرش لصالح فرنسا وحفظاً لما تبقى من الجيش.

ومكافأة لني على مساعدته على رحيل نابليون، سمحت له عائلة بوربون الملكية التي استعادت حكم فرنسا، بالاحتفاظ برتبته ومنصبه. وقد خدم ني الملك لويس الثامن عشر بوصفه قائد المنطقة العسكرية السادسة وحاكماً لبيزناسون (Besancon) لأقل من عام عندما فر نابليون من منفاه في جزيرة إلبا ونزل مرة أخرى في فرنسا في خليج جوان (Golfe-Juan) في 1 آذار/ مارس 1815.

وعندما أمر الملك ني بالتصدي لنابليون، وعد ني الملك بإعادة الإمبراطور السابق إلى باريس "في قفص من حديد". وكان ذلك الوعد على ما يبدو صادقاً، غير أنه ما إن التقى نابليون حتى طغى ولاؤه القديم، وبدلاً من القبض على الإمبراطور العائد، عرض ني سيفه وخدماته على قائده السابق.

وكانت آخر معارك ني إلى جانب نابليون؛ فقد دعم ني تقدم نابليون إلى بلجيكا وهو قائد للجناح الغربي، حيث أخفق كل منهما في أن يبلي بلاءً حسناً في قتاله الأخير. إذ فشل ني في كاتر برا (Quatre Bras) في 15 حزيران/ يونيو 1815 في أن يحول دون تماسك قوات دوق ويلنجتون، وبعدها بثلاثة أيام خسر ني معظم فرسانه في هجمات متكررة ضد قوات المشاة الإنجليز، مما أدى إلى خسارة نابليون معركة ووترلو.

وأثناء القتال كان ني كعادته في مقدمة رجاله، وقد أصابت الطلقات خمسة من الجياد التي امتطاها. ثم حاول، ولباسه العسكري قد تهلهل ووجهه مسود من سخام المعركة، أن يحشد لآخر هجوم، صائحاً: «تعالوا وانظروا كيف يمكن أن يموت مارشال من فرنسا!».

ورغم ما فاه به ني من كلمات حماسية فقد نجا من المعركة. وبعد أن نفي نابليون إلى سانت هيلينا، واجه ني البالغ من العمر ستة وأربعين عاماً، محاكمة في باريس على يد رفاقه المارشالات لارتداده إلى جانب الإمبراطور. ولثبوت التهمة عليه، فقد أعدم على يد فرقة إعدام رمياً بالرصاص في لوكمسبورج جاردينز (Luxembourg Gardens) في 7 كانون الأول/ ديسمبر 1815. وقد أفرز هذا الحدث قصصاً متفاوتة الصحة، ووفقاً لما يبدو أنه أكثر الروايات دقة، فإن ني هو الذي أعطى أمر إعدامه بنفسه. وفي رواية لم يثبت لها صحة، قيل إن فرقة الإعدام كلها كانت زائفة، وأن ني فر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث عاش بقية حياته مزارعاً، وفي رواية أخرى مدرساً.

لقد بلغ أداء ني قمته في حضور نابليون الذي كان يتولى القيادة ويطمئن إلى تعاونه مع رفاقه المارشالات. لقد نجم عن جرأته في بعض الأحيان أخطاء في ميدان القتال، لكنه كان عادة ما يحرز النصر، لكفاءة قيادته الذاتية وكذلك لشجاعته. لم يكن ني عبقرية استراتيجية مثله مثل جورج باتون في الحرب العالمية الثانية، وإنما كان قائداً لا يعرف الخوف، وكان بوسعه حفز رجاله إلى أداء البطولات الكبيرة. وإن تأثير ني الباقي هو كونه مثال القائد الذي كان يبدي الاهتمام القليل لسلامته الشخصية، في حين كان يضحي بكل شيء عن طيب خاطر من أجل قائده وبلده.

97



شارل الثاني عشر
Charles XII
ملك سويدي
(1718 - 1682)

قضى الملك السويدي المحارب شارل الثاني عشر شبابه كله وهو يقاتل في حرب الشمال الكبرى خلال الفترة 1700 ـ 1721 . وقد كان لتحديثه الجيش وحنكة قيادته في ميدان القتال أثرهما فيما نال من صيت كواحد من أعظم القادة العسكريين في السويد، وهو ما أتاح له أن يتبوأ المكانة السائدة في التاريخ الأوربي في مطلع القرن الثامن عشر .

وباعتبار شارل الابن الوحيد الباقي على قيد الحياة للملك شارل الحادي عشر ، فقد تلقى في صغره تعليماً أكاديمياً وعسكرياً ممتازاً . ولد في إستكهولم في 17 حزيران/ يونيو 1682 . وقضى شطراً طويلاً من عمره إلى جانب والده وخلفه في العرش عند وفاته عام 1697 . ساعده على الحكم مجلس وصاية ، لكنَّ نضج المراهق تشارلز هيأ له الاضطلاع بمسؤوليات العرش كاملة في أقل من عام .

ورث شارل من أبيه جيشاً متمرساً عالي الكفاءة، غير أنه قضى وقتاً يطوره بدمج المدفعية بمناورات المشاة وسلاح الفرسان، وبتركيزه على استخدام السلاح الأبيض في القتال المتلاحم. ولأنه كان يقدر أهمية خطوط الإمداد، فقد عمد إلى تطوير نظمه التموينية وقام بتحديث مرافق النقل، وهو ما أدى إلى إحداث أثره في جيوش أخرى من حيث التطوير المماثل.

ورغم قوة الجيش السويدي، فقد قرر تحالف يضم بولندا وروسيا والدنمارك انتهاز فرصة قلة خبرة الملك الجديد وإضعاف قوة السويد في بحر البلطيق. تحرك التحالف الثلاثي ضد السويد في نيسان/ إبريل 1700، وهو ما تطور إلى ما يعرف بحرب الشمال الكبرى. سمح شارل للقادة الذين كان والده قد اختارهم ليقودوا المعارك الأولى مع قليل من الإشراف، فكانت مكافأتهم له انتصارات أوقفت تقدم العدو.

أمر شارل بشن هجوم مضاد ضد الدنمارك، وسرعان ما اجتاح ذلك البلد وأنهى مشاركته في الحرب من خلال معاهدة ترافندل (Travendal) التي وقعت في 28 آب/ اغسطس 1700. ثم تولى بنفسه قيادة الجيش السويدي ونزل في ليفونيا في تشرين الأول/ أكتوبر وحاصر الغزاة الروس في نارفا. وفي 20 تشرين الثاني/ نوفمبر، تقدم شارل بقوة مؤلفة من عشرة آلاف رجل فقط في هجوم مباغت كالعاصفة ليهزم ما يقرب من سبعين ألف روسي بقيادة بطرس الأول. وعلى مدى الأعوام الثلاثة التالية، سار شارل ضد بولندا وساكسونيا وهزم جيشيهما واحتل عاصمتيهما. وبحلول عام 1705 كان جيش شارل قد أخضع القوات الباقية في منطقة البلطيق. وظلت القوة الوحيدة ذات القيمة الفعلية هي روسيا، وكان القيصر بطرس على استعداد لصنع السلام.

ومع ذلك قضى شارل العامين التاليين يعزز جيشه ويطور من نظامه التمويني. وبما أنه كان يبدي قليلاً من الاحترام للقدرات القتالية الروسية، فقد قال: «إن تحقيق الغلبة على أهل موسكو لا يعد شيئاً يذكر، فمن الممكن هزيمتهم في أي وقت». وفي عام 1708 وقع في غلطة عمره، وهي الغلطة التي وقع فيها أيضاً قادة كبار من عصور أخرى، وذلك حين قرر رفض عروض السلام و غزو روسيا عن طريق البر.

استولى شارل على جرودنو (Grodno) في 5 شباط/ فبراير، ووقع في معسكر بالقرب من مينسك في انتظار ذوبان الجليد في الربيع. ثم استأنف هجومه أثناء الصيف، غير أن الروس رفضوا الاشتباك في معركة مواجهة ضارية، فكانوا يقومون بعمليات كر وفر، فيشتبكون مع الجيش السويدي في مناوشات ويدمرون أي شيء يمكن أن يستفيد منه الغزاة.

ورغم الضعف الذي اعترى جشيه نتيجة الشتاء الروسي الطويل وخسارته لقافلة تموينه الرئيسية لصالح العدو، فقد اشتبك مع قوة الجيش الروسي الأساسية في بولتافا في 28 حزيران/ يونيو، إلا أن الروس هزموا السويديين هزيمة تامة في ثماني عشرة ساعة. ولم ينجُ من تلك المجزرة سوى شارل و1500 جندي.

فر شارل وحاميته الصغيرة جنوباً باتجاه الأراضي التركية حيث حكم السويد غيابياً طيلة السنوات الخمس التالية، وفي الوقت ذاته كان يحث الأتراك على إعلان الحرب ضد روسيا. وفي نهاية المطاف ضاق الأتراك بضيفهم غير المرغوب فيه وحاصروا جيشه في معتزله في بندر (Bender). فر شارل وسافر في رحلة مشهودة عبر إمبراطورية هابسبورج ليصل إلى بوميرانيا السويدية في أسبوعين فقط.

عاد شارل إلى بلاده للمرة الأولى بعد غيبة دامت عقداً من الزمان وبدأ يواصل جهوده في إعادة بناء جيشه لطرد الغزاة. حالفه النجاح في غالب الأحيان على مدى عامين، وبحلول عام 1717 توافرت لديه القوة الكافية لاستعادة زمام المبادأة. وفي عام 1718 غزا شارل الذي كان في السادسة والثلاثين النرويج، ولكن قبل أن يتمكن من تحقيق النصر، أصيب بجرح مميت من طلقة بندقية بالقرب من هالدن (Halden) في 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1718.

خلف شارل على العرش أخته أولريكا إلينورا (Ulrika Eleonora) وبدأت على الفور مفاوضات سلام. وبموجب معاهدة نيستاد (Nystad) عام 1721 خسرت السويد معظم ممتلكاتها في البلطيق، لكنها حافظت على استقلالها. وحلت روسيا آنذاك محل السويد قوة رئيسية للبلطيق.

وتحيط الخرافات والأساطير ببطولات شارل الثاني عشر حاله حال كثير من الشخصيات التاريخية، لكن الثابت أنه كان قائداً مقتدراً في ميدان القتال وأستاذاً في مسائل التموين والمناورات. وربما كانت "غلطته" الكبرى برفضه معاهدة السلام الروسية لا تعد خطأ بقدر ما كانت سوء توقيت؛ إذ أدرك أن اتفاق سلام في حد ذاته لن يكون كافياً لمنع الروس في نهاية الأمر من غزو السويد، ولذا، فمن المحتمل أنه آثر المخاطرة بالهزيمة في روسيا وجيشه قوي على مواجهة الغزاة في وطنه في وقت لاحق.

لاتزال السويد تكرم شارل الثاني عشر على أنه بطل، وتعتبره آخر ملك يحكم في عصر كانت البلاد فيه قوة عالمية. غير أن إنجازاته وتأثيره أقل كثيراً من إنجازات مواطنيه جوستاف أدولف ولينارت تورستنسون، وذلك نتيجة هزيمة شارل النهائية على يد الروس.

98



توماس كوكرين
Thomas Cochrane
قائد بريطاني
(1860 - 1775)

كان لتوماس كوكرين تأثير في تاريخ العالم من خلال سلسلة من الإنجازات؛ فقد كان متفوقاً في البحرية البريطانية، حيث أنجز ابتكارات في وسائل دفع السفن، والتي غيرت من مسار القوة البحرية. ثم قام في فترة توقف عن الخدمة بمساعدة حركات الاستقلال في تشيلي وبيرو والبرازيل واليونان. وأخيراً، كان عمله في مجال الحرب الكيماوية، وهو ما ينظر إليه البعض على أنه عبقرية بينما يراه آخرون نزوة غريبة. وقد تمكن من تطوير أول خطط قادت فيما بعد إلى حرب الغازات في الحرب العالمية الأولى.

ولد كوكرين في أنسفيلد (Anesfield) بمقاطعة لاناركشير (Lanarkshire) عام 1775، وتأثر في بدايات حياته بوالده الذي أفقر أسرته نتيجة تجاربه العلمية، كما تأثر بعمه الذي كان ضابطاً بحرياً. وفي سن السابعة عشرة، عمل مع عمه مرشحاً للبحرية، ثم رقي في عام 1800 إلى رتبة ملازم وتولى قيادة المركب الملكي الشراعي ذي الصاريين

"سبيدي" (Speedy)، وأثناء توليه قيادة هذا المركب، غنم أكثر من خمسين من الأسلاب بما في ذلك الحرّاقة [سفينة حربية شراعية] الإسبانية إيل جومو (El Gumo) عام 1801.

لقد عادت شجاعة كوكرين الشخصية وبراعته في فن الملاحة عليه باحترام مرؤوسيه وثناء الشعب البريطاني، غير أن مثاليته وصراحته الجريئة أوغرت عليه صدور رؤسائه، كما انعدمت ثقة القيادة البحرية به، وقد قاد كوكرين في نيسان/ إبريل 1809 هجوماً ناجحاً بالحرّاقة ضد الفرنسيين في أكس رودز (Aix Roads)، بالقرب من برست (Brest)، غير أن انتقاده إخفاق قائد الأسطول في استغلال النصر الأولي ترتب عليه محاكمته محاكمة عسكرية.

كذلك قضى كوكرين على كل طموح في مجال العمل البحري، وذلك بترشيح نفسه للبرلمان عام 1807، حيث احتج على ما اعتبره سوء إدارة للأسطول. وبحلول عام 1814 كان قد أوجد له أعداءً داخل البحرية والحكومة الذين بلغ مقتهم له أن دبروا له محاكمة بتهمة تزييف أوراق مالية. دانت المحكمة كوكرين البريء تماماً، وفصلته من البحرية، وحرمته من مقعده البرلماني.

وعلى مدى العقد التالي وظف كوكرين مهاراته البحرية في خدمة القضايا الثورية. ففي أيار/ مايو 1817 قبل بعرض لقيادة الأسطول التشيلي في حرب الاستقلال ضد إسبانيا. فتمكن من إنهاء السيطرة البحرية الإسبانية على المياه التشيلية عام 1820، وذلك عن طريق قيامه بحملة من الحصار البحري وقصف المراكز الساحلية وغارات الإنزال. وفي العام التالي وجه كوكرين سفنه صوب الشمال لمساعدة خوسيه دي سان مارتين على تحرير بيرو.

ظل كوكرين في تشيلي يحظى بمكانة البطل في ذلك البلد المحرر حديثاً إلى أن تناحر كعادته مع الحكومة فلم يعد مأخوذاً بالسلام الذي ساهم في تحقيقه. وفي عام 1823 تولى مرة أخرى قيادة أسطول للمتمردين، وكانت هذه المرة في البرازيل ضد البرتغاليين. وقد استطاع بحراقتين فقط أن يشن هجمات متكررة على الأسطول

البرتغالي المكون من ستين سفينة نقل وثلاث عشرة سفينة حربية، فأغرق منها العديد وحال دون دخول بعضها الآخر ميناء مارانهو (Maranhao) لإجراء إصلاحات أو للتزود بالوقود، مما أجبر الأسطول على العودة إلى البرتغال فتأكد نجاح حرب الاستقلال البرازيلية.

ومرة أخرى يثبت كوكرين تهوره في علاقته برؤسائه بمجرد أن توقفت العمليات الحربية. ففي عام 1825 قبل بقيادة سلاح البحرية اليوناني الوليد، لكنه لم يستطع الحصول على الدعم الكافي من الحكومة لتشييد أسطول له قيمته؛ فعاد محبطاً إلى إنجلترا، وفي عام 1829 أبرئت ساحته من تهمة التزييف. وبعد كثير من المماحكة حصل على عفو من الملك، وعاد إلى عمله في البحرية الملكية عام 1832.

أما وقد ليَّن تقدم العمر عريكة كوكرين، فقد تحسنت علاقته برؤسائه حيث كان يتولى قيادة محطتي الاستقبال والإرسال؛ المحطة الأمريكية ومحطة الهند الشرقية خلال الفترة 1848 ـ 1851، وقد رقي إلى رتبة أميرال. وخلال ذلك الوقت كان مدافعاً قوياً عن الطاقة البخارية والدفع اللولبي (الرفَّاس) باستخدام مراجل الأنابيب، وهي الابتكارات التي استمرت تجاربه فيها بقية عمره المديد. وقد توفي في لندن في 30 تشرين الأول/ أكتوبر 1860، وعمره خمسة وثمانون عاماً.

لاشك في أن تطبيق كوكرين للدفع بالبخار كان له أثره على البحرية الملكية، كما أسهمت مساعدته للبلاد الأخرى إسهاماً كبيراً في حصولها على الاستقلال. ومع أن هذه الأعمال جديرة بالملاحظة، فهناك جانب آخر من الإنجاز لم يتخط في عصره مرحلة التخطيط، وهو ما يضع كوكرين على هذه القائمة.

فمنذ عام 1811، كان كوكرين يروج لـ "خطة حرب سرية" لتدمير الدفاعات البرية والبحرية. ومع اندلاع حرب القرم عام 1854، عدَّل كوكرين من خطته لاستخدام "سفن المتفجرات ومراكب الغازات الكريهة" لاجتياح الدفاعات المتمركزة براً دون خسارة في جانب قواته. وكان تصميم سفن المتفجرات، أو "الهاون المؤقت" أشبه بسفن ألغام على شكل سيف كلمور ضخم [سيف إسكتلندي ذو حدين]؛ فكان بدن

السفينة يغطى أولاً بطبقة أساسية من الطين ثم يوضع عليها أطنان من البارود ثم يغطى هذا كله بشظايا من المعدن والزجاج والمسامير. ولإحداث مزيد من الضرر كانت الخطة تقضي باستخدام عبوات أشبه بالقنابل تنطلق من الهاون الطافية ثم تنفجر مع احتكاكها بالأرض. وقد قدر كوكرين أن ثلاثاً من سفن المتفجرات هذه بوسعها، إذا ما أحسن اختيار مواقعها في السواحل وتفجيرها، أن تؤثر في تحصينات دفاعية داخل نطاق نصف ميل أو في سفن راسية في الميناء.

كذلك اقترح كوكرين بناء "سفن غازات كريهة" بطبقات متبادلة من الطين والفحم والكبريت، والتي في حال إشعالها يمكن أن تصدر أبخرة مؤذية تحملها الرياح إلى البر فتتسبب في قتل أو عرقلة مدافعي العدو. واستكمالاً لهذا السحاب الغازي يمكن للأسطول أن يصب القار والنفثالين على الماء، ويشعل هذه الكيماويات بالبوتاسيوم، ومن ثم ينقل المد هذه الكتل الملتهبة إلى ميناء العدو. وبمجرد تفرق ذلك اللهب، يمكن لرجال البحرية النزول إلى الشواطئ لتأمين المنطقة.

عندما اقترح كوكرين لأول مرة استخدام حرب الغازات هذه عام 1811، لم يجد إلا القليل من الدعم. وإبان حرب القرم عام 1854 نظرت القيادة البحرية باهتمام جدي في استخدام المتفجرات، وسفن الغازات الكريهة في سيفاستبول (Sevastopol)، لكنها خشيت من الانتقام المحتمل بصورة مماثلة من جانب الروس. غير أن سقوط ميناء المدينة عام 1855 وضع نهاية للجدل، فقامت البحرية الملكية بطي توصيات كوكرين بالأختام. وعندما فضت الأختام عام 1908 كانت "خطط الحرب السرية" التي وضعها كوكرين لها دون شك تأثيرها في حرب الغازات أثناء الحرب العالمية الأولى.

99



يوهان سركليس فون تيلي
Johann Tserclaes von Tilly
مرتزق فلمنكي
(1632 - 1559)

خدم القرصان الفلمنكي يوهان تيلي عدة قادة أوربيين لما يزيد على نصف قرن، فنال صيت القائد الوفي الجسور الذي أظهر مهارات تكتيكية واستراتيجية فائقة. فقد قاد تيلي لفترة طويلة من زمن حرب الثلاثين عاماً قوات العصبة الكاثوليكية إلى سلسلة متواصلة من الانتصارات. فأصبح واحداً من القادة المهيمنين في عصره بإتقانه تشكيلات القتال للمشاة. أما غلطته الوحيدة الكبيرة فكانت لجوءه إلى أسلوب القتال الذي برع فيه براعة مشهودة إلى آماد طالت أكثر مما ينبغي.

ولد يوهان تيلي في قلعة تيلي بالقرب من نيفيل (Nivelle) في الأراضي المنخفضة الإسبانية لأسرة كانت منغمسة في الصراعات السياسية والدينية لذلك الوقت. التحق بالمدارس اليسوعية في ألمانيا قبل أن يبدأ عمله جندياً مرتزقاً وهو في الخامسة عشرة من عمره، فخدم طيلة العقد الأول من جنديته تحت إمرة دوق إسبانيا على بارما (Parma)

عام 1585 وذلك في حصار أنتويرب. وفي عام 1600 ترك تيلي الخدمة الإسبانية لينضم إلى الجيش النمساوي في قتاله ضد الأتراك في المجر. وسرعان ما توالت ترقياته حتى وصل إلى رتبة مشير عام 1605.

أثبت تيلي أنه أستاذ في الفن الإسباني المعروف بـ "تيريكو" (Terico)، أي تشكيلات القتال في العمق، وهو ما يشمل رماة الرماح والمشاة المسلحين بالبنادق القديمة أو القربينات والتي كانت لها السيطرة على المعركة. وعندما انضم إلى الجيش البافاري بقيادة دوق ماكسميليان (Maximillian) عام 1610، بدأ تيلي على الفور إعادة تسليح أفواجه وتعليمهم نظام "تيريكو". ونتيجة لذلك تولى تيلي عند اندلاع حرب الثلاثين عاماً عام 1618 قيادة واحد من أفضل جيوش أوربا تدريباً وأكثرها انضباطاً.

وفي عام 1620 غزا تيلي، الذي كان يقود جميع قوات العصبة الكاثوليكية، بوهيميا بجيش مؤلف من 25 ألف جندي فهزم الجيش البروتستانتي هزيمة فاصلة في وايت ماونتن (White Mountain) في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر. وقد مهد ذلك النصر لتيلي الاستيلاء على براغ ونهبها بعد أيام معدودة. ثم استغل نصره هذا متحولاً صوب ألمانيا وهزم قوات البروتستانت هناك على نمط قتاله. ولم تلق العصبة الكاثوليكية مقاومة شديدة إلى أن تمكنت قوة كبيرة من عرقلة حركتهم لفترة وجيزة في منجولشايم (Mingolsheim) في نيسان/ إبريل 1622، مما دفع بتيلي إلى الانضمام لقوات القائد الإسباني فردينان جونزالو القرطبي. وفي 19 أيلول/ سبتمبر استولى تيلي على هايدلبيرج وثنى بنصر في شتاتلوهن (Stadtlohn) في 6 آب/ أغسطس 1623، حيث قضى جيشه على جميع أفراد الجيش البروتستانتي إلا ألفين من مجموع 12 ألفاً.

وعندما غزت الدنمارك ألمانيا لمعاونة رفاقهم البروتستانت، قضى تيلي على أكثر من نصف الجيش الدنماركي في معركة لوتر (Lutter) في 24ـ 27 آب/ أغسطس 1626 وأجبر الناجين على التقهقر إلى حدودهم. فحصل على لقب الكونت لما أحرز من انتصارات ومنح أرضاً وألقاباً أخرى. احتفظ تيلي باللقب لكنه طلب بروح المرتزق المحترف أن يحصل على باقي التكريم نقداً.

كان تيلي في السبعين من عمره عندما بدأ آخر حملاته ضد جوستاف أدولف العظيم بعد دخول السويديين الصراع عام 1630 . وقد سار إلى داخل غرب الأراضي الألمانية للسيطرة على سكسونيا وبراندنبيرج وذلك لكي يصد تقدم السويديين . فحاصر مدينة ماجدبورك في أيار/ مايو 1631 بغرض استخدام المدينة نقطة دفاع حصينة وقاعدة إمداد استراتيجية لدعم هجوم مضاد. سقطت ماجدبورك في 20 أيار/ مايو غير أن النصر لم يأت بثماره المرجوة، وفقد مرؤوسوه سيطرتهم على جنودهم الذين دمروا معظم المدينة وأعملوا السيف في سكان المدينة والمدافعين عنهم البالغ عددهم ثلاثين ألفاً، ولم ينج من ذلك سوى خمسة آلاف. وبدلاً من أن تصبح المدينة قاعدة إمداد، لم يتبق لتيلي غير حطام مدينة محترق، ولقبوه "جزار ماجدبورك" .

كانت ماجدبورك آخر انتصارات تيلي الكبيرة، ذلك القرصان الفلمنكي الذي كان طوال عمله الاحترافي يوظف نظام القتال الإسباني "التيريكو" في إيقاع الهزيمة بالأعداء. غير أن الزمن والتقنية قد تخطيا بمراحل "التيريكو" . فهُزم تيلي على يد عدوه المبتكر جوستاف؛ وذلك باستخدامه المدفعية الخفيفة المتحركة وبدمجه تشكيلات الفرسان والمشاة، فقد جعلت التشكيلات الطولية التي استفادت من قوة النيران وخفة الحركة نظام "التيريكو" المعتمد على تشكيلات العمق نظاماً بالياً.

وفي بريتنفيلد واجه تيلي وقواته المقسمة وفقاً لنظام "التيريكو" في 17 أيلول/ سبتمبر 1631، ابتكارات جوستاف فنالهم شر هزيمة؛ إذ سقط منهم سبعة آلاف ما بين قتيل وجريح ووقع ستة آلاف في الأسر. فر تيلي الذي تفوق عليه جوستاف في المناورة والقصف، وأعاد تنظيم قواته، وجند من يمكنه أن يحل محل الذين فقدهم، وجهز لصد تقدم القوات السويدية بمحاذاة نهر ليش. وفي 15ـ16 نيسان/ إبريل 1632 حاول تيلي غير مفلح منع جوستاف من عبور النهر واحتلال بافاريا. وأصيب تيلي في القتال وأجلي إلى إنجولشتات (Ingolstadt) . فأرسل جوستاف بدافع احترامه لعدوه بجرّاحه الخاص لمعالجة جراح تيلي، غير أن خطورتها على حياة المقاتل العجوز كانت أشد من أن يتحملها، فتوفي في 30 نيسان/ إبريل 1632 وهو في الثالثة والسبعين من عمره.

كانت هزيمة تيلي ثم موته يعنيان أكثر من مجرد سقوط بافاريا؛ فقد مثَّلا نهاية لنظام " التيريكو " القتالي الذي ساد أوربا لمدة نصف قرن، وحلت تكتيكات جوستاف القائمة على التشكيلات الطولية وخفة الحركة محل تشكيلات العمق البطيئة لتيلي.

يحتل تيلي مكانته كواحد من القادة المقتدى بهم في حرب الثلاثين عاماً. ورغم كونه مرتزقاً طوال حياته، فقد ظل وفياً لمن يخدمهم، ولم يسع إلى سلطة أو نفوذ خارج نطاق ميدان القتال. وقد نال لطبيعته الزاهدة لقب " القس المدرع " بين جنوده، غير أنه أيضاً نال احترامهم كضابط محترف قدير. لقد كان تيلي رجل عصره كما كان أستاذاً في الاستراتيجيات والتكتيكات السائدة آنذاك. ومع ذلك، ذوى تأثيره مع طي صفحة نظام " التيريكو " القتالي الذي أصبح تاريخاً.

100



إدمونــــد هنـــري آلنبـــي
Edmund Henry H. Allenby
قائد بريطاني
(1936 - 1861)

لُقب بـ" الثور " لضخامة جسمه وثورات غضبه الجامحة، هذا هو إدموند آلنبي، أكثر القادة الإنجليز تميزاً وتمتعاً بالاحترام في الحرب العالمية الأولى. وهو الذي خطط ونفذ الهجوم الذي أجبر تركيا على الاستسلام وأحرز آخر أكبر الانتصارات لسلاح الفرسان في تاريخ الحروب.

ولد آلنبي في أسرة لها قدر من الثراء ذات ارتباط بالكنيسة الإنجيلية الشرقية في 23 نيسان/ إبريل 1861. تخرج في الكلية العسكرية الملكية في ساندهيرست عام 1881. وانضم بوصفه ملازماً في فرقة فرسان إنسكلينج (Inniskilling) السادسة إلى فوجه في أفريقيا، حيث خدم لمدة ست سنوات في بيتشيوآنلاند (Bechuanaland) والزولولاند (Zululand). وبعد قضائه فترة قصيرة في إنجلترا التحق خلالها بكلية الأركان في كامبرلي (Camberley)، عاد إلى جنوب أفريقيا في الوقت المناسب ليشارك في حرب

البوير (1899 - 1902). وفي نهاية الحرب رقي إلى رتبة عقيد، وتولى قيادة فرقة الرماح الخامسة في بريطانيا العظمى.

كان لكفاءة آلنبي قائداً ومدرباً، أثرها من حيث توليه سلسلة من المناصب ذات المسؤوليات المتزايدة الأهمية. وبحلول عام 1910 كان قد وصل إلى رتبة لواء ومفتش عام لسلاح الفرسان.

كان آلنبي، بوصفه كبير سلاح الفرسان، مازال في الخدمة الفعلية وقت اندلاع الحرب العالمية الأولى، فانتقل إلى فرنسا قائداً لفرقة فرسان قوات التدخل السريع عام 1914. وسرعان ما ثبت أن سلاح الفرسان لا دور له في حرب الخنادق التي تهيمن عليها الرشاشات، ولكن في الوقت الذي أصبحت فيه مواهبه كقائد لسلاح فرسان غير ملاحقة لتطورات الزمن، فإن قدرته على تطوير التكتيكات وقيادة الجنود في ميدان القتال لم تكن على هذا النحو. ففي عام 1915 أثبت تميزه كقائد لواء في معركة إيبر، وبعدها بعامين قاد الجيش الثالث في معركة آراس (Arras).

وفي صيف عام 1917 سنحت له الفرصة التي سوف تجعل صيته يذيع قائداً يأتي على قمة قادة بريطانيا في الحرب. كان العديد من الهجمات التي شنتها القيادة البريطانية ضد الأتراك في فلسطين قد أخفقت، وفي 17 نيسان/ إبريل ترك القيادة في فرنسا ليقدم نفسه في مصر، مكلفاً بأمر نصه «الاستيلاء على القدس قبل أعياد الميلاد».

نقل آلنبي على الفور مركز قيادته وهيئة أركانه من غرفهم المريحة في الفندق الذي يقيمون فيه في القاهرة إلى خيام على مقربة من جبهة القتال، فنال بذلك إعجاب المتطوعين وصغار الضباط. وفي الوقت الذي كان يمطر فيه نظام الاتصالات مع لندن بسيل من الطلبات بمزيد من الجنود والمدفعية الثقيلة، كان يقوم بإعادة تنظيم جيشه. وعلى عكس الخنادق في فرنسا، كانت طبيعة الأراضي وتضاريسها في فلسطين ممتازة لسلاح الفرسان، وقد زاد آلنبي من خفة حركته بتنظيمه كتائب الإبل المحلية ودمجها بسلاح فرسانه مشكلاً لواء الصحراء المحمول.

وفي تشرين الأول/ أكتوبر بدأ هجومه؛ فترك ثلاث فرق تظاهراً بهجوم على غزة، في حين أمر مشاته بشن هجوم ضد دفاعات الأتراك التي بوغتت في بئر سبع. وبمجرد أن قضت قوات المشاة على الدفاعات، أرسل بسلاح فرسانه وإبله عبر المنطقة المفتوحة للاستيلاء على إمدادات المياه في المدينة.

لم يخفف آلنبي من زخم هجومه بعد الاستيلاء على بئر سبع، بل أمر سلاح فرسانه وإبله بمطاردة الأتراك المنسحبين ليحول دون دون تمكنهم من بناء دفاعات شاملة. ورغم نقص إمداداته، فقد دحرت قواته الأتراك بسرعة خارج غزة. وفي 9 كانون الأول/ ديسمبر 1917 وقبل موعد أعياد الميلاد بنحو ثلاثة أسابيع كان قد احتل القدس.

وقد أجبرته التطورات في أوربا على نقل عدد كبير من قوات مشاته إلى فرنسا في حملات عام 1918، وعلى أن يوقف هجومه لمدة تسعة أشهر في المدينة العتيقة بينما وصلت إحلالات غير مدربة من بريطانيا العظمى. وفي الوقت الذي كان متأهباً فيه لمواصلة القتال، كان الأتراك قد أقاموا خط دفاع في العمق مؤلفاً من أربعين ألف جندي و350 قطعة مدفعية، ويمتد من المناطق الواقعة على شواطئ البحر المتوسط باتجاه الداخل وحتى وادي نهر الأردن شمالي يافا*.

عمد آلنبي إلى اللجوء إلى تدابير خداعية متقنة تتألف من مخيمات وهمية ضخمة ومثلها من وحدات الفرسان على طول ميمنته الغربية. وعندما اطمئن إلى أنه أقنع الأتراك بأن هجومه سوف يتركز هناك، بدأ يفتح وابلاً من نيران المدفعية المدمرة من الجهة العكسية للخط في 19 أيلول/ سبتمبر 1918. وبمجرد أن اخترقت قواته جبهة العدو، أمر لواء الصحراء المحمول بالتقدم، بدعم من المدفعية وقاذفات سلاح الجو الملكي.

وفي اليوم العشرين دخل فرسان آلنبي مجدو ثم استداروا شرقاً لوقف أعداد كبيرة من أفراد الجيش التركي المنسحبين. واصل آلنبي مطاردته واحتل دمشق في الأول من تشرين الأول/ أكتوبر 1918 وحلب في الخامس والعشرين منه، مجبراً الأتراك على طلب السلام. وقد أنهت هدنة أبرمت في 30 تشرين الأول/ أكتوبر مشاركة تركيا في

* الصحيح جغرافياً أن وادي نهر الأردن يقع شرقي يافا. (المحرر)

الحرب. وفي غضون 38 يوماً من القتال المتواصل تقريباً، كانت قوات آلنبي قد تقدمت 360 ميلاً وأسرت أو قتلت أكثر من ثمانين ألفاً من الأتراك وحلفائهم الألمان والنمساويين، بينما كانت خسائره 853 قتيلاً و4480 جريحاً.

كوفئ آلنبي بترقيته إلى رتبة مشير ومن بعدها إلى فيكونت. وقد خدم منذ انتهاء الحرب وحتى تقاعده عام 1925 مندوباً سامياً في مصر، ثم عاد إلى إنجلترا ليقضي بقية أيامه ممارساً لهواياته في الاهتمام بعالم الطيور والنباتات وليمضي فترة وجيزة في منصب رئيس جامعة إدنبرة. توفي وهو في الخامسة والسبعين في 14 أيار/ مايو 1936، ودفن في كنيسة وستمنستر.

عندما استولى آلنبي على القدس أصر في تواضع على السير مشياً إلى داخل المدينة لا على ظهر حصان أو في سيارة الأركان. ومع ذلك، يبدو من كبير الاحتمال أن "الثور" آلنبي كان يضرب ضباطه ويحقر من شأن رجاله ويروعهم، ولكن رغم أنه ليس محبوباً بقدر كبير، فقد نال احترام الجميع. وبينما يحتل مكانه بسهولة في هذه القائمة باعتباره القائد البريطاني الأول في الحرب العالمية الأولى، فإنه يستحق كذلك مكاناً في التاريخ كآخر قائد يحقق نصراً من خلال الاستخدام التقليدي لسلاح الفرسان الحاشد.

100 قائد عسكري

تصنيف لأكثر القادة العسكريين

تأثيراً في العالم عبر التاريخ

يقدم هذا الكتاب تراجم موجزة لعدد من قادة المعارك والمبدعين العسكريين والكتّاب الذين أسهموا بمؤلفاتهم عن فن الحرب، والقادة المحررين أو الفاتحين على امتداد التاريخ، الذين سادوا أزمانهم وفرضوا قدراً كبيراً من النفوذ والتأثير في المستقبل. ويرتب مؤلف الكتاب هؤلاء القادة بالتسلسل من واحد إلى مئة، ويحكم على كل منهم بمقدار الأثر المباشر والمستمر الذي تركه على تاريخ العالم، وعلى حياة الشعوب التي وقع عليها ذلك الأثر، سواء من النواحي الإيجابية أو السلبية، كما يبحث في طبيعة التطور العسكري والمدني الذي تبع ذلك التأثير، ويتضمن هذا الطرح مقارنات فيما بين القادة لتقريب الصورة للقارئ.

جدير بالذكر أننا قد نختلف ومؤلف الكتاب حول مدى تأثير وأهمية بعض القادة الذين أدرجهم بقائمته في تاريخ العالم، كما قد نختلف معه في عدم تضمينه القائمة بعض القادة العسكريين البارزين الذين يشهد التاريخ لهم بأهميتهم وتأثيرهم في تغيير مجرى التاريخ وتبدل مراكز الحضارات نتيجة حنكتهم وانتصاراتهم العسكرية المشهود لها بالعظمة و التأثير البالغ في تاريخ الإنسانية. هذا وقد آثرنا عدم التدخل في هذا التصنيف، كما في المتن، من منطلق الحرص على مصداقية الترجمة ونقل النص للقارئ العربي، للتعرف على تجارب القادة التاريخيين والمعاصرين بإيجابياتها وسلبياتها.

